
وراثة سورية
اختبار بشار بالنار
فلاينت ليفريت
مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط في معهد بروكينغز

لطالما كانت سورية لغزاً محيراً لصانعي السياسة الأميركية. فرغم الاعتقاد السائد بأن اقتصادها الضعيف، وتعدد إثنياتها، إضافة إلى موقعها الجغرافي الحسّاس، قد يحدُّ من تأثيرها في الشرق الأوسط الكبير. ولكنها كانت ولا تزال تشكل تحت حكم حافظ الأسد وخلفه بشار، لاعباً أساسياً في المنطقة.

تحتل سورية مركزاً استراتيجياً حساساً في الشرق الأوسط، وما يزيد من أهمية هذا المركز في الوقت الراهن، ارتباط الولايات المتحدة الطويل الأمد في عملية إعادة إعمار جارها العراق. وقد جمعت سورية لما يزيد عن عشرين عاماً خلال تواجدها في لبنان الكثير من الحلفاء والأصدقاء اللبنانيين – أبرزهم حزب الله –.

ودمشق التي تعتبر إسرائيل سلطة محتلّة، لا تزال صلبة حول مبدأ ضرورة انسحابها الكامل من هضبة الجولان المتنازع عليها، والذي هو أحد شروطها للسلام مع تلك الدولة.

ولقد تجدّد النقاش حول دور سورية في المنطقة إثر وفاة الرئيس حافظ الأسد سنة 2000 وانتقال الحكم إلى خلفه بشار. ولقد ازداد ضغط التحديات السياسية التي أفرزتها السياسة السورية الغير واضحة على عدة جبهات، وخاصة في الأجواء الأمنية الحالية، مما جعل الولايات المتحدة الأميركية تواجه مصاعب جمّة في صياغة سياسة متماسكة وفعّالة نحو دمشق. وهكذا بقي الإجماع الغربي على أسلوب موحّد للتعاطي مع القيادة السورية عرضة للمزيد من الشكوك.

هذه الثغرة يعالجها الكتاب عبر عرض تحليلي مفصّل للحكم في سورية تحت قيادة آل الأسد والتراث الاستراتيجي المنتقل من الأب إلى الابن. كما أنه يلفتُ إلى المخاطر التي قد تواجهها السياسة الأميركية، مقدّماً استراتيجية جديدة شجاعة لتحقيق الأهداف الأميركية عبر «اتفاقيات مشروطة» تطبّق سياسة الجزرة والعصا. هذه الاستراتيجية ستكون بمعزل عن عملية السلام العربية – الإسرائيلية مما يؤسس لانطلاقة تاريخية للولايات المتحدة.

إنه كتاب تحليلي يفصّل بزوغ اسم بشار، ومن ثم وصوله إلى الحكم، مقدماً عرضاً معمقاً [illegible] الأوسط، والحرب على الإرهاب، ومستقبل السياسة الخارجية الأميركية. إنه مصدر هام [illegible] أفضل لهذه الدولة الغامضة وقيادتها.



حول المؤلف

فلينت ليفريت هو أستاذ باحث في مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط في معهد بروكينغز. وقد خدم كمدير رفيع مسؤول عن شؤون الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي، وفي قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأميركية، وكمحلل أول للشرق الأوسط في وكالة الاستخبارات المركزية. وقد أهّلته خبرته في مؤسسات السياسة الخارجية لتقديم رؤية ثاقبة حول هذه الدولة الهامة.

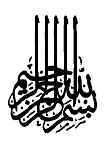




ISBN 9953-29-683-9
9789953296838

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
www.asp.com.lb
ص. ب. 13-5574 شوران 2050-1102 بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb


وراثة سورية
اختبار بشار بالنار



2

وراثة سورية

اختبار بشار بالنار

تأليف

فلاينت ليفريت

ترجمة

د. عماد فوزي شعيبي

مركز المعطيات و الدراسات الإستراتيجية



الطبعة الأولى

1426 هـ - 2005 م

ISBN 9953-29-683-9

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

المحتويات

مدخل إلى الطبعة العربية

الدكتور عماد فوزي شعيبي

رئيس مركز المعطيات والدراسات الاستراتيجية بدمشق

تحـــرزت قلـــيلاً بكتابة مقدمة هذا الكتاب بطبعته العربية،فقد يُفسر الأمر من ذوي العقلـــية الضيقة بمثابة تبنٍ للكتاب. ولكن الأمر ليس بالضرورة كذلك إذ أنك قد تكتب مصححاً ومركزاً على ما هو إيجابي وموضوعي فيه وهذا أمر فيه نوع من التواصل الإيجابي مع الرأي الآخر وفيه بصمة منا نحن كعرب في كتاب لم يُكتب لنا.

فلقـــد اشـــترت الدار العربية للعلوم حقوق طبع وترجمة الطبعة العربية أعني كتاب فلاينت الذي ذاع صيته من خلال مقالات كتبت عنه في أكثر من صحيفة عربية، وعلى اعتبار أنه كتاب مكتوب للإدارة الأميركية وللقارئ الغربي، فضلاً عن كونه على طاولة الرئيس الأميركي جورج بوش الابن كما يقول الصحفي الأشهر هـــيرش المعروف في صحيفة (نيويوركر)، فإن هذا يعطيه أهمية عيّنها الرجل باعتبار أن الكتاب فيه توصيات للرئيس الحالي ملخصها ضرورة التخلي عن سياسة أحادية الجانب مفادها الضغط المتواصل واعتماد سياسة "العصا والجزرة". وهنا بالذات قد لا نلـــتقي مـــع التعبير بفظاظته (الخام) ولكننا على قناعة بأنه سياسة الضغط على سورية لا تجدي نفعاً لأن السياسة السورية تعتبر أنه لا يستوجب عليها السير تحت الضغط، لأن سلسلة التنازلات ستجر بعضها، فضلاً عن أن سياسة الرئيس جورج بوش الابن لا تمت للعمل السياسي الواقعي البراغماتي والعقلاني بصلة، لأنها تطلب دون أية وعود ودون "تقاسم إرادات" وتكاد أن تطلب من سورية أن تكون جمعية خيرية تقدم بلا مقابل على الطريقة التي وعد بها الفلسطينيون.

وعندما قرأنا الترجمة وجدنا أن التعليق عليها أمر يستحق، فعلى الرغم من أن

الكتاب مكتوب للغرب وللأميركيين حصراً، وهو بمثابة وثيقة توصيات للرئيس الأميركي الحالي، إلا أن مجرد طبعه باللغة العربية سيعني أن الكثير من الرأي العام العربي سيتأثر به وسيصوغ بناء عليه تحليلات، وقد يكون مادة للتداول الرسمي العربي- العربي على مستوى القادة، الأمر الذي جعل التعليق عليه مهمة وطنية كما أقدّر.

فنحن من الذين يقدرون رصانة السياسة الصامتة السورية، ولكن إذا كان هذا يصلح في التعاملات الدولية الرسمية على أعلى مستويات وخاصة في حالات السلم والصراع الاعتيادي، أما وأن سورية باتت مستهدفة،أقله إعلاميا وسياسياً، فتقديرنا يقوم على ضرورة أن تتحدث السياسة السورية لغة صريحة ومعلنة برصانة الإعلان الواضح (وذلك في بعض الأحيان مع عدم التخلي كلياً عن رصانة الصمت في سياسة الاتفاقات غير المبرمة وغيرها من الاستراتيجيات التي تقتضي ذلك)، لأن رصانة السياسة الصامتة ستنعكس عليها سلباً أحياناً في زمن الاستهداف، وستترك المجال للضغط الإعلامي،خاصة أن الطرف الآخر يعلن بوضوح مواقفه علناً ويضغط على سورية ويستفيد من صمتها الرصين، ما يستوجب رصانة المواجهة العلنية المحسوبة بدقة والشفافة في آن.

وطالما أن الكتاب سيكون في يد الجمهور العربي، وباعتراف أننا مقصّرون إعلامياً ومظلومون في أغلب الأحيان داخلاً وخارجاً على مستوى عرض سياساتنا،كما اننا لم نعتد أن نقرأ ما يكتبه عنا الآخرون بعقل بارد، رأينا أن نقدم للكتاب وأن نصحح ما يمكن تصحيحه.

فقد صححنا البعض من المعلومات وتركنا التحليلات لحكمة القارئ كي لا يكون هذا تدخلاً منا في سياق الكتاب وحق الكاتب في قراءة الوقائع بطريقته، واحتراماً لعقل القارئ في إطار قناعتنا الكاملة لديمقراطية المعرفة وحق الإنسان في أن يفكر فيما ليس مُفكراً به، وحق كل الذين يفكرون بشكل مخالف، وتدخلاتنا هي من قبيل الحرص على دقة المعلومات وعلى عدم تشويه وعي القارئ بما يقدم من معلومات خاطئة، أضف إلى أننا نعترف بعدم قدرتنا على تصحيح كل

المعلومات غير الدقيقة، لأن تدخلنا بها سيكون على حساب الكتاب نفسه.

الكتاب يحفل بالصورة السلبية عن أوضاع سورية. صحيح أن الكاتب كان أرْصَن من أن ينصاع لها تماماً، كما هو حال من يتصيّد الأخطاء، إلا أنه من الواجب التحذير من قراءتها" *بعين السُخط التي تبدي المساوىء*". فنحن، يجب أن نعترف، نعيش دوامة من السلبيات لكن قراءتها بالعين القاتمة ستجعل القارئ لا يرى إلا نصف الكأس الفارغ.

صحيح أن ليس علينا أن ندفن رؤوسنا بالتراب، إلا أن الخطر يكمن في رؤية السلبيات من خلال التضخيم لأثرها(مع الاعتراف بمخاطرها) لأن هذه الوضعية ستتحول إلى تغذية "*خلفية راجعة موجبة*"(PositiveFeedBack) وستكرس السلبيات أو ستخلف حالة من الرغبة بتدمير كل ما هو موجود لبناء نموذج(ذهني) تصوري واهم عن فردوس أرضي، الأمر الذي قد يحيل الأوضاع إلى فوضى مدمرة، وهو ما يحدونا أن نحذر القارىء السوري خاصة والعربي عامة من الوقوع في مأزقه، أقله أن الكاتب لم يقع فيه رغم أنه أطال في ذكره تفصيلاً، فكان أحرص على الموضوعية بمعنى ما، وهو ما ينبغي علينا- من منطق الحرص الرصين- أن نفوقه فيه، و لا نقول ذلك من موقع المؤيد الأعمى أو الوطني الرومانسي، إنما من موقع الرؤية الاستراتيجية التي ترى في الاستقرار والتطور المتسارع المدروس الطريق الأفضل للمحافظة على سورية التي لا يمكن النظر إليها إلا باعتبارها عقد المسبحة الذي إن انفرط انفرطت المسبحة بأكملها. وهذا ليس فيه من الإيديولوجية الواهمة بشيء؛ إنه تكريس للقول الاستراتيجي"بأن الجغرافيا والتاريخ لا يستشيران أحداً" وأن وضع سورية التاريخي والجغرافي، كلاهما،لا يستشيران أحداً. ومهما كانت مبالغات الماضي الإيديولوجية، إلا أن ثمة واقعية في السياسة السورية البراغماتية، لا يجب هضم حقها، و هي لا تستطيع أن تجعل سورية بلا وزن سياسي لأنها في الموقع الجغرافي، وفي الأصل التاريخي،كما لا يمكن لها أن تكون إلا أمام مسؤولياتها الإقليمية- العربية.

هذا ليس كلاماً بلا معنى، إنه في الأصل الاستراتيجي، فعندما كانت سورية

بلا وزن إقليمي كانت سياساتها سماداً لسياسات الآخرين، وكانت ريشة تتجاذبها الأهـواء، وعندما تحقق وزنها الإقليمي نالت الاستقرار والسمعة الدولية، وإن كان هـذا عـلى حساب اقتصادها ورفاهية شعبها، إذا أن الأخرين لا يمكن تحقيقهما بـدون ذلـك الوزن أصلاً، وبالتالي فالمعادلة من الصعوبة بحيث أن كل تصور عن سـورية المنكفئة على الداخل فقط قد يرضي للحظة وهمَ أن يتم تصوير الرفاهية بتناول اليد كما هو حال الدول العربية الأخرى المنكفئة.

لكـن الـدول الطرفـية شيء والمركزية (أي في مركز الصراع) شيء آخر، وسورية لم تختر هذا المركز لسوء الحظ أو لحسنه... لا فرق، لأن النتيجة أنها تدفع ثمنهُ، والأهم أن الانكفاء الإقليمي لها كما يطالبها به البعض سيطيح بآخر ما تبقى من معاملات القوة التي قد تفسح في المجال أمام أن تستعيد أرضها المحتلة.

لا نقـول هـنا أن الوزن الإقليمي السابق يجب أن يُستعاد بأكمله وفي نفس المواقـع الاسـتراتيجية والإقليمية، وبنفس اللغة السياسية التي كانت سائدة، إذ أن الثابـت الوحيد في السياسة هو المتغير، ومياه النهر لا تجري في المكان ذاته مرتين، والسياسة السورية واقعية إلى درجة التكيف مع هذا كله، ولكن لا يجب على أحد أن يطالب السوريين بأن يخرجوا من (الصراع) لأن الصراع مفروض عليهم بحكم الجغرافيا والتاريخ .

على الأقل في هذا المقام علينا أن نمايز ونميّز بين مجموعة مصطلحات في العمل السياسي وهي: الصراع والمواجهة والمجابهة والصدام والقتال والحرب.

يمـيل كل البشر، والسوريون على رأسهم، إلى حياة رغيدة بلا صراع على الأقـل، لكن الحياة أثبتت أن الصراع هو الحد الأدنى للتوزان في ميزان الاختلاف بين البشر، فكيف هو الحال إذا ما كان الأمر على مستوى مصالح دول ومجموعات اقتصادية. ولهذا فإن ألف باء السياسة تعلمنا أن الصراع هو الحد الأدنى للتعاملات السياسية، وأن أحداً لا يجب أن يتوهم إمكانية إلغاء الصراع، بل المطلوب هو إدارة الصـراع بالحد الأدنى من الخسائر وعدم دفعه إلى المواجهة وإن اضطر الأمر عدم دفعه نحو المجابهة فالصدام فالقتال والأخطر هو الذهاب إلى الحرب.

في السياسة السورية تأرجح بين الصراع والمواجهة، وينخفض الوضع في المرحلة الحالية الانتقالية على المستوى الدولي، إلى حد البقاء في حدود الصراع.

صحيح أن هذا مكلف على سورية إلا أن رفع درجة الصراع أحياناً(في حدوده"أي للصراع" ذاتها فقط) يجعل وزن البلاد السياسي أكثر أهمية، و سيكون ثمن تخفيض الصراع مكلفاً على الأطراف كافة أيضاً بما فيها الطرف الآخر أعني المعادي أو المناوئ. وقد يختلف أحدنا حول هذا الإجراء أو ذاك في ثنايا إدارة الصراع إلا أن النتيجة هي تلك التي رسمناها سابقاً – كما نقدّر-.

الكتاب فيه الكثير مما يتم تداوله في مواقع تخلو من الدقة كشبكة الأخبار العربية، وما يكتبه غاري كامبل وغيره من الكتّاب، إضافة إلى مواقع معادية ومصادر إسرائيلية ... ومن المؤكد أنها لن تكون موضوعية بأي حال من الأحوال، لكننا نسجل للكتاب بالقياس إلى كتب أخرى اطلعنا عليها أو ترجمنا بعضاً منها في مركز المعطيات والدراسات الاستراتيجية بدمشق، ومنها كتاب إيال زاسر الإسرائيلي، أنه كان أكثر قدرة (بالقياس إلى غيره) على الإفلات من البناء بجهل مطبق على المعلومات غير الصحيحة، ونعتقد جازمين أن القارئ لن يسقط في مطب الامتثال للمعلومات التي يمكن أن نقول إنها تلك التي يتداولها الشارع البسيط ومنها شوارع الانترنت!.

في الفصل الأخير من الكتاب ثمة ما يستوجب التوقف، فالكاتب يبدو رصيناً، مع الاختلاف معه أحيانا فيما ينتهي إليه، ولكن هذا ليس حال السياسة الأميركية بدليل أنه قد غادر منصبه لأنه اختلف مع هذه الإدارة في طريقة التعاطي مع سورية، بمعنى أنه الوجه الإيجابي (بمعنى من المعاني) للواقعية والعقلانية السياسية التي تتعرض إلى ضغط تحت تأثير الإيديولوجية لكل من المحافظين الجدد وتيار التمامية المسيحية وتيار البروتستانتية المتشددة الذين يشكلون الطيف السياسي في جمهوريي اليوم، بمعنى أننا لا يجب علينا أن نتوهم للحظة أن ما يقدمه هو ما تتبعه السياسة الأميركية اليوم، وإن كانت تتقاطع معه انتقائياً، إلا أن الخطر يكمن في جرعة الإيديولوجية التي لا يعرف المرء إلى أين ستمضي وكيف ستتبدى في الممارسة

العملية في اللحظات الحرجة، فمن المعروف أن غزو العراق والضغط لإخراج سورية من لبنان بدون توافق سلمي إقليمي ومحاولة إلغاء مبدأ السيادة والاعتداء على الدول باسم حق التدخل الإنساني...، كل ذلك من اللاعقلانيات الإيديولوجية التي تتصدر سياسة التشكيلة التي يرسمها تحالف هذا اليمين في الحزب الجمهوري، ولذلك فسورية إزاء هذه الجرعة اللاعقلانية في خطر، إلا أن ليس لها أن تختار إلا سياسة الشرعة الدولية ومبدأ السيادة وكل ما تم التوافق عليه دولياً مع جرعة كافية من العقلانية التي لا تقدم مادة استهداف ولا ترمي ببلدها في التهلكة، على أن لا يكون ذلك على حساب حقوقها واستثمار كل وسائل الصراع كي تبقى طرفاً وليس مجرد مفعولٍ به أو دولة (تحصيل حاصل).

في الفصل الأخير من الكتاب، يعتبر لبنان هي البداية، و يتقاطع الكاتب مع ما يتم تداوله حالياً من ضرورة استخدام مؤسسات المجتمع المدني في سورية وتمويلها للضغط على النظام، مسجلا أن الناشطين من أهل البلد في مجال المجتمع المدني يحاذرون من الاشتراك مع من هم في الخارج ويحذر من أن هنالك سجلا تاريخيا متواصلاً من الفشل بالنسبة للسياسة الأميركية حينما استرشدت باستراتيجية الاتكال على المعارضة الخارجية لإحداث تغييرات سياسية في الأنظمة، ويقول بالحرف " إن استراتيجية ربط الأنظمة الاستبدادية في المراحل الأولى من الإصلاح وممثلي المجتمع المدني، كان له سجل مؤثر من النجاح وخصوصا في الكتلة السوفييتية السابقة وأميركا اللاتينية، وينبغي أن يكون هذا النموذج الذي تحتذي به السياسة الأميركية تجاه سورية بقيادة بشار الأسد". وعلى نحو مماثل يبدو له أن حركة المعارضة السورية من المهجرين قاعدة غير ملائمة لتغيير المحيط السياسي داخل سورية. فبالنسبة له ليس هناك دليل أن المعارضين العلمانيين المنفيين لهم الكثير من الأتباع داخل سورية. ويفضلون عدم جعل موقفهم داخل سورية موضع تساؤل،ويحذر من أن هنالك خطراً في أن يساهم الانسحاب السوري من لبنان بعودة ظهور الصراع الطائفي هناك وخصوصاً في حال اندفعت الحكومة الجديدة في بيروت بسرعة إلى نزع السلاح من حزب الله تمشياً مع متطلبات القرار 1559

الــذي يدعــو إلى حل جميع الميليشيات اللبنانية ونزع السلاح منها. وكبديل على ذلك أن يكون حزب الله في أي نظام سياسي جديد في بيروت يزعم أنه يمثل جميع عناصــر المجــتمع اللبــناني.. وهذا على أقل تقدير لن يكون كسباً واضحاً لصالح المصالح الأميركية.

ويــرى الكاتــب أن تجديــد المسار السوري هو الطريقة المثلى لواشنطن في تشــجيع نظــام الرئيس الأسد على اتخاذ موقف يتصف بالتعاون والاسترضاء تجاه مخــاوف ســورية مستخدما الدعوة لاستراتيجية الارتباط المشروط مقراً بصعوبة التوجه نحو ضرب سورية بسبب ما يدعوه الالتزامات المتواصلة في العراق التي تجعل من المشكوك فيه أن يكون لدى الولايات المتحدة خيار البدء بعملية ضد سورية في أي وقــت قريــب، حيــث أصــبحت القوات العسكرية الأميركية من الناحيتين اللوجســتية والعملياتــية تحت ضغط شديد ومتزايد بسبب المتطلبات المتواصلة في أفغانستان والعراق وليس البنتاغون بقادر حالياً على إرسال قوات كافية إلى الميدان لإكمــال المهمــات على كلا المسرحين وتلبية الالتزامات المتوجبة عليه في المناطق المتأزمة الأخرى مثل شبه الجزيرة الكورية. إذ أن الولايات المتحدة ببساطة لا تملك مصادر القوة العسكرية الكافية تحت تصرفها من أجل سلسلة واسعة من الحملات لقلب أنظمة الحكم التي يدعوها بالمشاكسة عبر الشرق الأوسط. ومع مرور الوقت أصبح هذا الوضع أكثر وضوحاً للمراقبين الإقليميين مما ألغى أية فائدة دبلوماسية أياً كانــت يمكــن أن يتضمنها التهديد الضمني بحملات إضافية لتغيير الأنظمة بشكل قسري.

ويقر الكاتب ناقداً أن"الإدارة الأميركية قد قررت بعد الحادي عشر من أيلول 2001 مباشــرة كشــأن من شؤون سياستها، أنها لن تقدم أية جزرة محتملة لحث دولة مصنفة أنها راعية للإرهاب على تغيير سلوكها المُشكل، لكنه يؤكد خطأ تلك السياســة على اعتبار أن الرئيس السوري–حسب تعبيره– يمكن التعامل والمشاركة معــه بالنسبة للغايات الأميركية. ففي الجانب الإيجابي من سجله أظهر الرئيس بشار بعض الدوافع الإصلاحية، وهو ليس متعصباً للأيديولوجيات مثل الملا محمد عمر،

ولـيس بالسـفاح العنـيف مثل صدام حسين. وأن الرئيس بشار يمكن أن يكون الشـخص المناسب للارتباط الدبلوماسي إذا كان هذا الارتباط يؤمن لـه خارطة الطـريق الواضحة إلى هدفه المأمول ويمنحه السلطة للتحرك في ذلك الاتجاه، ومن اجـل الارتـباط الـناجح معه يقترح أنه لا يكفي التذمر حول سلوكيات سورية الإشـكالية. بل بدلا من ذلك يتوجب على الولايات المتحدة أن تمنح الرئيس بشار أهدافا واضحة ومحددة لعكس تلك السلوكيات".

هذه الرؤى تعكس نموذجاً من السياسات المقترحة تجاه سورية، لكنها ليست مقـرّة إلا بصورة انتقائية اليوم مع جرعة عالية من الإيديولوجية تحد منها العلاقات الدولية من ناحية وطبيعة السياسة التي تفرض نفسها على الإيديولوجيين من ناحية أخـرى، رغـم أننا كنا ولا زلنا نحذر من أن هذا لا يجري بشكل طبيعي وآلي إنما تحكمـه حقـيقة "مبدأ التعلم بالتلمس" أي بالأخطاء كما هو حال ما حدث في العراق، ومن المهم ألا تكون سورية أداته للتعلم وسماداً لسياسات أقل ما يُقال عنها اليوم هو أنها ارتكاس عن العقلانية السياسية، وهو مالا نتوقع من السياسة السورية أن تسقط فيه.

مـرة أخـرى الكـتاب ليس مكتوباً لنا نحن العرب، وهو ككتاب مكتوب لـلإدارة الأميركـية وللقارئ الغربي، أقل سوءاً مما يُكتب عنا بالنسبة لنا، وأفضل ماكتب عنا بالنسبة للموجود في المكتبة الغربية. والواقع أن علينا أن نقرأه بحذر من يسـتطيع أن يمايز بين سلبياته وإيجابياته، والأهم أنه طالما أن الدار العربية للعلوم قد اشـترت حقـوق ترجمته وقررت أن تنشره للقارئ العربي، أن يكون للقارئ ذاته فرصـة الإطـلاع عـلى نموذج من قراءة غربية للسياسة السورية وتقدير مكانتها والتعامل مع سياستها ونقدها بلغة تتجاوز في كثير من الأحيان ما تتعرض لـه من ظـلم كـبير في بعض صحافتنا العربية ومنتديات الإنترنت مع تقديرنا أن كل نقد مهمـا اختلفـنا معه يصلح أن نضعه في قائمة حساباتنا كما كان يقول غرامشي، عـلى أنه ليس بالضرورة أن نتمثله إذا كان مخطئاً،وحسبنا القبول بالآخر والتعامل معـه، ففي كل فكرة ما يفيد. صحيح أن هذا لا يستقيم في العمل السياسي تماماً،

وهـــو أشبه بالترف الثقافي الذي نادراً ما يتحقق بحيث أن بلوغه هو مطلب إنساني يماثل الكمال، إلاّ أن التعلم من نقد الآخرين ولغتهم هو أمر وارد شرط إلا يبلغ بنا الأمر جلد الذات.

دمشق 2005/8/3



تمهيد

لقـــد عادت سورية مرة ثانية إلى قمة أجندة السياسة الأميركية على الرغم من كل ما قيل قبل وقت ليس بالطويل من أنها قد اتخذت موقعها الصحيح على هامش الشؤون الشرق أوسطية.

لقد جعل الرئيس بوش سورية في بداية فترة حكمه الثانية المحور الأول والأهم في المرحلة الثانية من الحرب العالمية التي تشنها إدارته على الإرهاب.

وكان أغلب هذا الاهتمام المتجدد على سورية قد تركز على السمات المميزة للقـــيادة والنوايا الاستراتيجية لرئيس هذا البلد بشار الأسد. لقد أصبح أمراً عادياً ومـــتكلفاً أن نتساءل فيما إذا كان بشار يتمتع بالدرجة ذاتها من السلطة والذكاء التكتـــيكي التي كان يتمتع بها والده الراحل وسلفه حافظ الأسد. وفي هذا السياق مـــن الجدير أن نذكر بأن حافظ الأسد لم يكن ليصبح ذلك السيد الذي لا يمكن منافســـته في بـــلاده أو ذلك اللاعب الداهية في اللعبة الإقليمية إلا حينما نجا من سلســـلة من التحديات الواضحة وهي توطيد الهيمنة السورية في لبنان والدفاع عن هذه الهيمنة في مواجهة لإسرائيل والولايات المتحدة.. كما انه تمكن بقوة من قمع التحديات الجدية التي واجهت سلطته هو نفسه داخل سورية من جانب الأصوليين السنة ومنافسيه الطموحين من عائلته.

ربمـــا يصبح الجدل الحالي حول تواجد سورية في لبنان أزمة محددة وواضحة بالنسبة لبشار. فإذا استطاع بشار المحافظة على القدرة للتأثير على الأحداث الجارية في لبـــنان في مواجهة الضغوط الدولية المتصاعدة فإنه يمكن أن يبدو بصورة أقوى محلـــياً وإقليمـــياً.. أما إذا أقدم على خطوات خاطئة سوف تدفع سورية ثمنها من قدرتها على حماية مكانة سورية في المنطقة وعلى مكانة بشار في بلاده.

لقـــد أتـــى هذا الكتاب في هذه اللحظات الحاسمة كأفضل ما يكون التوقيت

والحاجـــة إليه. إن المؤلف عضو زميل مرموق في مركز صبان للسياسة في الشرق الأوسط هنا في بروكنغز، وهو يقدم لنا تجربته الغنية كباحث دراسات وصانع قرار سياســـي ومحلل استخباراتي في تقييم أهمية سورية التي لا سبيل إلى احتنالها بالنسبة لسياســـة الولايـــات المتحدة الخارجية، والقوى المحركة المتنامية والباقية في السياسة السورية وصنع القرار السياسي والدور الإقليمي لسورية. إنه يقدم لنا لوحة شاملة عـــن بشـــار الأسد كزعيم محلي. ويعرض توصيات حصيفة للسياسة الأميركية تجاه ســـورية حيث يقدم استراتجية اتفاقيات العصا والجزرة المشروطة مع دمشق. وفقاً لكـــل هذه الاعتبارات فإن عمله هذا يُعتبر من أفضل ما قدمته دراسات بروكنغز وأنـــا أضـــيفه إلى القائمـــة المـــتزايدة من الإسهامات التي قدمها مركز صبان إلى المناقشات المحلية والدولية حول السياسة الأميركية في الشرق الأوسط

ستروب تالبوت

رئيس المركز مارس/آذار 2005-واشنطن

مدخل

الجمهورية العربية السورية دولة عربية صغيرة نسبياً مليئة بالصراعات الداخلية ضـــئيلة **اقتصـــادياً وفقـــيرة بالموارد**. ومع ذلك كله فإنها تشكل عاملاً بارزاً في السياســـة الخارجـــية الأميركـــية تجاه الشرق الأوسط. على مدى ثلاثة عقود قبل هجمـــات الحادي عشر من أيلول 2001 **شكلت سورية بزعامة الرئيس حافظ الأسد وبما يفوق حجمها العنصر الشاغل للسياسة الأميركية في الشرق الأوسط**. مـــنذ حرب يوم الغفران عام1973 أصبحت سورية محور الاهتمام الأول في سعي أميركا لتوجيه المنطقة نحو مسار سلمي واستراتيجي إيجابي. يصح هذا على ما يتعلق بحل الصراع- الإسرائيلي وتشكيل توازن القوى الإجمالي في الشرق الأوسط.

وحيـــنما غـــدت سورية تحت زعامة ابن حافظ الأسد وخلفه بشار الأسد، أصـــبحت سورية أكثر بروزاً ووضوحاً في السياسة الأميركية في سياق حربها على الإرهاب بعد الحادي عشر من أيلول. ترى إدارة بوش سورية ضمن فئة الدول — المشـــكلة، الـــتي ترعى النشاط الإرهابي وتسعى نحو أسلحة الدمار الشامل وتقمع شـــعوبها. ورغـــم أن سورية قد قدمت معلومات استخباراتيه ومساعدات أخرى للولايات المتحدة التي اتخذت إجراءات صارمة ضد تنظيم القاعدة بعد الحادي عشر من أيلول، إلا أن دمشق قد عارضت أوجه أخرى للإدارة الأميركية في حربها العالمية ضـــد الإرهاب. لقد عارض بشار الأسد بشكل خاص الحملة العسكرية الأميركية لخلـــع صـــدام حسين من منصبه في عام 2003. وانعكاساً لتلك المعارضة عملت ســـورية قبل وبعد الصراع العسكري على تقويض دعائم السعي الأميركي لتحقيق أهدافهـــا في العراق. وما كان من هذا كله إلا أن جعل من سورية تحدياً لصانعي السياســـة الأميركية الذين يسعون لرسم مسار فعال لجهود مكافحة الإرهاب العالمي ولتطوير استراتيجية عظمى للشرق الأوسط الأكبر. وأخيراً جاء الغضب الذي تلا

اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري مما أدى إلى تركيز الاهتمام الدولي واهتمام الولايات المتحدة الأميركية على قضية الهيمنة السورية في لبنان.

في الوقت نفسه الذي كانت تصرفات سورية المشكلة تمثل تحدياً هاماً للسياسة، انخفضت درجة الإجماع التحليلي في الولايات المتحدة وفي أماكن أخرى حول القوى المحركة للقيادة والأجندة الاستراتيجية. **لقد أمضى المحللون وأصحاب القرار السياسي ثلاثين عاماً لفهم وسبر أبعاد نظام حافظ الأسد ومقاربته للقضايا الداخلية وشؤون السياسة الخارجية. ولم يتح لهم حتى الآن سوى أربعة أعوام لفهم زعامة بشار ومقاربته لمسائل السياسة وقد تباينوا في تفسير تجربة وأدلة رئاسة بشار. وليس من المدهش أن عدم اليقين والافتقار إلى التوصل لإجماع في المناقشات التحليلية للشؤون السورية قد أديا إلى ازدياد الصعوبة في التوصل إلى أي إجماع ذي معنى حول سياستها.**

على خلفية هذا كله يكمن الهدف الأهم من هذا الكتاب وهو الإنقاص من مستوى عدم اليقين التحليلي حول السياسة السورية اليوم وتطوير صورة تحليلية فعليه عن نظام حكم الأسد بقيادة بشار ولفت السياسة الأميركية إلى مدلولات ذلك. يتضمن الكتاب خمسة فصول. يهتم الفصل الأول بالتفصيل الدقيق بأهمية سورية إقليمياً والتحديات التي تشكلها التصرفات السورية المشكلة للسياسة الأميركية. يهتم الفصل الثاني بتحليل سورية بقيادة بشار الأسد وذلك بالنظر إلى طبيعة النظام الذي خلفه حافظ الأسد ونقله إلى ابنه بالإضافة إلى تركته السياسية الأساسية التي تتعلق بالقضايا الداخلية على المستويين الاقتصادي والسياسي وما يتعلق بالسياسة الخارجية. يركز الفصل الثالث والرابع على ولاية بشار الأسد ومنصبه كرئيس لسورية. يتركز محور اهتمام الفصل الثالث على التحديات الداخلية التي تواجه الرئيس الجديد والتي تمثل اختباراً لتعامله مع القضايا الداخلية على المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي. يهتم الفصل الرابع بشكل مماثل بالتدقيق في إدارة بشار للسياسة الخارجية السورية. وأخيراً تقييم الفصل الخامس الخيارات ويقدم التوصيات للسياسة الأميركية تجاه سورية.

كلمة شكر

مـــثل أي مؤلف آخر إنني مدين للكثيرين في تأليف هذا الكتاب ومن دواعي سروري أن أذكرهم ها هنا..

أقـــدم شكري أولاً لـــ"مارتين إنديك" المدير التأسيسي لمركز صبان لشؤون السياســـة في الشرق الأوسط في بروكنغز فقد أوصلني "مارتين" إلى المركز ومنحني مكانة مهنية هامة عندما أنهيت خدمتي الحكومية في أيار 2003. وقد قدم لي فكرة هـــذا الكـــتاب أكثر من أي شخص آخر ومنحني التشجيع والدعم الفكري أثناء تأليفه. أما "كازي نوغا" فقد كان مثالاً لمساعدتي في البحث وقد تخطت إسهاماته في إنجـــاز هذا العمل كل حدود التعريف العادي لعمل مساعد البحث، فقد كان المسؤول عن تجميع هذا الكتاب وسوف يكون الاجتهاد الذي بذله في غاية العناية والكمـــال موضع تقدير من جانب الدارسين في سورية في المستقبل كما كان من جـــانبي. وأشكر زملائي في بروكنغز "آيفولا دالار" "كين بولاك" "جيم شتنبرغ" عـــلى مداخلاتهـــم العديدة في إنجازي هذا. لقد قدم "جيم" تعليقات نافذة البصيرة عـــلى المســـودة الأولى للكتاب. وقد تولى الإشراف على عملية طباعة ونشر هذا الكتاب " جانيت وولكر" و"لاري كونفرس" في بروكنغز. وأنا مدين لـــ"سوزان وولـــن" على ابتكارها المفهوم المثالي للغلاف. ويعود الفضل إلى "مارثا غوتون" في اقتراحاتها المتعلقة بالإنشاء والتحرير مما حسَّن من نوعية النص.

لقـــد بـــرز هذا الكتاب من ارتباط عقد من الزمن ما بين الحكومة الأميركية والشـــؤون الســـورية. أقدم امتناني لـــ" جورج تنت" الذي من خلال منصبه أولاً كنائب ومن ثم كمدير عام لوكالة الاستخبارات المركزية منحني الفرصة لأن أكون خبيراً ذا مكانة بارزة في وكالة الاستخبارات في النصف الثاني من التسعينيات حول مـــا يـــتعلق بسورية. وفي هذه الفترة استطعت أن أتعلم الكثير عن التداخل مابين التحلـــيل الاستخباراتي وصنع القرار السياسي، ولو أن هذا التداخل لا يكون مجدياً

دوماً بالضرورة. في السنة الأولى من إدارة بوش طلب مني "ريتشارد هاس" أن أكون كاتباً منغمساً ضمن أوراقي. لقد ساعدني "ريتشارد" قبل وبعد هجمات الحادي عشر من أيلول على التفكير ملياً بالمشاكل المترافقة مع استراتيجية الارتباط المشروط مع الدول الراعية للإرهاب. وفي فترة حياته ما بعد الوظيفة الحكومية في مجلس العلاقات الخارجية، وهبني "ريتشارد" وقته وقرأ المسودة الأولى المخطوطة وقدم لي تعليقاته.

وفي بداية السنة الثانية من ولاية إدارة بوش منحتني " كونداليزا رايس" فرصة العمر لأكون مديراً مرموقاً لشؤون الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي. وقد شغلت هذا المنصب في فترة حرجة، حينما أقر الرئيس بوش العديد من قراراته الهامة حول السياسة الأميركية تجاه سورية والقضايا الشرق أوسطية الأخرى. لقد كنت حرفياً ومجازياً أحتل المقعد الأفضل لكي أراقب صناعة قرار الإدارة الأميركية حول تلك القضايا. وفي النهاية حين لم أوافق على عدد من القرارات كان يكفي أن أغادر مكاني الذي كنت أشغله في الإدارة. لقد سعيت في هذا الكتاب لأن أقدم الحقيقة التحليلية بأفضل قدر أستطيعه وأن أقدم توصيات بأمانة فكرية حول سياسة أميركية بصورة أمثل تجاه سورية. لقد كنت كثير الانتقاد لسياسات الإدارة الأميركية مما أعتبره يؤدي إلى خلل في تحقيق المصالح الأميركية. ومع ذلك سأبقى ممتناً للرئيس والدكتورة رايس على منحي فرصة العمل في البيت الأبيض.

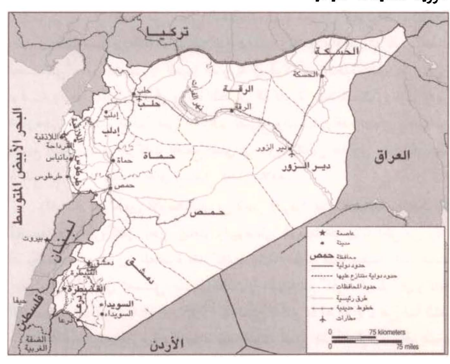
أشكر المسؤولين السابقين والحاليين في الحكومة الأميركية الذين واظبوا على مناقشة الشؤون السورية والسياسة الأميركية تجاه سورية معي في مرحلة ما بعد وظيفتي الحكومية. لقد أتاح لي "دنيس روس" الفرصة لأن أرى الفصول المتعلقة بسورية من المسودة الأخيرة قبل النشر لكتابه الذي لا غنى عنه (السلام المفقود). كما أنني أشكر المسؤولين في الحكومات البريطانية والهولندية والمصرية والفرنسية والألمانية والإيرانية والإسرائيلية والأردنية واللبنانية والتركية وفي البعثة الأوروبي والمجلس الأوروبي في بروكسل وفي الأمم المتحدة، الذين شاركوني وجهات نظرهم حول التطورات السورية. مع أنني أحجمت عن ذكر أسماء مسؤولين أميركيين وأجانب إلا أن هذا الكتاب دون مساهمتهم كان ليفتقر إلى معلومات قيمة ونفاذ البصيرة.

لقـــد أســـهم عدد من المسؤولين وغير المسؤولين السوريين في هذا الكتاب ولكنني سأذكر على الخصوص أسماء البعض منهم وأبدأ في مقدمتهم بتوجيه شكري للرئـــيس بشـــار الأسد على منحي الوقت للحديث معي في كانون الثاني 2004 حـــول مجموعـــة من التحديات التي تواجهه هو وبلاده. وأشكر الدكتور "عماد مصـــطفى" سفير الجمهورية العربية السورية في الولايات المتحدة الذي تكرم علي بوقـــته وآرائه الثاقبة. وأشكر وزيرة المغتربين الدكتورة" بثينة شعبان" ونائب وزير الخارجـــية "ولـــيد المعلم" على حوارهم الصريح والسديد.وأقدم امتناني واحترامي لجميع المنهمكين في حركات المجتمع المدني في سورية الذين حدثوني حول تجربتهم وأقدر لهم كل ما يفعلونه لخلق مستقبل أفضل لبلادهم.

وأشـــكر المراجعين الأربعة البارزين الذين أشرفوا على تقييم هذه المخطوطة لمطـــبعة معهد بروكنغز. يُعتبر "إيتامار رابينوفيتش" نموذجاً يحتذى به لكل من يريد أن يكتـــب عن سورية المعاصرة فقد كانت تعليقاته ذات قيمة عظيمة. لقد بدأت خطـــواتي الأولى في العمـــل حـــول قضـــايا سورية مع "مارثا كيسلر" في وكالة الاســـتخبارات المركزية في عام 1995 وعلمتني الكثير مما أعرفه الآن عن هذا البلد وسياساته وسياسته الخارجية وكالمعتاد فقد جعلت عملي هذا أفضل بتعليقاتها عليه. وفي الحكومة ليس لدي زملاء أفضل من "بيل بيرنز" و"دافيد ساتر فيلد" وقد كان لتعلـــيقاتهما الأثر الأكبر في تهذيب النسخة النهائية من هذا الكتاب بشكل لا سبيل لحصره.

وفي الختام أقدم امتناني وشكري بشكل لا يمكن التعبير عنه بالكلمات لزوجتي "هـــيلاري مـــان ليفريت" وأهدي إليها هذا الكتاب. لقد كان لقائي معها أفضل حـــدث في حـــياتي المهنية في إدارة بوش. وينعكس تأثيرها في كل صفحة من هذا الكتاب بل أنها قد جعلت تأليفه متعة بالنسبة لي كما تتألق في كل الأوجه الأخرى لحياتي وتملؤها بهجة.

سوريا: التقسيمات السياسية



الفصل الأول

المفارقة السورية

إن القليل من المعرفة عن المواهب الطبيعية التي تتمتع بها سورية سيقود أي محلل إلى التنبؤ بأنها ستحظى بدور أساسي في شؤون الشرق الأوسط. إن معظم المؤشرات بدءاً من الأهمية الاستراتيجية والحجم والتلاحم الداخلي والثروة تشير إلى أن سورية لن تكون سوى لاعب ثانوي وأنه من السهل للقوى العظمى داخل وخارج المنطقة تهميشها وتجاهلها.

ولكن على الرغم من كل هذه المظاهر الواضحة من عدم الأهمية والهشاشة والضعف، إلا أن سورية كانت منذ زمن بعيد تحظى باعتبار هام في السياسة الخارجية الأميركية تجاه الشرق الأوسط الكبير. ولفهم هذه المفارقة فإنه من الجوهري أن نفهم التحديات التي تشكلها سورية لصناع القرار السياسي الأميركي. يقدم هذا الفصل نظرة عامة عن الموقع الاستراتيجي الذي تحتله سورية في الشرق الأوسط الكبير ويقدم الفصل نظرة عامة عن التساؤلات التحليلية الأساسية التي تحيط برئاسة بشار الأسد.

الضعف الظاهري

يصل عدد سكان سورية اليوم إلى 18 مليون نسمة يشغلون الثلث الأوسط فقط من مساحة دول الجامعة العربية[1]. أكثر من معظم الدول العربية الأخرى يشكل الشعب السوري ما يشبه لوحة الفسيفساء القابلة للكسر بحكم المجموعات العرقية والطائفية[2]. ويبقى موضع جدل أن العراق ولبنان من الدول العربية يماثلانها

في المجموعات المتمايزة.

هنالك 90% من السكان السوريين هم من العرق العربي و9% تقريباً أكراد وأرمن وشركس وتركمانيين[3] . ولكن غالبية العرب السوريين تمزقهم الانقسامات الطائفية التي تلغي التحامهم فتضيع بذلك الهوية الواحدة. يشكل المسلمون السنة 74% من إجمالي عدد سكان سورية ولكن الأكراد يمثلون8% من تلك النسبة مما يقلل الأكثرية العربية السنية إلى حوالي ثلثي عدد السكان[4] . هنالك 16% من العرق العربي هم من الشيعة والعلويين والدروز والاسماعليين[5] (من المؤكد تقريباً أن هذا الرقم يتضمن بضعة عشرات الألوف من الشيعة الاثني عشرية الذين لا يتم لفت الانتباه إليهم كمجموعة منفردة في بيانات الدراسات الإحصائية السكانية السورية). يشكل العلويون لغاية الآن المجموعة الأكبر ضمن فئة المسلمين غير السنة. يقدّر الديموغرافيون عادة الطائفة العلوية بنسبة 11-12% من إجمالي عدد السكان[6] . وهنالك المسيحيون من أرثوذكس وأتباع المذهب اللاتيني ومجموعة مبعثرة من البروتستانت حيث يشكل جميع هؤلاء 10% من إجمالي عدد السكان[7] . كان هنالك طائفة يهودية صغيرة ولكنها متواجدة منذ القدم وقد اختفت من سورية نتيجة الهجرة التي حدثت في بداية التسعينيات.

لقد كانت هذه الانقسامات العرقية والطائفية مصدراً للتوتر الاجتماعي الملحوظ في سورية على مدى قرون[8] . وحتى هذا اليوم يوجد تنافر وعداء ملموس ومتأصل تاريخياً بين الغالبية من العرب السنة والطوائف غير السنية. وقد تعزز هذا التنافر خلال القرن العشرين بسبب الهيمنة الاقتصادية المتناقلة للسنة في المدن السورية الكبرى. وقد تعزز أيضاً بسبب اعتبار السنة للمسلمين غير السنة بأنهم منشقون والنظر إلى المسيحيين على أنهم متعاونون طواعية مع غير المسلمين طمعاً في الوصول إلى حكم سورية[9] .

في هذا الجو من العداء والتنافر العرقي والطائفي كان من المستحيل في النهاية بالنسبة لكيان انبثق كدولة قومية حديثة في سورية عام 1946 أن يدمج هذا المجتمع بشكل ناجح أو أن يشكل مجموعة سياسية متماسكة. وبالطبع فإن الصعوبة في

سوريا: التقسيمات العرقية والدينية

تكوين دولة متماسكة وإضفاء هوية قومية عليها في مجتمع يتصف بالتعددية الثقافية ليس بالأمر الاستثنائي بالنسبة لسورية. وفي الواقع أن مشاكل كهذه قد حدثت في أماكن أخرى من العالم العربي وفي كل أنحاء العالم الثالث في مرحلة ما بعد الاستعمار.. ولكن هذه الضغوط كانت شديدة في سورية بشكل لا يمكن إنكاره[10].

مما لا ريب فيه أن ما يعتبره العديد من السوريين افتقاراً إلى شرعية الحقائق والظروف الإقليمية المحيطة ببلادهم هو الذي فاقم من مشكلة تكوين الدولة وإضفاء الهوية القومية عليها. يرى أغلب السوريين المطلعين على النواحي السياسية أن أراضي دولتهم قد تجزأت بفعل التدخل الامبريالي الغربي. وقد تخطى هذا الاحساس بالحرمان مجرد الشعور بالإحباط عند إقامة دولة إسرائيلية عام1947.لقد اشترك السوريون الذين يتمتعون بوعي سياسي بإدراك واحد ذي أساس تاريخي تأصلت جذوره في تجربه الثورة الكبرى1916-1920؛ وهو أنه لابد من إقامة دولة واحدة في بلاد الشام أي المنطقة الشمالية التي تشمل سورية ولبنان والأردن وإسرائيل والضفة الغربية وغزة في كيان واحد مستقل[11].

وكانت الفجوة بين فرضية أن المشرق يجب أن يكون وحدة سياسية منفردة (أي فكرة سورية الكبرى)[12]، والواقع الإقليمي الأكثر اعتدالاً لسورية في مرحلة ما بعد الاستقلال قد زادت من صعوبة إقامة دولة مستقلة أو تأسيس هوية قومية داخل مجتمع ممزق. بالطبع، إن صعوبة إقامة هذه البنى والهويات في دول لا تتطابق حدودها مع تكوينها الاجتماعي وتوجهها السياسي كانت التجربة العامة لدول أخرى في العالم الثالث بعد الاستقلال عن الاستعمار. ولكن هذه المشكلة ازدادت شدة في إقامة دول في العالم الثالث بسبب التناقضات الواضحة بين وجود دول قومية مستقلة من جهة والروابط العميقة بالثقافة العربية الإسلامية العامة والرؤية السياسية العربية الشاملة من جهة أخرى[13]. وفي حالة سورية كانت المهمة أكثر تعقيداً بالنظر إلى التكوين السياسي السوري المحدد بشكل خاص.

منذ أن حققت سورية استقلالها كدولة قومية حديثة في عام 1946، ما كان

للأحداث التاريخية التراكمية إلا أن جعلت منها مكاناً للتحدي من أجل الحكم مع وجود خطر تفكك المجتمع بشكل واضح إلى حد ما. وما كان من اقتلاع الهويات الـتي تتخطى الحدود القومية سواء كانت للعرب أو للمسلمين، والهويات القومية الفرعـية إما لطوائف الأقليات أو العرق غير العربي، إلا أن زاد من تعقيد إمكانية تعزيـز بنـية الدولة المستقر أو تكوين هوية قومية سورية أصيلة. وعلى مدى ربع القرن الأول من استقلالها ساهمت الصعوبات الداخلية في إبقاء سورية ضعيفة وغير مسـتقرة سياسياً مما أتاح للأطراف الخارجية فرصة التلاعب بها[14]. واليوم وبعد ستين عاماً تقريباً من الاستقلال ما زالت التوترات التقليدية داخل المجتمع السوري تكمن غير بعيدة عن الوجه الخارجي للسياسة السورية.

ويـبقى للصـحوة الإسلامية بين المسلمين السنة صداها الخاص في بلد مثل سورية ذي أكثرية سنية ولو أن هنالك أيضاً طوائف مسلمة غير سنية وطوائف غير مسلمة، وقد كانت ظاهرة الصحوة الإسلامية واضحة في المنطقة على مدى العقود الـثلاثة الأخيرة أو ما يقارب ذلك. إن المكوِّن الأول للنزعة الإسلامية ذات التوجه السياسـي المتأصلة تاريخياً بين جماعة السنة في سورية هي حركة الإخوان المسلمين وهـي حـركة سـلفية تبلورت بوعي ذاتي على نمط حركة الإخوان المسلمين في مصـر[15]. لحـركة الإخـوان المسلمين في سورية تاريخ طويل فقد نشأت قبل الاسـتقلال وقـاموا بـدور مـن أجل الوصول إلى السلطة السياسية في أواخر السـبعينيات وأوائل الثمانيات[16]. وعلى الرغم من قمع حركة الإخوان المسلمين في سورية على مدى أكثر من عقدين إلا أن قوة وثبات الصحوة الإسلامية بين فئة هامـة من السنة في سورية استمرت في تعزيز التمزقات الطائفية في البلاد وأضافت المـزيد إلى التعقيد القائم في إمكانية المحافظة على الاستقرار السياسي في ظل حكم حكام علمانيين من غير السنة.

يتوافق المحيط الداخلي المليء بالإشكاليات في سورية مع اقتصادها المغمور... فـبعد مـا يزيد عن خمسة عقود من المحاولات لتطوير الاقتصاد تبقى سورية غير مُرضية نسبياً في أدائها الاقتصادي حيث يصل إجمالي الناتج المحلي للفرد الواحد إلى

3300 دولار أميركـي في السـنة أي أقل من أغلب أهم اقتصاديات الدول غير المنـتجة للنفط في المنطقة ففي مصر 4000 دولار وفي الأردن 4300 دولار وفي المغرب 4000 دولار وفي تونس 6900 دولار، ولا تداني بأي شكل من الأشكال الـدول الهامة المنتجة للنفط في الخليج الفارسي[17]. هنالك ما يزيد عن ربع القوة العاملـة مـا زالت تعمل في قطاع الزراعة حيث يتم التركيز على زراعة الحبوب والقطـن والفاكهة والخضروات. وهنالك 30% تقريباً من القوة العاملة تعمل في مجال الصناعة ولكن القطاعات الصناعية في سورية إما أن تكون ملكاً للدولة وذلك مـنذ زمن بعيد مثل الصناعات الثقيلة أو تحت حماية وتبعية الدولة حيث يتجه الميل إلى الصناعات الخفيفة التي تهيمن عليها بشكل كبير الصناعات الغذائية والنسيجية. ولا تحظـى أيٌّ مـن هذه المشاريع الصناعية بمناسبة دولية. وقد فشلت سورية في تطويـر صادراتها غير الزراعية وأما صادراتها الزراعية فلا تجلب ذلك القدر المقبول من النقد الأجنبي.

مـن أهم الموارد الطبيعية التي تتمتع بها سورية هو ما لديها من مخزون النفط والغـاز ولكـن الاحتياطي المؤكد لديها من كليهما يجعلها في أحسن الأحوال في الصـف الثاني أو الثالث لمنتجي الطاقة في الأسواق العالمية[18]. تحصل سورية على الأقل ما قيمته 50% من عائداتها التجارية من خلال صادرات النفط الخام، ولولا هـذا الكسب الاستثنائي لكان الأداء الاقتصادي الإجمالي لسورية أقل إيجابية. ومما ينذر بالسوء أنه لابد من تطوير وإيجاد مصادر جديدة فاحتياطي النفط المؤكد حالياً في سـورية من التوقع أن ينضب في غضون عقد مما يؤهل لتدهور شديد في الوضع الاقتصـادي للـبلاد بالنظر إلى المعوقات التي تحول دون إحداث تغيرات تعويضية بديلة.

تحديات السياسية الاميركية:

عـلى الرغم من مظاهر الضعف الواضحة هذه، بقيت سورية منذ زمن بعيد تشـغل مكانـة هامة في اعتبارات السياسة الخارجية الأميركية تجاه الشرق الأوسط الكبير. وتنبثق أهمية سورية في الأجندة الأميركية في المنطقة من موقعها الاستراتيجي

في قلب المشرق وفي وسط الشرق الأوسط إجمالاً. ولكن المكانة الإقليمية لسورية تنبثق أيضاً من قدرة النظام الحاكم الذي أرسى دعائمه حافظ الأسد في عام 1970 على توطيد الأرضية المحلية المستقرة بما يكفي لتأكيد مصالح سورية في الساحة الإقليمية. لقد عمل الأسد بصورة حثيثة لجعل سورية لاعباً حقيقياً في الشؤون الإقليمية وكثيراً ما تحدى وزاد من صعوبة الجهود التي يبذلها صانعو السياسة الأميركية في تعاملهم مع الشرق الأوسط. ومنذ أن خلف بشار والده في تموز 2000، استمرت هذه التحديات في خضم أحداث ما بعد الحادي عشر من أيلول.

لم ينشأ ميل نظام الأسد إلى تحدي السياسة الأميركية في الشرق الأوسط في الأساس من صعوبة المراس في شخصية القادة السوريين وإنما من تقييم خاص لما يتطلبه الدفاع عن المصالح السورية في مواجهة الموقف الأميركي تجاه المنطقة. تُعتبر الولايات المتحدة بالطبع الداعم الخارجي الأول لدولة إسرائيل التي تُعتبر من المنظور السوري قوة توسعيه تسعى للسيطرة على المنطقة. لقد كان الدعم السياسي والعسكري الأميركي حاسماً في السماح لإسرائيل لإحكام قبضتها على الأراضي واحتلالها في استخفاف لما يصفه القادة السوريون دوماً بالشرعية الدولية. ترى سورية من جانبها أن السياسة الأميركية في الشرق الأوسط قد هدفت على مدى خمسة وثلاثين عاماً الأخيرة أولاً إلى ضمان قدرة إسرائيل على تعزيز موقعها المهيمن في المنطقة والمحافظة عليه.

وبالنظر إلى المقدمة المنطقية التي تتضمنها السياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط، يكون لدى نظام الأسد ما هو مدعاة للقلق لإدراك مسبق لأسوأ سيناريو ممكن تكون فيه سورية محاطة بأنظمة معادية لمصالحها ومتحالفة مع الولايات الأميركية وسهلة الانقياد لإسرائيل، وذلك يعني لبنان الذي قد يعقد سلاماً منفصلاً مع إسرائيل وتركيا المؤيدة للغرب والمتعاونة استراتيجياً مع الدولة اليهودية والعراق بنظام تدعمه الولايات المتحدة وهو يشتغل لصالحها والأردن الذي تحكمه الأسرة الهاشمية المؤيدة لأميركا والتي خانت القضية الفلسطينية وأقامت روابط أمنية مع إسرائيل، وبقايا الكيان الفلسطيني. وفي ظل هذه الظروف ستصبح سورية على

هـامش الشـؤون الإقليمية حيث يكون للدول الأخرى حرية تجاهلها أو نسف مصـالحها. إن الجهـود التي يبذلها نظام الأسد لاستباق هذا السيناريو وضعته في صراع مع الجهود الأميركية لتوطيد الاستقرار في الشرق الأوسط و ذلك سواء على الساحة العربية- الإسرائيلية أو في المنطقة ككل.

سورية والاستقرار الإقليمي:

لقد تمركزت الجهود الأميركـية منذ زمن طويل حول سورية لفرض الاستقرار عـلى السـاحة العربـية- الإسرائيلية.. فسورية دولة مواجهة أساسية والسجل الدبلوماسـي العربي- الإسرائيلي يتضمن اعترافات هامة بأن أي سلام شامل بين إسـرائيل والعـالم العـربي لا يمكن أن يتحقق دون التوصل إلى اتفاقية سلام بين إسرائيل وسورية[19]. وقد أوضحت جامعة الدول العربية حديثاً في عام2002 في مبادرة السلام التي تقدمت بها أن التوصل إلى التسوية بين إسرائيل وسورية شرط لا بد منه لتحقيق السلام بين إسرائيل والعالم العربي ككل[20].

لقـد تأرجحـت السياسـة الأميركـية تجاه سورية في سياق النزاع العربي- الإسرائيلي ما بين بذل الجهود لتسهيل الاتفاقيات الإسرائيلية- السورية ومحاولات عـزل والضـغط على دمشق لتغيير شروطها وتكتيكاتها بهدف التوصل إلى تسوية سلمية[21]. وفي عام 1974 جاءت اتفاقية فصل القوات برعاية" هنري كيسنجر" لـتكون علامـة عـلى بداية التدخل الأميركي الجدي في المفاوضات الدبلوماسية الإسرائيلية- السورية[22]. وحينما استلم "جيمي كارتر" الحكم كان تواقاً للتوصل إلى تسوية عربية- إسرائيلية شاملة وكان يدرك يقيناً أهمية سورية المركزية في ذلك المشروع ولكنه إزاء الضغوط المصرية والإسرائيلية تخلى كارتر في النهاية عن مسألة تحقـيق سـلام شامل وسعى بدلاً من ذلك للتوصل إلى تسوية مصرية- إسرائيلية مستقلة[23]. وخلال إدارة ريغان أصبح عزل سورية هدفاً هاماً في السياسة الأميركية تجـاه الشـرق الأوسط فسعت الولايات المتحدة وراء خيار- لبنان أولاً- بالنسبة لعملـية السلام العربية- الإسرائيلية،بالإضافة إلى الخيار الأردني فيما يتعلق بالقضية الفلسـطينية و لم يُجـد أيٌّ من المسارين[24]. وعادت إدارة بوش الأب إلى هدف

الشـــامل وإعـــادة تركيز الجهود الدبلوماسية على سورية مع انعقاد مؤتمر مدريد للســـلام في عام1991[25]. وواصل الرئيس بيل كلينتون جهود من سبقوه وعمل لغاية السنة الأخيرة من حكمه كوسيط للتوصل إلى تسوية إسرائيلية - سورية[26]. وعـــلى خـــلاف ذلك كله تنحت إدارة جورج بوش الابن عن الانشغال بالمسار السوري وفضلت الضغط على دمشق في سياق حربها على الإرهاب. وفي النهاية لم يكـــن بمقدور أي من هذه الإدارات سواء كانت ديمقراطية أو جمهورية أن تتهرب مـــن الحقيقة المنطقية التي يتعذر تغييرها أو تجنبها لما قاله هنري كيسنجر من أنه لا يمكن للعرب القيام بحرب دون مصر ولا أن يصنعوا السلام دون سورية.

لقـــد كانـــت سورية عموماً وستبقى بشكل شبه أكيد المرجع الذي لا يمكن تجنـبه بالنسـبة لجهود الولايات المتحدة الهادفة لإقامة نظام إقليمي أكثر استقراراً ومكـــرس بشكل إيجابي لخدمة مصالح الولايات المتحدة وحلفائها. لطالما تم اعتبار ســـورية الدولـــة المتأرجحة الحاسمة في التوازن الإقليمي. كانت على مدى عقدين ونصـــف بعـــد الحرب العالمية الثانية محور الصراع الدائم بين الجمهوريات العربية ومنافسيهم الملكيين المحافظين في تنافس مستمر من أجل النفوذ الإقليمي[27]. وبعد عـــام 1970 حينما وصل حافظ الأسد إلى السلطة أصبحت سورية لاعباً هاماً في الدفـــاع عـــن حقهـــا في هذا الصراع. وبالنظر إلى تنامي العروبة والقوى المحركة والإسرائيليين، وقد ناقش عدد من الدارسين ما مفاده أن نزعة السيطرة قد تلاشت من الصراع مع إسرائيل الذي يشكل عبئاً لا يطاق وان هنالك توجهاً نحو مزيد من الاســـتقلال الذاتي للدول القومية المستقلة سعياً وراء مصالحها الخاصة[28]. عموماً، يـــبدو هذا التعميم صحيحاً بشكل لا خلاف فيه ولكن سورية في فترة ما بعد عام 1967 كانت على الأغلب قادرة على تبطيء خُطى هذا التنامي وتمكنت في بعض الحالات من تعريف حدودها الخارجية.[29]

لقد كانت سورية بالنسبة للولايات المتحدة عاملاً قديماً في تقييم توازن القوى في المـــنطقة. ولطالما اعتبرتها واشنطن، من منطلق البيئة الإستراتيجية للمنطقة، أنها تحـــتل موقعـــاً وسطاً ما بين الدول المستعدة للتعاون بشأن مفاوضات السلام مع

إسرائيل والاستعداد للتعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة وهي مصر والأردن ودول مجلس التعاون الخليجي وبشكل أكثر اعتدالاً أنظمة شمال أفريقيا وتركيا على الحدود الخارجية للمنطقة، وتلك الدول المعارضة أو المقاومة بشدة لهذه التطورات وهـي جمهوريـة إيران الإسلامية والعراق في ظل حكم صدام حسين. لم تنشط الجهـود الأميركية في سبيل التوصل إلى تسوية إسرائيلية- سورية فقط بداعي إتمام مساعي السلام بين إسرائيل وجيرانها العرب وإنما أيضاً لإقحام سورية بشكل مباشر وقـاطع في المعسـكر العـربي المعتدل وقلب ميزان القوة الإقليمي ضد الأطراف الراديكالية والمعادية[30].

ومع سعي الولايات المتحدة لتوطيد هذه المصالح بالطبع بعد قيام نظام الأسد عـام 1970 كان عليها التعامل بإيجابية مع الرفض السوري على مختلف الجبهات. وبقيادة حافظ الأسد حرصت القيادة السورية باهتمام ثابت على ألا تكون المقاربة الأميركـية لعملـية إحلال السلام بين العرب وإسرائيل على حساب مسألة إعادة الأراضي المحتلة بشكل حاسم.

لـو لم تكن سورية ثابتة في الدفاع عن موقفها الدبلوماسي لكانت تجازف في عدم استعادة مرتفعات الجولان التي خسرتها في حربها مع إسرائيل عام 1967، وقد ازداد الشك في هذا الأمر بعد قيام حكومة"مناحيم بيغن" بضم الجولان عام 1981 . وكـان هـنالك قلق ملازم لهذا الأمر من أن الفلسطينيين الذين لا دولة لهم ربما يكونـون يومـاً ما السبب في زعزعة استقرار سورية.. وقد اتضح شيء من هذا القبيل في الأردن عام 1970 وفي وقت لاحق من ذلك العقد في لبنان.. فكان نظام الأسـد عازمـاً على استباق وقوع أي حدث مشابه لذلك في سورية. كل هذه المسائل التي كانت مدعاة للقلق دفعت بسورية وعلى ما يزيد عن عقدين للعمل من أجـل التوصل إلى تسوية شاملة لصراعات إسرائيل مع جيرانها العرب على أساس ضمان استعادة سورية لأراضيها على مرتفعات الجولان[31].

وهذا يعني أن دمشق كانت غالباً تعارض الاتجاه الذي تفضله الإدارة الأميركية فيما يتعلق بعملية السلام العربية- الإسرائيلية. وفي أواخر السبعينيات على الأخص

عارض الأسد بقوة مبادرة السلام التي قام بها الرئيس المصري أنور السادات تجاه إسرائيل، وامتعض من تخلي الرئيس كارتر عن عقد مؤتمر السلام الذي كان مأمولاً في جنيف عام 1973 لترعى محادثات السلام المنفردة بين إسرائيل ومصر والتي بلغت ذروتها في اتفاقيات كامب ديفيد عام 1979[32]. واستمر قلق الأسد طيلة فترة الثمانينات حول صفقة محتملة بين إسرائيل والفلسطينيين أو حدوث نوع من الاتحاد بين الأردنيين والفلسطينيين واتخذ في التسعينيات موقفاً انتقادياً حاداً من الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات بسبب سعيه وراء التوصل إلى سلام منفصل عبر اتفاقيات أوسلو[33].

وكان القلق الدائم حول التهميش الاستراتيجي المحتمل يدفع سورية أحياناً إلى التصرف بشكل فعال لإحباط ما فسرته دمشق على أنه سعي حثيث من جانب الولايات المتحدة وإسرائيل لعزلها إقليمياً. وأثناء الحرب الباردة برع حافظ الأسد في اللعب على وتر المنافسة الأميركية- السوفيتية لاستباق عزل سورية الدبلوماسي في المنطقة ولكنه كان راغباً أيضاً في اللعب بصورة منفردة ضد المصالح الأميركية دفاعاً عن موقع سورية الإقليمي[34]. ونجحت حملة الأسد على نطاق واسع في صد الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982 مقوضاً بذلك اتفاقية السلام الإسرائيلية- اللبنانية عام 1983 وجاء دفع القوات العسكرية الأميركية للخروج من لبنان تحدياً مباشراً للاستراتيجية المبدئية لإدارة ريغان تجاه المشرق والساحة العربية - الإسرائيلية[35].

وتم تدشين التحالف الاستراتيجي مع إيران خلال الحرب الإيرانية- العراقية على خلفية التحركات الأميركية طيلة الثمانينات في دعم العراق لجعله حصناً في مواجهة النفوذ الثوري للجمهورية الإسلامية بينما كان الدافع إلى هذا التحالف مجموعة من الاعتبارات بما في ذلك الاهتمام بكسب التأييد الديني الإيراني لنظام الأسد وشرعيته في مواجهة تمرد المتطرفين من المسلمين السنة[36].

واستمرت هذه المقاومة بعد نهاية الحرب الباردة. واستمرت سورية في تحالفها مع إيران خلال التسعينيات. وفي النصف الثاني من العقد شكل اتفاقها الودي

الـــتدريجي مـــع العراق تهديداً لسلامة سياسة إدارة كلينتون المعروفة بمبدأ الاحتواء المـــزدوج[37]. وجـــاء مؤخراً تعزيز الروابط الاقتصادية السورية مع العراق ما بين عامي2000- 2003 والتي ازدادت زخماً بعد أن خلف بشار الأسد والده كرئيس للـــبلاد فجعل سورية البلد المنتهك لعقوبات الأمم المتحدة ضد نظام صدام حسين وقـــد رأت واشنطن ذلك تحدياً لجهود إدارة بوش لإصلاح نظام العقوبات في عام 2001 والتحضـــير بالـــتالي للإطاحة بصدام[38]. وحينما بدأت إدارة بوش حملتها العســـكرية ضد نظام صدام في عام 2003، لم يعارض بشار الحرب فقط بل تبنى أفعال كانت ضد مواصلة الولايات المتحدة سعيها لتحقيق أهدافها في العراق.

تصرفات مُشْكِلة:

لقـــد قاومـــت سورية الجهود الأميركية لفرض الاستقرار في المنطقة بتوظيف الوسائل التي تعتبرها الولايات المتحدة تهديداً في حد ذاتها للأمن الإقليمي والدولي.. وأكـــثر هـــذه الوسائل إشكالية من وجهة نظر أميركية هو دعم سورية للإرهاب وسعيها لامتلاك أسلحة الدمار الشامل.

تُعتبر سورية عضواً مثبتاً على لائحة الحكومة الأميركية للدول الراعية للإرهاب وقـــت تم وصـــف سورية بهذا الوصف منذ عام 1979[39]. وقد قدم نظام الأسد عـــلى المـــدى الـــتاريخي مستويات مختلفة من الدعم والتأييد لعدد من المنظمات الإرهابـــية التي تشمل حزب العمل الكردستاني والجيش الأحمر الياباني بالإضافة إلى مجموعـــة مـــن الرافضـــين الفلسطينيين الإسلاميين والعلمانيين وكذلك حزب الله اللبـــناني. لقد رأى نظام الأسد باستمرار أن صلاته مع هذه الجماعات تمثل مصادر قـــوة وضغط في متابعة عدد من الأهداف الاستراتيجية والتكتيكية وخصوصاً على الساحة العربية- الإسرائيلية.

بـــدأ تـــورط سورية في الإرهاب الدولي بصورة جدية في أواخر السبعينيات وبدايـــة الثمانينيات حينما استخدم الأسد جهاز مخابراته لإقامة علاقات واتصالات وتوسيع التوجيه التنفيذي للعمليات وتقديم الدعم لمجموعة من الجماعات الفلسطينية المتطرفة التي كانت تشكل معارضة لمنظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات

ولمصالحها في التوصل إلى تسوية دبلوماسية للصراع الإسرائيلي- الفلسطيني، وقد جمع الأسد بين هذه الجماعات في عام 1984 من خلال إقامة تحالف لجميع الفصائل الوطنية العلمانية مقره في دمشق[40]. لقد استخدمت سورية هذه الجماعات كوكلاء عنها لتنفيذ هجمات إرهابية داخل المنطقة وفي الخارج وليس فقط ضد أهداف إسرائيلية وإنما أيضاً ضد أهداف أردنية وضد منظمة التحرير الفلسطينية. لقد رعت دمشق هذه الهجمات لمجموعة من الغايات التكتيكية المتنوعة حيث كانت جميعها تدعم الأهداف الاستراتيجية الأساسية للأسد في ممارسة الضغط من أجل التوصل إلى تسوية عربية- إسرائيلية شاملة ومنع حدوث تهميش دبلوماسي لسورية. كانت هذه الغايات التكتيكية تتضمن تحجيم مكانة وصيت عرفات كزعيم فلسطيني بارز والضغط على عرفات والملك الأردني حسين لكيلا يقدما على محادثات مباشرة مع إسرائيل والحد من دعم التعاون بين الأردنيين ومنظمة التحرير الفلسطينية.

وقد طور نظام الأسد صلاته مع المنظمات الإرهابية في لبنان وهي الجماعات الفلسطينية والجماعات اللبنانية المحلية التي كان ضمنها حزب الله الناشئ وذلك بهدف هجمات ضد أهداف لبنانية وإسرائيلية وغربية في لبنان بعد الغزو الإسرائيلي عام 1982[41]. وعادت دمشق مرة ثانية إلى تشجيع هذه الهجمات في دعم للغايات التكتيكية المختلفة وهي منع نشوء حكومة لبنانية ترغب في توقيع معاهدة سلام منفصلة مع إسرائيل؛ تقويض الإرادة الأميركية في الاستمرار لدعم قيام حكومة لبنانية مستقلة؛ مضاعفة الثمن الذي يتوجب على إسرائيل دفعه لقاء المحافظة على وجودها العسكري في جنوب لبنان.

وفي عام 1986 بالغ الأسد في التأكيد على دورة في قضية الإرهاب.. وكان ذلك بدافع من اعتراض إسرائيل لطائرة ليبية كان متنها بعض المسؤولين السوريين العائدين إلى دمشق في شباط 1985، وإسقاط إسرائيل لمقاتلتين سوريتين ضمن المجال الجوي السوري في تشرين الثاني 1985 وكانت تابعتين لاستخبارات القوى الجوية السورية- وعلى الأغلب يقيناً أن هذا قد حدث بموافقة . فكان هنالك

اثنتان من العمليات الخاصة بهدف تفجير طائرات ركاب إسرائيلية في أوروبا حيث تمكنت عناصر القوات الخاصة من تهريب القنابل على متن الطائرة دون دراية من الركاب. وكانت أولى هاتين المؤامرتين هي ما يسمى بقضية الهنداوي وقد تم اكتشافها في مطار هيثرو في لندن في نيسان 1986، وكانت الثانية قد تم إحباطها في مدريد في حزيران من ذلك العام. كانت ردود الأفعال الدولية على هذه المحاولات الإرهابية شديدة جداً.. حيث قطعت بريطانيا علاقاتها مع سورية بسبب قضية الهنداوي. وأدرك الأسد معنى الضربة التي وجهتها إدارة ريغان لليبيا في ذلك العام رداً على تورطها في عمليات إرهابية في أوروبا، فكان هذا مدعاة لقلقله من احتمال أن تتعرض سورية للهجوم[42].

جاء فشل العمليات في لندن ومدريد وردود الأفعال الدولية عليها فكان في ذلك ما أجبر نظام الأسد على تغير طبيعة دعمه وتأييده للمنظمات الإرهابية التي تربطه بها بعض الروابط. وفي الواقع ووفقاً لبيانات الحكومة الأميركية الرسمية لم تتورط سورية بشكل مباشر بحوادث الإرهاب الدولي منذ عام 1986[43]. بدلاً من التورط المباشر في التخطيط وتنفيذ العمليات الإرهابية، ركزت سورية على مدى الثمانية عشر عاماً الماضية على طريقة أقل مباشرة في دعم الجماعات التي يصفها النظام على أنها حملات مستمرة في حرب العصابات من أجل التحرير الوطني. ومن خلال تقديم الدعم غير المباشر، ما زالت دمشق تسعى لاستخلاص القوة التكتيكية من خلال ارتباطها بالمنظمات الإرهابية وخصوصاً على الساحة العربية- الإسرائيلية،ولكنها تأمل إلى الحد من احتمال حدوث رد دولي عنيف ينشأ عن عمليات إرهابية محددة[44].

لقد استمرت سورية في تأمين الملاذ الآمن لمجموعة من الجماعات الراديكالية الفلسطينية العلمانية وأهم هؤلاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة والتي يوجد مركز القيادة الخاص بها في دمشق[45]، وحينما أضحت مجموعة الرافضين الإسلاميين قوة في السياسة الفلسطينية في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات، بدأت سورية توسع من دعمها المماثل لحماس والجهاد الإسلامي؛

وفي عـــام 1993 وبعد التوقيع على إعلان المبادئ الإسرائيلي- الفلسطيني أوجدت ســـورية تحالفـــاً جديداً للرافضين يشمل الجماعات الإسلامية والعلمانية. وفي هذه المـــرحلة احتفظت كلاً من حماس والجهاد الإسلامي بمكانتهما في دمشق[46]. لقد أتـــاح إيـــواء هـــذه الجماعـــات وما يزال لنظام الأسد أن يوضح تأييده للقضية الفلســـطينية وممارســـة نوع من القوة التكتيكية تجاه إسرائيل والمحافظة على بعض النفوذ المتبقي في تعامله مع منظمة التحرير الفلسطينية.

وبـــدا في الوقـــت نفسه أن القيادة السورية تفرض قيوداً على نشاطات هذه الجماعـــات لـــتجعل من الأصعب (ولكن ليس من المستحيل في عدد من الحالات المحددة) إقامة صلات عملياتية واضحة بين الشخصيات الرافضة التي مقرها دمشق والهجمـــات الإرهابـــية المحددة في إسرائيل أو الضفة الغربية. وتمت إقامة نشاطات تدريـــية على سبيل المثال لمعسكرات حزب الله والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القـــيادة العامـــة في وادي الـــبقاع شرقي لبنان. ويبدو أيضاً أن دمشق قد منعت الجماعـــات الفلســـطينية الـــتي تنضوي تحت جناحها مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلســـطين- القيادة العامة من القيام المتعمد بمهاجمة أهداف أميركية أو غربية سواء داخل أو خارج المنطقة[47]. وعلى نحو مماثل في السياق اللبناني استخدمت سورية روابطهـــا بحـــزب الله للسعي وراء غايتها التكتيكية لدعم أهدافها الاستراتيجية في إجـــبار إسرائيل على مفاوضات السلام على أساس يقبله نظام الأسد ولدعم مكانة سورية المهيمنة في لبنان. لقد كانت دمشق على مدى سنوات عديدة القناة الرئيسة لوصول المساعدة العسكرية الإيرانية إلى مقاتلي حزب الله في الجنوب اللبناني. وقد منح هذا سورية تأثيراً قوياً على نشاطات هذه الجماعة مما سمح للقيادة السورية أن تلعـــب بورقة حزب الله بطريقة متغيرة فكانت تزيد من تصعيد الموقف حينما تريد الضـــغط على إسرائيل وكانت تخفف من حدة العمليات شبه العسكرية لحزب الله حيـــنما تريد التأكيد على الرغبة في إبداء التعاون السوري[48]. وبالطبع كان على دمشق أن تضع في الحسبان الخسائر المحتملة التي قد تتكبدها من صرف التركيز على إيـــران وذلك بالمبالغة في فرض القيود على حزب الله من وجهة نظر إيرانية، ولكن

النقطة الأساسية المتعلقة بالمنظور التكتيكي لنظام الأسد إلى النشاطات شبه العسكرية لحزب الله بقيت قائمة.

وحتى بعد انسحاب إسرائيل من الجنوب اللبناني في أيار 2000، استمرت سورية بقيادة بشار الأسد ترى في روابطها مع حزب الله أداة تكتيكية في موقفها تجاه إسرائيل[49]. وكما سنرى، سمح بشار لحزب الله بزيادة انخراطه في دعم النشاطات الإرهابية لإسرائيل في الضفة الغربية وغزة في سياق الانتفاضة الثانية التي عرفت رسمياً باسم انتفاضة الأقصى.

وكما فعلت مع الجماعات الإرهابية الفلسطينية التي تدعمها فرضت قيوداً على النشاطات الإرهابية لحزب الله سعياً منها لدرء خطر ضربة إقليمية أو دولية. وعلى مر السنين سعت دمشق إلى التحكم بسرعة ومجال العمليات التي ينفذها حزب الله ضد إسرائيل في لبنان ووضع حدّ شامل لإسرائيل لإحباط أية مواجهة عسكرية مباشرة وشاملة بين إسرائيل وسورية[50]. وتتمتع سورية بالقليل من النفوذ الواضح على نشاطات حزب الله الإرهابية خارج المنطقة التي ينفذها الجناح الدولي للتنظيم وهو ما يسمى بتنظيم الجهاد الإسلامي بدعم مكثف من إيران ومع ذلك يبدو أن سورية قد أعاقت حزب الله عن استهداف أهداف غربية أو أميركية في المنطقة[51]. وإضافة إلى ذلك، أشرفت سورية على نشوء كحزب الله حزب سياسي ولاعب هام في السياسة البرلمانية للبنان منذ عام 1992 وساعدته في تأسيس هوية له بعيداً عن وظائفه الإرهابية وشبه العسكرية[52].

وبشأن موضوع هام آخر، كانت واشنطن وعلى مدى سنين عديدة مهتمة وقلقة حول سعي سورية لامتلاك أسلحة الدمار الشامل.وقد استنتجت تقييمات الحكومة الأميركية أن جهود نظام الأسد لتطوير الإمكانيات الخاصة بأسلحة الدمار الشامل تتركز على إقامة قوة ردع استراتيجي يستند إلى وجود الصواريخ البالستية وإمكانيات الحرب الكيماوية كضمان نهائي للمحافظة على بقاء النظام[53]. وليس هنالك دليل على أن سورية قد سعت جدياً أو أنها تسعى حالياً لتطوير قدراتها على امتلاك أسلحة نووية، رغم أن بعض المحللين يشيرون إلى احتمال وجود برنامج

نووي سري[54].

ويمكـــن القول أنه وضع سورية بشأن أسلحة الدمار الشامل في صلب برنامج الحرب الكيماوية المحلي. فلقد بدأ بحث حافظ الأسد عن ضالته المنشودة في امتلاك قـــدرة الحرب الكيماوية قبل حرب 1973 حينما نقلت مصر ذخائر حربية مليئة بغـــاز الخـــردل إلى سورية ولكن هذه الذخائر لم تُستخدم في سياق الحرب. وبعد حـــرب 1973 بدأت سورية بتطوير برنامج الحرب الكيماوية المحلي بمساعدة عدد مـــن الـــبلدان مـــنها الهند كوريا الشمالية والاتحاد السوفيتي (لاحقاً روسيا). وقد ازدادت كـــثافة هـــذه الجهود أثناء الثمانينيات واشتملت على إنتاج والتسلح بغاز الخردل وغاز الأعصاب[55]. ومع حلول التسعينيات كانت سورية تنتج و وتتسلح بغاز الأعصاب VXالقاتل والذي يؤدي إلى أذية دائمة[56].

يـــتم تقيـــيم ترســـانة الحـــرب الكيماوية في سورية اليوم من جانب محللين حكوميين وغير حكوميين في الولايات المتحدة وإسرائيل على أنها تضمن مخزوناً من غاز الخردل وغاز الأعصاب وغاز VX وهنالك رؤوس حربية كيماوية يتم إطلاقها على صواريخ أرض- أرض وهنالك قنابل جوية يتم إلقاؤها من الطائرات[57]. وقد اســـتنتج المحللون أيضاً أن سورية تمتلك حالياً أكبر برنامج حرب كيماوية والأكثر تقدماً في الشرق الأوسط والأكثر فعالية هجومية في المنطقة[58]. علماً بأن سورية ليست ضمن البلدان الموقعة على اتفاقية الأسلحة الكيماوية.

تـــرافق تطوير سورية لإمكانياتها في مجال الحرب الكيماوية مع حصولها على الصورايخ البالستية التي تخدم كأنظمة إطلاق محتملة لغازات الحرب الكيماوية التي يـــتم التسلح بها. لقد بدأت سورية بتكوين قدراتها في مجال الصورايخ البالستية في أواخـــر الستينيات حيث ركزت في الأساس على الدعم الميداني في ساحة المعركة وعلى القذائف التكتيكية. وخلال حرب 1973 استخدمت سورية صورايخ الدعم المـــيداني في ساحة المعركة من طراز Frog7 ذات المنشأ السوفيتي ضد المستوطنات المدنـــية في شمال إسرائيل. وبعد حرب 1973 سعت سورية لتطوير قوة صاروخية ذات قدرة استراتيجية بدءاً باقتناء صواريخ سكود B التي حصلت عليها من كوريا

الشمالية في عام 1974[59]. واستمرت سورية بتوسيع قوتها الصاروخية خلال الثمانينيات والتسعينيات باقتناء المزيد من صواريخ سكود B وسكود C وسكود D من كوريا الشمالية.

لقد تم حالياً تقدير ترسانة الصواريخ البالستية في سورية من قِبَل محللين غير حكوميين في الولايات المتحدة وإسرائيل على أنها تشمل 200 صاروخ سكود B، 60-120 صاروخ سكود C، وعدد غير أكيد ولكنه صغير من صواريخ سكود D [60]. تمنح هذه المنصات سورية القدرة على إطلاق رؤوس حربية عادية أو كيماوية ضد أهداف حليفة للولايات المتحدة في المنطقة وتتضمن إسرائيل. وبالإضافة إلى ذلك تستمر سورية في المحافظة على مئتي صاروخ تكتيكي من طراز SS-21 وهو النموذج المطور من Frog7. ومزيداً على ذلك طورت سورية على مدى سنوات قدرتها في إنتاج عينات خاصة بها من الصواريخ المختلفة ضمن الموجودات لديها والمواد المتفجرة الصلبة والسائلة اللازمة لدفع القذائف من خلال اقتناء التكنولوجيا اللازمة من كوريا الشمالية وإيران، وهذا كله وفقاً لما ورد في الشهادة التي قدمها مسؤولون في إدارة الاستخبارات الأميركية للكونغرس[61].

وإلى هذه القائمة من السلوكيات السورية التي تمثل إشكالية من منظور السياسة الأميركية لابد أن نضيف هيمنة سورية الطويلة على جارتها لبنان. إذ بدأ ذلك بتدخل سورية في الحرب الأهلية عام 1976 حيث عمل حافظ الأسد بجد ومثابرة على تشكيل هذا الموقع المهيمن بشكل جوهري في لبنان. وقد دافع الأسد الأب عن هذه المكانة طيلة فترة رئاسته وقد حافظ بشار عليها.

نشأ الموقف الأميركي تجاه الهيمنة السورية على لبنان في العقود الثلاثة الماضية حيث تبدل من موقف القبول بل والمؤيد والداعم خلال السبعينيات إلى الانتقاد والمعارضة والمقاومة في السنوات العشرين الماضية. لقد كان تحقيق الاستقلال الذاتي للبنان من قبضة النفوذ السوري أحد الأهداف التي كانت تكمن وراء تدخل الرئيس ريغان في الشؤون اللبنانية في بداية الثمانينيات. على الرغم من أن إدارة ريغان قد تخلت عن لبنان فعلياً ليبقى تحت تأثير الهيمنة السورية في أواسط

الثمانينـــيات إلا أن الولايات المتحدة لم توافق على الإطلاق أن تحظى سورية بدور مسيطر على لبنان نتيجة لتلك الهيمنة[62]. ومنذ الثمانينيات أصبح مطلب انسحاب القوات السورية من لبنان وتوطيد الاستقلال الحقيقي للبنان من الأهداف الصريحة للسياســة الأميركــية ولــو أن الإدارات المتعاقبة لم تواظب في سعيها لتحقيق هذه الأهداف[63]. وقد تبنى مجلس الأمن في الأمم المتحدة حديثاً القرار رقم 1559 في أيلــول 2004 الذي يدعو إلى انسحاب القوات السورية من لبنان مما جدد الجدال حــول الأولويــة الــتي يجب أن يوليها صناع السياسة الأميركية لهذا الهدف[64]. وازدادت شــدة الجدل بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري في شباط 2005.

آجندة ما بعد الحادي عشر من أيلول:

يتضــح في هذا السرد أن ما تعتبره الولايات المتحدة سلوكيات سوريةً مهددة أو هجومية قد نشأت فعلاً قبل الحادي عشر من أيلول 2001. وتلك السلوكيات لا تتضــمن فقط دعم الإرهاب وتطوير إمكانيات أسلحة الدمار الشامل والمحافظة عــلى موقــف الســيطرة في لبنان وإنما أيضاً ولغاية عام 1997 التورط في تجارة المخدرات[65].

هــذا الســجل الحافل يجعل سورية نظاماً شريراً نموذجياً من عدة أوجه[66]. وبرغم ذلك السجل فإن الولايات المتحدة وحتى وقت قريب على الأقل لم تتعامل مــع سورية على النحو الذي عاملت به الأنظمة الشرق أوسطية الشريرة الأخرى مثل جمهورية إيران الإسلامية أو العراق في ظل حكم صدام. لقد حافظت واشنطن عــلى الدوام على علاقاتها الدبلوماسية الطبيعية مع دمشق حتى بعد قضية الهنداوي الشهيرة في عام 1986 فقد استدعت الولايات المتحدة سفيرها في دمشق للتشاور وذلــك على خلاف تصرف بريطانيا التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية معها تماماً. وفي حــين أن إضــافة ســورية كدولة راعية للإرهاب يودي إلى فرض العقوبات الأميركية بشكل تلقائي على دمشق إلا أن سورية بقيت الدولة الراعية الوحيدة التي لم يــتم فــرض عقوبات تجارية واقتصادية شاملة عليها[67]. لقد أبقت الإدارات

الأميركية المتعاقبة سورية خارج نطاق بياناتها التصنيفية للأنظمة الشريرة[68].

وعلى مدى أغلب هذه الفترة كانت مركزية سورية في عملية السلام العربية-الإسرائيلية ومكانتها كدولة محورية في المنطقة العامل الذي جعل الإدارات الأميركية المتعاقبة تحجم عن قطع العلاقات التام مع نظام الأسد..ولكن هجمات الحادي عشر من أيلول وتنفيذ الحرب العالمية على الإرهاب جعل من سلوكيات سورية غير المرغوبة أمراً مشكلاً بشكل متزايد من وجهة النظر الأميركية[69]. وفي سياق الحرب العالمية على الإرهاب كان بروز سورية أمراً تلقائياً إلى حد ما كي تندرج سورية في الواقع ضمن الفئة المشاكسة بشكل خاص وقد عرّفتها إدارة بوش ضمن الدول ذات الصلات الإرهابية والتي تسعى في الآن ذاته وراء اقتناء إمكانيات أسلحة الدمار الشامل[70]. واعتبار أن النظام الاستبدادي في سورية يتبنى موقف تناقض حاد ضد المصالح الأميركية- في برنامج مهاجمة جذور العنف الإسلامي- من الانفتاح السياسي ومشاركة الشعب في اتخاذ القرار والتحرير الاجتماعي والاقتصادي في العالمين العربي والإسلامي[71].

كان وضع سورية كدولة راعية للإرهاب وتسعى لامتلاك قدرات أسلحة الدمار الشامل مدعاة لخلق مصدر للاحتكاك المتزايد بين واشنطن ودمشق. وخارج نطاق المساعي السورية المستمرة والحثيثة في عملية السلام، فسرت دمشق جزءاً هاماً مما يحميها من الازدراء الأميركي. وقد عرضت سورية بقيادة بشار الأسد على الولايات المتحدة التعاون الاستخباراتي معها ضد تنظيم القاعدة والجماعات المرتبطة بها بعد أحداث الحادي عشر من أيلول ولكنها لم تفعل شيئاً ينفي ارتباطها بالإرهاب[72].

انعكس الإحباط الأميركي المتزايد من السلوك السوري في موجة عنيفة من الهياج في الكونغرس بعد هجمات الحادي عشر من أيلول مما قاد في النهاية إلى إقرار قانون محاسبة سورية والعمل على استعادة لبنان لسيادته. كان هذا القانون ينص على فرض قيود على العلاقات المتبادلة الأميركية- السورية الدبلوماسية والاقتصادية.وأما بالنسبة لبعض المساندين لها فقد كان هذا الإجراء نذيراً باتخاذ

إجراءات لاحقة على نمط قانون تحرير العراق وقانون العقوبات المفروضة على كل من إيران وليبيا، يكون من شأنها منح الدعم والتأييد للمعارضين السوريين وفرض عقوبات ثانوية على البلدان التي تستمر في تعاملها مع سورية أو الاستثمار فيها.

استمرت إدارة بوش وعلى مدى عامين في اتقاء ضغوط الكونغرس لإقرار قانون محاسبة سورية. وقد استدل مسؤولون في وزارة الخارجية عام 2002 على أن تعاون سورية ضد القاعدة إنما هو استباق لتوقيع الكونغرس على القرار[73]. وحينما عملت الإدارة الأميركية في عام 2002 وبداية 2003 على تحديد ماهية مقاربتها تجاه عملية السلام العربية- الإسرائيلية والتحضير للحرب في العراق استمر البيت الأبيض في صد الكونغرس لافتاً إلى ضرورة وجود أقصى حد من المرونة الدبلوماسية[74].

وبالطبع كانت سورية خلال هذه الفترة تضيف المزيد إلى قائمة شكاوى الولايات المتحدة ضدها من خلال استمرارها في انتهاك عقوبات الأمم المتحدة المفروضة على عراق صدام والتواطؤ السوري الرسمي في نقل العتاد العسكري والمواد ذات الاستخدام المزدوج إلى العراق والتسهيل السوري لتحركات المقاتلين الأجانب عبر حدودها إلى داخل العراق في الأيام الأولى من الحرب[75] . وحالما نشبت الحرب و لم تلبِ سورية المطالب الأميركية في تغيير عدة سلوكيات إشكالية وخصوصاً فيما يتعلق بالروابط السورية مع المنظمات الإرهابية الفلسطينية وحزب الله اللبناني، ضعف موقف الإدارة الأميركية ورغبتها في معارضة أي تصرف من جانب الكونغرس لإقرار قانون محاسبة سورية. وسرعان ما تلاشى التعليق الفعال الذي نجم عن تبادل المعلومات الأميركي- السوري حول القاعدة لميل الإدارة التنفيذية إلى مقاومة الإجراءات القانونية ضد سورية[76]. وفي النهاية صادق الكونغرس على قانون محاسبة سورية في تشرين الثاني 2003 وأقر الرئيس تنفيذ القانون في الشهر التالي[77]. وبمقتضى هذا القانون أصدر الرئيس بوش أمراً تنفيذياً بفرض عقوبات اقتصادية على سورية في أيار 2004[78]. وازداد إحباط إدارة بوش في النصف الثاني من عام 2004 مع استمرار تدهور الوضع الأمني في العراق.

وحينما استلم الرئيس فترة ولايته الثانية جاء اغتيال الحريري ليزيد من حدة تدهور العلاقات الأميركية- السورية وسحبت واشنطن سفيرها من دمشق.

وهكـــذا تراجعت مكانة سورية في واشنطن بشكل جدي منذ الحادي عشر مـــن أيلول 2001. يدل هذا التراجع بشكل محدد تماماً على أن المقاربة الحالية في الـتعامل مـــع دمشق ليست في العمل على تحقيق أهداف السياسة الأميركـــية،فمع تدهـــور العلاقـــات الأمير كـــية- السورية ازدادت شدة الاختلافات داخل هيئات السياسة الأمير كية (وبين الولايات المتحدة وحلفائها) حول المسار الأمثل للتعامل مع سورية.

يثير هذا الوضع تساؤلات أساسية حول الاتجاه الملائم للسياسة الأمير كـــية تجاه سورية... ما هو المسار الأمثل لتغيير السلوكيات السورية المشكلة في سياق الحرب العالمية على الإرهاب؟..

هل ينبغي على واشنطن الاستمرار في تصعيد الضغوط الاقتصادية والسياسية والخطابـــية على دمشق؟.. ما مدة الاحتمال أن يؤدي هذا النهج إلى تغييرات هامة في السلوك السوري؟..

أم هـــل ينـــبغي على الولايات المتحدة أن تضع سورية ضمن فئة أفغانستان بـــزعامة طالـــبان والعراق بقيادة صدام حسين وهي الدول التي لم يكن هنالك من ســـبيل لوقف سياساتها التهديدية إلاّ من خلال التغيير القسري لأنظمتها الحاكمة؟ وإذا كـــان الأمـــر كذلك فما هو السبيل الذي يجب إتباعه لتغيير النظام في حالة سورية وما نوع البنى السياسية التي ستحل محل النظام الحالي؟..

وكـــبديل لذلك، هل تستطيع الولايات المتحدة التوصل مع سورية إلى تغيير ســـلوكياتها المشـــكلة من خلال أسلوب العصا والجزرة حسب النهج الذي اتبعته إدارة كلنتون وبوش مع ليبيا؟.. فإذا كان الأمر كذلك فما هي المجموعة المؤثرة من الحوافـــز والعقـــبات ومـــا مدى التأثير الذي ستشكله لإحداث التغيير في السلوك السوري؟..

ســـوف يكون من الصعب على الإدارة الأميركية أن تستمر إلى ما لا نهاية في

النهج الذي لم يؤدِ إلى حل التحديات التي تواجه المصالح الأميركية من جراء السلوكيات السورية المشكلة بالنظر إلى الحرب المتواصلة على الإرهاب والأهمية المتزايدة للشرق الأوسط كساحة معركة هامة في هذه الحرب. وبذلك يكون على الولايات المتحدة أن تتوصل إلى حل مشكلة صياغة سياسة سورية متماسكة منطقياً.

شكوك تحليلية:

من الواضح أن صناع السياسة الأميركية لا يستطيعون التوصل إلى قرارات سليمة بشأن السياسة الأميركية تجاه سورية ما لم تستند خياراتهم إلى تقييمات متبصرة بشكل حقيقي في النوايا السورية وحوافزها وقيودها. ومع ذلك في الوقت الذي يحتاج فيه المسؤولون الأميركيون للتوصل إلى خيارات سليمة بدقة بشأن السياسة تجاه سورية يكون مستوى عدم اليقين التحليلي حول القيادة السورية والأجندة الاقليمية قد ارتفع بشكل شديد.

منذ عام 1970 وحتى عام 2000 أي على مدى ثلاثين عاماً تعامل المسؤولون السوريون المعنيون بشأن سورية والشرق الأوسط مع شخصية حافظ الأسد المألوفة وواسعة الإطلاع والمستقرة الهادئة إلى حد ما. لقد كانت الفترة الطويلة التي أمضاها الأسد في الحكم وسلطته في سورية التي كانت غير قابلة للتنفيذ ومقاربته للشؤون الاقليمية التي كانت تتميز بالاحتراس والاستراتيجية مدعاة لمنح أصحاب القرار السياسي في أميركا درجة نسبية من الوضوح التحليلي حول أهداف سورية طويلة الأمد وأولوياتها التكتيكية وبعض المعوقات التي يمكن إدراكها. ولكن منذ وفاة حافظ الأسد في حزيران 2000 وتولي ابنه بشار منصب الرئاسة انخفض ذلك المستوى النسبي من الوضوح التحليلي بدرجة خطيرة.

يدور الكثير من عدم اليقين الحالي حول تساؤلات تتعلق بقيادة بشار الاسد.. فبعد مرور أربع سنوات ونصف على تولي بشار الرئاسة هنالك القليل من الاجماع التحليلي حول الصفات التي تتمتع بها قيادته وميله للاهتمام بقضايا السياسة الداخلية والخارجية الهامة، ودرجة نفوذه الحقيقي في السياسة الداخلية والخارجية

لسورية. لقد تأرجحت المفاهيم حول بشار خارج سورية بشكل كبير جداً منذ توليه السلطة. ففي البداية كان هنالك تفاؤلٌ من السهل ادراكه حول قائد سورية الجديد. على الرغم من الإدراك الواسع للعقبات المفروضة على بشار والتحديات التي سيواجهها في تعزيز موقعه والمحافظة عليه، فقد كان هنالك شعور بأنه يختلف ضمنياً عن والده كقائد. لقد توقع المراقبون أن اطلاع بشار على الغرب أثناء دراسته العليا للطب في بريطانيا سوف يمنحه المزيد من النظرة التقدمية على العالم مما كان لوالده أو من تبقى على قيد الحياة من الرعيل الداخلي[79]. وتوقع آخرون أن تعاقب الأجيال في سورية يمكن أن يكون له في النهاية تأثير تحويليّ على طبيعة النظام الحاكم في سورية[80]. ولكن ولغاية هذه المرحلة هنالك إدراك على نطاق واسع أن الاصلاحات السياسية والاقتصادية لم تأت بالسرعة التي توقعها البعض بقيادة بشار أو كما تتطلبها العديد من المسائل الملحة في سورية[81].

لماذا يأتي التغيير على هذا النحو البطيء وماذا يعني ذلك فيما يتعلق ببشار الأسد كقائد وطني؟ هنالك عدة تفسيرات متنافسة و متناقضة في أغلبها حول الحالة الراهنة للأوضاع ولكل منها مدلولاتها الخاصة فيما يتعلق بالامكانيات المستقبلية للإصلاح في سورية. هنالك ثلاثة تصورات متضاربة عن بشار كقائد وطني تهيمن حالياً على النقاشات التحليلية حول سورية. يمكن وصف هذه التصورات باختصار بمايلي: بشار الإصلاحي النظري، بشار الابن الموالي الوفي، بشار المبتدىء.

بشار الإصلاحي النظري:

تقدم هذه الصورة بشار على أنه الشخص الذي يدرك أن سورية تسير نحو الأسوأ وهو بالتالي يريد إصلاح النظام الذي ورثه عن والده ويسعى لتحسين علاقات سورية مع الغرب وخصوصاً الولايات المتحدة. ولكن بشار في هذه الصورة مقيد في التصرف وفقاً لهذه الدوافع ومدعاة تقييده هي الحالة الدائمة لتلقي الدعم والمساندة من مسؤولي الحرس القديم في الحكومة والأجهزة الأمنية.. فهؤلاء المسؤولين الذين خدموا حافظ الأسد على مدى عقود ليسوا معنيين بالإصلاحات

التي من شأنها أن تقوض دعائم سلطتهم أو تقلل من فرص عائلاتهم في تحقيق المكاسب من خلال الفساد والسيطرة على احتكار القطاعات التي تدر عليهم أرباحاً طائلة.

هنالك شكلان مختلفان لرؤية الإصلاحي النظري.. أحدهما التفاؤل نسبياً والأخر التشاؤم نسبياً حول فرص بشار في تغيير سورية. ينم الشكل المتفائل عن أن بشار مع مرور الوقت سوف يكون قادراً على تعزيز سلطته واستبدال الحرس القديم -حينما يتبدل الوضع- بمسؤولين أصغر سناً يشاركونه اهتمامه في الإصلاح وحينئذ ربما يتمكن من إجراء تغيرات جوهرية في النظام الذي ورثه عن أبيه[82]. أما التصور المتشائم فيقدم بشار على أنه غورباً تشيف سورية يترأس نظاماً مشحوناً بالتوترات والتناقضات الداخلية بحيث لا يستطيع السعي للتوصل إلى إجراء تغييرات جوهرية دون المخاطرة إما بالتنحية عن منصبه أو بإنهيار النظام القائم[83].

بشار الابن الموالي الوفي:

بخلاف النظرة الأولى، تقدم هذه الصورة الرئيس السوري كقوة من أجل الاستمرارية والركود، إذا لم يكن التراجع في السياسة السورية الداخلية والخارجية. ومن هذا المنظور يكون بشار النتاج الكامل لنظام والده الذي تم تكوينه على مدى ثلاثة عقود، وأن هدفه الأول كرئيس هو حماية العناصر الهامة من أنصار نظام الأسد والمحافظة على العناصر الرئيسية لسياسة والده الخارجية. وفي هذه النظرة يكون نفور بشار من السعي وراء إجراء إصلاحات جوهرية في النظام الاقتصادي والسياسي لسورية ما يجعله جزءاً كبيراً من المعضلة القائمة في سورية.. ولا يمكن اعتباره بأي شكل من الأشكال جزءاً مأمولاً للحل[84].

يقول بعض المحللين في مدرسة الابن الموالي الوفي أن بشار ربما يكون رافضاً في مقاربته للسياسة الخارجية السورية لشكل يتخطى موقف أبيه وربما يكون ذلك ناشئاً عن وقوعه تحت تأثير الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله[85]. إن درجة تأثر سلوكيات حافظ الأسد في توجيهه للسياسة الخارجية السورية بالايديولوجية الرافضة فيما يتعلق بإسرائيل والولايات المتحدة تبقى بالطبع موضع نقاش وسوف

تتم مناقشة هذا الجانب في الفصل الثاني.

بشار المبتدىء:

تصف الصورة الثالثة بشاراً على أنه قائد غر تعوزه الخبرة وربما لا يكون ذلك الشخص المناسب ليشغل منصب رئيس سورية. يقول أولئك الذين يرون بشار بهذه الصورة أنه لا يملك رؤية حقيقية سواء كإصلاحي أو فيما يتعلق بتوجهاته بخصوص الوضع الراهن وذلك فيما يخص مستقبل سورية أو الاهتمام بأجندة السياسة الخارجية. لقد عبر عن ذلك أحد الناشطين في المجتمع المدني حيث قال أنه على كلا الجبهتين لا يعرف بشار ولا مستشاروه ما الذي عليهم ببساطة أن يفعلوه[86]. يرى مؤيدو هذه النظرية أن افتقار بشار للرؤية والخبرة يشكل في حد ذاته مخاطر على الاستقرار الإقليمي[87].

تحمل كلٌ من هذه الصور مدلولاتها بالنسبة للسياسة الأميركية وبالتالي فإن الافتقار إلى الإجماع التحليلي يفاقم من الإجماع على النهج الملائم للسياسة. من الممكن-بالطبع- أن يتم ترتيب المعطيات على نحو انتقائي لمناقشة كل حالة من هذه الصور الثلاثة. تحوز كل صورة على أوجهٍ مشروعة وهامة حول قيادة بشار والواقع السياسي المعاصر لسورية. ولكن لا تشكل أي من هذه الصور في ذاتها إطاراً كافياً لفهم السياسة السورية واتخاذ القرار السياسي في فترة رئاسة بشار الأسد. لتطوير قاعدة تحليلية من أجل صياغة سياسية أميركية سليمة من الضروري أن نأخذ عناصر من كل واحدة من هذه الصورة وتجميعها معاً للحصول على وصف أكثر تعقيداً بفوارق دقيقة ومتغيرات متعددة لقيادة بشار الأسد وواقع السياسة السورية اليوم. وقد كرست الجزء الأكبر من هذا الكتاب لهذه الناحية. وانطلاقاً من هذه القاعدة يكون من الممكن في النهاية أن نقدر أياً من الخيارات المتاحة لأصحاب القرار السياسي الأميركي هو الأكثر ترجيحاً لتعزيز أهداف السياسة الأميركية بخصوص سورية سواء كان من خلال متابعة النهج الحالي أو التحول إلى العمل من أجل تغيير الأنظمة أو اعتماد أسلوب العصا والجزرة بشكل جدي.

مصادر الفصل الأول

(1) هــذا الــرقم هــو وفقــاً لتقديرات تموز2004 المسجلة في سجل حقائق العالم الذي تصدره وكالة الاستخبارات المركزية

www.cid.gov/cid/publication/fact book/geos/sy.htm

وتبعاً للمصدر ذاته فهنالك اثنتان وعشرون دولة عربية يفوق عدد سكانها سورية. وقد أصدر مكتب الإحصاء السـوري المركـزي رقم17,793 مليون نسمة بعد الإحصاء الذي أجراه في أيلول2004. وراجع التقرير السوري، كانون الأول2004.

(2) لقد استخدمت مارثا كيسلر خبيرة الشؤون السورية في وكالة الاستخبارات المركزية عبارة الفسيفساء الهـش عام1987 في رسالتها بعنوان سورية: فسيفساء هش من القوة(واشنطن مطبعة جامعة الدفاع الوطني1987).

(3) هــذه الأرقــام مأخوذة من سجل حقائق العالم الصادر عن وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية ومكتب شؤون الشرق الأدنى Background Note: Syria

www.state.gov/r/pa/ei/bgn/3580.htm

وحدة استخبارات الايكونوميست، سورية: صورة البلاد2003 ص14 إيال زيسر، ميراث الأسد: سورية في مرحلة الانتقال- مطبعة جامعة نيويورك2001 ص5.

(4) غالبية الأكراد السوريون من المسلمين السنة إلا أن هنالك عدد قليل من العلويين.

(5) هذه البيانات مأخوذة من سجل حقائق العالم الذي تصدره وكالة الاستخبارات المركزية(2004).

(6) راجــع مــثلاً مــا ورد فــيما يتعلق بهذا في موسوعة الشرق www.lexicorient.com وموسوعة ويكيبيديا http://en.wikipedia.org

(7) هــنالك إحدى عشرة طائفة مسيحية معترف بها رسمياً في سورية ونسبة العشرة بالمائة الإجمالية هذه مأخوذة من سجل حقائق العالم الذي تصدره وكالة الاستخبارات المركزية 2003.

(8) في مقطــع كــثيراً مــا يتم الاستشهاد به تصف زوجة القنصل البريطاني في دمشق في أوائل 1870 العلاقات المتبادلة في سورية وأنها ستبقى على ما هي عليه في القرن العشرين وبالفعل ما زال لها صداها حتى هذا اليوم وهي تقول: " إنهم جميعاً يكرهون بعضهم البعض فالسنة يحتقرون الشيعة جماعة منعزلة وكلاهمــا يكــرهان الــدروز وجميع هؤلاء يمقتون العلويين، والمارنيون لا يحبون إلا أنفسهم وبالتالي فالجميع يبغضونهم، والأرثوذكس اليونانيون يمقتون الكاثوليك اليونانيين واللاتين وجميع هؤلاء يزدرون

السهود" إيزابيل بورتون، الحياة الداخلية في سورية وفلسطين والأراضي المقدسة، ص105-106
London: Henry S.King 1875

(9) من أجل نظرة عامة تاريخية راجع موشيه ماعوز، الأسد: أبو هول دمشق: سيرة سياسية، الفصل الأول
New York: Grove Weidenfeld,1988

(10) لمراجعة مناقشة دراسية كلاسيكية لهذه المشكلة في السياق العربي راجع مايكل هدسون، السياسة العربية: البحث عن الشرعية، مطبعة جامعة يلل 1977، وخصوصاً الفصل الثالث. لمناقشة أكثر شمولية راجع جويل ميجدال، مجتمعات قوية ودول ضعيفة : علاقات الدولة والمجتمع وإمكانيات الدول في العالم الثالث، مطبعة جامعة برنستون 1988. ولمناقشة حول تكوين الدولة في سورية من منظور مقارن مع إيراد حالات شرق أوسطية أخرى، راجع ليزا أندرسون، الدولة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، السياسة المقارنة20 رقم1، تشرين الأول1987. ولمناقشة حول مشاكل تحديد الهوية القومية في سورية، راجع يحيى سادوسكي، نشوء الهوية السياسية في سورية، الهوية والسياسة الخارجية في الشرق الأوسط، تحرير شبلي تلهامي ومايكل بارنيت، مطبعة جامعة كورنل2002.

(11) ظهرت بدايات تشكيل دولة سورية الحديثة في الثورة العربية التي بدأت في حزيران1916 عندما شن كل من الشريف حسين بن علي أمير مكة ومؤسس الدولة الهاشمية وهي العائلة الحاكمة لما يعرف اليوم بالأردن حملة عسكرية ضد الحكام الأتراك العثمانيين في شبه الجزيرة العربية ومنطقة المشرق. تم تنفيذ الحملة بتوجيه من القائد البريطاني ت.ي لورنس الذي تربطه بالعرب علاقات وثيقة (لورنس العرب). لقد سعى البريطانيون لاستغلال الثورة العربية لتقويض دعائم مصالح الامبراطورية العثمانية التي تحالفت مع القوى عند اندلاع الحرب العالمية الأولى. وعند انتهاء الحرب العالمية الأولى توصلت القوات العربية بقيادة أبناء حسين "عبد الله" وفيصل" إلى السيطرة على أجزاء كبيرة من شبه الجزيرة العربية وبلاد المشرق بما فيها دمشق. وأقام "فيصل" حكومة عربية مستقلة مقرها دمشق ولكن مؤتمر السلام في باريس عام1919، رفض الاعتراف بها. ولكن المؤتمر السوري العام الذي اجتمع في دمشق عام 1920 انتخب فيصل ملكاً على سورية.. ولكن في ذلك العام بالذات منحت عصبة الأمم الانتداب لكل من بريطانيا وفرنسا من أجل السيطرة السياسية على دول المشرق.شمل الانتداب البريطاني ما يعرف الآن بإسرائيل والأردن والأراضي الفلسطينية وكذلك العراق. وشمل الانتداب الفرنسي ما يعرف اليوم بسورية ولبنان. وفي تشرين الثاني 1920 سيطرت القوات الفرنسية على دمشق بالقوة وأطاحت بفيصل عن عرش سورية وانتهت بذلك الثورة العربية. نجد أفضل وصف لدبلوماسية القوى العظمى التي تحيط بإلهاء الامبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى هو فيما ألفه "دافيد فرومكين" بعنوان "سلام ينهي أي سلام: سقوط الامبراطورية العثمانية وخلق الشرق الأوسط الحديث (نيويورك: مؤسسة كتب كارلتون المحدودة1989). يصف "هينبوش" أثر هذه التجربة على الوعي والإدراك السوري بقوله: في أعقاب الثورة العربية عام 1917 توقع السوريون إقامة دولة عربية مستقلة في بلاد

الشام ترتبط بإتحاد عربي أكبر. ولكن بدلاً من ذلك فإن القوى الغربية خانت ونقضت وعودها للعرب وأخضعت المشرق العربي لسيطرتها وفككت بلاد الشام إلى أربعة دويلات صغيرة هي سورية والأردن ولبنان وفلسطين ورعت الاستعمار وضمنت إقامة دولة إسرائيل في فلسطين. ومع مرور الوقت حظيت سورية بالاستقلال السياسي ولكن انفصالها عن الأردن ولبنان والعالم العربي كان يبدو مسألة لا يمكن التراجع عنها.. وأصبحت إسرائيل عدواً مرعباً على أعتاب سورية وعقبة أزلية في وجه طموحاتها القومية. ريموند هينبوش، الأحلام المعادية والاستراتيجيات الواقعية: السياسة الخارجية لسورية. السياسة الخارجية للدول العربية: تحدي التغيير، تحرير "بهجت قرني" و"علي ي. هلال دسوقي"ص374 الطبعة الثانية(بولدر، كولو: مطبعة ويست فيو 1991).

(12) المعالجة التاريخية الدقيقة لهذه الفكرة عند "دانييل بايبس"، سورية الكبرى: تاريخ طموح (مطبعة جامعة أوكسفورد 1990).

(13) حول هذه النقطة العامة راجع روبرت جاكسون، أشباه دول: السيادة والعلاقات الدولية والعالم الثالث (مطبعة جامعة كامبردج 1990). مايكل هدسون، في دراسته الكلاسيكية، نقص الشرعية في السياسات العربية، حيث يورد في دراسته تحدي تطوير سلطة شرعية داخل دول تتنافر حدودها بشكل متأصل مع الأمة. ولوصف فريد وهام لمشكلة الشرعية في العالم العربي، راجع هدسون، السياسات العربية ص5-7.

(14) من أفضل الدراسات التي كتبت عن هذه الفترة هو ما كتبه باتريك سيل بعنوان، الصراع على سورية: دراسة السياسة العربية في مرحلة ما بعد الحرب 1945-1958 (مطبعة جامعة اكسفورد 1965)، ومالكولم كير، الحرب العربية الباردة: جمال عبد الناصر ومنافسيه 1958-1970 (مطبعة جامعة اكسفورد 1971).

(15) ينطبق التكوين السلفي عموماً على الحركات الإسلامية التي تمجد عهود السلف الصالح وتدافع عن مبدأ العودة إلى زمن الدولة الإسلامية الطاهرة التي ترتكز إلى الإسلام في أجياله الثلاثة الأولى من المسلمين. وهنالك العديد من الجماعات التي تتبنى هذا الفكر الإسلامي وتشترك بسمات واحدة ويمكن أن نطلق عليها اسم السلفية (مثل الحركة الوهابية في المملكة العربية السعودية). والحركات السلفية الأصولية المتمسكة بالكتاب المقدس لا تدعو بطبيعتها إلى المعارضة العنيفة للحكومات القائمة وإنما ترتبط بحركات سياسية من ضروب مختلفة وقد أصبحت منذ بداية القرن العشرين الصرخة الحاشدة بالنسبة للمتطرفين الإسلاميين المعادين لأنظمة الحكم في عدد من الدول العربية. نشأت جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام1920 بزعامة حسن البنا كحركة سلفية معارضة للحكم البريطاني. ورغم أن المعارضة الإسلامية التي تلاحمت ضد حكم حافظ الأسد في السبعينيات كانت تضم العديد من الإيديولوجيات المتنافسة إلا أنه كان يشار إليها باسم الإخوان المسلمين وكانت هذه المعارضة تسعى نحو استبدال النظام البعثي بدولة إسلامية مستمدة من روح السلفية. راجع سيل، الأسد: الصراع على الشرق الأوسط، ص320-323، سعيد أمير أرجوماند، الوحدة والفرقة في الأصولية

الإسلامية، الأصولية، تحرير مارتين ي. مارتي و ر.سكوت أبلبي(مطبعة جامعة شيكاغو1995) ص 179-230. ومن أجل وصف موجز عن السلفية راجع التعريف على www.globalsecurity.org يمكن الاطلاع على وصف تفصيلي متعاطف لحركة الإخوان المسلمين في سورية في كتاب عمر ف. عبد الله، الصراع الإسلامي في سورية(Berkeley,Calif:Mizan Press 1983).

(16) تأسست حركة الإخوان المسلمين السورية في الثلاثينيات لدى دعوى طلاب سوريين كانوا يدرسون في مصر حيث قابلوا عمل حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين الأصلية في مصر. وفي بداية الستينيات ظهرت أفكار متطرف إسلامي مصري آخر هو سيد قطب التي كانت حاسمة في حث الإخوان المسلمين السوريين على رفض النظام البعثي الحاكم في سورية والإيديولوجية العربية الشاملة.

(17) جميع هذه الأرقام مأخوذة من سجل حقائق العالم الذي تصدره وكالة الاستخبارات المركزية2004. فعلى سبيل المقارنة بعمل إجمالي الناتج المحلي للفرد الواحد في المملكة العربية السعودية إلى 11800 دولار أميركي وفي الامارات العربية المتحدة إلى 23200 دولار وفي الكويت إلى 19000 دولار.

(18) للحصول على معلومات حول موارد النفط والغاز في سورية، راجع إدارة معلوما ت الطاقة، قسم الطاقة، موجز تحليل البلاد: سورية، نيسانwww.eia.doe.gov/emeu/cabs/syria.htm/2004

(19) لقد اقترحت اتفاقية كامب ديفيد في عام1978 على سبيل المثال أن يتم تبني بنودها للتوصل إلى عقد اتفاقيات سلام نهائية بين إسرائيل وجميع جوالها وذكرت سورية بالاسم.

(20) اقترحت مبادرة السلام العربية التي تبنيها في القمة العربية في بيروت عام 2002 أن التسوية النهائية بين إسرائيل والدول العربية تتضمن نقطة ورد ذكرها أكثر من مرة حول اشتراط الانسحاب الإسرائيلي من مرتفعات الجولان مقابل إحلال السلام مع سورية.

(21) للحصول على رؤية عامة للمبادرات الدبلوماسية الأميركية مع سورية في سياق عملية السلام العربي-الإسرائيلي بدءاً من مؤتمر مدريد1991، راجع الأجزاء ذات العلاقة بهذا الموضوع تأليف وليام كوانت، عملية السلام: الدبلوماسية الأميركية والصراع العربي - الإسرائيلي منذ عام1967 (بروكنغز ومطبعة جامعة كاليفورنيا 1993).

(22) حول الجهود الدبلوماسية التي بذلها كيسنجر لضمان وقف إطلاق النار من كلا الجانبين في حرب يوم الغفران/ تشرين الأول 1973 ومحاولته الناجحة في إبعاد الرئيس المصري أنور السادات عن سورية في المفاوضات الدبلوماسية التي تلت الحرب، راجع هنري كيسنجر، سنوات الهيجان(بوسطن: لتل براون 1982). ولتقييم تفسير الأسد لهذه الجهود، راجع باتريك سيل، أسد سوريا: الصراع من أجل الشرق الأوسط.(لندن: ي.ب. توريس1988، مطبعة جامعة كاليفورنيا1989 ص226-226.

(23) يلوم المسؤولون في إدارة كارتر الأسد على دوره في هذه الأحداث ويقولون أن الزعيم السوري قد انسحب من المفاوضات الدبلوماسية العربية- الإسرائيلية وتنحى ليجلس جانباً ويراقب الأحداث، راجع المقدمة التي كتبها"سيروس فانس" وزير خارجية كارتر لألاسدير درايسديل وريموند هينبوش، سورية وعملية السلام في الشرق الأوسط(نيويورك: مجلس العلاقات الخارجية1991)صVIII . راجع

أيضـــاً، جيمي كارتر، الحفاظ على القسم: مذكرات رئيس(نيويورك: كتب بانتام1982) ص273-429. ولإلقـــاء نظـــرة على سنوات كارتر من خلال الإطار الاستراتيجي للأسد، راجع سيل، أسد سورية، ص290-315.

(24) لمزيد من الإطلاع راجع، نمرود نوفيك، في مواجهة الحقيقة: ريغان والشرق الأوسط(المرحلة الأولى) (بولدر، كولو: ويست فيو مركز جافي للدراسات الإستراتيجية، جامعة تل أبيب1986).

(25) جاءت الدعوة الأميركية- السوفيتية المشتركة لمؤتمر السلام في مدريد وكان هنالك مسارات تفاوض منفصلة بين إسرائيل وجيرانها وكانت سورية المدعو الثاني بعد إسرائيل مما منحها الفخر أن تكون أول الـــدول العربـــية ذكـــراً ممـــا يبرز أهمية مشاركتها. كتب جيمس بيكر وزير الخارجية تعليقاً على التحضـــيرات لمؤتمـــر مدريـــد بقول: لم يكن هنالك سبيل لتحريك عملية السلام الشاملة في الشرق الأوســـط ودفعهـــا إلى الأمـــام بـــدون اشـــتراك سورية الفعلي. بيوك مع توماس دوفرانك. سياسة الدبلوماسية:الثورة، الحرب والسلام 1979-1992(نيويورك:ج.ب.بوتنام1995) ص296.

(26) لمـــراجعة المفاوضات الإسرائيلية- السورية بوساطة إدارة كلنتون، راجع إيتامار رابينوفتش على حافة الســـلام: المفاوضـــات الإسرائيلية- السورية(مطبعة جامعة برنستون1999)، هيلينا كوبان، عادثات السلام الإسرائيلية- السورية: 1991-1996 وما وراء ذلك(واشنطن:المعهد الأميركي للسلام 200)، دنـــيس روس، السلام المفقود:القصة الداخلية للقتال من أجل السلام في الشرق الأوسط.(نيويورك: فارار ستراوس وجيروكس2004).

(27) وثـــق سيل الأهمية الإستراتيجية المحورية تاريخياً لسورية، الصراع من أجل سورية، كير، الحرب الباردة العربية.

(28) راجع على سبيل المثال مايكل بارنيه، حوار في السياسات العربية: مفاوضات في النظام الإقليمي(مطبعة جامعة كولومبيا 1998)، إبراهام سيلا، انحدار الصراع العربي- الإسرائيلي: السياسة الشرق أوسطية وقضية النظام الإقليمي (State University of New York Press 1997).

(29) لم تكن سورية يوماً قادرة على عكس معاهدات السلام الفردية التي وقعتها مصر والأردن مع إسرائيل في عـــام 1979 و1994 عـــلى التوالي ولكن في القمم الاستثنائية للجامعة العربية في عام1996 و 2000 كانـــت ســـورية قـــادرة على كسب الرأي بالإجماع بأنه ينبغي عدم توسيع الروابط الحالية الموجـــودة بـــين بعض الدول العربية وإسرائيل. وكانت المعارضة السورية عاملاً هاماً في الانسحاب المحـــرج للمشاركين العرب من المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط عام 1997 في قطر وقد كان هذا المؤتمـــر جزءاً من المسار متعدد الأطراف في عملية السلام العربية- الإسرائيلية. وفي السياق نفسه ربما يكون الضغط السوري قد أسهم في تراجع تونس عن روابطها التجارية مع إسرائيل وفي جعل التمثيل الدبلوماسي لمصر والأردن في حدوده الدنيا مع إسرائيل.

(30) على سبيل المثال سجل وزير الخارجية وران كريستوفر تقييمه في بداية مرحلة إدارة كلينتون بقوله: بالنسبة للولايات المتحدة لن يؤدي الاتفاق الإسرائيلي- السوري فقط إلى التخلص من التهديد الذي

يواجه إسرائيل ولكنه أيضاً سوف يحسن من الوضع الاستراتيجي الأمريكي في المنطقة. عندما استلمت منصبي وافقت على سياسة الاحتواء المزدوج لكل من إيران والعراق ولكنني كنت أتمنى إيجاد طريق لتحسين العلاقات مع سورية التي تشكل البلد الثالث في الصف الشمالي من الدول العربية. ولم يكن هنالك شيء يحسن من إمكانية تحقيق هذه الهدف أفضل من التوصل إلى تسوية بين إسرائيل وسورية. راجع، كريستوفر، فرص الحياة: مذكرات (نيويورك: سكريبنر 2001، ص218-219.

(31) حول هذه النقطة، راجع داريسديل وهينبوش، سورية وعملية السلام في الشرق الأوسط، وخصوصاً الفصلين الرابع والخامس.

(32) حـــول الخلفية الإقليمية لمحادثات كامب ديفيد، راجع كنث ستين، الدبلوماسية البطولية: السادات- كـــيسنجر- كارتـــر- بـــيغن ومطلب السلام العربي- الإسرائيلي(لندن: روتلدج1999) وخصوصاً الفصلين الرابع والسابع.

(33) للحصـــول عـــلى مناقشـــة ذات أســـاس تاريخي مشوق حول أهداف سورية في التعامل مع القضية الفلســطينية، راجـــع آرون مـــيلر، الدول العربية والقضية الفلسطينية: بين الإيديولوجية والمصلحة الشخصـــية، أوراق واشنطن 120(نيويورك: مركز براغر للدراسات الدولية والإستراتيجية 1986) الفصل الرابع. وحول أهداف سورية مقابل أهداف الأردن، راجع داريسدلر وهينبوش، سورية وعملية السلام في الشرق الأوسط، الصفحات68-72.

(34) مـــن الجديـــر التـــنويه في هذا السياق انه خلال العقدين الأولين من رئاسة حافظ الأسد كان الاتحاد السوفيتي ذو أهمية قصوى لسورية لأنه المورد الأول عـــسكرياً ومصدر المساعدة العسكرية بالإضافة إلى أنه مرجع استراتيجي هام.

(35) لمزيد من الاطلاع، راجع نوفيك، في مواجهة الواقع.

(36) حـــول منشأ التحالف السوري- الإيراني، راجع، حسين آغا وأحمد خالدي، سورية وإيران: التنافس والتعاون(لندن: معهد بتر الملكي للشؤون الدولية 1995) وأنو شيرفان احتشامي و ريموند هينبوش، سورية وإيران: قوى متوسطية في نظام إقليمي متداخل(لندن: روتلد ج 1997).

(37) للاطـــلاع عـــلى مناقشـــة حول هذا، راجع روبرت دانين، الاتفاق العراقي- السوري؟ الإمكانيات والمدلـــولات، بوليســـي ووتـــش253(واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 11 حزيران 1997). وحـــول التهديد لإستراتيجية الاحتواء المزدوج في سياسة كلينتون راجع توماس فريدمان، انتباه نيويورك تايمز، 1 أيلول 1997.

(38) آلان ســـيبريس، الولايات المتحدة تفضل تخفيف العقوبات العراقية، في جولة لـــه في الشرق الأوسط يـــلخص باول خطة تركيز الجهود ضد القوات العسكرية، واشنطن بوست،27 شباط 2001، آلان ســـيبريس و كولوم لينش، الولايات المتحدة تتجنب مواجهة السوريين بشأن النفط العراقي، واشنطن بوست، 14شباط 2002.

(39) نقـــد نشأت لائحة الإرهاب بموجب قرار إدارة التصدير لعام 1979، الفقرة22، الدستور الأمريكي،

الجزء2656 ف. واستناداً إلى هذا القانون يتوجب على وزارة الخارجية إصدار تقرير سنوي وتقديمه إلى الكونغرس حول الدول والجماعات التي يتم تصنيفها كدول وجماعات إرهابية. والدول التي تندرج تحت هذا العنوان هي التي تدعم المنظمات الإرهابية سياسياً أو مادياً أو مالياً أو التي تتخاذل عن التعاون مع الجهود المبذولة لمكافحة الإرهاب. وكانت سورية إلى جانب ليبيا والعراق ضمن القائمة الأولية للدول الراعية للإرهاب التي أصدرتها وزارة الخارجية في عام 1979 وقد بقيت على هذه الصفة في جميع التقارير والتي صدرت لاحقاً.

(40) كان هذا يسمى جبهة الإنقاذ الوطني وكانت الجماعات المشاركة فيها هي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين_ القيادة العامة بقيادة أحمد جبريل ومنشقي فتح بقيادة أبو موسى والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بقيادة نايف حواتمة التي انقسمت عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام 1969. للإطلاع على لمحة عن المتطرفين المعادين لمنظمة التحرير الفلسطينية راجع هيلينا كوبان، منظمات تحرير فلسطين: الشعب والقوة والسياسة، (مطبعة جامعة كامبردج 1984) وخصوصاً الفصل السابع، وباري روبن، الثورة حتى النصر؟ السياسة وتاريخ منظمة التحرير الفلسطينية(مطبعة جامعة هارفارد 1994) الفصلين الرابع والثامن. للإطلاع على وصف للصلات بين جماعات الرافضين الفلسطينيين العلمانيين وسورية راجع، كنث كاتزمان، الإرهاب: جماعات الشرق الأدنى والدول الراعية 2001(واشنطن: خدمات البحث في الكونغرس 2001) و غاري غامبل، رعاية الإرهاب: سورية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة، نشرة استخبارات الشرق الأوسط رقم 4 2002).

(41) كان حزب الله المسؤول الأول عن تفجير السيارة أمام السفارة الأميركية في بيروت عام 1983 وتفجير السيارة أمام قوات البحرية الأميركية وأمام ثكنة المظليين الفرنسيين في بيروت عام 1983 وتفجير الملحق التابع للسفارة الأميركية في بيروت عام 1984. أسس رجال الدين الشيعة حزب الله عام 1982 رداً على الغزو الإسرائيلي للبنان. وتأثراً بالإيديولوجية الثورية لآية الله خميني في إيران حدد حزب الله أهدافه بأنها مقاومة الاحتلال الإسرائيلي وإقامة دولة إسلامية في لبنان في نهاية الأمر. حول منشأ حزب الله وبنيته وإيديولوجيته ونشاطاته راجع، هالة جابر، حزب الله: مولود ومعه الثأر (مطبعة جامعة كولومبيا 1997)، مارتين كرامر، المنطق الأخلاقي لحزب الله، أصول الإرهاب: الحالة النفسية والنظرية والفكرية، تحرير والتر ريتش (مطبعة جامعة كامبردج 1990)، مارتين كرامر، تكامل الجهاد، الأصولية والدولة: إعادة تكوين السياسة والاقتصاد والقوة العسكرية، تحرير مارتين مارتي ور.س أبلي، مشروع الأصولية، المجلد الثالث(مطبعة جامعة شيكاغو 1993) وشيمون شابيرا، أصول حزب الله، فصلية القدس رقم 46 (ربيع 1988). وللإطلاع على وصف روابط سورية مع هذه المنظمات، راجع غراي غامبل وزياد عبد النور، حزب الله: ما بين طهران ودمشق، نشرة استخبارات الشرق الأوسط رقم 4(شباط 2002).

(42) سيل، أسد سورية ص477.

(43) راجع على سبيل المثال طبعة 2003 من نشرة وزارة الخارجية نماذج الإرهاب العالمي، الصادرة في نيسان 2004:

www.atate.gov/s/ct/rls/pgtrpt/

(44) وبطريقة مماثلة قدمت دمشق مأوى آمناً لعدد من أعضاء حزب العمل الكردستاني في شمال سورية كطريقة للضغط على أنقرة في النزاع المستمر بين سورية وتركيا على مسائل تقاسم مياه نهر الفرات. ولكن حافظ الأسد لم يكن في هذه الحالة قادراً في النهاية على تدبر خطر تلقي ضربة إقليمية. وحينما واجه التهديد المحتمل بتدخل عسكري تركي في عام 1998 أغلق الأسد قواعد حزب العمل الكردستاني على الأراضي السورية وطرد قائد المجموعة عبد الله أوجلان وهذا الأمر أدى إلى تمكن السلطات التركية من اعتقال أوجلان.

(45) للاطلاع على التفاصيل راجع غامبل، رعاية الإرهاب: سورية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة.

(46) حماس هي اختصار لاسمها الكامل حركة المقاومة الإسلامية، أسسها الإسلاميون الفلسطينيون عام 1988 بالاشتراك مع حركة الإخوان المسلمين في غزة. لها مكتب في دمشق منذ عام 1991. كان أهم المؤيدين لحماس في الأساس إيران والأردن. ولكن بعد أن وقع الأردن معاهدة سلام مع إسرائيل عام 1994 نقلت حماس مقر اللجنة العسكرية إلى دمشق عام 1995. وحدث المزيد من التصدع في نشاطاتها في الأردن مما دفع حماس لنقل مكتبها السياسي إلى دمشق عام 1999، ورغم أنه لم يتم إعادة افتتاح المكتب السياسي بشكل رسمي في دمشق إلا أن مسؤولي حماس والمكتب السياسي استمرا في العيش والعمل في دمشق. نمت حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية حول مجموعة من الطلاب الفلسطينيين في القاهرة في السبعينيات وكان أبرز هؤلاء فتحي الشقاقي(الذي يُعتبر أخوه خليل باحث بارز ومحلل في شؤون الرأي العام والسياسة الفلسطينية). تأثراً بالثورة الإسلامية في إيران اتخذت عدة فصائل إسلامية فلسطينية اسم الجهاد الإسلامي في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينيات، ولكن مجموعة الشقاقي ظهرت كطرف رافض بارز في أواخر الثمانينات والتسعينيات. وبعد طرده من مصر في أعقاب اغتيال السادات عاد الشقاقي إلى غزة لينشئ حركة الجهاد الإسلامي بشكل رسمي عام 1981 وطردته إسرائيل إلى لبنان عام 1988 فأعاد إنشاء مكتب إدارة الجهاد الإسلامي في دمشق عام 1989. اغتال العملاء الإسرائيليون الشقاقي في مالطه عام 1995 فتولى قيادة الجهاد الإسلامي رمضان شلح الذي بقي مقيماً وناشطاً في دمشق. للاطلاع على لمحة حول حماس والجهاد الإسلامي، راجع شاؤل ميشال وأفراهام سيلا، حماس الفلسطينية: الرؤية، العنف، والتعايش(مطبعة جامعة كولومبيا 2000) زياد أبو عمرو، الأصولية الإسلامية في الضفة الغربية وغزة: الإخوان المسلمون والجهاد الإسلامي(مطبعة جامعة إنديانا 1994)، منير هاتينا ومارتين كرامر، الإسلام والخلاص في فلسطين: حركة الجهاد الإسلامي، أوراق مركز دايان 127 (مطبعة جامعة سيراكور 2001)، منير ليتفاك، الجهاد الإسلامي الفلسطيني: معلومات لمحة تاريخية، تل ابيب نوتس 56 (مركز حاتي

للدراسات الاستراتيجية، 28 تشرين الثاني 2002)، للاطلاع على مناقشة الصلات التي تربط سورية بهذه الجماعات راجع غراي غامبل، رعاية الإرهاب: سورية وحماس، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 4، رقم 10(تشرين الثاني 2002) ماثيو ليفيت، رعاية الإرهاب: سورية والجهاد الإسلامي، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 4، رقم 11-12 (تشرين الثاني، كانون الأول 2002).

(47) اعترفت وزارة الخارجية في نماذج الإرهاب العالمي 2001 بسياسة سورية في منع هذه الجماعات من مهاجمة الأهداف الغربية.

(48) حول استخدام حافظ الأسد التكتيكي لحزب الله راجع مايكل ايشنستادت، عمليات حزب الله: النماذج الماضية والمنظور المستقبلي، بوليسي ووتش 197 (واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 7 أيار 1996)، فريدريك هوف، سورية وإسرائيل: المحافظة على السلام في لبنان، سياسة الشرق الأوسط 4، رقم 4(تشرين الأول 1996) وكاتزمان، الإرهاب.

(49) حول استخدام بشار الأسد التكتيكي لحزب الله، راجع دانيل سوبلمان، قواعد جديدة للعبة: إسرائيل وحزب الله بعد الانسحاب من لبنان، مركز جافي للدراسات الاستراتيجية، المذكرة رقم 69 (جامعة تل أبيب، كانون الثانية 2004) وخصوصاً الصفحات 46-48، والفصل الخامس.

(50) لتحليل الفترات التاريخية الحاسمة في علاقة سورية بحزب الله راجع، إيشنستادت، عمليات حزب الله، ومارك هيلر، الساحة العربية- الإسرائيلية، التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط 2002-2003، تحرير إفرايم كام وإيفياه شابير(جامعة تل أبيب، مركز جافي للدراسات الاستراتيجية، 2003)ص122
.

(51) راجع، نماذج الإرهاب العالمي 2001، التقارير الرسمية للحكومة الأميركية، كاتزمان، الإرهاب، يتضح أن حزب الله قد تخطى من وقت لآخر الحدود التي فرضتها سورية على نشاطاته حيث نفذت بإشرافه عمليات ضد أهداف أميركية في بيروت.

(52) بدأ انفتاح حزب الله أو لبننته في عام 1992 حينا قررت الجماعة المشاركة في الانتخابات البرلمانية للمرة الأولى. فازت كتلة الولاء للمقاومة باثني عشر مندوباً بين 128 عضواً في المجلس الوطني عام 1992(كان ثمانية من حزب الله وأربعة من حلفائهم الشيعة) وفازوا بتسعة مندوبين في انتخابات عام 1996 (سبعة إلى اثنين) واثني عشر عام 2000 (تسعة إلى ثلاثة)، للاطلاع على مناقشة حول هذا الأمر راجع ماغنوس رانستورب، استراتيجية وتكتيكات عملية اللبننة الحالية، السياسة في منطقة البحر الأبيض المتوسط 3 رقم 1(ربيع 1998)، أغسطس ريتشارد نورتون، حزب الله: من الراديكالية إلى البراغماتية؟، ميدل ايست بوليسي(كانون الثاني 1998)، اغسطس ريتشارد نورتون، حزب الله لبنان: مُثل متطرفة مقابل السياسية الدنيوية (نيويورك: مجلس العلاقات الخارجية 1999، زيسر، تركة الأسد، ص147- 148، سوبلمان، قواعد جديدة للعبة ص19-24.

(53) وزارة الدفاع الأميركية: انتشار الأسلحة: التهديد والردود(كانون الثاني 2001) ص42-43. ولمراجعة حديثة حول قدرات سورية لامتلاك أسلحة دمار شامل، راجع إيال زيسر، سورية وقضية

أسلحة الدمار الشامل، صحيفة ميرباB رقم 3(أيلول 2004).

(54) للاطلاع على لمحة برنامج سورية النووي راجع، شاي فلدمان، الأسلحة النووية والتحكم بالأسلحة في الشرق الأوسط(مطبعةMIT، مركز العلوم والشؤون الدولية، جامعة هارفارد 1997)ص67-68. للاطلاع على تحليل صنع القرار في سورية فيما يتعلق بالامتلاك المحتمل للأسلحة النووية، راجع ايلين ليبسن، سورية: هل يمكن أن تبقى الأسطورة بدون أسلحة نووية؟ نقطة الميل إلى الأسلحة النووية: لماذا تعيد الدول النظر في خيارالها النووية، تحرير كورت م.كامبل، روبرت ج. إينهورن، ميتشل ب ريس(مطبعة معهد بروكنغز 2004). الكشف عن شبكة أ.ك. خان لنشر التكنولوجيا النووية في عام 2004 أشعلت جولة التدقيق الجديد حول مسألة أن سورية تسعى لاقتناء برنامج أسلحة نووية. ولكن مؤخراً في تموز 2004 قد قال البرادعي المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية في تصريح عام له: ليس لدينا أية معلومات حول أن سورية متورطة في نشاط نووي محظور.

(55) اعترف مسؤولون أميركيون علناً بمعلومات حول إنتاج عوامل الحرب الكيماوية والذخائر الحربية في الثمانينيات راجع على سبيل المثال، شهادة ويليام وبستر عام 1989، الذي أصبح لاحقاً مدير الاستخبارات المركزية التي وردت على موقع اتحاد العلماء الأميركيين www.fas.org.nuke/guide/syria

(56) مراجعة برنامج الحرب الكيماوية في سورية، صورايخ سكود والأسلحة الكيماوية في سورية، مركز دراسات منع انتشار الأسلحة النووي، موقع المعهد المالي http://cns.miis.edu/research/wmdme/syrscud.htm

(57) راجع الطبعات المتابعة التي تصدر كل سنتين عن وكالة الاستخبارات المركزية، اقتناء التكنولوجيا المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل والذخائر العادية المتقدمة، تقرير مقدم للكونغرس، جوزيف سيرينسيون، جون وولفسثال، مريام راجكومار، الترسانة القاتلة: تتبع أسلحة الدمار الشامل(واشنطن: منحة كارينجي للسلام الدولي 2002) ص11-12، كام و شابير، التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط ص252 الجدول رقم 17.

(58) راجع سورية: أسلحة الدمار الشامل- القدرات والبرامج، مركز دراسات منع انتشار الأسلحة النووية، موقع المعهد العالي للدراسات الدولية http://cns.miis.edu/research/wmdme/syrscud.htm.

(59) راجع ميشيل إيشنستادت، التسلح من أجل السلام؟ ضالة سورية المحيرة من أجل التكافؤ الاستراتيجي، أوراق السياسة 31 (واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى 1992) ص 51-52.

(60) راجع كام وشابير، التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط ص252 الجدول 17، مركز دراسات منع انتشار الأسلحة النووية، سورية: أسلحة الدمار الشامل- القدرات والبرامج. يصل مدى صاروخ سكود B في حده الأقصى إلى 300كم وصاروخ سكود C إلى 500كم وصاروخ سكود D إلى 700كم.

(61) راجع البيان لروبرت والبول، ضابط الاستخبارات القومية المسؤول عن البرنامج النووي والاستراتيجي

في جلسة الاستماع، تقييم الاستخبارات القومية لتطوير الصواريخ الأجنبية وتهديد الصواريخ البالستية لعام 2015 أمام اللجنة الفرعية لمجلس الشيوخ حول الأمن العالمي وانتشار الأسلحة النووية والخدمات الفدرالية، 11 آذار 2002، وشهادة مدير وكالة الاستخبارات المركزي جورج تينت، التهديد العالمي 2004: تحديات تغير السياق العالمي أمام اللجنة المنتخبة لمجلس الشيوخ حول شؤون الاستخبارات، 24 شباط 2004.

(62) حـــول تـــورط إدارة ريغان المشؤوم في لبنان والانسحاب فيما بعد، راجع لو كانون، الرئيس ريغان: الـــدور في الحياة (نيويورك: كتب بيروسوس 2000) الفصل 15،وبليام كواندت، سياسة ريغان في لبنان: المحاولة والخطأ، صحيفة الشرق الأوسط 28 رقم 2 ربيع 1984.

(63) للحصول على مناقشة حول التناوب في صياغة السياسة الأميركية تجاه لبنان، راجع جلسة الاستماع حول السياسة الأميركية تجاه لبنان، لجنة البيت الأبيض للشؤون الدولية، 25 حزيران 1997، تقرير منتدى السياسة الخاص، إعداد حبيب مالك وغرام بانرمان، لبنان، عملية السلام والسياسة الأميركية، معهـــد واشـــنطن لسياسة الشرق الأدنى،بوليسي ووتش 25/256 آب 1997، راجع أيضاً حبيب مالك،مـــابين دمشـــق والقدس: لبناد والسلام في الشرق الأوسط(واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشـــرق الأدنى 1997، الطبعة الثانية المنقحة 2000) غراي غامبل، السياسة الأميركية في الشرق الأوسط 3 رقم 3 آذار 2001.

(64) للاطلاع على نماذج تمثيلية عن مدى الجدال، راجع جيم هوغلاند، حان الوقت للتضييق على سورية، واشنطن بوست 16 أيلول 2004، مارثا كيسلر، الخطر في إخراج سورية من لبنان: إمكانية إخفاق المبادرات الدبلوماسية الغربية، لوس انجلس تايمز، ١ تشرين الثاني 2004

(65) حول تصنيف الولايات المتحدة لسورية كبلد إنتاج وعبور المواد المخدرة بشكل غير مشروع ومن ثم إزالة اسمها فيما بعد من القائمة الأميركية الرسمية لهذه الدول، راجع هيلاري مان، إزالة اسم سورية مـــن لائحـــة المخدرات- إشارة إلى دمشق؟، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، بوليسي ووتش 177، 10 تشرين الثاني 1997.

(66) ريموند تانتر، يضع سورية ضمن قائمة الدول الشريرة في، أنظمة شريرة: الإرهاب وانتشار الأسلحة النووية (نيويورك: مطبعة سانت مارتين 1999).

(67) إن مجـــرد ورودهـــا في قائمـــة الدول الراعية للإرهاب يفرض أربع مجموعات من عقوبات الحكومة الأميركية على سورية وهي: حظر صادرات و مبيع كل ما يتعلق بالأسلحة، ضبط تصدير المواد ذات الاســـتخدام المـــزدوج، منع المساعدات الاقتصادية، وما تصفه تقارير وزارة الخارجية بالقيود المالية المتـــنوعة (أبرزها قانونياً معارضة الولايات المتحدة على قروض للدول الواردة في لائحة الإرهاب من البـــنك الدولي والمؤسسات المالية الدولية الأخرى، رفض فرض الضرائب على الأشخاص والشركات الأميركـــية ذات الدخل المكتسب في هذه البلدان، رفض الإعفاء الضريبي على البضائع الصادرة إلى الولايات المتحدة من هذه البلدان). من اللافت هنا أن نظام طالبان في أفغانستان الذي لم يصنف رسمياً

كدولـــة راعـــية للإرهاب قد تعرض لعقوبات تجارية شاملة لمزيد من الاطلاع راجع، نماذج الأرهاب العـــالمي، وزارة الخارجية الأميركية، كاتزمان، الإرهاب، بول بيلر، الإرهاب والسياسة الأميركية الخارجـــية (بروكنغز 2001) ص158 و169- 173. حول مزيد من التفصيل عن تطبيق العقوبات الأميركية على سورية، راجع تانتر، أنظمة شريرة، ص187- 189.

(68) لقـــد حذفت إدارة كلينتون في دورته الأولى على سبيل المثال سورية من قائمة الدول الرجعية، راجع أنتوني ليك، مواجهة الدول الرجعية، الشؤون الخارجية 73 رقم 2 (آذار ونيسان 1994) 45-46. وحتى الرئيس بوش بعد هجمات الحادي عشر من أيلول أبقى سورية خارج محور الشر الذي أوردته في خطـــاب دولة الاتحاد عام 2002 حيث جعل أعضاء محور الشر وإيران والعراق الذي كان آنذاك تحت حكم صدام حسين وكوريا الشمالية.

(69) للاطلاع على البيانات الحديثة للسياسة الأميركية التي تتعلق بسورية، راجع شهادة جون بولتون نائب وزيـــر الخارجية لشؤون مراقبة الأسلحة والأمن الدولية لجنة العلاقات الدولية في البيت الأبيض، 16 أيلول 2003، بالإضافة إلى شهادة السفير ويليام بيرنز مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى، والســـفير كوفر بلاك المنسق الخاص لمكافحة الإرهاب أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، 30 تشرين الأول 2003.

(70) وصف الرئيس بوش سورية على أنها تحالفت مع الإرهاب الدولي في خطاب المنحة القومية للديمقراطية، 6 تشرين الثاني 2003، وفي 14 نيسان من ذلك العام ذكر الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض آري فليشر ووزير الدفاع رونالد رامسفيلد تقارير صادرة عن وكالة الاستخبارات المركزية عن أن سورية معـــروفة بامـــتلاكها مخزوناً من الأسلحة الكيماوية وأنها مستمرة في تطوير مزيداً من الأنواع القاتلة الأخرى.

(71) في خطـــاب المنحة القومية للديمقراطية قارن الرئيس بوش سورية بالعراق على أنها حكومة ديكتاتورية جلبت لشعبها العذاب والبؤس والقمع والدمار.

(72) راجـــع كليفورد كراوس، الولايات المتحدة ترحب بدفء العلاقات مع سورية البراغماتية، نيويورك تايمـــز 2 كانون الثاني 2002. اعترف مسؤولون في إدارة بوش علناً بالتعاون الاستخباراتي السوري ضد تنظيم القاعدة والجماعات السنية المتطرفة المرتبطة بها.

(73) في محاورات شخصية للمؤلف مع مسؤولين في وزارة الخارجية.

(74) باربرة سلافين،أميركا تحذر سورية: الخطوة القادمة غير أكيدة،أميركا اليوم 17 أيلول 2003، سوني إفـــران، سورية تتودد إلىأميركا وسط تهديد بالعقوبات، لوس انجلوس تايمز 17 شباط 2004. وهذه كانت ملاحظة المؤلف أيضاً أثناء خدمته كمدير أول لمبادرات الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي ما بين شباط 2002 وآذار 2003.

(75) غاري غامبل، العلاقات الخارجية لسورية: العراق، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 3 رقم 3، آذار 2001، غـــراي غامـــبلن سورية تسلح العراق، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 4 رقم 9، أيلول

2002، سين لوغلين، وزير الدفاع يذكر أفعالاً معادية، CNN 29 آذار 2003، هانز غريمل، المقاتلين الأجانب يقوا كتهديد في العراق، أسو شيتد برس، 15 نيسان 2003.

(76) في محاورات شخصية للمؤلف مع مسؤولين أميركيين.

(77) أقر مجلس النواب نسخة من القرار يوم 15 تشرين الأول 2003 وأقر مجلس الشيوخ نسخة معدلة يوم 11 تشرين الثاني 2003 وتبنى كلا المجلسين تقرير المؤتمر الذي انعقد حول القرار في 20 تشرين الثاني 2003.

(78) كريستوفر ماركيز، بوش يفرض عقوبات على سورية بداعي الإرهاب، نيويورك تايمز، 12 أيار 2004. أعلن الرئيس بوش تنفيذ قراري محاسبة سورية واستعادة السيادة اللبنانية في 11 أيار 2004، بالإضافة إلى الحظر المفروض على صادرات المواد ذات الاستخدام المزدوج باستثناء الطعام والدواء كان هنالك منع للرحلات الجوية بين سورية والولايات المتحدة وتجميد ممتلكات سورية معينة في الولايات المتحدة. والمهم في الأمر أن بوش اختار عدم تطبيق بعض الخيارات الصارمة في سلة العقوبات المفروضة في قانون محاسبة سورية مثل الحظر القطعي على سفر الممثلين الدبلوماسيين السوريين في الولايات المتحدة ومنع الشركات الأميركية من الاستثمار في سورية وتخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي بين أميركا وسورية. المكتب الصحفي في البيت الأبيض، تنفيذ قانون محاسبة سورية وقانون استعادة السيادة اللبنانية لعام 2003، 11 أيار 2004.

(79) حول نشوء بشار واطلاعه على الغرب، راجع سوزان ساكس، رجل في الأخبار: بشار الأسد الطبيب الشاب الخجول في رئاسة سورية، نيويورك تايمز، 14 حزيران 2000. في وصف متعلق لبشار نشر بعد وفاة والده بزمن قصير جاء وصفة: معسول اللسان، متجانس روحاً وطبعاً، معجب بأنغام فيث هيل وفيل كولنز المسجلة على جهاز تسجيل الموسيقا الرقمي. راجع هوارد شنايدر، سورية تتقدم بحذر نحو عصر الانترنت: ابن الأسد يشجع على التغيير، واشنطن بوست 27 نيسان 2000

(80) على سبيل المثال وصف الملك عبد الله ملك الأردن نفسه وبشار في وقت توليهما الحكم على أنهما يمثلان جيل الانترنت الحديث بين القادة العرب وأنهما سيقودان العالم العربي إلى القرن الحادي والعشرين. وقد عاد وفد أميركي برئاسة وزير الخارجية مادلين اولبرايت من الزيارة الرسمية الأولى للرئيس السوري الجديد وهم يحملون انطباعاً ايجابياً عن لهجه المعتدل واهتمامه بمتابعة عملية السلام، راجع جين بيرليز، ألبرايت تجد أن القائد السوري الجديد راغب في متابعة المحادثات، نيويورك تايمز، 14 حزيران 2000. وكان هنالك عدة شخصيات في الحكومة الاسرائيلية تبدي تفاؤلاً حذراً حول التغير الذي حصل في القيادة مما يوجد أملاً جديداً للمنطقة راجع ديبورا سونتاج، مع ذهاب الخصم القديم يرى الاسرائيليون أن الغيمة قد انقشعت، نيويورك تايمز، 12 حزيران 2000. للاطلاع على تحليل إخبارية حول بداية رئاسة بشار والتي ركزت على ميله للاصلاح، راجع سوزان ساكس، التحول في سورية: يرى السوريون في وريث الحكم إمكانية للتقدم، نيويورك تايمز، 11 حزيران 2000 و "لقد فعلها"، ايكونومست، 22 تموز 2000. تبعاً لتقرير نشر عن الأيام الأولى لبشار في

الحكم، كانت شعارات الرئيس المفضلة: التحديث والتكنولوجيا، راجع آندرو بورويك، الأسد عامل قوة في التغيير الاقتصادي ويبدي تحركاً تجاه المرونة السياسية، واشنطن تايمز، 22 تشرين الثاني 2000، وقـد وصفه تقرير آخر على أنه حاكم مولع بالتقنيات، سكوت بيترسون، لمية بشار الأسد لسورية، christian Science Monitor، 13 حزيران 2000. وللاطلاع على مقارنة بين بشار وقائد شاب آخـر هـو كيم يونغ الثاني الذي هيأه والده لخلافته، راجع ايلين سيولينو، إذا كان والدك ديكتاتوراً حـاول أنـت أن تكون ذلك الشاب اللطيف، نيويورك تايمز، 18 حزيران 2000. وللاطلاع على مناقشـة بصـيغة المقارنة حول تبدل الأجيال في سورية والأردن والمغرب، راجع دان إفرون، الحكام الشباب في الشرق الأوسط يواجهون العقبات من أجل الاصلاح، واشنطن تايمز، 21 حزيران 2000 و دافـيد بلوتـز، مجموعة الأطفال العرب: ألهم شباب مثيرون حنسياً ويديرون شؤون بلدان آبائهم، سليت 16 حزيران 2000.

(81) راجع آلان جورج للاطلاع على أول دراسة بحجم كتاب يتحدث عن رئاسة بشار ويركز على فشله كإصـلاحي حتى هذا التاريخ، سورية: لا خبز ولا حرية، لندن: كتب زد 2003. هنالك العديد من المحللين الذين انحازوا عن تفاؤلهم المبدئي ببشار في بداية رئاسته. هيلينا كوبان على سبيل المثال سخرت من فكرة أن يكون بشار قائداً ذي توجه غربي بشكل يعادل ملك الأردن عبد الله، اقرأ، لا شيء أكيد مـع أسـد سـورية الجديـد، Christian Science Monitor، 28 حزيران 2000. روى جون دانيسزوسـكي عدم سرور السوريين بقائدهم الجديد، ليس الجميع في سورية مفتونين بوريث الاسد: يتسـاءل المنشـقون عن مسيرة الابن الذي لم يخضع للاختبار نحو السلطة، وهم مرتابون حول ما إذا كانـت الحـياة ستتحسن، لوس أنجلوس تايمز، 7 تموز 2000. وفي كتابة لـه عند نهاية العام الأول لبشـار في الحكم، وصف يوسي بايداتز وجهات النظر المتضاربة عن قيادة بشار التي كانت تتولد في النقاشـات التي تدور حول رئاسته في الانقسام بين من يقول السيد بشار ومن يقول الدكتور الأسد. فالعـبارة الأولى تـتحدث عـن شاب أخرق منفصل عن الواقع السوري – اللبناني. والعبارة الثانية تـتحدث عن قائد شاب واعد ذو ثقافة غربية يميل إلى التحديث والتقدم التكنولوجي. راجع بايداتز، السـنة الأولى لبشار : من طب العيون إلى الرؤية القومية، معهد واشنطن للسياسة في الشرق الأدنى، مذكرة أبحاث 41، تموز 2001.

(82) راجع جورج، سورية، كلود صالحاني، سورية في مفترق الطرق، سياسة الشرق الأوسط 10 رقم 3

(83) راجع آلان ماكوفسكي، سورية بقيادة بشار الأسد: المشهد المحلي والنموذج الصيني للاصلاح، معهد واشـنطن لسياسة الشرق الأدنى، بوليسي ووتش 513، 17 كانون الثاني 2001. يعزز إيال زيسر هـذه الـنظرة أيضاً حينما يصف الرئيس الجديد مطوقاً بالحرس القديم الذي يخدم الرئيس مصالحهم ومشـدوداً بإحكـام إلى النظام السياسي الذي ورثه عن والده، راجع زيسر، هل يحكم بشار الأسد سـورية؟ فصـيلة الشـرق الأوسـط 10 رقم 1 شتاء 2003. للاطلاع على تحليل للمخاطر التي سـيواجهها بشـار في حال أقدم على إصلاح نظام المفاسد السياسية الموروث، راجع رولا خلف،

معارضة الحرب كلفت النظام في دمشق الكثير، فاينشال تايمز، 6 آب 2003.

(84) راجـــع غراي غامبل، دبلوماسية الأسد اليائسة، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 6 رقم 1، كانون الـــثاني 2004 حيث يرفض فكرة أن الحرس القديم المتسلط يقيد خيارات سياسة بشار ويصف بشار على أنه لاعب مستقل.

(85) راجـــع على سبيل المثال شهادة باتريك كلاوسن من معهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، 30 تشرين الأول 2003.

(86) في حوار شخصي مع المؤلف.

(87) يوجد تحاليل تعزز عناصر هذا النموذج في كتاب غامبل، دبلوماسية الأسد اليائسة، كريس سولنتروب، بشار الأسد: الأبله الشرير الذي يدير شؤون سوريا، سليت، 16 نيسان 2003، مارك غنسبورغ، بشار المحـــول، وبكـــلي ستاندر، 28 نيسان 2003، ماكس ابرامز، عندما يتحدى الشر العقل: سوريا بشار، فصلية الشرق الأوسط 10 رقم 4، خريف 2003، زيسر، سياسة بشار العربية، زيسر، سوريا والحرب في العراق، صحيفة ميريا 7 رقم 2، حزيران.



تركة حافظ الأسد.. ميراث بشار

لفهم التحديات التي تواجه بشار الأسد واستقاء المدلولات الصحيحة من هذا الفهم من أجل السياسة الأميركية، لابد من مراجعة الوضع السياسي والاستراتيجي الــذي مــر به في عام 2000، وبتعبير آخر، قبل التدقيق في سجل بشار كرئيس لسورية والنظر إلى الإمكانيات المستقبلية من الضروري أن نفهم المنجزات والفشل والعمل غير المكتمل الذي تولاه عن والده. كان حافظ الأسد القائد السوري الذي بقــي في الحكم لأطول فترة بعد الاستقلال وقد هيمن على السياسة السورية على مدى ثلاثة عقود وقد نجح في صياغة النظام السياسي الحالي والبنى الاجتماعية أكثر من أية شخصية أخرى[1]. وبذلك فإن النظام الذي يترأسه بشار ما زال إلى درجة هامــة هو النظام الذي ابتكره والده. لقد عمل حافظ الأسد أكثر من أي شخص آخر لتحديد موقع سورية في المنطقة وموقفها تجاه الأطراف الداخلية الهامة بما فيها الولايات المتحدة.

لهذه الأسباب تم تكريس هذا الفصل للتدقيق في الإرث السياسي الذي وهبه حــافظ الأســد لابنه وخليفته. يهتم هذا الفصل أولاً بطبيعة النظام الذي ابتكره حافظ الأسد والتحديات التي ستواجه بشكل حتمي الخليفة الذي سيدير أمور هذا الــنظام وتــركة السياسة الجوهرية لولاية حافظ الأسد كرئيس لسورية فيما يتعلق بالوضع الاقتصادي والسياسي الداخلي لسورية. وبعدئذ نحدد في هذا الفصل ماهية سجل السياسة الخارجية للأسد الأب في تطوير صورة التحديات الاستراتيجية التي تواجه ابنه.

الدولة التي بناها حافظ:

كان أهم إنجاز أساسي حققه حافظ الأسد كحاكم لسورية هو تحويل النظام السياسي السوري من نظام أنهكته الانقلابات ومن شبه الدولة في مرحلة ما بعد الاستعمار إلى نموذج حقيقي للاستقرار الفاشستي. وبقيامه بذلك أسس بنية السلطة في سورية التي استمرت في تعريف وتحديد الخيارات السياسية الجوهرية لابنه.

قبل أن يتولى الأسد السلطة في عام 1970 كانت السياسة السورية غير مستقرة إلى أقصى حد. بدءاً من عام 1949 أي بعد ثلاث سنوات من حصول سورية على استقرارها ولحين وصول الأسد إلى سدة الحكم فيما يسمى ثورة التصحيح في عام 1970، عانت سورية من عشرين انقلاباً عسكرياً أو محاولات انقلابية بمعدل انقلاب في السنة[2]. وحتى بعد وصول حزب البعث إلى السلطة في انقلاب عام 1963 استمر صراع التكتلات الكثيف داخل النخبة الحاكمة الجديدة في سورية. كان هنالك حدثين آخرين في الصراع على السلطة وذلك في عامي 1966 و1970 وكان في كل صراع أحزاب قيادية متنوعة تدعمها تكتلات في الهيئات الأمنية- العسكرية وذلك قبل ظهور الأسد كقائد أعلى لسورية.

وحالما تولى المكانة الأعلى تمكن الأسد من عكس النزعة نحو الاستقرار..فخلال فترة رئاسته واجه الأسد صراعاً مريراً ضد الأصوليين السنة الذين تحدوه على الحكم ما بين عامي 1976-1982 وكذلك أخوه رفعت الذي تحداه على السلطة لفترة وجيزة حينما تنحى الرئيس بشكل مؤقت بسبب إصابته بنوبة قلبية في عام 1983.إذا وضعنا هذه الأحداث جانباً نجد أن فترة ولاية حافظ كانت فترة استقرار سياسي بشكل غير مسبوق في تاريخ سورية الحديث. إن فهم مصادر ذلك الاستقرار يعتبر أمراً حاسماً في تقييم التحديات التي تواجه بشار الأسد اليوم.

دعائم الاستقرار:

لقد استند استقرار نظام الأسد عند تأسيه على ثلاثة دعائم.. وهي براعته

الفائقـــة والمطلقة تقريباً في السيطرة على وسائل السلطة، وإنشائه لقاعدة اجتماعية واســعة بما يكفي لإحكام قبضته على تلك الوسائل، وإقامة نظام رئاسي مركزي وشخصي إلى حد بعيد بدعم من الإعجاب القوي بشخصيته.

كـــان أول وأهم دعائم هذا الاستقرار نجاح الأسد في تعزيز وممارسة سيطرته على عتلات السلطة. وقد اتضح هذا التحكم في عدة طرق تتضمن:

- استخدام حزب البعث كأداة وفقاً لأسلوب لينين من أجل التعاون الشعبي مع عدد كبير آخر من المنظمات كاتحاد الفلاحين والاتحاد النسائي[3].
- استخدام الحزب بشكل أكثر كأداة لفرض سلطة النظام على أجهزة الدولة[4].
- استخدم وكالات الدولة ومشاريع القطاع العام كمستخدمين في الملاذ الأخير من أجل البرجوازية الحديثة المستقلة عن الدولة[5].
- إضـــفاء الصفة البعثية على الجيش، أو على نحو بديل خلق التكامل بين الجيش والحـــزب[6].وذلك بهدف التأكيد على دعم القوات المسلحة للنظام السياسي البعثي في سورية بعد عام 1963.

إلى جانب براعته الفائقة في التحكم بعتلات السلطة الهامة أوجد الأسد جهاز شـــرطة قســـرياً متطوراً جداً لقمع أي احتمال أو حقيقي يواجه النظام[7]. وعلى النقيض من صدام حسين، لم يكن الأسد سايكوباتياً في استخدامه للقمع والعنف. لقـــد وظف هذه الإجراءات كوسائل لمقاومة وصد ما يرى فيه تهديداً لنظامه. لقد تطـــرق ســـفير أميركي سابق في سورية إلى هذا الجانب حينما شبه حافظ الأسد بشخصية دون كورليون في رواية العرّاب وقال إن استخدام الرئيس السوري للقوة أو القســـر هـــو دوماً من أجل العمل وليس أمراً شخصياً. وللتيقن من ذلك، كان هـــنالك مع مرور الوقت درجة ما من التهدئة والتلطيف للشدة الوحشية في معاملة أولـــئك الخـــارجين عن النظام[8]. على الرغم من هذا التطور يبقى وضع حقوق الإنسان في سورية سيئاً وفقاً لأي معيار معترف به عالمياً وهنالك سجل مستمر من حالات القمع الوحشي تبقى جزءاً هاماً ولا مفر منه في تركة الأسد.

كـــان العديد من هذه التطورات في طريقه إلى الحدوث حينما وصل حافظ

الأســد إلى قمة السياسة السورية في عام 1970 وذلك مع وجود الأساس اللازم لذلك بعد انقلاب عام 1963 الذي أوصل حزب البعث إلى السلطة. ولكن حالما أبعــد زملاءه الذين كانوا ينافسونه على النظام بعد عام 1963 أوصل الأسد هذه الاتجاهــات المتواصلة في السياسة السورية إلى أعلى مستوى من التعقيد والحنكة. حيــنما عزز الأسد مكانته بعد عام 1970 استخدم سلطته المتزايدة لتوجيه عتلات الســلطة الهامة وهي حزب البعث والقوات المسلحة وجهاز الاستخبارات وجهاز الأمن كأدوات شخصيه له[9].

كانــت الدعامة الثانية في الاستقرار هي تعزيز الأسد لتحالف عناصر المجتمع الواســع بمــا يكفــي لدعــم إحكام قبضته على السلطة[10]. لقد استقى الأسد اســتراتيجيه الاجتماعية إلى حد كبير من الإيديولوجية البعثية ولكن ذلك اتصف بالمــنافع العملــية بالنسبة لنظام يمكن انتقاده بسهولة قصوى أنه ذا تعصب طائفي ضــيق في قاعدته، ففي الواقع هو بالنسبة للبعض أكثر بقليل من عصبة علوية[11]. تتضمن الصفات الأساسية لهذه الاستراتيجية ما يلي:

- علمنة الحياة السياسية والاجتماعية الأمر المتأصل في التزام البعثيين بالحرية وهذا يــروق لطوائــف الأقلــيات الســورية الذيــن يحددون هويالهم من منطلق ديــني(وهؤلاء هم المسيحيون والدروز والاسماعيليون بالإضافة إلى العلويين)، ولكــن هــذا لا يــروق للأقلــيات التي تحدد هوياتها من منطلق قومي(مثل الأكراد).
- الأجــندة الاقتصادية الشعبية، وهو أمر متأصل في الالتزام البعثي بالاشتراكية لحشــد الطبقة الوسطى الجديدة أو من هم بحكم الفلاحين في المجتمع السوري إلى جانب الأقليات المهمشة سابقاً وذلك بهدف دعم النظام[12].

إصلاح الأراضي في المناطق الريفية مما نتج عنه الدمج بين قطع أراضي صغار المــالكين والمزارع التعاونية تديرها الدولة في القطاع الزراعي وذلك بهدف حشد أكبر نسبة ممكنة من قطاع الفلاحين[13].

وبذلك لم تكن القاعدة الاجتماعية لنظام الأسد علوية بشكل صرف أو حتى

تحالف علوي أقليات طائفية أخرى في المجتمع السوري[14]. وبالإضافة إلى عناصرها من الأقليات، ضمت قاعدة النظام السنة الريفيين الذين لم يكونوا جزءاً من الجماعة السنية التي كانت تضم العلماء من رجال الدين والعائلات المدنية المرموقة،أو الذين لم يـنجذبوا إلى الإسـلام السياسي ممثلاً بحركة الإخوان المسلمين. لم تطالب هذه القـاعدة المؤلفـة من عدة مقومات بالكثير من الشرعية أو حتى القبول من جماعة السنة المدنيين وكان لابد من تعزيزها باستمرار من جانب جهاز الشرطة القسري والرغبة من جانب الأسد بممارسة الوحشية الحاسمة عليها إذا دعت الحاجة لذلك. ولكن مع ذلك كانت القاعدة عريضة بما يكفي لتقف في وجه التحديات الهامة التي واجهـت النظام في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينات من جانب جماعة الإخوان المسلمين التي كانت تسعى لحشد الغالبية السنية في سورية ضد نظام الأسد العلماني والهرطقي كما يراه الأصوليون[15].

- أجـرى الأسـد خلال فترة رئاسته الكثير من التحسينات على الاستراتيجية البعثـية الراسـخة وذلك بهدف توسيع القاعدة الاجتماعية للنظام من خلال الاحـتكام إلى الوعي الديني والمصالح الاقتصادية للجماعات السنية في المدن. فعـلى الساحة الدينية ومع عدم تخليه عن الالتزام الجوهري بالعلمانية، حاول الأسد طيلة فترة ولايته أن يتملق السنيين في سورية لكسب رضاهم من خلال إيماءات علنية متنوعة[16]. وفي المجال الاقتصادي سعى الأسد لإيجاد سبل ضمن الوقـائع والحقـائق والظروف الثابتة للسياسة الاقتصادية البعثية لتأمين مجال لعناصـر النخـبة السنية لإعادة ترسية وضعهم الاقتصادي[17]. لم يكن لديه نوايـا في منح سلطة جوهرية لهذه النخبة الاقتصادية أو بشكل أوسع الطبقة الوسطى السنية في المدن ولكنه أراد إن أمكن أن يختار منهم زملاء[18].

أضـاف الأسد دعامة ثالثة لاستقرار النظام إلى المزيج الراسخ من السياسات والتكتـيكات مـن أجـل المحافظة وتعزيز استقرار النظام البعثي في سورية. وهذه الدعامة الثالثة التي كانت أسدية بشكل فريد في صياغة مفهومها وتنفيذها هي خلق رئاسة مركزية وشخصية.

لم يكتف الأسد بأنه يشغل الموقع الأعلى في محيط سياسي غير مستقر بشكل سـيء السمعة فأعاد صياغة ذلك المحيط بشكل جديد وخلق نظاماً مركزياً بشدة للحكم الرئاسي واتخذ عن وعي نموذج جمال عبد الناصر في مصر. كان هذا النظام الرئاسـي القـوي تبدلاً جوهرياً مفاجئاً في التجربة السياسية السابقة لسورية. لقد مـنح هذا الموقع الجديد الأسد الأساس الذي يستطيع من خلاله التحكم الشخصي بعتلات السلطة وفي نهاية المآل السلطة المطلقة على كل شؤون الدولة.

لقـد نصب الأسد نفسه كرئيس وبدأ بوضع الأساس لنظامه في غضون سنة من صعوده إلى قمة الهرم السياسي في سورية وقام بصياغة النظام بدستور جديد في عـام 1973. عـزز هـذا الدستور وما جاء بعده من قوة الهيئة التشريعية اسمياً والائـتلاف الـذي تم بين البعث الحاكم والأحزاب التقدمية الأخرى فيما يسمى الجبهة الوطنية التقدمية[19]. رغم أن هذه الهيئات في الواقع لم تكن مؤسسات بأي معـنى سياسـي مقبول فإن السلطة الحقيقية بقيت بيد الرئيس و لم يكن هنالك أي مراجعة أو تدقيق حول تلك السلطة[20].

عـزز الأسد سلطته المركزية إلى أقصى حد بإنشاء حلقة داخلية مؤثرة لولايته أو مـا يعرف باسم الجماعة أو بصيغة ازدرائية الشلة[21]. اشتملت الحلقة الداخلية على عشرات من كبار المسؤولين في المجال الدبلوماسي والعسكري والاستخباراتي وقـد انتقاهم الرئيس انتقاءاً شخصياً وأغلبهم يربطه بهم تاريخ شخصي وفي بعض الحـالات روابط عائلية تجمعهم بالأسد بشكل مباشر. كان جميع هؤلاء المسؤولين يشـكلون شـبكة غير رسمية موثوقة تماماً لتنفيذ تعليمات الأسد وتعزيز سيطرته المركـزية عـلى المواقع الحساسة في الحكومة[22]. لقد تأتى اليقين بموثوقية أعضاء الحلقـة الداخلية ليس فقط من خلال الانتقاء الدقيق لهم وإنما أيضاً من خلال المنح الشخصية السخية والفرص الرابحة من خلال الفساد إما بشكل مباشر أو عن طريق أفراد العائلة[23].

كانـت الحلقـة الداخلية تابعة للأسد بشكل واضح طيلة فترة رئاسته. لقد حـافظ الرئيس على اتصالات مباشرة ومنتظمة مع هذه الشبكة غير الرسمية، يتلقى

المعلومات المجزأة ونادراً ما كان يقابلهم بشكل جماعي. وصف سفير أميركي سابق في سورية هذا الوضع بنظام "**المحور والبرامق**"[24] حيث يمثل الرئيس المحور الذي يتحكم بالبرامق بشكل مباشر وفردي في حين لا يكون للبرامق صلة ببعضها البعض.

خلال فترة ولاية الأسد عكس تشكيل الحلقة الداخلية التحالف العلوي-السني الريفي حجر الأساس في قاعدة النظام الاجتماعية. كان أهم ثلاثة أفراد في الحلقة الداخلية الذين عايشوا حافظ الأسد واستمروا في الخدمة بقيادة بشار ممن يسمون الحرس القديم هم من السنة من خلفيات ريفية أو بلدات صغيرة وهم نائب الرئيس عبد الحليم خدام ووزير الخارجية فاروق الشرع ووزير الدفاع مصطفى طلاس[25].

إلى جانب استطالة حلقة داخلية داعمة بقوة ومنظمة بشكل جيد دعم الأسد سيطرته على عتلات السلطة بخلق الإعجاب الواضح بشخصيته كقائد لسورية. لم يصل هذا الإعجاب بشخصية القائد إلى الحد الذي كان في العهد الفاشي في أوروبا أو الستاليني في الاتحاد السوفيتي وربما كان أقل مما حظي به عبد الناصر في مصر أو صدام حسين في العراق. ولكن الإعجاب الواضح بشخصيته كان مع ذلك السمة الواضحة التي ميزت نظام الأسد طيلة فترة ولايته كرئيس[26].

تحديات الخلافة:

رغم أن حافظ الأسد قد بذل جهوداً هائلة في تهيئة ابنه باسل وبعد وفاة باسل ابنه بشار ليخلفه في الحكم وعمل جاهداً لتمهيد الطريق لعملية انتقال هادئة إلا أن النظام الذي ابتدعه حافظ كان من الصعب على خليفته أن يبرع فيه بسهولة. وهذه الصعوبات بدورها وضعت قيوداً على الخليفة في الإقدام على مبادرات جريئة في السياسة حتى لو كان ميالاً لذلك.

هنالك على الأقل خمسة مشاكل محتملة وغير مترابطة يمكن التنبؤ بها وهي عدم النضج المؤسساتي في الرئاسة السورية والفشل في إظهار آلية خلافة لا تتسم

بالصفات الشخصية بشكل كامل، والتحديات المحتملة من داخل عائلة الأسد، وفجوة السلطة التي ارتبطت بشكل حتمي بالخليفة، وأجهزة صنع القرار السياسي المعد للركود.

عدم النضج المؤسساتي:

تدل الملاحظة الشائعة بين المراقبين لسورية أن هيمنة الأسد على الجيش والأجهزة الأمنية وحزب البعث والحكومة المدنية جعلت المؤسسات السياسية السورية كائتلاف الجبهة الوطنية التقدمية الحاكم ومجلس الوزراء والهيئات التشريعية ضعيفة[27]. ولكن يمكن تطبيق هذه الملاحظة نفسها على الرئاسة السورية نفسها.

لم تطور الرئاسة السورية بقيادة حافظ الأسد الامكانيات الحقيقة والجوهرية للسلطة التنفيذية الحديثة بل وضعت القيود على قدرة الخليفة في الإقدام على مبادرات السياسة الجريئة. علق سفير أميركي سابق في سورية عن أن زيارة رئيس سورية في قصر الشعب الذي يعلو قمة عالية تطل على دمشق هي أشبه ما تكون بزيارة للقصر المسحور حيث يصل المرء إلى مدخل القصر وهو نظير البيت الأبيض أو 10 داوننغ ستريت ولكنه أكبر بكثير من كليهما ثم يسير على مدى دقيقتين أو ثلاثة على طول مدخل واحد طويل ومن ثم صعود عدة مجموعات من الأدراج حتى الوصول إلى مدخل المكتب الرسمي للرئيس.. وعلى طول الممر يجتاز المرء عشرة مكاتب أو أكثر على جانبي الممر.. ويلاحظ المرء وجود ضباط الأمن أو المرافقين الآخرين المتواجدين في هذه المكاتب أو حولها.. ولكن من المستحيل أن تتبين أو تميز القيام بأي عمل سياسي جدي في هذه المكاتب.. لا يمكن رؤية تناظر واضح مع مجلس الأمن القومي أو مجلس المستشارين الاقتصاديين أو مكتب الإدارة والميزانية.. ويبدو القصر مقراً لرئيس ولكن ليس لرئاسة حقيقة[28].

يبدو أن بشار نفسه قد توصل إلى فهم دقيق إلى حد ما لهذه القيود المفروضة على بنية السلطة ونظام الحكم الذي ورثه عن والده. ففي مقابلة له مع المؤلف في 17 يناير/ كانون الثاني 2004 قال بشار إنه لا يملك القدرة

حالياً ضمن حدود الرئاسة أو التركيب البيروقراطي للوزارات والوكالات الأخرى لتطوير مبادرات إصلاح جدية في العديد من المجالات الهامة للسياسة. وحتى يتمكن من إصلاح وتجديد التكوين الإداري للرئاسة والحكومة المملّ، فمهما يكن ما يفعله في الميادين الهامة كالإصلاح الاقتصادي فسوف يكون هذا حسب تعبير بشار خاصية ارتجالية.

خلافة متسمة بصفات شخصية:

مع عدم التطور المؤسساتي في الرئاسة السورية خلال فترة ولاية حافظ الأسد تأتي الصعوبة المحتملة الثانية وهي الفشل في إظهار آلية خلافة لا تتسم بالصفات الشخصية بشكل كامل. لقد أصبح مبدأ المؤسساتية لعملية الانتقاء للخلافة مستحيلاً في سورية في الواقع بعد محاولة رفعت الأسد تولي السلطة في عام 1984. لقد قدر حافظ الأسد أنه لا يستطيع تعيين أي شخص خلفاً لـه فلربما شكل هذا الشخص تهديداً على سلطته الشخصية بالذات. وعلاوة على ذلك وجد أن تعيين خلف لـه من الممكن أن يعزز الرغبة لدى بعض الشخصيات في النظام التي تتمتع بقواعد سلطة مستقلة في القوات المسلحة أن يحاولوا الوصول إلى السلطة عوضاً عن البقاء في حالة انغلاق عن أي احتمال للتقدم نحو أعلى مراكز السلطة في سورية. وأثناء العقد الأخير في رئاسة الأسد بدا واضحاً بشكل متزايد بالطبع أن هدفه نقل السلطة إلى ابنه الأكبر، في البداية كان باسل، وبعد موت باسل في عام 1994 إلى ابنه الأكبر بشار(29). فكان في هذا ضمان أن خليفة حافظ سيضفي الشرعية على نفسه كحامل وفيّ للشعلة على الأقل في البداية وليس كإصلاحي جريء.

وهذه الحقيقة التي لا سبيل إلى تجاهلها جعلت من الصعب على الخليفة أن يضع منهجاً مترابطاً منطقياً للسياسة يختلف تماماً عن الطريقة الراسخة. قال أحد مستشاري بشار للشؤون السياسية للمؤلف أن ظهور وبقاء بشار وفياً لتركة حافظ هي أكبر عقبة في وجه قدرة بشار على إجراء الإصلاحات وذلك يفوق خطر أن يتحرك الحرس القديم ضده مباشرة[(30)].

ديناميات العائلة:

تشكل التحديات المحتملة من جانب الأفراد الآخرين في عائلة الأسد قيداً آخر على خليفة الأسد حتى ولو كان هذا الخليفة من داخل العائلة. إذا ما توانى الخليفة في أي وقت عن حماية مصالح العائلة واستقرار النظام، فإن أفراد عائلة الأسد الآخرين سوف يتحدون شرعية ذلك الخليفة. إن أكثر التحديات المباشرة جدية لسلطة حافظ الأسد جاءته من أخيه عندما تنحى حافظ مؤقتاً بسبب إصابته بنوبة قلبية. وجاء قمع حافظ الصريح لتحدي رفعت له فكان في ذلك إنهاءاً لمسألة القيادة الوطنية لصالح رئاسة الأسد وقضى بذلك على إمكانية حدوث أي تحد آخر من داخل العائلة. ومع ذلك كان هنالك افتراض قوي في أواخر التسعينيات أن رفعت يمكن أن يشكل تحدياً جدياً مماثلاً على خلافة أحد أبناء حافظ له[31]. ورغم أن هذا لم يحدث إلا أن تعاقب الأجيال في العائلة والقيادة الوطنية أعاد احتمال أن يواجه بشار في ظل الظروف المناسبة تحديات من جانب الأفراد الآخرين في العائلة.

من غير المستغرب أن بشار لم يتحدث علناً عن ديناميات عائلة الأسد إلا أن أعضاء السلك الدبلوماسي الغربيين ممن هم على معرفة مباشرة بالعائلة أشاروا إلى أن موقف بشار في العائلة ليس أمراً مضموناً. فبشرى أخت بشار الكبرى وزوجها آصف شوكت نائب مدير الاستخبارات العسكرية يشكلان- وفقاً لما قاله سفير أميركي سابق – ثنائي السلطة في دمشق كما أن طموحات بشرى لنفسها ولزوجها هي أمور معروفة تماماً في العاصمة السورية. وماهر الأخ الأصغر لبشار هو شخص تزداد سمعته سوءاً[32] لما يُعرف عنه من الجشع الشخصي والتورط في الفساد وكذلك عائلة مخلوف وهم أخوال بشار وخالاته وأبنائهم وبناتهم. بشكل لا مفر منه، تضيف هذه الحقائق طبقات من التعقيد إلى حسابات بشار حول دفع مبادرات الإصلاح إلى الأمام وخصوصاً الشفافية الإدارية وإنهاء الشركات المحتكرة مما قد يمس المصالح الاقتصادية لأفراد العائلة المهيمن.

سلطة مشكوك فيها:

لابـــد أن يعاني أي خليفة للأسد من فجوة في السلطة حتى ولو كانت (فجوة الوحشـــية) بالمقارنـــة مع سلفه. لقد أنشئ هذا النظام الرئاسي ليعزز سلطة حافظ الأسد في دوره كرئيس. وبعد تحقيق بداية خاصة لنشوئه حظي النظام بقبول النخبة العالمـــية بشـــكل مؤثر من خلال التفوق المتميز للرئيس الأسد. وبالنظر إلى تاريخه فلـــيس هـــنالك مـــن ســـبيل لخلفه سواء أكان هذا من داخل الحلقة الداخلية أو خارجهـــا، ومـــن داخل العائلة أو خارجها، أن يستلم الحكم بعده بشكل يمكن مقارنته ولو من بعيد مع السلطة الشخصية لحافظ الأسد وسجل الوحشية الحاسمة. كـــان الأمر الحتمي أن يواجه الخليفة تحديات في اتخاذ القرارات التي من المحتمل أن تثير الجدل والخلاف داخل الحلقة الداخلية وربما تتخطى حدود ذلك، وأن يسيطر على النظام ككل دون النظر إلى الثغرات المتراكمة من الأسد الأب.

المدلـــول الهام لهذا هو أن أيّ خليفة للأسد سيحظى بعلاقة سلطوية أقل مع الحلقة الداخلية للنظام مما سيجعل من الصعب عليه أن يرسم نمطاً جديداً للسياسة المحلية أو الخارجية. لاشك في أن هذه الفجوة السلطوية ستكون أكثر عمقاً بالنسبة لشـــخص مـــن الجيل الشاب أكثر مما سيكون الأمر عليه بالنسبة لأحد أصحاب المناصـــب الداخلـــية، حيث أن ذلك الشخص سوف يفتقر إلى المشاركة في الخبرة والـــتجربة والجيل الأمر الذي ساعد تاريخياً على إضفاء صفة الشرعية على الرؤساء الجدد في مصر. وبهذا الخصوص يُلاحظ أن مسؤولي الحرس القديم هم غالباً الرجال الذين يناديهم بشار باللهجة السورية المحكية "عمو". لقد أدى رحيل حافظ الأسد إلى خلـــق حالـــة منحـــت العناصر المتبقية من الحلقة الداخلية ومعاونيهم في البنية الحكومـــية الأوسع فرصاً متزايدة لتقييد المبادرات الرئاسية. أخبرني أحد مستشاري بشـــار أنه منذ وفاة حافظ الأسد قد تم تعيين حوالي ستة أعضاء في مجلس الوزراء السوري ممن يمثلون التفكير الجديد بشكل حقيقي. ولكن تأثير هذه المجموعة يبقى أمراً محدودا بسببٍ إحاطتهم بعدد كبير من الوزراء الذين يتخذون موقفاً دفاعياً عن الحالة الراهنة.

ركود الدهاء السياسي:

وفي الختام سوف يواجه أي خليفة يميل نحو الإصلاح السياسي الحقيقي وخصوصاً في المجال الاقتصادي عقبات هيكل صنع القرار السياسي الذي أنشأه حافظ الأسد لأغلب القضايا المحلية والاشتراك المهني للبيروقراطيين الذين يتعاملون مع تلك القضايا، قد تُركت القضايا الاقتصادية والمحلية كما نوهنا سابقاً لتتم معالجتها في مجلس الوزراء.فهنالك بالتالي نقص واضح لفرص مبادرات الإصلاح الجدي كونها قائمة أو تصدر عن عملية الفحص والتدقيق ضمن العملية السياسية الثابتة. كان حافظ الأسد يعين أحياناً الفنيين الأكفاء لرئاسة وزارات هامة والمثال الجيد هنا في شخصية محمد العمادي في وزارة الاقتصاد، ولكن هؤلاء كانوا يعملون بشكل حتمي وفقاً لخطوط التوجيه والإرشاد التي حددها حزب البعث وضمن السياق الأوسع لمجلس الوزراء الذي يسيطر عليه الموالون لحزب البعث وممثلو الإيديولوجيات الآمنة للأحزاب الأخرى في الجبهة الوطنية التقدمية ويرأسه رؤساء وزراء ممن يكونون عموماً مهتمين ومعنيين بأمر توازن المصالح لمختلف أنصار النظام أكثر من اهتمامهم بصياغة سياسة قوية متماسكة.. وهذه العوامل جميعها تضعف من تأثير الفنيين الأكفاء.

كانت النزعة تجاه الركود السياسي داخل مجلس الوزراء تتعزز من المستوى الأدنى فقد كانت المكاتب الوزارية تعج بحشود من الموظفين المدنيين العاديين المحصنين في وظائفهم على مدى عقود فترة ولاية الأسد. كانت الإجراءات الليبرالية المحدودة التي قام بها الأسد تدمج مجموعات من طبقة التجار السنة وخصوصاً في دمشق في القاعدة الاجتماعية للنظام وتشجع على درجة هامة من استقلالية القطاع الخاص عن الدولة.

يبدو أن بشار الأسد يعي هذه الدينامية بذكاء. رغم إحجام بشار عن التطرق لوجود الحرس القديم في بداية رئاسته إلا أنه مع مرور الوقت بدأ بتحليل بعض العقبات الجهازية التي تواجه التغيير في الحكومة السورية بمصطلحات تعبيرية فضفاضة للحرس القديم[33]. وفي كانون الثاني 2004 على سبيل المثال أخبر بشار

المؤلـف أنـه مـن الخطأ التفكير أن الحرس القديم هم ببساطة اثنان أو ثلاثة من المسؤولين الكبار الذي يشغلون مراكز مرموقة في قمة تركيبة السلطة السورية. لابد مـن النظر إلى الحرس القديم على أنه شبكة أوسع بكثير من البيروقراطيين العاديين والمـتحجرين المحصنين في وظائفهم على مدى عقود. ويمتد الحرس القديم إلى قطاع خـاص بالاسـم فقـط و إلى درجة كبيرة جداً، وهنالك شرائح هامة مما يسمى القطـاع الخاص في سورية لطالما اتكلت على إجراءات خاصة مع أقسام مختلفة من الدولـة في معظـم أعمالهـا[34]. ونـوه بشار إلى أن هذه الشراكة غير الصحية للبيروقراطـيين المؤيديـن للوضـع الراهن وحلفائهم المفضلين في القطاع الخاص يشكلون عقبة حقيقية في وجه التغيير.

الميراث الاقتصادي:

سـوف تشكل هذه التحديات الخمسة اختباراً حتمياً للخليفة وخصوصاً إذا كـان ذلك الخليفة ابن حافظ الأسد. ولكن الأسد الأب ترك لبشار تركيباً لسلطة صـعبة التدبير وتركة ضخمة من الأعمال غير المنتهية على الصعيد المحلي. ويصح هذا على التطوير الاقتصادي لسورية والسياسة الداخلية والديناميات الاجتماعية.

خـلال كل فترة رئاسته، لم يتجاوز الأسد التسويات التكتيكية المحدودة، التي سـبق وصفها، لتبديل الإطار الأساسي في اشتراكية الدولة للاقتصاد السياسي. لم يكـن حافظ الأسد مدركاً بشكل جوهري وهذا من دواعي سعادته، للحاجات والحقائق الاقتصادية الملحة التي لا سبيل لتجاهلها والتي أوردها توماس فريدمان في صورة "قيود من ذهب" وهي مجموعة من الإجراءات مثل تحويل العملة والتقليل من القـيود المفروضة على الواردات وتخفيض العقبات التي تقف في وجه الاستثمارات الأجنبية وخصخصة مشاريع الدولة والتخلص من الإعانات المالية ومحاربة الفساد، وهـذه الإجـراءات تحـدد معـالم الاقتصاديات الراكدة والمنغلقة سابقاً في عهد العولمـة[35]. لقـد كان موقف الأسد تجاه العولمة في الواقع موقف التجاهل الذي يـتممه الارتـياب الغامض. ينعكس جهله للاقتصاديات الأساسية في قصة رواها دبلوماسـي أميركي كان قد زار سورية في عام 1990، فقد ذكر الأسد الأب في

تحاورهما تقارير حديثه عن النسبة المئوية المرتفعة لعدد سائقي التاكسي في دمشق والدرجات الاحترافية العالية في مجال الهندسة والطب كدليل على نجاح سورية في المجال الاجتماعي – الاقتصادي[36].لدى الأسد القليل من الخبرات في المجال الدولي مما لا يكفي لاضطلاعه بحقائق ووقائع النظام الاقتصادي العالمي. وقبل أن يصبح رئيساً اقتصرت خبراته فيما وراء البحار على إقامته في مصر ومن ثم في الاتحاد السوفيتي لتلقي التدريب والخدمة كطيار حربي وكان قد أمضى صيفاً في بريطانيا العظمى في مكان منعزل بعيداً عن الصراعات الضروسة بين الشخصيات القيادية في نظام البعث السوري بعد انقلاب 1963[37].

كان الهدف المهيمن على السياسة الاقتصادية السورية خلال فترة رئاسة الأسد هو تجنب أي نوع من الأزمات الاجتماعية – الاقتصادية التي يمكن أن تهدد استقرار النظام. كان الأسد يعتقد- وربما كان مصيباً في ذلك – أن السبب المباشر الأهم في اندلاع الثورة الإسلامية عام 1976. كان الانحدار شديداً في الأداء الاقتصادي ومستوى المعيشة في سورية[38] وخلال ما تبقى من رئاسته عزم الأسد على تجنب أي انخفاض وانكماش في النشاط الاقتصادي يودي إلى زعزعة الاستقرار بشكل مماثل مع تجنب إثراء التجار السنة بشكل مفرط. ومن هذا المنظور بدت الخسائر القريبة إلى متوسطة الأجل للتسوية الهيكلية غير جذابة بلا ريب.

كان الأسد قادراً على تجنب أن يجد نفسه مجبراً على تنفيذ إصلاحات شاملة ومستمرة في اقتصاد سورية الذي كان عتيق الطراز بشكل متزايد من خلال إجراءات جوهرية بسبب التطورات خارجية المنشأ التي من شأنها في الأوقات الحاسمة أن تخفف من الضغوط المتزايدة من أجل إعادة التفكير بشكل جوهري في السياسات الاقتصادية الأساسية لنظامه[39] .وقد تلقى الأسد المساعدة من إحاطته بشبكة اجتماعية ومحلية آمنة كانت تأتيه على الأغلب من العائلات وإلى مدى أقل من المساجد والكنائس والهيئات الدينية الأخرى. تشير دراسة حول وضع حقوق الإنسان في سورية والتي تكون عادة انتقادية جداً إلى أن سورية ليست مبتلاة بالفقر المدقع الذي يسم العديد من دول الشرق الأوسط ولا يوجد مدن أكواخ

حول مدنها كما أن سوء التغذية يعتبر أمراً نادراً[40]. هنالك تكيف أفضل إلى حد ما بالنسبة للواقعين تحت ضغوط اقتصادية في المجتمع السوري بالمقارنة مع أي مكان آخر في المنطقة مما يخفف من التأثير الاجتماعي والسياسي لتدني النشاط الاقتصادي.

وفقاً لهذه التطورات، لم يشغل حافظ الأسد نفسه بشكل جدي طيلة فترة رئاسته على الإطلاق بعملية أو جوهر إصلاح سياسة الاقتصاد والتسوية الهيكلية كما ورد وصفه في ما يسمى اجتماع واشنطن. وفي عام 1991 وافق الأسد على إصلاح الوضع القانوني والتنظيمي للاستثمارات الخارجية وذلك من خلال سن قانون الاستثمار رقم 10. ولكن سرعان ما تشظى على هوامش اشتراكية الدولة في سورية[41]. لم يستطع الأسد التوجه إلى الولايات المتحدة من أجل الحصول على الخبرة التقنية حيث أن تصنيف سورية كدولة راعية للإرهاب بدءاً من عام 1979 يعني أن الولايات المتحدة مقيدة بحكم قانونها بعدم تقديم المساعدة الاقتصادية لدمشق. وخلال العقد الأخير من رئاسة الأسد لم تطور سورية آية علاقات دولية أخرى يكون من شأنها مساعدتها في رسم مسار الإصلاح الاقتصادي الجدي على الرغم من لقاءات الأسد المتكررة مع مدير البنك الدولي جيمس وولفنسن خلال التسعينيات[42].

وكنتيجة لهذا السجل فإن خليفة حافظ الأسد سوف يواجه في النهاية جميع هذه التحديات السياسية التي يفرضها اقتصاد اشتراكي لم يخضع للإصلاح في خضم نظام العولمة الدولي في فترة ما بعد الحرب الباردة. وفي الواقع ليس من المبالغة القول في أن الاقتصاد الذي ورثه بشار عن أبيه كان مشدوداً بإحكام إلى زيغ التخطيط المركزي[43]. بقي القطاع العام ضخماً بمشاريع غير فعالة تملكها الدولة وتوظف ما يزيد عن نصف القوة العاملة في حين أن 23% من القوة العاملة تعمل في مكاتب الحكومة[44]. استمرت القوانين المفرطة والظروف الاقتصادية الرديئة في إعاقة المقاولات والمبادرات في القطاع الخاص. على الرغم من إعلان قانون الاستثمار رقم 10 بقي هنالك إهمال للاستثمارات الأجنبية بسبب البيئة البيروقراطية غير

المضيافة والفساد[45].

وبالإضافة إلى ذلك كان الاقتصاد يفتقر إلى التنوع في مصادر الدخل بشكل خطير. خلال العقد الأخير من رئاسة حافظ الأسد أصبح الاقتصاد السوري يعتمد على النفط بشكل متزايد مما جعله القطاع الرائد في صادرات سورية لتلك الفترة. ومـع نهاية التسعينيات شكل القطاع النفط 20% من إجمالي الناتج المحلي لسورية وثلثي صادراتها وحوالي نصف عائدات الحكومة. وبعد .. وفي الفترة الانتقالية من حـافظ إلى بشـار انخفض إنتاج النفط في سورية من حقول النفط القديمة وتوقع المحللـون أن تعود سورية إلى استيراد النفط في غضون بضع سنوات[46]. وكانت المكاسب التي تأتي من الزراعة وهي مجال هام وتقليدي في النشاط الاقتصادي وتمثل ثـاني أهـم قطـاع صادرات في الاقتصاد السوري بعد النفط، تعتمد بشكل هام ومتقلب على نسبة الهطول والأحوال الجوية الأخرى[47].

وعلاوة على ذلك كله كانت سورية التي ورثها حافظ الأسد لابنه تشبه نص كـتاب يـتحدث عن سلسلة مترابطة من التوسع الديمغرافي والانجاز الاقتصادي الضـيق والـرديء الذي تتصف به العديد من دول الشرق الأوسط. ورغم تباطؤ نسـبة نمو عدد السكان السنوي في سورية إلا أنها تبقى من أكثر النسب المتسارعة للاتسـاع السـكاني في العالم[48]. نصف سكان سورية تقريباً هم دون الخامسة عشـرة من العمر مما يخلق الصورة الديمغرافية الكلاسيكية لبروز الفئة الشابة حيث يكـون هنالك كل سنة 200,000 مستعد لدخول سوق العمل في سورية[49]. لا يسـتطيع القطـاع الخاص الضعيف والقطاع العام المثقل بالموظفين تأمين وظائف كافية لامتصاص العدد الشاب المتزايد من القوة العاملة وبالتالي وجود نسب مرتفعة مـن حـالات البطالة بين الشباب[50]. عند فترة الانتقال من حافظ إلى بشار قدّر الخـبراء الدوليون أن على سورية أن تصل وتحافظ على نسبة ثلاثة أضعاف النمو الحقيقي في مجال الاقتصاد لتحقق التوازن مع تزايد القوى العاملة والحد من البطالة المزمـنة والوظـائف الـثانوية المؤقـتة[51]. من الواضح أن هذا التوسع في الأداء الاقتصادي لا يمكن أن يتحقق دون إجراء تسوية هيكلية جوهرية.

وهكـــذا، فـــإن الوضع الاقتصادي الذي ورثه بشار الأسد يجعل قدرته على وضع سورية على مسار اقتصادي أكثر ايجابية أكبر تحدٍ يواجهه. منذ بداية رئاسته وحينما ألقى خطاب التولية أقر بشار نفسه بأهمية تحسين مستوى الأداء الاقتصادي لســـورية[52]. وصف بشار مؤخراً في كانون الثاني 2004 للمؤلف إحساسه بأن الإصـــلاح الاقتصادي هو حجر الأساس الأهم للإصلاحات الاجتماعية والسياسية الملحة بصورة عاجلة في سورية.

ولكن ومع وجود الصعوبات التي مازال بشار يواجهها في سبيل إدارة هيكل السلطة الذي ورثه، تكون مهمة الإصلاح الاقتصادي والتسوية الهيكلية في سورية أمراً مثبطاً للهمة أكثر مما هو عليه الحال في العديد من البلدان النامية. يواجه بشار تحدياً طاغياً في موازنة الضرورات المتعلقة بالتحرر الاقتصادي في سورية مع الواقع الملح لتعزيز سلطته كرئيس والمحافظة على هذا الموقع.

السياسة والمجتمع المدني:

إن أهـــم تحدٍ محلي طويل الأمد في المجالين السياسي والاجتماعي تبقّى من عهد رئاســـة حـــافظ الأسد هو الانقسامات الطائفية التي لم يتم حلها في المجتمع السوري مـــابين الغالبية السنية من جهة والتنوع العرقي والديني لمختلف طوائف الأقليات من جهـــة أخرى. يشكل هذا الانقسام الذي لم يلق حلاً تحدياً هاماً لخليفة الأسد وذلك لعـــدد من الأسباب وأبرزها تواجد العديد من الأقليات في النظام. وكما رأينا أنفاً، كـــان حـــافظ الأســـد قادراً على كسب دعم طوائف الأقليات الأخرى في سورية بالإضافة إلى قاعدته العلوية كما أنه حظي بالتأييد السلبي من السنة في الأرياف الذين اســـتفادوا من السياسات الاقتصادية البعثية كإصلاح الأراضي في الريف الأمر الذي جـــرد وجهاء المدن السنيين من مكانتهم التقليدية كمالكين متغيبين للأراضي[53]. حـــاول الأســـد على مدى فترة رئاسته التوقف عند عدة نقاط وبعدة طرق العمل حرصـــاً عـــلى مصالح وحساسيات السنة في المدن للتخفيف من معارضتهم لنظامه واختـــيار العناصر المهمة من الطائفة السنية.. رغم أن هذه الجهود لم تنجح إطلاقاً في رأب الصدع الطائفي في المجتمع السوري بشكل نهائي.

اتضحت هذه الحقيقة على نحو دراماتيكي جداً في ثورة الإخوان المسلمين ضد نظام الأسد في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات[54].كان القمع الوحشي لهذه الثورة في مدينة حماة عام 1982 اللحظة الواضحة للاستقرار المحلي لرئاسة حافظ الأسد.. وما يشعر به السوري المعاصر الآن تجاه ما حدث في حماة يكشف إلى حد كبير توجهه السياسي، كما أن الطريقة التي يفسر بها المحلل الخارجي ما حدث في حماة يعكس الكثير عن نظرته للثقافة السياسية السورية ونظام الأسد. وضمن هذه الفئة الثانية تبقى ملاحظات توماس فريدمان حول حماة ذات انطباع خاص.. فهو يقول بأنه في الواقع هنالك داعٍ لتفسير أحداث حماة بثلاثة طرق في آن واحد: كصراع قبيلة معينة اتقاء لتحد مميت من جانب قبيلة أجنبية.. نعم.. وكرد فعل حاكم مستبد في الشرق الأوسط لا يحظى بالشرعية الكاملة من شعبه ويواجه تهديداً جدياً على حكمه.. لا شك في ذلك..، ولكن أيضاً كرد فعل سياسي حديث في دولة قومية حديثة نسبياً ويحاول أن يدرأ عن نفسه عناصر التراجع والقهقرى التي تهدف إلى تقويض دعائم إنشاء نظامه السياسي العلماني[55] .ويحمل التفسيران الأخيران لفريدمان الكثير حول طبيعة نظام الأسد، في حين أن تفسيره القبلي الأول يقدم حقيقة لا مفر منها حول المجتمع السوري.

وبهذا الخصوص لم يكن للقمع الناجح للتحدي المسلح للإخوان المسلمين ضد نظام الأسد أن يودي إلى التغيير في الواقع الأساسي للانقسام الطائفي في سورية. ومن الواضح أن حركة الإخوان المسلمين نفسها لم تتمكن من التعافي تنظيمياً من الضربة التي تلقتها في حماة[56]. ولكن الانقسام الطائفي استمر في المجتمع السوري. لقد أدرك الأسد الأب هذا واستمر في محاولاته، حتى في السنوات التي تلت مواجهته للإخوان المسلمين في حماة، للتخفيف من الحساسيات السنية[57]. وتعززت الانقسامات الطائفية بسبب الاتجاهات المستمرة في المجتمع السوري وخصوصاً زيادة شدة النزعة الإسلامية لدى الغالبية السنية[58]. وعلاوة على ذلك أنه مع تقدم المدينية منذ عام 1982 فقد تحول التوازن ما بين السنة المدنيين والسنة الريفيين لصالح السنة المدنيين مما خلق محبطاً اجتماعياً من الممكن أن يكون أكثر

مساعدة على إحداث تمرد إسلامي مما كان عليه الحال في بداية الثمانينات[59].

ليست النزعة الإسلامية في المجتمع السني أمراً يقتصر على سورية، رغم أنه إذا نظرنا إلى تاريخ سورية الحديث نجد لذلك الأمر أهمية هنالك حيث أن ذلك يجعل شبح تمرد الإخوان المسلمين وبالتالي حكم الإسلاميين في سورية أمراً طاغياً. ولكن هـــنالك أســـباباً تدعو إلى الجدل حول أن الانفتاح السياسي الحقيقي في سورية لا يعني بصورة تلقائية افتراض وصول(الإخوان المسلمين) السلطة. ويقترح ناشطون في المجتمع المدني من ذوي التوجه والمعتقدات الليبرالية و غير الإسلامية فكرة أن وجود الـــبديل المتمثل في الحركة الإسلامية التي تقرها الدولة والتي أسسها ويديرها المفتي الأول احمـــد كفـــتارو أدى إلى انتهاك بعض المواقع في سورية التي كانت تاريخياً معـــاقل خاصة بالإخوان المسلمين[60] . ربما تكشف السياسة السنية في سورية في بيـــئة أكثر انفتاحاً عن مزيد من التعقيد وفوارق طفيفة للمزاعم التي يمكن التنبؤ بها للتأييد الانعكاسي للإخوان المسلمين.

مهمـــا تمكن المرء من تقييم فرص تمرد الإخوان المسلمين فإن النزعة الإسلامية المســـتمرة لدى السنة في سورية تؤكد على أن التلطيف من الانقسام الطائفي من خـــلال إيجـــاد نوع ما من (توهين) الهوية الطائفية يبقى التحدي الأهم اجتماعياً وسياســـياً الـــذي يواجه بشار الأسد، ويبقى كذلك ذي أهمية حاسمة في التحرير السياسي الناجح على المدى الطويل في سوربة. إن الترياق الأهم ضد تمرد إسلامي متوقع قد يكون:

أولاً- التحديـــث الاقتصادي والأمر الأكثر فاعلية هو دمج سورية في النظام الاقتصادي العالمي.

ثانياً- تطوير مجتمع مدني قوي ونشيط كأساس للتحرر السياسي. لقد ناقشنا الـــتحديات الاقتصادية التي ورثها بشار الأسد عن والده آنفاً. وفيما يتعلق بتطوير المجـــتمع المدني في سورية فقد حملت تركة حافظ الأسد من رئاسته، لخليفته أعمالاً هامة غير منتهية.

ورد في الدستور السوري – المادة رقم 39 – حق الشعب السوري في إقامة

منظمات في المجتمع المدني ولكن هذا بالكاد يمكن أن نراه حقيقة واقعة في سورية في ظل نظام الأسد. خلال عهد حافظ الأسد كان هنالك حفنة من المفكرين السوريين مثل صادق العظم ومحمد عزيز شكري تمكنوا من أن يكونوا من واضعي النظريات للمجتمع المدني في الثمانينات مع التمتع ببعض الحرية في نشر آرائهم علناً وتطوير بعض الروابط خارج المنطقة[61]. عبث النظام –وخصوصاً في بداية التسعينيات– ببعض إجراءات التحرر الجمالية بشكل واسع فظهر بعض الناشطين وبعض المنظمات الناشئة في المجتمع المدني[62]. ولكن تم حظر نشوء هيئات سياسية مستقلة من خلال استخدام الحكومة لقوة الطوارئ الثابتة لقمع الشخصيات المعارضة. بالمقارنة مع ما يحتاجه نظام الدولة للتمهيد للتحرير السياسي الحقيقي، يبقى المجتمع المدني في سورية متخلفاً"[63]. وهكذا ومع الوضع المحلي الذي ورثه بشار الأسد عن والده في عام 2000، يشكل موقف الرئيس الجديد تجاه تطوير المجتمع المدني اختباراً هاماً آخر يواجه إدارته.

سجل السياسة الخارجية:

في إدارته للشؤون الخارجية لسورية على مدى ثلاثين عاماً طور حافظ الأسد إستراتيجية كبرى لبلاده مازالت تشكل شرطاً في خيارات واختيارات السياسة الخارجية لابنه. كانت مقاربة الأسد الأب للسياسة الخارجية مزيجاً صلباً من الإيديولوجية والتفكير الماكيفالي الحذر. ما كان من إطلاع الأسد التأسيسي على الأيديولوجية البعثية من جهة إلا أن وضعه في موقع الارتباط العميق بالأفكار الوطنية العربية وحكاياها[64]. ويبدو أن الأسد قد رأى في نفسه(صلاح الدين العهد الحالي) يقود الصراع العربي المقدس ضد الصليبيين في القرن العشرين من أوروبا والولايات المتحدة وإسرائيل[65].

مع تطور تفكير الأسد بالشؤون الإقليمية في السنوات التي آلت إلى ارتقائه السياسي إلى سدة الحكم في عام 1970، يبدو أنه هجر عاطفة التأييد للعروبة لصالح نظرة التأييد لسورية. تشكل فكرة سورية الكبرى مرجعاً هاماً في مقاربته للتفكير بموقع سورية في المنطقة، وطموحاته السياسية والإستراتيجية في لبنان

وموقفه تجاه إسرائيل وتوقعاته للدول العربية الأخرى[66]. ومع تطور إطاره الاستراتيجي تمتع الأسد بإحساس مرهف دوماً استناداً إلى تكوينه البعثي وكان يرى بأن الخيانة الأوروبية الاستعمارية قد ثلمّت إمكانية الوحدة العربية سواء أكانت من منطلق عربي شامل أو سوري شامل، وأن إقامة دولة إسرائيل بمساندة أميركية وغربية إنما هي فعل امبريالي من الطراز الأول[67].

وفي الوقت ذاته كان خصوم الأسد وحلفاؤه على السواء يرون أنه يمارس ذكي إلى أقصى حد لسياسات القوة وأنه من غير المحتمل أن يدع الإيديولوجية أو الطموحات الجليلة تقف في طريق سعيه الفعال لتحقيق مصالح نظامه[68]. كان صراع القوى البعثية الداخلي الذي وصل الأسد إلى السلطة في عام 1970 في جوهره صراعاً بين المقاربة الإيديولوجية الشديدة للبعثيين الراديكاليين الساعين لجعل سورية سنان ثورة عربية شاملة وحرب التحرير في فلسطين و أصحاب الميول الأكثر واقعية بين هؤلاء مثل الأسد الذي كان يرى أن هذا النوع من المعاداة الفوضوية هو الذي أدى إلى هزيمة سورية في حرب 1967 مابين العرب وإسرائيل. كان الأسد طيلة فترة رئاسته يحدد ويعكس رؤيته الإيديولوجية من خلال موشور توازن القوى في مقاربته لقرارات السياسة[69].

كان الأسد وفقاً لكل المعايير مفكراً استراتيجياً عبقرياً وكان يضع دوماً مجموعة طويلة الأمد من الأهداف السياسية التي تنطلق من نظرته القومية العربية وتقديره المعتبر لتوازن القوى في المنطقة. ومن هذه الأهداف كان الهدفان الأكثر أهمية متداخلين يشكلان جوهر السياسة الخارجية للأسد وهما: احتواء ما كان القائد السوري يراه طموحات الهيمنة الإسرائيلية في المنطقة واستباق عزلة سورية دبلوماسياً. كان الأسد من الناحية التكتيكية حذراً للغاية في الطريقة التي يتحكم بها بخيوط السياسة الخارجية السورية ولكن ما من أحد يرتاب في أنه قد دمج هذه الخيوط معاً لتشكل استراتيجية شاملة للسعي من أجل تحقيق أهدافه على المدى الطويل[70].

كانت مسألة احتواء إسرائيل الصفة الدامغة لسياسة حافظ الأسد الخارجية..

وطــيلة فــترة رئاسته، كرس الأسد صورته بأنه الزعيم العربي الراسخ في مقاومته لإســرائيل. ولكــن مقاومة الأسد كانت أكثر من مجرد صورة يرحب بها الشارع العــربي والسوري.. فطيلة حياته العامة حمل الأسد صورة سلبية إلى أقصى حد عن إســرائيل حيث كان يراها ليس فقط المركز الامبريالي الأول وإنما أيضاً الجار المولع باكتســاب الأراضــي لكي تصبح القوة المهيمنة في المنطقة[71]. وإذ حدث ذلك حسب منظور الأسد فهذا يعني نهاية أي أمل في تقرير المصير العربي بشكل حقيقي. وفي الوقت الذي أصبح فيه حافظ الأسد قائداً لسورية كانت إسرائيل قد انتزعت مــرتفعات الجولان من السيطرة السورية في حرب 1967 بعد سنوات عديدة من المناوشــات الحدوديــة والغارات.. وتخلى الأسد بشكل فعلي عن كل طموحات الشباب التي كانت لديه كيلا يعيد كارثة عام 1948 وفهم أن دولة اليهود لابد إلا وأن تقوم ولكن يبقى خوض المعركة حول الشروط التي تقوم عليها[72]..

وفــيما يــتعلق بالحقيقة الملحة التي أدركها الأسد في ضرورة احتواء النفوذ الإسرائيلي في المنطقة، كان هنالك ضرورة قوية بشكل معادل وهي تجنب التهميش الدبلوماســي. وكمــا أشرنا آنفاً كان الأسد قلقاً بشكل مستمر حول أن تصبح ســورية محاطة بأنظمة مؤيدة للغرب وترغب في التعايش مع إسرائيل. وفي سيناريو كهذا سوف تصبح سورية معزولة وفي حالة تهميش عن الدبلوماسية الإقليمية. لن يكون لدى الولايات المتحدة وإسرائيل كامتداد لها أي حافز للاهتمام بمظالم سورية المشروعة في الميدان العربي- الإسرائيلي أو للتكيف مع مصالحها الإقليمية الأخرى.

لقد دمج الأسد خيوط سياسته الخارجية في مقاربة انضباطية سعياً وراء تحقيق هدفــيه الاســتراتيجيين الطاغيين. وفي هذه المقاربة الاستراتيجية المؤكدة والمتقنة بعــناية، شكل الأسد تركة تمثل مرجعاً هاماً لخليفته. وليس من المبالغة القول بأن الأســد في دمجه لمختلف خيوط السياسة الخارجية لسورية سعياً وراء تحقق أهدافه الاســتراتيجية طويلــة المدى يكون قد خط بيده ألفباء تدابير شؤون الدبلوماسية الســورية وأمنها القومي الذي تأصل في خبرته التي دامت ثلاثين عاماً كقائد وطني وقد ترك ذلك كله لابنه. وهذه الألفباء لا تعكس فقط حدسه بالسياسات اللازمة

للمحافظة على موقع سورية الإقليمي والدولي والمحافظة عليه،وإنما أيضاً فكرته عن حقائق وظروف السياسة الخارجية الجوهرية اللازمة للمحافظة على استقرار النظام الـــذي أنشأه. يمكن القول من منطلق تحليلي أن هذه الألفباء جمعت أربعة مكونات لاستراتيجية الأسد في الأمن القومي والسياسة الخارجية وهي: إقامة مكانة لسورية في لبـــنان وحمايتها، وتحديد وتعريف موقع سورية في الميدان العربي- الإسرائيلي، والتأكيد على دور سورية في التوازن الإقليمي، والاهتمام بأمر علاقات سورية مع الولايات المتحدة.

لبنان:

كـــان تعزيـــز موقع سورية المهيمن في لبنان أول أهم إنجازات رئاسة حافظ الأسد في مجال السياسة الخارجية وسوف يكون الدفاع عن تلك المكانة جزءاً هاماً في ألفباء السياسة الخارجية لخليفته. ومع تعزيز الهيمنة السورية في لبنان كان الأسد الأب يـــرى في المحافظـــة عـــلى تلـــك الهيمنة أمراً حاسماً في سعيه لتحقيق هدفيه الاســـتراتيجيين الهامين. وكان الأسد يرى أن حرمان إسرائيل من استخدام لبنان كقـــاعدة لعملياتها العسكرية أمراً جوهرياً في إمكانية احتواء النفوذ الإسرائيلي في المـــنطقة. وعـــلى نحـــو مماثل كان إبقاء لبنان موثوقاً لسورية وحرمانه من سياسة خارجية مستقلة جزءاً حيوياً في دفاع الأسد ضد التهميش الدبلوماسي في المنطقة.

لقـــد رســـخ الأســـد الهيمنة السورية على لبنان في صراع طويل من السعي المتواصل على مدى عقد ونصف بدءاً من منتصف السبعينيات وحتى التوصل لعقد اتفـــاق الطائف في عام 1989[73]. تجلى الصراع في ثلاثة مراحل: كانت المرحلة الأولى في منتصـــف السبعينيات حيث قادت الضرورة الملحة لاحتواء انتشار عدم الاستقرار الطائفي من لبنان إلى سورية(في الوقت الذي كان فيه الأسد في المراحل الأولى من صراعه ضد الإخوان المسلمين)، القائد السوري ليجعل من نفسه الحكم الـــنهائي للحياة السياسية في لبنان. وفي أعقاب حرب يوم الغفران في عام 1973 عمـــل الأسد بكد لعدم جعل القاهرة المرجع الخارجي الأول للساسة اللبنانيين من مخـــتلف الطوائف[74]. وبعد اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية عام 1975، استخدم

الأســـد الوســـائل الدبلوماسية في محاولة لترقيع تسوية من شأنها إخماد الصراع قبل التدخل العسكري في عام 1976 لمصلحة القوات المارونية المحافظة المهيمنة. حظي الأسد بالكثير من التأييد الإقليمي والدولي على تدخله المبدئي[75].

وفي المـــرحلة الثانية في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات كان على الأسد أن يدافـــع عـــن الهيمنة السورية الناشئة ضد التحديات الهامة من جانب إسرائيل والولايـــات المـــتحدة. وبعد اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية بدأت إسرائيل تدخلها السياســـي في لبـــنان والعسكري في عام 1978 لقمع التهديد الأمني المتصاعد من العملـــيات الإرهابـــية وشـــبه العسكرية الفلسطينية التي كانت تنطلق من الجنوب اللبـــناني[76]. ورداً على التحالف الناشئ الذي تولد بين إسرائيل وحركة الكتائب بـــزعامة مارونية حولت سورية دعمها للقوات المارونية إلى الراديكاليين اللبنانيين ومنظمة التحرير الفلسطينية[77].

ومـــا كـــان من ازدياد التورط الإسرائيلي في الشؤون اللبنانية إلا أن أدى في الـــنهاية إلى كشف الأوراق بين إسرائيل والولايات المتحدة من جهة وسورية من جهـــة ثانـــية حول الهيمنة الاستراتيجية في لبنان. وجاء اشتداد الصراع بين قوات الكتائـــب الـــتي تساندها إسرائيل، والقوات السورية والمليشيات العملية فحرضت إســـرائيل على اجتياح لبنان على نطاق واسع في حزيران 1982 في عملية السلام للجلـــيل[78]. كان الهدف المعلن للعملية هو إنهاء تهديد الهجمات الفلسطينية ضد إســـرائيل مـــن الأراضي اللبنانية. ولكن وكجزء من المقدمة المنطقية الاستراتيجية لحملـــتها العسكرية وبدعم من الولايات المتحدة سعت إسرائيل لأن يترأس الطرف اللبـــناني الكتائبي بشير الجميل الذي انتخبه المجلس رئيساً في آب 1982[79]. ويتم دعـــم هـــذه المبادرة بنشر قوات حفظ السلام والاستقرار بقيادة الولايات المتحدة تحت اسم القوات متعددة الجنسيات. كان الهدف المبدئي لهذه القوة هو تأمين غطاء أمـــني لعملية رحيل منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان. وجاءت القوات متعددة الجنســـيات إلى لبـــنان في آب 1982 وهـــو الشـــهر ذاته الذي تم فيه انتخاب الجميل[80].

كان رد حافظ الأسد حاسماً وحازماً على التحدي الذي واجه وجود سورية في لبنان. وبعد اجتياح 1982 تعرضت القوات الإسرائيلية في لبنان لحملة شبه عسكرية كانت تزداد كثافة باستمرار، فاغتال عملاء سورية بشير الجميل في أيلول 1982 قبل أن يتولى مهام منصبه وتولى الرئاسة أخوه أمين الذي بدأ مفاوضات مع إسرائيل في كانون الأول 1982. اشتبكت ميليشيات الشيعة والدروز التي تدعمها سورية في عدة صدامات متكررة مع القوات متعددة الجنسيات، وفي نيسان1983 نفذ حزب الله أول هجوم انتحاري على أعلى مستوى ضد السفارة الأميركية في بيروت. وفي 17 أيار 1983 وقع أمين الجميل معاهدة السلام الإسرائيلية- اللبنانية.. ولم تتم المصادقة عليها إطلاقاً. وبعد خمسة شهور في 23 تشرين الأول 1983 تكبدت القوات متعددة الجنسيات خسائر فادحة في انفجار سيارة في الهجوم الذي نفذه حزب الله على ثكنات المظليين الفرنسيين وقوات البحرية الأميركية في بيروت. وردت القوات الأميركية بقذف وابل من القنابل من المدفعية البحرية وبغارات جوية على المواقع السورية في سهل البقاع ولكن القوات السورية تمكنت من إسقاط طائرتين أميركيتين حربيتين في كانون الأول 1983[81].

ومع تباين قوته مع العملاء اللبنانيين سوف يفعلون أي شي يلزم لاستباق الهزيمة الاستراتيجية في لبنان، كانت الغلبة للأسد في اختبار التجلّد مع إسرائيل والولايات المتحدة. وبعد تفاقم التدهور في الوضع الأمني في كل المناطق نتيجة للجهود السورية لجعل المحيط غير مريح إلى أقصى حد لاستمرار التواجد الأميركي انسحبت القوات متعددة الجنسيات في شباط 1984. وفي الشهر التالي ألغى الرئيس الجميل معاهدة السلام الإسرائيلية- اللبنانية[82]. وفي حزيران 1985 ومع غياب القوات الأميركية والقوات متعددة الجنسيات قللت إسرائيل من حجم المنطقة الأمنية التي حددتها في عام 1978في جنوب لبنان بهدف منح قوات الدفاع الإسرائيلية موقعاً دفاعياً بشكل أكبر. وبقيت القوات الإسرائيلية في هذه المنطقة الأمنية الأصغر حجماً إلى حين انسحابها أحادي الجانب في أيار 2000.

كان إلغاء المعاهدة الإسرائيلية- اللبنانية السمة البارزة التي ميزت نجاح الأسد

في الدفاع عن الهيمنة السورية في لبنان. وفي سياق هذا الدفاع عزز الأسد أيضاً من دور سورية بأنها الحكم ومانح القوة الأخير للبنان[83]. وفي المرحلة الثالثة من صراعه من أجل لبنان سعى الأسد إلى تثبيت مكاسبه من خلال إقامة حكومة لبنانية مستقرة نسبياً وتكون حليفاً وثيقاً لسورية وباكتساب الشرعية لتواجد عسكري سوري دائم في لبنان. وعلى الأغلب حقق الأسد هذه الأهداف وفقاً لشروط اتفاق الطائف(المثبتة رسمياً بموافقة وطنية لبنانية) الذي تم التوصل إليه في عام 1989 برعاية المملكة العربية السعودية وجامعة الدول العربية[84].

ومع تعزيز وتدبير أمور الهيمنة السورية على لبنان خط الأسد الجزء اللبناني من الفباء السياسة الخارجية لخليفته محدداً المصالح الأساسية لسورية في لبنان بالإضافة إلى الوسائل التكتيكية اللازمة لحمايتها. وطيلة الفترة التي تلت الطائف حدد الأسد المصالح السورية في لبنان على أنها تشمل الدفاع عن الحد الغربي لسورية ضد هجوم جانبي من قبل القوات الإسرائيلية، واستخدام الجنوب كقاعدة للضغط على إسرائيل من أجل التفاوض وإعادة مرتفعات الجولان، والمحافظة على السيطرة على السياسة الخارجية اللبنانية والتيارات الهامة في الحياة السياسية اللبنانية، ومراقبة المتطرفين الإسلاميين والجماعات الطائفية الأخرى العاملة في البلاد[85]. ويمكن للمرء أن يذكر أيضاً في مجال توسيع المصالح السورية، استخدام لبنان كمكان توظيف للعمال السوريين المغتربين، وتلقي الحوالات المالية من هؤلاء العامل المغتربين، وتوافر فرص الفساد لكادر الاستخبارات السورية والضباط العسكريين الموظفين في لبنان.

وفي الوقت ذاته طور الأسد أربع وسائل رئيسه لحماية هذه المصالح وليورثها بالتالي إلى خليفته. كان أول هذه الوسائل الانتشار العسكري السوري في لبنان[86]. كانت هذه الانتشارات سداً فعلياً في وجه سعي بيروت وراء سياسة مستقلة فيما يتعلق بالقضايا الأمنية والشؤون الخارجية ومنعت الحكومة اللبنانية من بسط سيطرتها على مناطق من البلاد تعتبر حيوية للمصالح السورية مثل الجنوب على سبيل المثال، وكانت عائقاً وقف في وجه عودة ظهور الصراع الطائفي[87].

كانت الوسيلة الثانية للمحافظة على الهيمنة السورية في لبنان هي الانتشار الواسع لضباط جهاز الاستخبارات السوريين في كل أنحاء البلاد. على مدى سنوات عديدة كان هذا الجهاز بقيادة العميد غازي كنعان مدير الاستخبارات العسكرية السورية بمساعدة الاستخبارات اللبنانية وهيئات الخدمات الأمنية قد أتاح لنظام الأسد المراقبة والنفوذ على جميع مجالات وقطاعات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في لبنان[88].

ثالثاً- زاد الأسد من فعالية علاقته مع حزب الله وهو الميليشيه الطائفية الوحيدة التي احتفظت بأسلحتها بعد الطائف وذلك بهدف مضاعفة القيمة الاستراتيجية لهيمنة سورية في لبنان. وفي مرحلة ما بعد الطائف أصبح استخدام سورية لحزب الله كوكيل شبه عسكري منظماً بشكل أكبر من خلال قواعد اللعبة التي تم التفاوض عليها رسمياً وتكتيكياً مع إسرائيل[89].

وفي النهاية استغل نظام الأسد صفات النظام السياسي اللبناني الذي أسهم في الطائف بدعم الدور المهيمن كحكم للحياة السياسية اللبنانية. ولقد فهم الساسة اللبنانيون منذ البداية في مرحلة ما بعد الطائف أنه مهما تكن ماهية احتياجاتهم الخاصة فإنها لابد أن تتحقق فقط من خلال التعاون مع دمشق[90]. وبالمقابل منح دور سورية كحكم سياسي الأسد القاعدة للتلاعب بالفصائل ضد بعضها البعض وتدبير التوازن على المستوى الوطني بين الجماعات الطائفية المتنافسة[91]. لقد قادت سورية الانتخابات اللبنانية بعناية في فترة ما بعد الطائف لترسيخ استراتيجية فرّق تسد بهدف المحافظة على توازن نسبي بين الفصائل المتنافسة واستخدام تقنيات تتضمن المراوغة على المناطق الانتخابية ولوائح المرشحين وأصوات الناخبين وفي بعض الحالات التزوير التام للأصوات للتأكد من صدور النتائج المطلوبة[92].

ومع وفاة حافظ الأسد ظهرت علامات التوتر على صيغة الإدارة والمحافظة على الهيمنة السورية على لبنان. في عام 2000 قاد التمرد المعادي للسوريين ضمن الطائفة المارونية إلى احتجاجات معادية لسورية وإلى العنف أحياناً[93]. وأتت عودة رفيق الحريري الوشيكة كرئيس للوزراء لتشكل تحدياً لإدارة القائد السوري الجديد

للشـــؤون اللبنانـــية. الحريري الملياردير السني الذي وصل إلى رئاسة الوزراء للمرة الأولى في عـــام 1993 بمســـاندة ســـعودية للإشراف على إعادة إعمار لبنان بعد الطـــائف كـــان لــــــه ســـجل في الإصرار على الحكم الذاتي والاستقلال تجاه السوريين.وعند الانسحاب الإسرائيلي من المنطقة الأمنية في جنوب لبنان بعد شهر مـــن رحـــيل الأسد أصبحت المبررات المنطقية للنشاطات العسكرية لحزب الله في الجـــنوب تحـــت وطأة التدقيق والانتقاد الدولية المتزايد[94]. يبين الفصل الرابع أن التكـــيف مع هذه الوقائع اللبنانية سيكون أحد التحديات التي تواجه بشار الأسد بعد توليه الرئاسة.

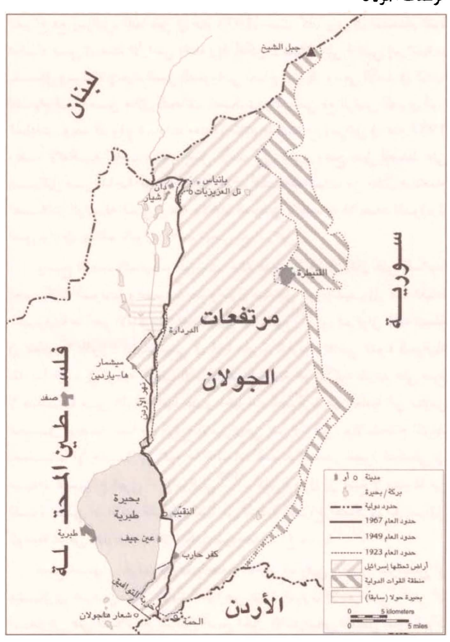
ميدان الصراع العربي- الإسرائيلي:

كـــان أهم ما ورثه حافظ الأسد لخليفته على الساحة العربية- الإسرائيلية هو التطور الهام في موقف سورية تجاه التسوية التي يتم التفاوض عليها مع إسرائيل. منذ بدايـــة رئاســـته، أدرك الأسد أنه في كل الاحتمالات لا يمكن استعادة الجولان في الـــنهاية إلا مـــن خلال التفاوض[95]. ولكن نظرة الأسد المتعلقة بالتنسيق والإطار الاســـتراتيجي المقبول لمحادثات السلام تطورت بشكل هام على مدى فترة حكمه. لقـــد طور الأسد الأب مواقف تتعلق بهذه القضايا وتشكل عناصر هامة في ألفباء السياسة الخارجية التي خلفها لابنه.

أصـــر الأســـد على مدى العقدين الأول والثاني من رئاسته على أن الشكل الوحـــيد للتفاوض الذي يمكن للعرب فيه التوصل إلى اتفاق مقبول مع إسرائيل هو عملـــية متعددة الجوانب تهدف للوصول إلى اتفاق شامل بحيث تتفاوض الأطراف العربـــية بتنسيق دقيق مع بعضها[96]. وحتى بعد أن خرجت مصر من المعادلة بعد التوصل إلى معاهدة سلام منفصلة مع إسرائيل، استمر الأسد في التأكيد على أهمية الموقف العربي المتحد في مباحثات السلام[97].

وعـــلى مدى أغلب الفترة ذاتها سعى الأسد لإجبار إسرائيل على الدخول في هذا النوع من المفاوضات من خلال الاستخدام الفعلي أو التهديد باستخدام القوة

مرتفعات الجولان



العسكرية[98]. وخلال هذه السنوات كان الأسد مستعداً للمبادرة العسكرية في الصراع مع إسرائيل، كما فعل في عام 1973، حيث كان يرى أن استخدام القوة يمكنه من استعادة الأراضي المحتلة وإذا أمكن الاستيلاء على أراضي إسرائيلية ما يشكل وسيلة لإحياء العمل الدبلوماسي لصالح سورية. وسعى الأسد في البداية للقيام بهذا من خلال التحالف العسكري والسياسي مع الرئيس المصري أنور السادات. وبعد أن وقع السادات معاهدة سلام منفصلة مع إسرائيل في عام 1987 وفقاً لاتفاقية كامب ديفيد، عمل الأسد على تطوير وضع بديل للضغط على إسرائيل من الناحية العسكرية على مدى أغلب الثمانينيات من خلال استخدام الصلات الوثيقة التي تربطه بالاتحاد السوفيتي لاكتساب ما يصفه المسؤولون السوريون في بياناتهم بالتوازن الاستراتيجي مع إسرائيل.

ومع انقضاء الثمانينات اتضحت حالة عدم موثوقية الاتكال على المساعدة العسكرية السوفيتية وخصوصاً بعد وصول ميخائيل غورباتشيف إلى قمة القيادة السوفيتية ما أجبر الأسد على إعادة تقييم هذا النهج[99]. ورغم تواني اللغة المنمقة في المطالبة بالتوازن الاستراتيجي في نهاية الحرب الباردة وتلاشي الدولة السوفيتية فقد بدأ الأسد في توجيه الموقف الاستراتيجي لسورية نحو التأكيد المتزايد على صيغ لا متناسقة من القوة وأهمها تطوير الخيارات العسكرية غير العادية التي ستؤمن لدمشق درجة ما من الردع الاستراتيجي ضد إسرائيل، والاستخدام المتزايد للعمليات الإرهابية التي تقوم بها المنظمات العميلة كمصدر للنفوذ التكتيكي في ميدان الصراع العربي - الإسرائيلي[100]. كان التحول إلى صيغ لا متناسقة من القوة يعني أن الأسد قد تخلى فعلياً عن المبادرة للصراع العسكري مع إسرائيل كوسيلة لفرض مفاوضات سلام تكون شروطها لصالح سورية[101].

مع انتهاء الحرب الباردة واختفاء الاتحاد السوفيتي كظهير استراتيجي أو عسكري محتمل، تخلى الأسد أخيراً عن عبارة التوازن الاستراتيجي وأعلن أن التفاوض على السلام مع إسرائيل أصبح الخيار الاستراتيجي المفضل لسورية وأن ذلك السلام تحت ظروف مناسبة يمكن التفاوض عليه على أساس ثنائي الجانب بين

إســـرائيل وسورية[102]. لقد كانت هذه المقاربة التي تنضوي عليها مشاركة الأسد في مؤتمـــر السلام في مدريد في تشرين الأول 1991 الذي تمت الدعوة إليه بمبادرة إدارة جـــورج بـــوش الأب في أعقاب حرب الخليج لدفع عملية السلام العربية-الإسرائيلية.

إن الظـــروف الملائمـــة لمباحثات سلام إسرائيلية- سورية ثنائية الجانب تعني بالنســـبة للأسد أنه يجب أن يتم التفاوض على أساس المبادئ المعترف بها دولياً، أي المـــبادئ الجوهـــرية لقرارات مجلس الأمن في الأمم المتحدة رقم242،338 وهي الأرض مقـــابل الســـلام الواردة في شروط مؤتمر مدريد، وبوساطة أميركية[103]. وهـــذه الشروط ستكون ضمن ألفباء السياسة الخارجية التي تركها الأسد لخليفته. وحالمـــا احتاز المنعطف لصالح التفاوض من أجل التوصل لتسوية ثنائية الجانب مع إســـرائيل، اهـــتم الأسد بإيجاد متطلبات ثابتة لصفقة مقبولة. وهذه المتطلبات التي يمكـــن تكثيفها للتوصل إلى انسحاب إسرائيلي كامل من الأراضي السورية المحتلة ضمن إطار تسوية شاملة، أصبحت أيضاً بنوداً هامة في ألفباء السياسة الخارجية التي ســـيتركها الأب للابن. كان إصرار الأسد على الشمولية والانسحاب الكامل قد تأصـــل في إحساسه لما يلزم لإضفاء صفة الشرعية على اتفاقية بين الأنصار الهامين عـــلى المســـتويين المحلي والإقليمي وليهيء الأمر لتسوية تكون مكانته فيها المجسد الأخير للقومية العربية[104]. ومع انقضاء التسعينيات وبداية تهيئة حافظ لباسل أولاً ومـــن ثم لبشار خليفة لـــه كان الأسد الأب يرى في هذا أمراً حاسماً لمرحلة انتقال هادئة واستقرار طويل الأمد لنظامه[105].

كـــان المطلب الأهم للأسد من أجل التوصل لمعاهدة سلام إسرائيلية- سورية هو ما يمكن وصفه بشكل قابل للتصديق الظاهري على أنه الانسحاب الإسرائيلي الكامل من مرتفعات الجولان. وقبل الترقب الجدي للمفاوضات ثنائية الجانب حدد الأسد عودة الجولان كأساس جوهري لسلام إسرائيلي- سوري، وجاءت البيانات الســـورية الرســـمية بـــدءاً مـــن مؤتمر مدريد في تشرين الأول 1991 ولغاية قمة كلينتون- الأسد في نيسان 2000 لتشير بشكل متواصل إلى أن الانسحاب الكامل

بقـــي بالنســـبة للأسد أهم معيار يسم أية اتفاقية مقبولة بالنسبة له. في الواقع، لقد كانـــت البـــيانات السورية خلال هذه السنوات تدعم الموقف الصارم فيما يتعلق بقضـــية الانسحاب ما يجعل مسألة التراجع أمراً صعباً سواء بالنسبة للأسد أم لمن يخلفه مباشرة.

ولكـــن إصـــرار الأسد على الانسحاب الكامل لم يكن ببساطة مجرد موقف تصـــريحي فقـــد كان أسلوب التفاوض السوري يعكس بوضوح الأهمية المركزية لقضـــية الانسحاب بالنسبة للقائد السوري. وبهذا الخصوص نجد الأمر الذي كان يومـــا أمـــراً في غايـــة السرية وأصبح الآن إقراراً معلنا حينما عبر رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحق رابين عن رغبته وموافقته بالانسحاب الكامل من الجولان إذا تم تحقـــيق المطالـــب الإسرائيلية فيما يتعلق بالإجراءات الأمنية فيما بعد الانسحاب بالإضـــافة إلى تطبـــيع العلاقات فأصبح هذا امرا هاما لتقدم المفاوضات، وقد تلا عـــرض رابـــين هذا ثلاث جولات من المفاوضات الإسرائيلية – السورية في عام 1994 و 1995 وفي أواخر 1995 وبداية 1996 وهي تتألف من ثلاث جولات منفصـــلة في مركز المؤتمرات في معهد آسبن – نهر واي[106]. وإذا تمعن المرء بتلك المفاوضـــات يبدو واضحا أن درجة ثقة الأسد بجدية إسرائيل بالانسحاب الكامل ترتبط بشكل مباشر مع رغبته بالسماح للمفاوضين السوريين بالتعامل بشكل بناء مـــع قضايا الأمن والتطبيع[107]. حتى بعد انقضاء سنوات رابين وبيريز بقي ما قاله رابـــين الاختـــبار الفاصل عند الأسد للنوايا الإسرائيلية وجديتهم في الاتفاق على السلام أثناء تفاوضهم مع رئيسي الوزراء بنيامين نتنياهو وايهود باراك[108]. يبدو أن الفشـــل عـــلى المسار السوري في عهد ولاية باراك كان حالة مأساوية لإضاعة الفـــرص. تـــولى باراك مهام منصبه في أواسط 1999 وهو يتوق لعقد صفقة مع ســـورية ومـــنح المســـار الســـوري الأولويـــة على المحادثات النهائية المحتملة مع الفلســـطينيين، وبـــبدو أن الأسد كان مهتما بشكل خاص بالتوصل إلى الاتفاقية ولكـــن باراك كان رافضا للمصادقة العلنية أو السرية على التزام رابين بالانسحاب الكـــامل مـــن مرتفعات الجولان فادى هذا إلى زعزعة تامة لثقة الأسد وخصوصا

خــلال المناقشات التي توسطت لها الولايات المتحدة في شيفردزتاون غرب فرجينيا بين الوفد الإسرائيلي الذي يرأسه باراك والوفد السوري الذي يرأسه وزير الخارجية فــاروق الشرع في كانون الثاني 2000[109]. وفي أعقاب محادثات شيفردس تاون نقــل الرئيس كلينتون للأسد بشكل غير دقيق رغبة باراك في تلبية مطالب الأسد المــتعلقة بقضــية الانسحاب وربما تكون عدم الدقة هذه قد تعززت برسالة متابعة نقــلها السفير السعودي بندر بن سلطان بشكل غامض للقائد السوري[110]. وفي النتــيجة جــاء فشل باراك في التوصل لنتيجة حول قضية الانسحاب في بداية عام 2000 ومــن ثم جاء فشل إدارة كلينتون في ممارسة الإشراف الراشد على باراك فــيما يخص هذه القضية حسب تعبير احد أفراد فريق السلام مما مهد المجال لفشل قمة كلينتون – الأسد في نيسان 2000 في جنيف[111].

وبالإضــافة إلى الانسحاب الكامل كان إصرار القائد السوري لا يلين في أن تكون التسوية الإسرائيلية – السورية شاملة مع الحد الأدنى من المراحل مع جدول زمــني قصير نسبيا للتنفيذ. بدءا من مؤتمر مدريد وحتى وفاته في عام 2000 رفض الأســد بإصرار اقتراحات التوصل إلى إعلان مبدئي للمبادئ أو اتفاق مؤقت على نمط أوسلو كمقياس لبناء الثقة على أمل التوصل إلى اتفاق نهائي[112].

كان الأسد يرى في مقاربة أوسلو ضرراً كبيراً للمصالح العربية، فكثرة إخفاق المواعــيد الأخــيرة على المسار الفلسطيني خلال التسعينات وفشل المفاوضات في التوصل إلى وضع نهائي حازم عززت فقط من تشاؤمه حول إمكانية الكسب[113].

وفي النهاية بالطبع لم يتوصل الأسد إلى اتفاقية سلام مع إسرائيل وانهار المسار الســوري تماماً في قمة جنيف التي جمعت الرئيس الأسد والرئيس كلينتون في آذار 2000 قــبل وفــاة الأســد بثلاثة أشهر فقط[114]. وسوف يكون لهذه النتيجة مدلولات عميقة في تحديات السياسة الخارجية التي ستواجه خليفته. إن الفشل على المســار الســوري على الخصوص سوف يعقد تدبر بشار لموقف سورية في ميدان الصــراع العــربي – الإســرائيلي فعلى هذه الجبهة كما هو الحال في لبنان كانت الــتحولات في الظروف الاستراتيجية لسورية في نهاية فترة رئاسة حافظ الأسد قد

أدت إلى توتـــر شديد في صيغة السياسة الثابتة وجاء ذلك على التحديد في اللحظة التي تولى فيها السلطة قائد جديد يفتقر إلى التجربة.

التوازن الاقليمي:

كان حافظ الأسد يعتقد أنه لا يستطيع تحقيق متطلباته في التوصل إلى تسوية مـــع إسرائيل دون أن يتدبر أمر توازن القوى الإقليمي على مدى أوسع مع تجنب التهميش الدبلوماسي[115]. وهكذا قدمت ألفباء الأسد لابنه ووريثه الخطوط الهامة والحقائق والظروف اللازمة لإدارة علاقات سورية مع الأطراف الإقليمية الهامة التي كانت راسخة في تجربة الأب التاريخية.

لقـــد كـــان تركيز جهود حافظ لتجنب التهميش على مسارين .. الأول أنه ســـعى لـــلمحافظة على دعم الدول العربية المعتدلة لموقف سورية مقابل إسرائيل. والـــثاني هـــدف إقامة سياج واق ضد التدهور الجوهري في الموقف الاستراتيجي لســـورية أقـــام روابـــط ثنائية الجانب مع دول في المنطقة تراها السياسة الخارجية الأميركية دولاً مشكلة.

طيلة فترة رئاسته تطورت دبلوماسية حافظ الأسد العربية الداخلية من منطلق توجهـــه التكتـــيكي وليس من منطلق المنطق الاستراتيجي التأسيس. وتحفز القائد الســـوري خـــلال الثمانيـــنات لمنع الأطراف العربية الأخرى من التفاوض حول معـــاهدات ســـلام منفصلة مع إسرائيل وركز على لبنان والأردن والفلسطينيين. وحـــين ثبـــت لـــه أن هذا أمر وهمي وغير عملي على الأقل فيما يتعلق بالأردن ومـــنظمة الـــتحرير الفلســـطينية بزعامة عرفات تحول الأسد إلى مقاربة مختلفة في التسعينات محاولاً المناورة على التوازن الإقليمي ليؤكد للجميع أن متطلباته المتعلقة باتفاقية السلام الإسرائيلية – السورية إنما تدعمها الدول العربية الأخرى[116].

وفي هـــذا الســـياق أولى الأســـد اهتماماً خاصاً للروابط التي تجمعه بالرئيس المصـــري حسني مبارك[117]. وحاول الأسد جاهداً في أوائل الثمانينات أن يفرض نـــبذ مصـــر من الطوق العربي[118]. ولكن مع بداية انحدار نوعية وكمية الرعاية

الســـوفيتية بعــد أن أصبح غورباتشيف الزعيم السوفيتي في عام 1985، أدرك أنه سوف يحتاج لمصر كدعامة أساسية في التوازن الإقليمي. وجاءت الموافقة على قرار الجامعــة العربــية في عــام 1987 الذي يسمح للدول الأعضاء بإعادة علاقاتهم الدبلوماســية مــع القاهرة فتوافق ذلك تقريباً مع بداية تقبل الأسد للتفاوض حول الســلام مع إسرائيل كخيار استراتيجي لسورية.. وقدّر أن المساندة المصرية سوف تعــزز موقفــه فســعى الأسد للحصول على مصادقة مبارك على مطالبه من أجل التوصل إلى صفقة مقبولة مقابل موافقته على عودة مصر إلى الموقع المهيمن بشكل يتعذر اجتنابه في الميدان العربي الداخلي. وكانت هذه الصفقة الأساس في العلاقات المصــرية – الســورية منذ إعادة الأسد للعلاقات الدبلوماسية مع القاهرة في عام 1989.

وفي بدايــة التســعينيات انتقل الأسد لتدعيم علاقاته مع دول الخليج العربي وعــلى رأســها المملكــة العربــية السعودية. لقد تمكن الأسد من الحصول على مســاعدات مالــية هائلــة مــن المملكة العربية السعودية وباقي دول الخليج في الســبعينيات، ولكن دعم سورية لإيران في حرب الجمهورية الإسلامية مع العراق أدى إلى تضــاؤل الدعم السعودي ومن ثم توقفه نهائياً. و لم تتجدد المساعدات التي قدمــتها المملكة العربية السعودية وباقي دول الخليج لسورية على أنها دولة مواجهة في الصــراع العــربي – الإسرائيلي بعد أن توقفت نهائياً في عام 1988[119]. وفي ذلــك السياق يشير (الاسداير درايسديل) إلى أن غزو العراق للكويت قد جاء في الوقت الأمثل من وجهة نظر سورية حيث أنه قد قدم لنظام الأسد الفرصة الذهبية للعــودة إلى مركز الأشياء وتوطيد علاقاته مع مصر والفوز بالحظوة لدى المملكة العربية السعودية ومشايخ الخليج وتوضيح أهميتها داخل المنطقة وأمام الغرب[120]. لقــد أعــادت حــرب الخليج سيل المساعدات المالية على الأقل على مدى بضع سنوات من المملكة العربية السعودية لسورية وكذلك أيضاً أعادت بعض المقدار من التعاون الاستراتيجي السعودي- السوري[121].

كــان إعــادة إحياء التحالف مع مصر والسعودية جانباً هاماً من دبلوماسية

حافظ الأسد خلال العقد الأخير من رئاسته وبنداً هاماً من ألفباء السياسة الخارجية التي ورثها لبشار. ومع انتهاء وجود الاتحاد السوفيتي في عام 1991 وازدياد التطرف الإسلامي في المنطقة، انهمكت سورية بسلسلة غير مسبوقة من المفاوضات الثنائية مع إسرائيل وكان الأسد بحاجة لدعم الدولتين العربيتين الأكثر اعتدالاً. وقد أراد الأسد على الخصوص تحسين علاقاته مع الولايات المتحدة حيث كان هذا يشكل من وجهة نظره القيد الفعال الوحيد على النزعة التوسعية الإسرائيلية والوسيط الذي لا غنى عنه من أجل التوصل إلى اتفاقية سلام مقبولة. وكان بإمكان مصر وبدرجة أقل السعودية تقديم المساعدة من أجل تثبيت موقف سورية في واشنطن. ولهذا السبب كانت المحافظة على دعمهم أمراً أساسياً في إستراتيجية الأسد لاحتواء إسرائيل واستباق التهميش الدبلوماسي.

بالإضافة إلى توثيق الروابط مع الدول العربية المعتدلة سعى الأسد لدعم موقعه الاستراتيجي بإضفاء القوة على العلاقات الثنائية مع الدول المشكلة. وكان الهدف من هذه العلاقات زيادة الثمن المتوقع على الولايات المتحدة وإسرائيل والأطراف الإقليمية الأخرى في حال تجاهل أو تهديد مصالح سورية.

بدأت علاقة الأسد مع جمهورية إيران الإسلامية في الأيام الأولى من الحرب الإيرانية – العراقية وهذا ينطبق بوضوح على المنطق الذي أراده[122]. وفقاً لأي منظور كانت المواجهة مع إسرائيل والتعاون مع طهران قد منحتا الأسد عمقاً استراتيجياً أعظم على الأقل[123] . على الرغم من توتر التعاون مع إيران بسبب تباعد المصالح إلا أنه كان عاملاً هاماً في إستراتيجية الأسد لتعزيز الموقف المهيمن لسورية في لبنان في الثمانينات[124]. ومع مرور الوقت كانت عمليات حزب الله ضد إسرائيل في لبنان تساعد على تركيز مزيد من تطور العلاقات الإيرانية-السورية وخصوصاً بعد التوصل إلى اتفاق الطائف في عام 1989[125].

وبالإضافة إلى توطيد صلاته بإيران خلال التسعينات سعى الأسد في النصف الثاني من العقد إلى تهدئة التوتر مع عراق صدام. وعلى مدى ثلاثة عقود تقريباً كانت سورية والعراق في حالة نزاع حيث قسمتهما الخلافات الإيديولوجية التي

تعود إلى الستينات ودعم سورية لإيران خلال العرب الإيرانية – العراقية ومشاركة سورية في التلاف حرب الخليج وبسبب عدم الثقة والتنافر المتبادل الذي تنامى بين حافظ الأسد وصدام حسين[126]. وحينما فرضت الأمم المتحدة عقوبات اقتصادية على العراق بعد حرب الخليج أدرك صدام قيمة تحسين العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية مع سورية ولكن الأسد بقي مستمراً في شكوكه ولكن بعد إعلان التحالف الإسرائيلي – التركي وانتخاب رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو في عام 1996 بدأ الأسد بتغيير موقف سورية تجاه العراق، حيث سمح بعودة التبادل التجاري السوري – العراقي. ومع نهاية العقد بدأت التحضيرات لإعادة فتح أنبوب النفط ما بين حقول نفط كركوك في شمال العراق ومرفأ بانياس السوري[127]. وإضافة إلى ذلك كانت تنتشر شائعات على نحو دوري في الصحافة الإقليمية في عامي 1998 و 1999 حول إمكانية التحالف الدبلوماسي والاستراتيجي بين البلدين[128].

سعياً وراء تحسين الروابط مع نظام صدام حسين إلى جانب الروابط السورية الوطيدة مع إيران، أومأ الأسد لإدارة كلنتون بوضوح أنه يستطيع تحجيم سياسة الاحتواء المزدوج للإدارة الأميركية. وعلى نطاق أوسع بكثير قدمت علاقات الأسد مع إيران وعراق صدام نوعاً من التأمين الاستراتيجي ضد الانهيار التام للمسار السوري في عملية السلام في الشرق الأوسط أو تدهور علاقة سورية مع الولايات المتحدة[129]. وفي أقصى الاحتمالات الإستراتيجية حرك موقف الأسد إمكانية وجود تحالف الأولاد الشريرين الذي يشمل عراق صدام وجمهورية إيران الإسلامية وسورية. سيبقى هذا النوع من التأمين الاستراتيجي العلامة البارزة في ألفباء السياسة الخارجية التي تلقاها بشار من والده.

لقد أصبحت قيمة هذا الأمان الاستراتيجي خاضعة للمناقشة في الوقت الذي تولى فيه بشار الحكم. وبعد الحادي عشر من أيلول 2001 أصبحت الفوائد المحتملة من علاقة سورية بأعضاء محور الشر أمراً مشكوكاً فيه وفي نتائجه الايجابية. وهكذا كان على بشار الأسد منذ بداية رئاسته أن يجد سبلاً جديدة لتدبير مكانة

سورية الإقليمية مما أضاف مستوى آخر من التحدي لأجندة السياسة الخارجية والتي تُعتبر المشكلة أصلاً.

العلاقات مع واشنطن:

لقد فهم حافظ الأسد على مدى فترة رئاسته أن النجاح في تحقيق هدفيه الاستراتيجيين الجوهريين يرتبط بشكل وثيق بعلاقته بالولايات المتحدة.. وقد تأرجح موقف الأسد تجاه واشنطن خلال الحرب الباردة وبعدها ما بين التعاون والمواجهة وفقاً لمفهومه للتطورات الإقليمية الأوسع. وفي العقد الأخير من رئاسته ازدادت أهمية الانجذاب إلى تراصف استراتيجي تجاه الولايات المتحدة كاعتبار محرك في حسابات سياسته الخارجية. وكنتيجة لذلك ستكون مركزية علاقة سورية بواشنطن السمة الهامة في ألفباء السياسة الخارجية التي تركت لبشار.

أثناء الحرب الباردة استغل الأسد الأب بدهاء وبراعة علاقته المتطورة مع الاتحاد السوفيتي لتعزيز أهدافه الإستراتيجية في حين كان يعبث مع الولايات المتحدة إذا كان ذلك يخدم مصالحه. كان الأسد يعرف أن موسكو تواقة لتجنيد سورية كحليف إقليمي هام في (منافسة الصفر) مع الولايات المتحدة لفرض النفوذ بشكل عام في العالم العربي والشرق الأوسط[130]. كان الأسد يستخدم المصلحة السوفيتية بشكل ماكر للحصول على الدعم العسكري من موسكو في حين كان بشكل دوري يومئ لواشنطن برغبته في التحول غرباً في توجهه الاستراتيجي. كان المقصود من أفعال التوازن التي يقوم بها القائد السوري هو التأكيد على أنه يستطيع المحافظة على موقف القوة مقابل الخصوم الإقليميين إما من خلال قوة السلاح أو الغطاء الدبلوماسي الذي توفره إحدى القوى العظمى. كانت هذه المقاربة الدليل الموجه للأسد في تعامله مع إدارات نيكسون وفورد وكارتر وريغان.

انبثقت المقاربة الأساسية للأسد بالنسبة للقوى العظمى أثناء إدارة نيكسون في ظل المحيط الدبلوماسي لحرب 1973. جاء كبار أعضاء السلك الدبلوماسي الأميركيون إلى سورية للمرة الأولى في فترة ولاية الأسد في أعقاب الحرب مباشرة. على الرغم من أن الدعم السوفيتي للأسد بالسلاح والتقنيات مكنه من شن الهجوم

المفاجئ على إسرائيل إلا أن القائد السوري كان يدرك أن هذا الحليف لا يمكن يؤثر على أعدائه في مفاوضات ما بعد الحرب. ونتيجة لذلك قبل الأسد الوساطة الأميركية لاتفاقية فصل القوات فيما بعد الحرب، أثناء الرحلات الدبلوماسية المكوكية لوزير الخارجية الأميركي هنري كيسنجر برغم الصراع المتواصل مع إسرائيل[131]. لقد ساعدت مناقشات الأسد مع كيسنجر على تمهيد الطريق للتوصل إلى اتفاقية فصل القوات بين إسرائيل وسورية في أيار 1974 وزيارة الرئيس نيكسون لدمشق في عام 1974[132]. كانت زيارة نيكسون علامة بارزة في ارتقاء العلاقات الأميركية – السورية في السبعينيات حيث استؤنفت المساعدات الأميركية لسورية وأتيح مجال أوسع لسورية للمناورة ببراعة بين القوتين العظيمتين.

استمرت العلاقات الأميركية – السورية في التحسن بعد أن حل الرئيس جيرالد ر. فورد محل نيكسون وتم في عام 1975 توقيع عدة اتفاقيات هامة لتوفير المساعدات الأميركية للاقتصاد السوري والقطاعات الزراعية والتعليمية. لقد غلّت القناة السورية الجديدة مع الولايات المتحدة الكثير بالنسبة للأسد بعدة سبل في عام 1976 حيث أمنت للقائد السوري غطاء دبلوماسياً حاسماً لتدخله المبدئي في الحرب الأهلية اللبنانية. لقد خشي الأسد أن يتخذ الصراع في لبنان المنحى الذي حدث في أزمة الأردن عام 1970 عندما أقحمت سورية في القتال دفاعاً عن العصابات الفلسطينية التي تقاتل الدولة الأردنية فتلقت الضربة من القوات الأردنية والتهديد من إسرائيل حيث ساندهما الولايات المتحدة. لقد نوهنا سابقاً أن الاعتبارات الإستراتيجية القوية ألزمت التدخل السوري في الحرب الأهلية اللبنانية ولكن هذا التدخل تضمن خطر التحريض على مواجهة غير مرغوب بها مع إسرائيل. لقد شاركت الولايات المتحدة في هذا القلق وحثت كلا الجانبين على التراجع في البداية في الوقت الذي شجعت فيه الجهود الدبلوماسية السورية للتوصل إلى تسوية بين الفصائل اللبنانية المتحاربة. وعندما فشلت تلك الجهود تمكن الأسد من حث إدارة فورد على التوسط لدى إسرائيل والفصل في النزاع من خلال التوصل إلى اتفاق الخط الأحمر الأول الذي كان له التأثير الفعال في توفير التخويل الأميركي والإسرائيلي للتدخل السوري في لبنان لصالح المارونيين المحاصرين

طالما لم تدخل القوات السورية أقصى جنوب لبنان[133].

وقد أوضحت هذه الفترة أيضاً قدرة الأسد على اللعب بورقة علاقة سورية العسكرية بالاتحاد السوفييتي مقابل التعامل الدبلوماسي المزدهر مع واشنطن. لقد ألهب التدخل السوري الضغينة لدى موسكو مما دعم القوى اليسارية في لبنان وأخر من شحن الأسلحة السوفييتية إلى دمشق .. ولكن الأسد كان قادراً على المحافظة على الغطاء الأميركي الذي حصل عليه حول تدخله في لبنان في الوقت الذي كان يتملق فيه السوفيتيين ليعيدهم إلى صفه[134]. لم يكن لدى موسكو من خيار سوى استئناف شحن الأسلحة في حال أرادت الاحتفاظ بنفوذها على السياسة الخارجية السورية.

وبعد أن تولى جيمي كارتر السلطة في عام 1977 رحب الأسد باعتراف الإدارة الأميركية الجديدة بحاجة الفلسطينيين لوطن وكان يعتقد أن هذا علامة على مزيد من التقارب في المصالح الأميركية والسورية[135]. ولكن في حين بقيت إدارة كارتر مؤيدة للدور السوري في لبنان ولو بالقول فإن العلاقات الأميركية – السورية بدأت بالأفول في أواخر السبعينيات والسبب الأهم في ذلك يعود إلى الدور الأميركي في الوساطة لاتفاقية كامب ديفيد في عام 1978.. فكما نوهنا كان كامب ديفيد ضربة صاعقة لطموحات الأسد في إيجاد جبهة عربية متحدة ضد إسرائيل. لقد رأى القائد السوري في معاهدة السلام المصرية مع إسرائيل خيانة لمصالح العرب الشاملة وضعفت ثقته في المبادرات الدبلوماسية الأميركية بسبب دور الرئيس كارتر في توليد الاتفاقية[136]. وجاءت التطورات في لبنان أيضاً لتقوض ثقة الأسد في النوايا الأميركية بدءاً بغزو إسرائيل لجنوب لبنان في آذار 1978 في الوقت الذي كان نظامه يواجه ثورة الإخوان المسلمين والميليشيات المسيحية اللبنانية المتململة التي كانت تواقة للقتال ضد قوات الاحتلال السوري.. وشعر الأسد بأنه محاصر ورأى في التحديات المتعددة مؤامرة أميركية فاتهم واشنطن علناً في عام 1979 بإثارة النزاع المحلي في سورية[137]. وللتعبير عن استيائه ولتحسين الإمكانيات العسكرية السورية بحثاً عن ضالة التكافؤ الاستراتيجي مع إسرائيل،

وقع الأسد معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفييتي في عام 1980[138].

تصادفت عودة الأسد إلى الطوق السوفييتي تقريباً مع انتخاب الرئيس رونالد ريغان الذي رأت إدارته في الصراعات الإقليمية كالتي تحدث في لبنان والمشرق بشكل أوسع على أنها في المقام الأول ميدان للمناقشة في مجال الحرب الباردة. عند استلام الحكم أعادت إدارة ريغان توجيه السياسة الأميركية نحو لبنان وتبنت موقفاً يقضي بانسحاب جميع القوات الأجنبية بما فيها السورية من لبنان[139]. وعندما أسقطت إسرائيل طائرتين مروحيتين سوريتين وردت سورية بتحريك مدفعيات الصواريخ أرض – جو إلى سهل البقاع في أيار 1981 بدأ ريغان تحركاته الدبلوماسية مع دمشق[140]. بدءاً من عام 1981 وحتى 1983 لعب فليب حبيب مبعوث ريغان الخاص إلى الشرق الأوسط دوراً هاماً في المناورات الدبلوماسية الأميركية مع سورية محاولاً بكل الأشكال احتواء الفوضى التي عمت أرض لبنان. كانت المهمة المبدئية لحبيب التوصل بأية صيغة إلى اتفاقية جديدة للخط الأحمر. ولكن رؤية الأسد للنوايا الأميركية أظلمت حينما منحت إدارة ريغان الضوء الأخضر لإسرائيل بشكل واضح لغزو لبنان في عام 1982. أرسل حبيب ثانية لفصل القوات الإسرائيلية والسورية ولكن مع وصول المبعوث إلى المنطقة كانت قوات الدفاع الإسرائيلية قد صعّدت من هجومها ضد المواقع السورية في لبنان.. ولحقت الهزيمة بالقوات السورية. وكانت عدم قدرةأميركا أو عدم رغبتها على فرض الإذعان الإسرائيلي للعديد من قرارات وقف إطلاق النار، قد قضى نهائياً على مصداقيةأميركا في نظر الأسد. توسطت الدبلوماسية الأميركية لمغادرة منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت في عام 1982 ولكنها فشلت آنذاك في منع وقوع المجزرة على المدنيين الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين في صبرا وشاتيلا جنوبي لبنان بعد أن كانت واشنطن قد تعهدت بضمان سلامتهم[141].

نوهنا آنفاً أن الأسد كان يرى أن التهديد الجدي للمصالح السورية يكمن في قرار إدارة ريغان العمل الجاد على إعادة إيجاد دولة لبنانية بهيمنة مارونية بالقوة والتوسط للتوصل إلى معاهدة سلام منفصلة بين إسرائيل ولبنان. بعد إحرازه للفوز

الاســـتراتيجي بإجبار الولايات المتحدة على الاعتراف بالامتياز السوري في لبنان، استمر الأسد في النظر بارتياب إلى واشنطن طيلة بقاء ريغان في الحكم.و اقتصرت الاتصـــالات الأميركـــية مــــع دمشـــق في أغلبها على قضايا الإرهاب. ورداً على التوســـلات الأميركـــية طردت سورية منظمة أبو نضال من أراضيها عندما قدمت واشنطن الدليل على تورط الجماعة في اختطاف طائرة[142]. ولكن الضربة الجوية الانتقامـــية التي قامت بها إدارة ريغان ضد ليبيا عام 1985 والشجار الدولي بسبب قضية الهنداوي أثارت قلق الأسد من أن الولايات المتحدة كانت تحضر لضربة مماثلة ضد سورية مما نتج عنه تناقض الاتصالات الدبلوماسية وفترة توتر اتصفت بالحذر المتبادل.

ولكـــن عندما خبا نجم الاتحاد السوفييتي الذي انهار في نهاية الثمانينات أدرك الأسد أنه بحاجة لتراصف استراتيجي جوهري وانحياز تجاه الولايات المتحدة[143]. تصـــادفت إعادة تقييم الأسد للموقف مع رئاسة جورج بوش الأب. بالمقارنة مع كـــل من سبقوه كان الرئيس بوش يتسم بتقبل المقترحات والعروض بشكل فريد فتقـــبل المـــنافع المحتملة للارتباط مع سورية[144]. وبعد تولي بوش الحكم مباشرة سكنت شكوك الأسد إلى حد ما فيما يتعلق بالنوايا الأميركية تجاه مكانة سورية في لبـــنان... من خلال موافقةأميركا للتوصل إلى اتفاق الطائف في عام 1989[145]. وهكذا جعل مجيء إدارة بوش الأولى من الأسهل على سورية التفكير ملياً في إعادة التراصف الاستراتيجي تجاه الولايات المتحدة.

كانت خطوة الأسد الايجابية الأولى في عملية إعادة التراصف في مشاركته في ائـــتلاف حرب الخليج بقيادةأميركا في 1990 -1991. وسارعت دمشق في رد الفعـــل عندما اجتاحت القوات العراقية الكويت في آب 1990 واستجابت بخفة نســـبية للمقـــترح الأميركي في خريف ذلك العام للانضمام إلى الائتلاف الدولي المنبـــثق لتحرير الكويت[146]. وبمقابل نشر القوات العسكرية السورية الذي أسهم في الإقرار العربي بالعملية أحرز الأسد مكانة رفيعة في علاقاته مع واشنطن بالإضافة إلى الكسب غير المتوقع الذي جناه من دول الخليج.

وكانت الخطوة الثانية للأسد في إعادة التراصف في قراره الانضمام إلى الجهود المتحددة برعاية الولايات المتحدة في عملية إحلال السلام بين العرب و الإسرائيليين. وحينما حظي بالأمان فيما يتعلق بسيادته على لبنان وإقامة مستوى جديد راسخ من التعاون مع الولايات المتحدة كان الأسد في عام 1991 في موقع مباشرة العمليات الدبلوماسية المقصود منها إعادة الجولان إلى السيطرة السورية وإقامة سلام نهائي مع إسرائيل. كانت سورية أول دولة عربية تستجيب بايجابية لدعوة الرئيس بوش الأولى إلى مؤتمر السلام في مدريد. وطيلة العقد الأخير من رئاسة الأسد كان المسار السوري في مرحلة ما بعد مدريد المتعلق بعملية السلام في الشرق الأوسط طريقه الأهم الذي سعى من خلاله لخلق علاقات أفضل مع واشنطن لقد كان التوصل إلى اتفاقية سلام بالنسبة للأسد الوسيلة التي ينكب من خلالها للاهتمام بالمسائل الاستراتيجية لسورية فيما يتعلق بالنفوذ الإقليمي لإسرائيل والتوصل أيضاً إلى تفاهم استراتيجي مع واشنطن لحل الخلافات الثنائية العالقة مثل الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل. لم تتقدم المحادثات الثنائية الإسرائيلية – السورية بشكل كبير في سياق إدارة بوش الأولى، ولكن كان للمسار السوري تفاعلٌ أميركيٌ – سوريٌ واسع وعلى مستوى رفيع خلال فترتي إدارة كلنتون وخصوصاً بعد أن أشار رابين إلى رغبته الممكنة التحقق في التفكير بانسحاب إسرائيلي كامل من مرتفعات الجولان[147].

وفي النهاية بالطبع، فشل المسار السوري في أن يؤتي أكله، كما توقع الأسد وتمنى، بحيث تكون نتيجته ليست ذات مدلولات عميقة وحسب بالنسبة لموقف سورية في ميدان الصراع العربي – الإسرائيلي وإنما أيضاً لعلاقتها مع الولايات المتحدة. لم يدع انهيار المسار السوري لدمشق وواشنطن أي مسار بديل لارتباط بنّاء في الشهرين اللذين سبقا انتقال القيادة السياسية في سورية[148]. وكان لهذا المكون في السياسة الخارجية السورية أن يصبح تحدياً هاماً بالنسبة لبشار الأسد.

مصادر الفصل الثاني

(1) حول صعود الأسد إلى السلطة والعقد الأول والنصف لـه كرئيس راجع موشي ماعوز، الأسد، أبو هـول دمشق: سيرة سياسية، نيويورك، غروف ودنفيلد 1988، باتريك سيل، أسد سورية: الصراع من أجل الشرق الأوسط، لندن ي.ب توريس 1988، مطبعة جامعة كاليفورنيا 1989. راجع أيضاً لوسـيان بيترلين، حافظ الأسد: مسيرة مناضل، باريس: منشورات جاغوار 1968. لوصف وتقييم العقـد الأخير من رئاسة الأسد، إيال زيسر، تركة الأسد: سورية في مرحلة الانتقال، نيويورك مطبعة جامعة نيويورك 2001.

(2) للاطـلاع على نقاش تفصيلي، راجع باتريك سيل، الصراع من أجل السلطة في سورية: دراسة عن السياسة العربية فيما بعد الحرب العام 1945- 1958، مطبعة جامعة اوكسفورد 1965، نيكولاوس فـان دام، الصراع من أجل السلطة في سورية: السياسة والمجتمع بقيادة الأسد وحزب البعث، لندن: ي.ب توريس 1996، ص15-74، وهذا العمل هو نسخة منقحة ومحدثة عن عمل فان دام السابق، الصراع من أجل السلطة في سورية الطائفية والإقليمية والقبلية في السياسة، لندن: كروم هيلم 1979، النسخة الثانية 1981.

(3) للاطـلاع على تحليل اتساع نطاق العضوية في حزب البعث والمنظمات المتفرعة عن الحزب بعد عام 1963، راجع ريموند هينبوش، السلطة الاستبدادية وتشكيل الدولة في سورية البعثية: الجيش والحزب والفلاحـين(بولـدر، كولو: مطبعة ويست فيو 1990)، سورية: الثورة من الأعلى، لندن:روتلد ج 2001، 47-64.

(4) لمناقشة ذلك، راجع هينبوش، سورية، ص80-83.

(5) المرجع السابق ص89-93.

(6) هـذه الجملـة مأخوذة عن إيتامار رابينوفتش، سورية بقيادة البعث1963-1966، التكامل ما بين الجيش والحزب، القدس: مطبعة جامعات إسرائيل1972.

(7) راجع أفضل مديح لاستخدام الأسد أسلوب القمة خلال عقدين من فترة رئاسته، مراقبة الشرق الأوسط، سورية بلا قناع: قمع نظام الأسد لحقوق الإنسان، مطبعة جامعة ييل لكتب هيومان رايتس ووتش 1991. ولمزيد من التقييمات راجع الطبعات المتتالية للتقارير الإقليمية التي تصدرها كتب هيومان رايتس ووتش في الشرق الأوسط، والتقرير السنوي لوزارة الخارجية عن سورية، تقارير البلاد عن ممارسات حقوق الإنسان.

(8) وصف المفكرون السوريون والناشطون في المجتمع المدني للمؤلف ما يرونه على أنه تطور في طبيعة دولة الشـرطة السـورية خلال العقد الأخير من رئاسة الأسد: كان جهاز الأمن يأتي خلال السبعينيات والثمانينيات بحثاً عن معارضين فعليين أو محتملين للنظام. ومع بداية التسعينيات كان من يتخطى عتبة

التحدي العام أو يحتج أمام عناصر الأمن يوضع تحت الملاحظة. وصف مفكر سوري إصلاحي التفكير تطوراً مماثلاً في معاملة السجناء السياسيين وقال إنه قبل عشرين عاماً كان رجال الأمن يأتون في منتصف الليل لاعتقال شخص ما و لم يكن هذا ليُرى ثانية. أما اليوم فإن الشخص المستهدف من قبل جهاز الأمن لاتهامات سياسية يتم اعتقاله تبعاً لإجراءات جرمية طبيعية ويخضع للمحاكمة بحضور محاميه ولكن ربما يقع تحت رحمة قاضي فاسد يقبل الاتهامات الزائفة التي تختلقها الدولة مما يؤدي إلى إدانته وإذا تمت إدانته يقضي السجين السياسي فترة حكمه في سجن عادي حيث يكون بإمكان عائلته أن تزوره وربما يتم إطلاق سراحه عند انتهاء فترة حكمه. لم يعتبر أحد ممن حاورهم المؤلف الوضع الراهن مقبولاً.

(9) استمر حزب البعث بقيادة الأسد في كونه أداة للاستخدام السياسي لدمج العدد الكبير من الأنصار المؤيدين للنظام. ولكن على مدى فترة رئاسته أصبح الحزب مصدراً للأفكار ومقترحات السياسة، وكانت وظيفته التقليدية تاريخياً منذ الاستقلال بما فيها الفترة الواقعة ما بين 1963- 1970 وأداة لفرض السيطرة الشخصية للأسد على كل الهيئات الوزارية للحكومة في كافة المحافظات والقطاعات الاقتصادية والمهنية. لمزيد من المناقشة راجع هينبوش، سورية،80-85. كان لهذه التطورات نتائج محددة على مداولات السياسة الاقتصادية خلال فترة رئاسة الأسد حيث أدت هيمنة الحزب بشكل فعال إلى التوصل إلى إجماع في الرأي داخل الدوائر المكتبية من أجل نظام اقتصادي مستقر، راجع فولكر بيفس، الاقتصادي السياسي في سورية برئاسة الأسد، لندن: ي.ب. توريس 1998 ص41-53 وص229-230. ورث الأسد جيشاً تم إضفاء الصفة البعثية عليه على نطاق واسع ولكن كان هنالك انعكاس للتصدعات التي ميزت ديناميات القيادة في نظام ما بعد 1963. وبهذا الخصوص كانت بعثية القوات المسلحة بعد عام 1963 قد عززت السياسة العسكرية التي توازي وتعكس الصراعات التكتلية داخل الحزب وزيادة النزعة البريتورية لدى الجيش السوري. عمل الأسد على تحييد هذه النزعات بالمناورة البارعة والحذرة في تعيين وترقية الكوادر. وقد أكمل هذه العملية بإنشاء وحدات خاصة تكرس نفسها لحماية النظام مثل الحرس الجمهوري وما يسمى بسرايا الدفاع بقيادة أخيه رفعت، وبعد أن تحدى رفعت السلطة الرئيس في عامي 1983-1984- تم حل سرايا الدفاع وتم نقل العديد من أفرادها إلى الحرس الجمهوري أو القوات الخاصة. يحمل الحرس الجمهوري مهمة المسؤولية الأولى عن حماية النظام. للاطلاع على المزيد حول تعامل الأسد للقوات العسكرية ومواجهة مع رفعت، راجع سيل، أسد سورية،ص421_440 ماعوز، الأسد: أبو هول دمشق، ص169_170، فان دام، الصراع على السلطة في سورية،ص118_123. لقد ناور الأسد ببراعة مع قيادات الاستخبارات والهيئات الأمنية لمنع أي منهم من أن يصبح الأساس لمنافسه محتملة وتيقن من جعل كل وكالة منهم تراقب الأخرى. حول النقطة راجع، بويتس، الاقتصاد السياسي لسورية بقيادة الأسد، ص 154_153.

(10) حول الجدال في أن نظام الأسد قد حصن نفسه في المجتمع السوري، راجع هينبوش، السلطة الاستبدادية وتشكيل الدولة في سورية البعثية، زيسر، تركة الأسد ص18-24.

(11) كان شعار البعث: وحده حرية اشتراكية. لقد حددت الوحدة التوجه الخارجي للبعث بالتعبير عن الالتزام بأمة عربية واحدة. وأما تنظيمياً فقد انعكس هذا الالتزام في تشكيل يضم أحزاب البعث في الدول العربية في قيادة قومية واحدة،وكل من هذه الأحزاب القطرية تم تحديده في التكوين الإجمالي كقيادة إقليمية تابعة(القيادة القطرية). تحدد الحرية والاشتراكية برنامج البعث في عزل بنية السلطة الراسخة لسورية وعلمنة السياسة السورية وإعادة تكوين النظام الاقتصادي والاجتماعي في سورية حول نشأة حركة البعث وتطور الحزب في سورية، راجع جون ديفلين، حزب البعث: تاريخه منذ نشأته وحتى عام 1966، ستانفورد، كاليف:مطبعة معهد هوفر 1976. يوجد مدرسة ترى في رئاسة الأسد نظاماً طائفياً ضيقاً متأصلاً ومحدوداً بدرجة ما بالطائفة العلوية مع قلة من الأتباع السنة كواجهة. كان هذا يشكل إحدى معتقدات الانتقاد من جانب الإسلاميين السنة للنظام داخل سورية،للاطلاع على المنظور الغربي لهذا الجانب، راجع دانييل بايبس، سورية وراء حدود عملية السلام، واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى 1996. من المؤكد أن العلويين هم أقلية تتوضع في منطقة واحدة من سورية ففي فترة ما بعد الاستقلال قدر الديموغرافيون أن العلويين في سورية يشكلون ما لا يزيد عن 15% من إجمالي عدد السكان، ويقدر عدد السنة بالمقارنة 65-70 %. وتبعاً لهذه الخلفية فإن دور العلويين وخصوصاً من قبيلة الأسد (الكلبية) لم يكن متكافئاً إجمالاً في قيادة سورية منذ انقلاب البعثيين في عام 1963 وصحيح أن أيضاً أن أغلب الضعف المحلي الجدي في نظام الأسد يعود إلى الموقف السيء داخل غالبية الطائفة السنية. ومع ذلك ولأسباب سوف يتم كشفها لاحقاً يكون تأويل نظام الأسد بشكل حصري أو أولي على أنه عصبة علوية الحكم أمراً مبالغاً في بساطته ونظرة مضلله إلى ديناميات (أو اليات) الحكم الاستبدادي في سورية.

(12) تضمنت أسس النموذج البعثي الاقتصادي تأميم الشركات الخاصة التي تزيد عن حجم معين، وملكية الدولة لمراكز السيطرة.

(13) بهذا الخصوص، قال أحد الفنيين الذين حاورهم المؤلف أن نظام الأسد يمكن وصفه في أغلب تاريخه على أنه نظام الريف بقاعدة اجتماعية بين السوريين الريفيين من خلفيات طائفية متنوعة بينما هنالك موقف إشكالي بين السوريين من سكان المدن. لتقييم الإصلاح البعثي للأراضي في سورية، راجع ريموند هينبوش، الفلاحين والبيروقراطية في سورية البعثية: الاقتصاد السياسي للتطور الريفي، بولدر كولو: مطبعة ويست فيو 1989، بيرثس، الاقتصاد السياسي لسورية بقيادة الأسد.

(14) في حين أن البعض من الطائفة العلوية استفاد بوضوح من ارتباطهم بنظام الأسد إلا أنه من القابل للجدل فيما إذا كانت الطائفة العلوية كل قد حظيت بمنافع مادية غير متكافئة من النظام. تدل الزيارات إلى قرى الموطن الريفي للعلويين أن الكثير من هذه المنطقة في بقي غير متطور بالمقارنة مع مناطق ريفية أخرى من سورية. وبالنسبة للمنافع المادية غير المتكافئة التي حصلت عليها شرائح ضيقة

سنياً من الطائفة العلوية ومن طوائف أخرى التي تتمته بصلات وثيقة مع النخبة الحاكمة، اقترح محامي بـارز في المجتمع المدني من أصل سني مدني أنه من الدقة أكثر أن يتم وصف نظام الأسد على أنه نظام المصالح الخاصة أفضل من وصفه بالنظام العلوي.

(15) لم ينبثق فشل الثورة الإسلامية فقط من رغبة الأسد وكبار قادته في تطبيق أي شكل لازم من أشكال القوة لقمع هذه الثورة الإسلامية وأبرز ذلك في حماة في شباط 1982، وإنما أيضاً من الاختلافات التي كانـت قائمة بين تكتلات الإخوان المسلمين في مختلف المدن السورية حيث استغل النظام هذا الأمر، ومـن عدم قدرة الإخوان المسلمين في مختلف المدن السورية حيث استغل النظام هذا الأمر، ومن عدم قدرة الإخوان المسلمين على شق طريق داخلي بين السنة الريفيين فبقيت متمركزة في مدن منفردة و لم تنتشر في عرض البلاد وطولها.

(16) كان الأسد في السنوات الأولى من رئاسته يصلي في المساجد السنية وقد حج إلى مكة وسعى للحصول عـلى الشرعية الدينية لنفسه ولأتباعه العلويين من خلال إصدار فتوى من زعيم الشيعة وبالتالي فهم مسلمين تماماً، راجع ماعوز، الأسد أبو هول دمشق، ص151، زيسر، تركة الأسد ص8-9. بعد أن تم كسـب الصـراع ضـد ثورة الإخوان المسلمين حاول الأسد مرة ثانية أن يتملق السنيين لكسب رضـاهم. وفي التسـعينيات سمح الأسد للمفتي الأول في سورية أحمد كفتارو وهو غير سلفي ومتأثر بالصـوفية لتنظيم حملة وطنية للتعليم الإسلامي لزيادة المراقبة الدينية والطاعات. وفي الوقت ذاته كان هنالك تراخ ملموس وواضح في موقف النظام تجاه عناصر السلفية داخل الدوائر الإسلامية في سورية وقد اتضح ذلك في إطلاق سراح العديد من السجناء الناشطين من الإخوان المسلمين والسماح بعودة عدة قادة مطرودين إلى سورية، راجع زيسر، تركة الأسد ص196-203.

(17) في الوقت الذي تولى فيه الأسد السلطة في عام 1970 كانت قد مرت سبع سنوات على الحكم البعثي في سـورية وغـرس مـا وصفه هينبوش في كتابه، سورية، ص60 بالأولويات الإيديولوجية لحلول اسـتراتيجية الدولة والارتياب برؤوس الأموال الخاصة والشعبية المقيمة. لم يتحدّ الأسد على الإطلاق هذه الأولويات الإيديولوجية ولكنه أحياناً أثناء فترة رئاسته اعتدل في الأوجه المتطرفة إيديولوجياً فيما يخص السياسة الاقتصادية العبثية.

(18) خـلال السـنوات السـتة الجيدة 1970-1976 في بداية فترة رئاسته، قلل الأسد من قيود الدولة المفروضـة على التجارة الخارجية والواردات في انفتاح محدود دون الحد من الدور الاقتصادي المهيمن للدولـة. راجع هينبوش، سورية، ص 89-90، ماعوز، الأسد أبو هو دمشق،ص 74-82، بيرنس، الاقتصـاد السياسـي لسورية بقيادة الأسد ص49-53 ساعدت هذه الإجراءات في استعادة بعض النشـاط للقطاع الخاص الذي يهمن عليه وقد ساعدهم الطقس على الحصول على إنتاج وراعي وافر مما ساعد في دعم الأولويات الاقتصادية الإيجابية لسورية في هذه الفترة. وبالإضافة لذلك في بداية عهد ولايته خلص اللغة المنمقة للصراع الطبقي من الحكومة وبيانات حزب البعث كجزء من الجهد المبذول لتقريـب الشخصيات البارزة من السنة في المدن.ماعوز، الأسد أبو هول دمشق ص74-82، زيسر،

تـــركة الأســــد، ص8-10، إيتامار رابينوبش، الاستقرار والتغيير في سورية، سياسة التغيير في الشرق الأوســـط، تحرير روبرت ساتلوف، بولدور، كولو: مطبعة ويست فيو لمعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى 1993، ص12-14. لمعـــرفة المزيد حول رجال الأعمال الســنيين الذين استفادوا من التقليص الــــذي فرضــــه الـــنظام على الصراع الطبقين راجع فولكر بورنس، نظرة إلى الطبقة العليا السورية: البرجوازية والبعث، تقرير الشرق الأوسط17، أيار- حزيران 1991: 31-37. ولأسباب مماثلة في نهاية الثمانينات ومع حدوث نقص في البضائع المتحة محلياً الأمر الذي أصبح مستعصياً في سورية وافق الأسد على مرحلة انفتاح ثانية حيث سمح لرجال الأعمال في القطاع الخاص باستخدام القطع الأجنبي الــــذي يحصلون عليه من الصادرات لاستيراد الأطعمة الضرورية وسلع استهلاكية هامة أخرى. كان الهـــدف من هذا الإجراء العمل على فائدة عائلات التجار الســنيين العريقة والمساعدة في رفع مستوى معيشـــة أغلب السوريين من الطبقة الوسط بما فيهم السنة. راجع بورنس، الاقتصاد السياسي لسورية بقيادة الأسد ص53-62.

(19) تم تبني دستور 1973 في استفتاء شعبي يوم 12 آذار 1973 وتم تنفيذه في اليوم التالي. وقد تم تعديله في ثلاثة مناسبات يوم 29 آذار 1980، 3 تموز 1991، 11 حزيران 2000. تم تبني التعديل الأخير بعد وفاة حافظ الأسد مباشرة حيث تم تخفيض السن اللازم للرئاسة من أربعين سنة إلى أربع وثلاثين ســـنة لتشريع تولي بشار. يمكن الاطلاع على دستور الجمهورية العربية السورية وتعديلاته بالانكليزية والعربـــــية عــــــلى موقـــــع الانترنـــــت الــــرسمي للـــبرلمان الـــــسوري Syria-people-counsel.org/English/const عــند إنشـــاء الجـــبهة الوطنية التقدمية كانت تضم حزب البعث والحـــزب الشيوعي السوري واتحاد الاشتراكيين العرب(الناصريين) وحركة الاتحاد الاشتراكي(وهي كتلة انقسمت عن حزب البعث في عام 1961) وحركة الاشتراكيين العرب(وهي كتلة انقسمت عن حـــزب البعـــث في عام 1964. حول تاريخ وتطور هذه الأحزاب الفردية، راجع عثمان، الأحزاب السياسية في سورية، بيروت: كتب رياض الريس 2001.

(20) ماعوز، الأسد أبو هول دمشق ص 50، هينبوش، سورية، ص78.

(21) يعـــود مفهــــوم الجماعــــة إلى مايكل سورات. راجع إبرهارد كينل، بين الجماعة والطائفة: السياسة السلطوية في سورية، ائنيزتات، وغسلشفت، أوراق اقتصادية 31، برلين: Das Arabische Buch 1992.

(22) رابينوفيتش، الاستقرار والتغيير في سورية. ص13.

(23) للاطلاع على مناقشة حول ذلك، راجع، دافيد ليش، هل سورية مستعدة للسلام؟ عقبات الاندماج في الاقتصاد العالمي، سياسة الشرق الأوسط 6 رقم 3. شباط 1999.

(24) لعبة المحور الذي تدور حوله الكرات التي لا تتصل ببعضها البعض.

(25) يتحدر نائب الرئيس عبد الحليم خدام على سبيل المثال من عائلة سنية فقيرة في بانياس وهي بلدة تقع عــــلى شــــاطئ الـــبحر الأبيض المتوسط. ولد خدام عام 1932 وكان صديقاً لحافظ الأسد منذ أيام

المدرسة الثانوية حيثما التقى الطالبان كأعضاء في الاتحاد الوطني لطلبة سورية. بدأ خدام عملية كمحام في دمشق وانتقل إلى الحياة السياسية بعد تولي حزب السلطة في عام 1963. كان خدام وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية ما بين عامي 1969-1970، وبعد أن وصل حافظ الأسد إلى الحكم عين صديقه وزيراً للخارجية في عام 1970 ورقاه إلى القيادة القطرية لحزب البعث في عام 1971. بقي خدام وزيرا للخارجية حتى عام 1984 وحينئذ تمت تسميته النائب الأول لرئيس الخارجية بعد تحدي رفعت الأسد لسلطة حافظ الأسد. لمعرفة المزيد عن خلفيات وعمل خدام، راجع سيل، أسد سورية ص37، بيترلين، مسيرة مناضل، دانيل ناصيف، ملف عبد الحليم خدام، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 2 رقم 2، شباط 2000. يتحدر فاروق الشرع وزير الخارجية من عائلة سنية متوسطة في درعا في الجنوب الريفي لسورية. ولد فاروق الشرع عام 1938 ودرس الأدب الانكليزي في جامعة دمشق. بدأ حياته المهنية في الخطوط الجوية السورية وشغل مناصب تنفيذية في الشرق الأوسط وأوروبا. وأثناء إدارته لمكتب الخطوط الجوية الإقليمي في لندن حاز على درجة علمية في القانون الدولي من جامعة لندن عام 1972. عينه وزير الخارجية عبد الحليم خدام سفيراً لسورية في إيطاليا عام 1976. عاد إلى دمشق في عام 1980 وعمل نائبا لوزير الخارجية منذ عام 1980 ولغاية ترقية خدام إلى منصب نائب الرئيس في عام 1984 ثم أصبح وزيراً للخارجية. ولد وزير الدفاع مصطفى طلاس في عام 1932 لعائلة سنية في قرية الرستن قرب مدينة حمص. وابتع لمح حافظ الأسد في عدة أوجه فقد انضم إلى صفوف حزب البعث وهو ما يزال مراهقاً في عام 1947 وتم قبوله في أكاديمية القوى الجوية الحديثة آنذاك عام 1952 حيث التقى بالأسد وأصبحا صديقين مدى الحياة. عمل الاثنان كطيار حربي في مصر أثناء فترة الجمهورية العربية المتحدة. يذكر سيل في كتابه أسد سورية ص68-69 أنه حينما سجن الأسد في مصر عام 1961 بعد فك الوحدة، اتكل على طلاس في إعادة زوجته وطفلته بشرى إلى سورية بأمان وقد منحت هذه الفترة طلاس رابطة مودة وصداقة شخصية مع الأسد بشكل غير عادي وقد أبقى الرئيس السوري طلاس حزءاً من حلقته الداخلية رغم تعليقاته المتحولة والغريبة إلى حد مربك حول المؤامرات اليهودية وأسلاف العديد من القادة العرب مما كان يضمن تنحيته. كان طلاس عضواً في القيادة القطرية لحزب البعث منذ عام 1969 وبقي وزيراً للدفاع حتى تقاعده في أيار 2004. للاطلاع على المزيد حول خلفياته وعمله راجع ملف العماد طلاس، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 2 رقم 6، تموز 2000، وإعلان تقاعده وفقاً لوكالة سانا في 11 أيار 2004.

(26) لمناقشة ذلك، راجع ماعوز، الأسد أبو هول دمشق ص42-45، سيل، أسد سورية ص339-340، ليزا ويدين، غموض الهيمنة: السياسة والرموز واللغة المنمقة في سورية المعاصرة، مطبعة جامعة شيكاغو 1999.

(27) راجع هيبوش، سورية ص113.

(28) ينبثق هذا الغياب للجهاز الجوهري للرئاسة الحديثة من خصوصيات أجندة حافظ الأسد الرئاسية. لقد

ركز الأسد على السياسة العليا للأمن القومي لسورية وعلى العلاقات الخارجية والتأكيد على استقرار نظامه وأبدى اهتماماً قليلاً في جوهر السياسة المحلية في أغلب المجالات. ترك التفاصيل لمختلف الوزارات التي كانت تعمل وفقاً لتوجيهات حزب البعث. لاطلاع على مزيد من المناقشة، راجع، هينبوش، سورية، ص80-85. كانت غزواته في مجال التحرير الاقتصادي لهذا الغرض بالذات وذات طبيعة تكتيكية و لم تكن خيارات استراتيجية جوهرية. سعياً وراء إجراءات التحرير المحدودة كان يميل إلى نقل السلطة المحددة إلى الفنيين الأفراد الذين كسبوا ثقته، بدلاً من إعداد الكادر الذي يحتاجه للإشراف على إصلاحات جهازية، مثال على شخصية كهذه هو وزير الاقتصاد إبراهيم العمادي وهو شخصية غير بعثية طالت خدمته في وزارة الاقتصاد وساعد في تنفيذ إجراءات التحرير في السبعينيات وعملية الانفتاح الثانية في أواخر الثمانينات وبداية التسعينيات. بالإضافة إلى أن أسلوب المحور والبرامق في إدارة الأسد في التعامل مع الحلقة الداخلية حول قضايا السياسة العليا كان ضد تطوير كادر رئاسي حديث.

(29) حول تحضيرات نقل الولاية، راجع زيسر، تركة الأسد، ص153-178.

(30) للاطلاع على مناقشة جهود بشار منذ بداية رئاسته في أن يقدم نفسه ممثلاً للاستمرارية بالإضافة إلى التغيير، راجع بوسي بايدانز، السنة الأولى لبشار : من طب العيون إلى الرؤية القومية، بوليسي فوكس 41، واشنطن:معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، تموز 2001 ص17-24.

(31) في تشرين الأول 1999 هاجمت قوات الأمن السوري المؤيدين لرفعت في المنطقة المحيطة باللاذقية وكان هذا ظاهرياً علامة على تصميم النظام في إحباط أية محاولة من جانب رفعت لمنع وصول ابن أخيه إلى السلطة. راجع، رفعت الأسد والأزمة السياسية السورية، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 1 رقم 10، تشرين الأول 1999.

(32) الغريب أن المؤلف قد سمع مثل هذا الادعاء دون تدقيقه، أو البحث به بصورة تنسجم مع أدائه الأكاديمي، وسواء أكنا نتفق معه أو نختلف، فإنه كان عليه تدقيق هذه الصورة غير الصحيحة والتي تعتمد تلفيقات جريدة كويتية فقط، بخلاف ما يعرفه كل السوريين إزاء هذا الموضوع بالذات(المدقق).

(33) في مقابلة مع الصحافة العربية في عام 2001 تناول بشار موضوع استخدام مصطلح الحرس القديم على لسان الصحفيين وقال: فيما يتعلق بالحرس القديم فقد سئلت هذا السؤال من قبل وقلت أن الحرس القديم هو مصطلح يتم استخدامه في وسائل الإعلام. فماذا نقصد به؟ ماذا نقصد بالقديم؟ هل نقصد الإشارة إلى السن؟ أم نقصد الشخص الذي أمضى فترة طويلة في الخدمة؟ أم أنه الشخص ذو التفكير المنغلق بمعنى أنه قديم ومتأخر في تفكيره؟ هنالك إذا عدة تفسيرات. أنا أرى أن هنالك أشخاص مع التحديث وآخرين ضده والعكس صحيح فهنالك أشخاص شباب ومعنيين حديثاً ولكنهم ضد التحديث ولذلك فهذا المصطلح غير دقيق، إذاعة الجمهورية العربية السورية من دمشق، 28 حزيران 2001.

(34) وبأسلوب مماثل وصف محام بارز في المجتمع المدني السوري للمؤلف التأثير السخيف للقطاع الخاص الفاسد الراسخ ذي الميزانية المستقلة عن الدولة. وتحدث رجال الأعمال الشباب المهتمين في التوصل إلى محيط أكثر مساعدة للالتزام الحقيقي في بلادهم عن القطاع الخاص للحرس القديم المعتمد على تحالفهم مع المسؤولين والبيروقراطيين.

(35) هذه العبارة مأخوذة عن توماس فريدمان، The Lexus and the olive Tree نيويورك : فارار، ستراوس، وجيروكس 1999 ص86-92.

(36) دنيس روس الذي أمضى وقتاً طويلاً مع الأسد أكثر من أي مسؤول أميركي آخر في العقد الأخير من رئاسته قال عن الأسد أن فهمه للنظرية الاقتصادية هو في حدوده الدنيا ولكن في محاوراته مع الرئيس السوري حول قضايا اقتصادية يخرج ولديه انطباع بأنه يحاور شخصاً حاز على جائزة نوبل.

(37) سيل، أسد سورية، ص 100 – 102.

(38) بعد تولي الأسد السلطة في عام 1970 حدثت ثورات إسلامية في عدة مدن سورية، في دمشق عام 1972، في دمشق وحماة عام 1973، في حلب وحماة عام 1975. وكان من السهل نسبياً احتواء هذه الثورات. وحينما حصل التحول الاقتصادي في عام 1976 تمكن الإخوان المسلمون من حشد وإيجاد ثورة أكثر شمولية ضد نظام الأسد.

(39) خلال السبعينيات على سبيل المثال، تلقت سورية سيلاً نقدياً على شكل مساعدات وقروض من الدول العربية المنتجة للنفط ومن متبرعين ومقرضين دوليين كما أن الحوالات النقدية من العاملين السوريين في قطاعات النفط الأجنبية أصبحت أيضاً مصدراً هاماً للنقد الأجنبي. وفي نهاية الثمانينات استفادت سورية من توسيع إنتاجها وصادراتها النفطية. ورغم بقاء سورية دولة صغيرة بصفتها منتجة للنفط بالمقارنة مع بلدان الشرق الأوسط إلا أن النفط أصبح قطاعاً هاماً بشكل متزايد بالنسبة للاقتصاد السوري أثناء العقد الأخير من رئاسة حافظ الأسد. يصح هذا بشكل خاص على ما يتعلق بتوازن المدفوعات في سورية وقد أتاح تدفق النقد الأجنبي من صادرات النفط للأسد في أن يتجنب أية أزمة يمكن أن تجبره في إعادة النظر بشكل شامل في السياسات الاقتصادية الأساسية، زيسر، تركة الأسد ص 62. وفي أعقاب حرب الخليج الفارسي تلقت سورية ما يزيد عن 2 مليار دولار كمساعدة جديدة من الدول العربية المنتجة للنفط لقاء مشاركة سورية في الائتلاف الذي طرد القوات العراقية من الكويت، راجع بيرنس، الاقتصاد السياسي لسورية بقيادة الأسد ص 29-31. وفي السنوات الأخيرة تضاءلت المساعدات المالية لسورية من المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى.

(40) مراقبة الشرق الأوسط، سورية بلا قناع ص 1

(41) سليفيا بولنغ، قانون الاستشمار رقم 10: ما المستقبل الذي يحمله للقطاع الخاص؟ في سورية المعاصرة: التحرر ما بين الحرب الباردة والسلام البارد، تحرير إبرهارد كينل، لندن: ي . ب توريس 1994 ص 14 – 25، بيرنس، الاقتصاد السياسي لسورية بقيادة الأسد ص 58-59.

(42) يعبر المؤلف عن امتنانه لمارتين إنديك على هذه النقطة . لقد كان أحد أسباب فشل الأسد في الارتباط الجـــدي بالهيـــئات الدولية ناشئاً عن إدراكه أن الإدارات الأميركية المتعاقبة وبحكم التزامها بالقانون الأميركـــي فســـوف تكون مجبرة على التصويت ضد سورية في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي بسبب تصنيف سورية كدولة راعية للإرهاب.

(43) حول الاقتصاد الذي ورثه بشار، راجع فولكر برنس، الاقتصاد السياسي للخلافة السورية، سورفايفال 43 رقم 1، ربيع 2001

(44) هذه الأرقام حول المشاريع الدولة وعدد العاملين في المكاتب مأخوذة عن هيئة تخطيط الدولة السورية.

(45) بولـــنغ، قـــانون الاســـتثمار رقـــم 10، زيسر، تركة الأسد ص 188-190، وحدة استخبارات الايكونوميـــست، ســـورية: صورة البلاد 2000 ص 15 - 16، www.eiu.com، هشام ملحم، سورية بين انتقاليين، تقرير الشرق الأوسط رقم 203 ربيع 1997 ص 2-7.

(46) برنس، الاقتصاد السياسي للخلافة السورية.

(47) حـــول أهمـــية القطـــاع الـــزراعي والتقلبات السنوية في المحصول تبعاً للأحوال الجوية، راجع وحدة لاســـتخبارات الاقتصـــادية، سورية: صورة البلاد 2003 ص 30 -33، البنك الدولي، الجمهورية العربية السورية: موجز عن البلاد، واشنطن: تشرين الأول 2001.

(48) يـــتم تقدير إحصائيات النمو السكاني في سورية من قبل مصادر مختلفة. وفقاً لأحد المصادر احتفظت سورية بمعدل النمو السكاني الطبيعي خلال أواسط التسعينيات، 3,3 – 3,5%، راجع زيسر، تركة الأســـد ص 191 – 192. قدمت الايكونومست معدلاً منخفضاً أكثر فيما بين 1998-2003، 2,6% في الســـنة، وحـــدة استخبارات الايكونومست، سورية: صورة بلد 2003 ص 14- 53. قدرت الأمم المتحدة معدل النمو السكاني في سورية ما بين عامي 1975 -2001 بنسبة 3,1% و تقـــدر زيـــادة بمعـــدل 2,2% بالسنة مابين 2001- 2015،برنامج التطوير التابع للأمم المتحدة، مؤشـــرات الـــتطور البشري: اتجاهات ديموغرافية: الجمهورية العربية السورية، تقرير 2003 للتطور البشري الصادر عن الأمم المتحدة، مطبعة جامعة اكسفورد 2003 ص 252.

(49) يقـــدر برنس وجود 200,000 – 250,000 داخل جديد إلى سوق العمل سنوياً، راجع برنس، الاقتصـــاد السياسي في الخلافة السورية، بروز الجيل الشاب هو ظاهرة ديموغرافية، يكون ضمن الفئة الشـــابة كل من كان دون سن الرابعة والعشرين وهؤلاء أكثر من أي مجموعة عمرية أخرى في عدد الســـكان. يواجـــه الشـــرق الأوسط ككل هذا التحدي الديمغرافي الذي سيزداد عمقاً في السنوات الخمســـين القادمة. لن تكون سورية ضمن البلدان المتأثرة ببروز الشباب ولكنها ستعاني من توترات هامـــة جديدة تتعلق بالبنية الأساسية الاجتماعية بما في ذلك المنشات التعليمية والخدمات الاجتماعية والســـكن واحتياجات التوظيف والتي إذا لم تتم تلبيتها سوف تقود إلى عدم استقرار اجتماعي يمكن التنـــبؤ بـــه والتقلب والراديكالية. للاطلاع على تقرير شامل حول بروز فئة الشباب وتأثيراته، راجع غـــراهام فولـــر. عـــامل الشباب: الديمغرافيات الجديدة في الشرق الأوسط ومدلولاتها على السياسة

الأمير كية، مشروع بروكنغز حول السياسة الأميركية تجاه العالم الإسلامي، أوراق تحليلية 3، واشنطن: مركز صبان لسياسة الشرق الأوسط في معهد بروكنغز، حزيران 2003.

(50) تقدر الحكومة السورية أن القوة العاملة لديها ستكون في عام 2011، 7,21 مليون نسمة. من بين عدد سكانها الذي يصل إلى 25 مليون نسمة. ولاحتواء هذا الحجم لا بد من تأمين ما يقارب 300,000 وظيفة جديدة كل سنة على مدى عقد كامل في حين كانت الحكومة والقطاع الخاص قادرين على تأمين 80,000 وظيفة في السنة في أواخر التسعينات. كانت نسبة البطالة الرسمية 11,2% في أواخر عام 2002 ولكن التقديرات غير الرسمية تقول أنها 30%، وقد حددها كتاب حقائق العالم الذي تصدره وكالة الاستخبارات المركزية بنسبة 20% في عام 2003، في حين تعتقد وحدة استخبارات الايكونومست أن هذا الرقم يمكن أن يصل إلى 25% إذا ما تم ضم الوظائف الثانوية إليه. إن غالبية القوة العاملة التي تتراوح ما بين 200,000 إلى 350,000 من الداخلين الجدد إلى سوق العمل في السنة لن يكونوا قادرين على إيجاد وظيفة وفقاً للمعدل الحالي في إيجاد الوظائف وبالتالي سينضمون إلى صفوف العاطلين عن العمل وخصوصاً أن حوالي 50% من إجمالي عدد السكان كان دون سن الرابعة عشرة في عام 2000 و40% تحت سن الخامسة عشرة في عام 2003. من المحتمل ألا يكون هناك دقة في تحديد أرقام العاطلين عن العمل والداخلين الجدد إلى سوق العمل حيث أن هذه الأرقام لا تأخذ بعين الاعتبار ازدياد المشاركة النسائية في مجال العمل. حول هذه الأرقام، راجع زيسر، تركة الأسد، ص 1913، بونس، الاقتصاد السياسي للخلافة السورية، حقائق العالم عن وكالة الاستخبارات المركزية، وحدة استخبارات الايكونومست، سورية: صورة بلد طبعات 2000و2003، الشراكة بين الشرق الأوسط وأوروبا،سورية: أوراق إستراتيجية بلد 2002- 2006 كانون الأول 2001 ص

http: Europe. eu. Int/comm./external_relations/Syria/csp/index.htm 9

آلان جورج، سورية: لا خبز ولا حرية، لندن: كتب زد 2003 ص 163.

(51) يقدر البنك الدولي أن على سورية أن تحقق نسبة نمو مقدارها 5% في إجمالي الناتج المحلي لتحسين مستوى معيشة شعبها في حين كانت نسبة عام 2000 هي 1,5% فقط. ويقدر الاتحاد الأوروبي في سياق تقديرات الشراكة الأوروبية – المتوسطية أن سورية تحتاج إلى نسبة نمو مقدارها 6% لاستيعاب الداخلين الجدد من القوة العاملة بالإضافة إلى المحافظة على مستوى معيشي مقبول. راجع البنك الدولي، الجمهورية العربية السورية: موجز بلد، وحدة استخبارات الايكونومست، سورية: صورة بلد 2003 ص 14، الشراكة الأوروبية – المتوسطية، سورية: أوراق إستراتيجية بلد 2002 – 2006 ص 10

(52) قال بشار في خطاب التولية أنه من المهم اتخاذ خطوات ثابتة وتدريجية في سبيل إجراء التغييرات الاقتصادية من خلال قوانين التحديث وإزالة العقبات البيروقراطية في وجه الاستثمارات المحلية والأجنبية وحشد رأس المال الخاص والعام وتفعيل القطاع الخاص ومنح فرص عمل أفضل، راجع،

بشار الأسد يؤدي القسم، التلفزيون العربي السوري، دمشق، 17 تموز 2000

(53) فوجئ المؤلف أثناء حديثه مع المسيحيين السوريين بدرجة قبولهم لنظام حافظ الأسد حيث عزا المسيحيون دعمهم لنظام الأسد على أنه النظام الذي حماهم والأقليات الأخرى من حكم أصولي سني.

(54) سيل، أسد سورية ص 316 – 338، ماعوز، الأسد أبو هول دمشق ص 149 – 163.

(55) فريدمان، توماس، فصل قوانين حماة، من بيروت إلى القدس، نيويورك، ستراوس وجيروكس 1989 ص 76 – 105.

(56) يسر، تركة الأسد، ص 196 – 203. تبعثر من تبقى من الإخوان المسلمين في المنفى في مختلف المدن الأوروبية وفي الأردن. ويبدو أن الجماعة احتفظت بقدرات تنظيمية سرية في سورية ولكن هذا النظام لم يصل إلى حد التحدي الحقيقي العام للنظام على مدى ما يزيد عن عشرين عاماً. أظهرت المعارضة علامات انبعاث وولادة جديدة في أعقاب انهيار الأنظمة الفاشية في أوروبا الشرقية والمعارضة العامة لمشاركة سورية في ائتلاف حرب الخليج الأولى. وسرعان ما تلاشت هذه التحديات التي اقتصرت على نشر منشورات معادية للحكومة في الجزء الأكبر منها واحتجاجات شائعة ضد الحرب.راجع رابينوفتش، الاستقرار والتغيير في سورية، ص 18.

(57) فكر الأسد في أوائل التسعينيات بإنشاء حزب إسلامي معتدل تحت ظل رعاية النظام ولكن من الواضح أنه خشي أن ينتحل شعار الإسلام المقنع الفعال ويجعل حزب البعث يبدو لا إسلامياً ويصبح بالتالي قناة لمعارضة حقيقية. راجع، ريمون هينبوش، سورية: سياسة السلام وبقاء النظام، سياسة الشرق الأوسط 3 رقم 4، 1995: 83.

(58) حظيت الزعة الإسلامية لدى السنة السوريين بمزيد من اهتمام وسائل الإعلام مؤخراً، راجع على سبيل المثال، نيل ماكفاركوهر، سورية، العلمانية المديدة التي لا ترحم والتمرد الإسلامي المتحمس، نيويورك تايمز، 24 تشرين الأول 2003. ولكن هذه الظاهرة ليست بالجديدة وفي الواقع أن أي مراقب أجنبي يسافر إلى سورية بانتظام على مدى العقد الماضي أو ما يقارب ذلك سوف يصعق بازدياد المظاهر الصريحة للتقوى الإسلامية بين السوريين السنة، راجع على سبيل المثال، روبرت ستالوف، أيام قلقة على سورية، جيروسالم ريبورت 16 تموز 1992.

(59) تشير إحصائيات التقسيم السكاني للأمم المتحدة أن نسبة سكان المدن في سورية كانت 46,7% في عام 1980 وقد وصلت إلى 51,4% في عام 2000 وهي في طريقها لان تصبح أكثر من 60% مع حلول عام 2020. وقدرت وحدة استخبارات الايكونومست أن 75% من سكان سورية في عام 2003 يعيشون حوالي المدن الستة الأكبر في سورية، التقسيم السكاني الصادر عن الأمم المتحدة، الدلائل السكانية للعالم: قاعدة بيانات المراجعة السكانية لعام 2002، قاعدة السكان الصادرة عن الأمم المتحدة، /esa.un.orq/unpp، ووحدة استخبارات الايكونومست سورية: صورة بلد 2003، ص 14.

(60) في محاورة شخصية مع المؤلف. مات كفتارو في الأول من أيلول 2004 بعمر التاسعة والثمانين. يمكن الاطلاع على تفاصيل حياته وعمله على موقع الانترنت:
www.Kuftaro.org/English/biography.htm
تأسست حركة كفتارو في منشأة أبو النور الإسلامية على أسم مسجد في دمشق أقيمت فيه المنشأة وهي ترعى الأعمال التعليمية وفيها مركز تعليم اللغة وأعمال الإحسان والدعوة. ورغم رعاية النظام لهذه المنشأة فإنها تعتبر منشأة دينية مستقلة عن الحكومة وتحت رعاية وزارة الأوقاف. تولى صلاح الدين كفتارو ابن مؤسس المنشأة إدارتها منذ وفاة والده. موقع المنشأة على الانترنت: www.abunour.net/english/index.htm للاطلاع على المزيد حول المنشآت الدينية في سورية راجع، بول هيك، التجديد الديني في سورية: حالة محمد حبش، الإسلام والعلاقات المسيحية – المسلمة 15 رقم 2، 2004

(61) صادق العظم أستاذ مادة الفلسفة في جامعة دمشق على مدى ما يزيد عن ثلاثة عقود كان طيلة فترة عملــه مدافعاً عن الحداثة العلمانية، وفي النهاية برغم توجهه الماركسي كان أحد العناصر الفاعلة في الــتحرر الديمقــراطي على أنه الطريق الوحيد المقبول لمستقبل العالم العربي. تدرب في الغرب، في بيل أساساً وقد كتب مقالات نقدية قاسية حداً عن البدائل غير التحررية التي ظهرت في التجارب السياسية للمجــتمعات العربية في مرحلة ما بعد الاستقلال. وفي عام 1968 نشر، نقد الذات بعد الهزيمة، وهو الهــام مدمر للاشتراكية الثورية للأنظمة البعثية التقدمية أو الناصرية. وفي العام التالي نشر نقد الفكر الديني وهو من أول الأعمال التي انتقدت الإسلام السياسي.و مقابل نشر هذه الأعمال خسر منصب الأســتاذ في الجامعــة الأميركية في بيروت وعاد إلى موطنه سورية حيث عمل هناك فيما بعد. وفي الســياق الســوري كان العظم رائداً كواضع نظريات ومدافعاً عن المجتمع المدني وأهميته في تحديث المجتمعات العربية التقليدية. للاطلاع على المزيد حول عمل العظم وأهميته راجع، فؤاد عجمي، المأزق العربي: الفكر السياسي العربي والممارسة منذ عام 1967، مطبعة جامعة كامبردج، 1981 ص 30 - 37، 141-149، قصر أحلام العرب: أودية الأجيال، نيويورك : بانثيون 1998 ص 142-144.
كان محمد عزيز شكري أستاذ مادة القانون الدولي، وكان بشكل متقطع عميد كلية الحقوق في جامعة دمشــق على مدى ما يقارب أربعين عاماً. وقد كان منذ عام 2003 العميد المؤسس لكلية العلاقات الدولــية في جامعــة القــلمون. اكتــب درجات علمية في مجال القانون من جامعة فرجينيا وجامعة كولومبــيا قــبل عودته إلى جامعة دمشق لمتابعة عمله في المجال الأكاديمي. لقد كان على مدى طويل مدافعــاً عن الحرية الأكاديمية والاستقلال المؤســساتي للجامعات السورية مما جعله احياناً في نزاع مع الســلطات السياسية في سورية. وفي توازن مع هذا كان دفاعه العلني عن الأسس المفاهيمية للسياسة الخارجــية السورية والدبلوماسية العامة يجعله شخصية مفيدة بالنسبة لنظام الأسد. راجع على سبيل المثال، شكري، الإرهاب الدولي: نقد قانوني، براتلبورو: كتب أمان 1991

(62) ريمـون هينبـوش، الدولة والمجتمع المدني في الشرق الأوسط، تحرير أغسطس رينشارد نورتون، المجلد الأول، نيويورك : ي . ج . بريل 1995 ص 214- 242

(63) علـى الـرغم مـن الحق الدستوري في إقامة منظمات المجتمع المدني في سورية، تم حظر إنشاء هذه المـنظمات باسـتخدام الحكومة لقوة الطوارئ لقمع أي قوة ناشئة من الشخصيات المعارضة وقيام الأحزاب السياسية المستقلة راجع المقال: سورية: علاقات الدولة والمجتمع المدني، برنامج حول الحكم في المـنطقة العربية، التابع للامم المتحدة www.pogar.org/countries/syria/civil.htm راجع أيضاً، جورج، سورية.

(64) يصـف هينبـوش هذه الخلفية بقوله: تأصلت السياسة الخارجية لسورية في النهاية بالإحباط التاريخي للطموحـات الوطنـية السـورية بسبب الامبريالية الغربية. والعداء للصهيونية والتأييد للعرب والتأييد لسـورية منح السياسة الخارجية السورية دفعاً اشتراكياً وتحريرياً وحدودياً، ريموند هينبوش، الأحلام الاشـتراكية .. استراتيجيات واقعية، السياسات الخارجية للدول العربية: تحديات التغير، تحرير بهجت قرني وعني ي . هلال دسوقي، الطبعة الثانية، بولدر، كولو: مطبعة ويست فيو 1991 ص 374

(65) كـان الأسـد يحتفظ بلوحة ضخمة لانتصار صلاح الدين على الصليبيين في معركة حطين في مكتبه الرئاسـي وكـان غالباً يرغب في رواية الحكايات المطولة عن تاريخ الشرق الأوسط بدءاً من انتصار صلاح الدين على الصليبيين وتحرير القدس على أسماع أعضاء السلك الدبلوماسي الأجانب والمسؤولين الذيـن يزورونه. وكان كثيرا مايوازن بين إسرائيل والدول الصليبية والقوى الامبريالية بقوله: إنه ليس صـراعاً بين العرب واليهود فنحن لا نكره اليهودية كدين ولكننا نكره الصهيونية كحركة استعمارية غازية .. يمثل عصر اسرائيل سدس فترة هيمنة الصليبيين على بلادنا، ماعوز، الأسد أبو هول دمشق، ص 85، 104

(66) يوجـد بعض السخرية والتهكم التاريخي في هذا. ففي شباب الأسد كان حزب البعث الذي التحق الأسـد بصـفوفه في فترة مراهقته يمثل البطل الغيور المدافع عن الوحدة العربية الشاملة. كان المنافس الأول للحزب بتعاً للأنصار من الشباب من حواشي المجتمع السوري في ذلك الوقت تنظيم عرف فيما بعـد باسم الحزب القومي الاشتراكي السوري الذي دافع عن الوحدة السورية الشاملة اعتماداً على مفهوم سورية الكبرى.

(67) ماعوز، الأسد أبو هول دمشق ص 45 - 48

(68) أخبـر رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل مسؤولين أمريكيين في عدة مواقف من فترة حكمه أن حافظ الأسد برأيه هو أكثر القادة العرب ذكاء ومكراً استراتيجياً. وقد قال الرئيس الأمريكي بيل كلنتون : مـن بين جميع قادة الشرق الأوسط الذين قابلتهم لا أعتقد أن هنالك من هو أذكى من الرئيس الأسد وفقـاً لمعـايير الذكاء.. أنه رجل متألق. دافيد ماكوفسكي، كلنتون: الأسد رجل متألق ولكنه خسر فرصة استعادة الجولان، جيرو سالم بوست، 19 حزيران 1996.

(69) هينـــوش، أحلام اشتراكية واستراتيجيات واقعية ص374-375، في حين لم يكن الأسد أقل التصاقاً بكـــرب ســـورية وأحلامه ممن سبقوه فقد كان مهياً لرسم مسار أكثر واقعية يوافق أهداف سورية ووسائلها ورجح أهدافها وركز على استرداد الأراضي المحتلة والدفاع عن دولة سورية وتعزيز موقفها في العالم العربي كما أنه ارتقى بإمكانياتها إلى حد كبير.

(70) في الواقـــع، في الأيـــام التي تلت المسارين الفلسطيني والسوري في مدريد لمباحثات عملية في الشرق الأوسط كان أعضاء إدارة كلنتون في فريق مباحثات السلام يسخرون بعبارة واحدة حيث يقولون أن الزعيم الفلسطيني تكتيك بلا استراتيجية فإن الأسد بالمقارنة استراتيجية بلا تكتيك.

(71) ماعوز، الأسد، أبو هول دمشق ص45-48.

(72) راجع بيانات أدلى بها الأسد في مقابلة عام 1974: نأمل ونسعى من أجل السلام الحقيقي في الشرق الأوسط الذي من شأنه أن يمكننا من متابعة كل مراحل تطورنا الاقتصادي والتعليمي والتقني والثقافي. وهذا سيحدث فقط بعد الانسحاب الكامل وحل قضية الحقوق الفلسطينية. يكون السلام ممكناً بعد إزالـــة كـــل هذه المآسي. أعتقد أنه بإمكاننا أن نجد في قرارات الأمم المتحدة الدليل على الأقل الذي يوجهـــنا لإيجـــاد حل دائم لهذه المسألة الهامة وهي القضية الفلسطينية. سوف ندعم أي قرار تأخذه مـــنظمة الـــتحرير الفلسطينية وأنني أتخيل أن ما ستقرره منظمة التحرير الفلسطينية لن يتعدى جوهر قرارات الأمم المتحدة وكل هذه القرارات لا تدعو إلى تفكيك إسرائيل. ارنود دو بوشغراف، حافظ الأسد: يمكن البقاء للسلام العادل، نيويورك 10 حزيران 1974 ص10-11.

(73) وصف لصراع الأسد من أجل انتزاع السيطرة على لبنان من إسرائيل، والفلسطينيين، والفصائل اللبنانية المختلفة، روفن أبي ران، التورط السوري في لبنان منذ عام 1975، بولدر، كولو، مطبعة ويست فيو 1991.

(74) ايتامار رابينوفتش، الحرب من أجل لبنان 1970-1985، مطبعة جامعة كورنل 1985 ص36-37، كان لدى سورية اهتمامات سياسية وأمنية في لبنان. كان لبنان كمجتمع سياسي مفتوح يشكل تهديداً عـــلى المجتمع السياسي المغلق في سورية. كان بالإمكان استخدام لبنان من الناحية العسكرية من قبل إسرائيل للالتفاف على الدفاعات السورية أو من قبل سورية لفتح جبهة جديدة ضد إسرائيل. ولكن قـــادة سورية وضعوا لبنان في سياق أكبر كان المقصود منه الاستفادة من تدهور مكانة مصر في العالم العـــربي وتطوير قاعدة سلطة مستقلة لسورية والاعتماد على قوتها العسكرية واتساع النفوذ السوري عـــلى المحيط المباشر في الأردن ولبنان ومع الفلسطينيين. كانت الأراضي اللبنانية حيوية بالنسبة لنظام يحمـــل طموحـــات عربية شاملة فكانت تمثل قاعدة لمنظمة التحرير الفلسطينية ومركزاً لعدة أحزاب وحركات سياسية عربية.

(75) قـــدر القائد السوري أنه ما لم يضع حداً للعناصر الفلسطينية والإسلاميين الراديكاليين الذين يسعون لقلب نظام الدولة اللبنانية فإن هذه الزعزعة يمكن أن تنتشر إلى سورية. وقد قال الأسد أنه من الصعب

رســــم خط بين أمن لبنان بمعناه الواسع وأمن سورية. راجع آديد داويشا، دوافع التدخل السوري في لبـــنان، صــــحيفة الشرق الأوسط 38 رقم 2 ربيع 1984. في المؤتمرات التي تضم مندوبين لبنانيين وفلسطينيين وسوريين في القاهرة والرياض في خريف عام 1976 أيدت أهم دولتين عربيتين وهما مصر والســــعودية التدخل السوري. كما أن الولايات المتحدة بإدارة كلا من كارتر وفورد اتبعت المنحى ذاتـــه لتدبر أمر مخاطر المواجهات المباشرة بين إسرائيل وسورية. الملفت في الأمر أن إسرائيل وسورية توصلتا في عام 1976 إلى أول اتفاق للخط الأحمر بينهما حيث سورية بعدم تشكيل تهديد عسكري مباشر على إسرائيل من منطقة الحدود الإسرائيلية- اللبنانية.

(76) جاء نقل منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن إلى لبنان في عام 1970 واندلاع الحرب الأهلية في عام 1975 فخلقـــت فراغاً أمنياً زعزع الاستقرار في العديد من المناطق اللبنانية بما في ذلك الجزء الجنوبي الـــذي يحـــد إسرائيل. وكانت الالتزامات السورية وفقاً لاتفاقية الخط الأحمر في عام 1976 في إبقاء قواتها بعيداً عن منطقة الحدود الإسرائيلية- اللبنانية قد جذبت الكوادر شبه العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية إلى المنطقة لتمثل تهديداً يومياً من قوات المدفعية الفلسطينية والهجمات الإرهابية ضد شمالي إســـرائيل من الجنوب اللبناني بالإضافة إلى خطر أن تسود الغلبة في بيروت لمنظمة التحرير الفلسطينية والعناصـــر الراديكالـــية اللبنانية المسلمة. وسرعان ما أصبح الجنوب اللبناني المركز الرئيس لانطلاق العمليات الفلسطينية ضد المصالح الإسرائيلية. فكان في هذا ما حفز إسرائيل على بدء عملية الليطاني في آذار 1978 حيث تمكنت فيها قوات الدفاع الإسرائيلية من كسب منطقة أمنية مجاورة تحت سيطرتها في جـــنوب لبـــنان. لمزيد من الاطلاع والتقييم راجع، رابينوفتش، حرب لبنان ص89-110. ومع تدهـــور الوضـــع الأمني على طول حدودها الشمالية كثفت إسرائيل من تدخلها في لبنان في أواخر السبعينيات وطورت تحالفاً وثيقاً بشكل متزايد مع العناصر المهيمنة من الطائفة المارونية اللبنانية. توافق ازدياد دور إسرائيل في الشؤون اللبنانية مع سطوة حركة الكتائب المرتبطة بعائلة الجميل على منافسيها للســـبق السياسي بين المارونيين اللبنانيين وخصوصاً عائلة فرنجية. زئيف شيف وأيهود يآري، حرب لبنان- إسرائيل، ترجمة وتحرير إينا فريدمان، نيويولاك: سيمون وشوستر 1984 ص18-30.

(77) رابينوفتش، الحرب من أجل لبنان ص110-11.

(78) لمـــزيد مـــن المناقشة راجع، شيف ويآري، حرب إسرائيل في لبنان، شيلا ريان، غزو إسرائيل للبنان: خلفية (!) مة، صحيفة دراسة فلسطينية 11 رقم 4، 12 رقم 1 صيف وخريف 1982.

(79) لمزيد من التحليل راجع رابينوفتش، الحرب من أجل لبنان ص110—153.

(80) وصـــلت القـــوات متعددة الجنسيات إلى بيروت يوم 21 آب 1982 وغادرت يوم 10 أيلول بعد إكمال مهمتها في الإشراف على رحيل مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت. بعد اغتيال بشير الجميل في 14 أيلول وحدوث مجازر صبرا وشاتيلا في معسكرات اللاجئين الفلسطينيين عادت القوات مـــتعددة الجنســـيات يوم 29 أيلول مع تواجد فريق الطوارئ الأميركي في مطار بيروت الدولي لغاية

انسحابها من البلاد في شباط 1984.

(81) لمزيد من التفاصيل، راجع الاسداير داريسديل وريموند هينبوش، سورية وعملية السلام في الشرق الأوسط، نيويورك: مطبعة مجلس العلاقات الخارجية 1991 ص192.

(82) لمزيد من المناقشة راجع، ديليب هيرو، لبنان: النار والجمرات، تاريخ الحرب الأهلية اللبنانية، نيويورك: مطبعة سانت مارتين 1992 ص94-110.

(83) كان الأسد في تدخلاته مستعد دوماً لاستخدام القوة وحتى العنف الإرهابي ليس فقط ضد أعدائه وخصومه في لحظة معنية وإنما أيضاً ضد حلفائه الظاهرين كيلا يدع مجالاً للشك حول الهيمنة السورية. ففي عام 1987 على سبيل المثال امر الأسد القوات السورية التوجه إلى بيروت الغربية لتأكيد السلطة السورية على حزب الله والميليشيات الأخرى الذين استولوا على السيطرة هناك فقتلت القوات السورية أربع وعشرين من أفراد حزب الله في المكاتب الرئيسية للتنظيم في باسته، ويليامه. هاريس، أوجه لبنان: الطوائف والحروب والتوسع العالمي، برنستون، ن.ج: الناشرون ماركوس وينر 1997 ص214.

(84) كان المقصود من اتفاق الطائف إصلاح الخلل في التوازن السياسي الذي أجج الحرب الأهلية في لبنان على مدى خمسة عشر عاماً ووضع حد للقوة الخانقة التي تفرضها الميليشيات الطائفية على البلاد. تم إدراج بنود الاتفاق في الدستور اللبناني مما أوجد مجموعة جديدة من القوانين التي تحكم الحياة السياسية اللبنانية. أوجد الاتفاق على سبيل المثال تعادلاً سياسياً في البرلمان في حين كان يحظى المسيحيون بزيادة تعادل ستة إلى خمسة. وعلى نحو مماثل أجبرت الرئيس الذي يكون مارونياً بشكل تقليد على أن يتقاسم السلطة مع رئيس وزراء سني. أضفى الاتفاق الشرعية أيضاً على الوجود العسكري السوري في لبنان ومنح دمشق دوراً رئيسياً في الشئون الأمنية اللبنانية. لم يدعو الاتفاق بشكل صريح إلى انسحاب القوات السورية من جميع الأراضي اللبنانية وإنما أوصى بإعادة انتشار القوات السورية إلى منطقة البقاع بشكل يفترض حدوثه بعد سنتين من إقرار الاتفاق. وأما ما يتعلق بحجم وتنظيم القوات السورية المتبقية في لبنان فقد تركت للتفاوض بين الحكومتين. تمنح بنود الاتفاق سورية صوتاً هاماً في تقرير حجم وتنظيم قوالها في لبنان حالما تم إعادة الانتشار. ولكن قرار مجلس الأمن في الأمم المتحدة رقم 520 لعام 1982 كان يرى انسحاب جميع القوات غير اللبنانية من لبنان. حول الطائف راجع هاريس،أوجه لبنان ص243-278، وللتعليق حول الاتفاق راجع، جوزيف مايلا، وثيقة التفاهم الوطني: تعليق، اكسفورد: مركز الدراسات اللبنانية1992.

(85) حول المصلحة السورية ذات الأوجه المتعددة في لبنان راجع ضمن آخرين، داويشا، دوافع التورط السوري في لبنان، فولكر بوتس، تورط سورية في لبنان، تقرير الشرق الأوسط27 رقم 2 ربيع 1997، ريموند هينبوش، سورية الكبرى؟ الأصول، الأسباب ونتائج الدور السوري في لبنان، السياسة في منطقة البحر الابيض المتوسط 3 رقم 1 ربيع 1998، زيسر، تركة الأسد ص129-151، دانيل بايبس وزياد عبد النور، الدوافع السورية لاحتلال لبنان، تقرير لجنة دراسة لبنان، منتدى الشرق

الأوسط، أيار 2000 www.meforum.org، غاري غامبل، الاحتلال السوري للبنان، منتدى الشرق الأوسط، 13 أيار 2003.

(86) عندما تم التوقيع على اتفاق الطائف في عام 1989 كان عدد القوات العسكرية المتواجدة في لبنان يصل تقريباً إلى 35000 جندي وعند وفاة حافظ الأسد تم تخفيض هذا العدد إلى 25000 حسب تقديرات الحكومة الأميركية الرسمية. راجع وزارة الخارجية، تقرير عن ممارسات حقوق الإنسان في لبنان 1977 ولكن التقديرات غير الرسمية تقدر عدد القوات السورية المنتشرة في لبنان خلال التسعينيات بما يقارب 35000 على مدى عقد. راجع زياد عبد النور وغاري غامبل، أعادة الانتشار الرابع لسورية من لبنان، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 5 رقم 7، تموز 2003. لقد تمركزت القوات السورية النظامية بشكل تقليدي في المناطق الشرقية والشمالية من البلاد، وحتى بعد توقيع اتفاق الطائف رفض الأسد إعادة نشر جميع قواته باستثناء بعض القوات إلى البقاع حسب ما ورد في الاتفاق. واتضح عجز الحكومة اللبناني عن تنفيذ البنود الأخرى الواردة في الاتفاق وأبرزها ما يتعلق بإلغاء الاحتلال الإسرائيلي للمنطقة الأمنية الممتدة شمالاً من الحدود الإسرائيلية- اللبنانية. راجع بايبداتس، السنة الأولى لبشار ص33-42، وعبد النور وغامبل، إعادة الانتشار الرابع لسورية من لبنان.

(87) زيسر، تركة الأسد ص141-149.

(88) المرجع السابق. راجع أيضاً جورج إميل إيراني، الحركات الدينية والسياسة في لبنان ما بعد الحرب، ملاحظات CSIS الموجزة عن الإسلام والمجتمع والسياسة 1 رقم 2 تموز 1998.

(89) سعى الأسد فعلياً للتوصل إلى تفاهم حول التحكم بعمليات حزب الله ضد أهداف لقوات الدفاع الإسرائيلية في المنطقة الأمنية التي أعلنتها إسرائيل بشكل ذاتي في جنوب لبنان. أشار رابينوفتش بأن قواعد اللعبة تقاس بمجموعة سابقة من التفاهم بين إسرائيل وسورية لتنظيم تدخلها العسكري في لبنان من خلال ما يسمى باتفاقيات الخط الأحمر، راجع رابينوفتش، جنوب لبنان: منطقة بناء الثقة أم المواجهة؟ دراسة تم تقديمها في مؤتمر وزارة الخارجية الأميركية حول: السياسة الخارجية لسورية: نظرة وراء أزمة الخليج، واشنطن 20 حزيران 1991. من منظور القائد السوري كان الهدف من هذه القواعد السماح لحزب الله بتنفيذ عملياته ضد القوات الإسرائيلية في المنطقة الأمنية المحتلة في جنوب لبنان مع المحافظة على أدنى حد من مخاطر التصعيد العسكري. وفي تموز 1993 تجاوز حزب الله النطاق المعتاد لعملياته ضد عناصر قوات الدفاع الإسرائيلية في المنطقة الأمنية وأطلق قذائف الكاتيوشا إلى داخل المناطق الخاصة بإسرائيل وكان الزعم بأن المدفعية التابعة لقوات الدفاع الإسرائيلية قد أطلقت قذائفها بشكل جماعي على قرى لبنانية شمال المنطقة. وجاء رد إسرائيل بالاعتماد على سلسلة من الغارات الجوية على مواقع المدفعية السورية في البقاع وطرد آلاف المدنيين اللبنانيين من جنوب لبنان. أصبحت إسرائيل ولبنان طرفين في اتفاقية غير رسمية تنهي هجمات حزب الله بالقذائف على

شمال إسرائيل مقابل وقف الضربات الجوية الإسرائيلي وبشكل فعلي كانت سورية وحزب الله طرفين بين عناصر قوات الدفاع الإسرائيلية في المنطقة وكادر حزب الله في الجنوب اللبناني بدأت إسرائيل عملية عناقيد الغضب التي تضمنت غارات للقوات الإسرائيلية شمال المنطقة الأمنية. وفي النهاية اتفقت إسرائيل وسورية بوساطة أميركية وفرنسية على مجموعة من نقاط التفاهم الرسمي والتي تتضمن إنشاء مجموعة المراقبة الإسرائيلية- اللبنانية. كان هذا التفاهم الذي كان وثيقة خطية لم يتم التعاون بين الأطراف لمنع حزب الله وإسرائيل وعملائها في جيش الجنوب من استهداف المدنيين في حين تؤكد على حق الدفاع عن الذات للأطراف المقاتلة. تم تشكيل مجموعة المراقبة لمراقبة التفاهم وسماع ادعاءات الانتهاكات وهي تتضمن ممثلين مدنيين من الولايات المتحدة وفرنسا وممثلين عسكريين من سورية ولبنان وإسرائيل. ورغم أن المجموعة لا تتمتع بآلية الفرض بالقوة والتنفيذ إلا أنها ضاعفت من تأثير الصراع على المدنيين من خلال تحديد المسؤولية عن الانتهاكات والحث على الهدوء وتجنب التصعيد عندما يندلع العنف. للاطلاع على التقييم راجع آدم فراي، مجموعة المراقبة الإسرائيلية- اللبناني: مراجعة عملياتية، البحث رقم 3ن واشنطن : معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، أيلول 1997.

(90) يشكل النظام السياسي المتوازن بعناية الذي تمت صياغته وفقا لاتفاق الطائف مكبحاً لصناعة القرار الذي يتطلب تدخلا سورية لتحطمه. لقد سعى الأسد دوماً لتعزيز النزعة لدى الأطراف السياسية اللبنانية في البحث عن العون الخارجي لحل خلافاتهم من خلال الضلوع في سلسلة من الاتصالات عبر الأطياف السياسية اللبنانية. للاطلاع راجع زيسر، تركة الأسد ص145. لاطلاع على نص معاهدة الأخوة والتعاون والتنسيق التي تم التفاوض عليها جانب سورية وحلفائها في لبنان بعد الطائف والتي عززت الروابط الأمنية والاقتصادية بين البلدين، راجع مراجعة لبيروت 1 رقم 2 خريف 1991: 115-119.

(91) زيسر، تركة الأسد ص139_143. حينما أصبح حزب الله طرفاً هاماً في المجال السياسي للشيعة من خلال انجازاته في الانتخابات البرلمانية لعام 1992 كانت روابط الأسد بالتنظيم أداة هامة لممارسة النفوذ على شؤون الشيعة. ولكن في الوقت ذاته تيقن الأسد من ألا يصبح حزب الله بالأهمية التي يتمكن من خلالها تجاهل المصالح السورية؟ وقد استخدم الأسد وسائل أخرى من النفوذ في لبنان كيلا يستمكن حزب الله من التغلب على منافسة الشيعي الأول حزب أمل بزعامة نبيه بري في الانتخابات البرلمانية عام 1996 حينما تضاعف التأييد الشعبي لحزب الله بشكل كبير جداً نتيجة للانجازات العسكرية التي حققها التنظيم ضد القوات العسكرية الإسرائيلية خلال عملية عناقيد الغضب في وقت سابق من تلك السنة. لاالطلاع راجع غراهام يوشير، حزب الله.. سورية والانتخابات اللبنانية، صحيفة دراسات فلسطينية 26 رقم 2 شتاء 1997، ماغنوس رانستوب، استراتيجية وتكتيكات عملية لبنه حزب الله، السياسة في منطقة المتوسط 3 رقم 1 صيف 1998.

(92) لمزيد من التحليل من ناقدين مفوهين عن نظام الأسد والدور المهيمن لسورية في الشؤون اللبنانية،

راجع غاري غامبل وإيلي أبو آنون، كيف تقود سورية الانتخابات اللبنانية، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 2 رقم 7 آب 2000. تعليقاً على المرشحين في الانتخابات البرلمانية لعام 2000 كتب الصحفي البريطاني روبرت فيسك: على الرغم من وجود 589 مرشحاً مؤيداً ومعادياً للحكومة يتنافسون على 128 مقعداً في المجلس الوطني فإن جميع هؤلاء يؤيد سورية. راجع فيسك، يحتل المال مكانة أعلى من الديمقراطية في الانتخابات اللبنانية، الاندبندنت، لندن،27 آب 2000. حول التقسيم السوري للوحدات الانتخابية الأولى بعد الحرب، راجع فريد الخازن، الانتخابات البرلمانية الأولى في لبنان بعد الحرب 1993، سياسة الشرق الأوسط 3 رقم 1، 1994 ص120-136.

(93) للاطلاع على تفسيرات متعارضة لأهمية الاحتجاجات التي اندلعت في 13 نيسان 2000 في الذكرى السنوية الخامسة والعشرين للحرب الأهليةاللبنانية واتخاذ إجراءات صارمة،راجع أسعد أبو خليل، لبنان بعد عام من الانسحاب الإسرائيلي،MERIP، 29 أيار 2001، غاري غامبل، انتفاضة لبنان، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 2 رقم 4، نيسان 2000.

(94) أكد الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان في 16 حزيران 200 أن إسرائيل قد تجاوبت تماماً مع قرار مجلس الأمن في الأمم المتحدة رقم 425.

(95) بعد حرب يوم الغفران عام 1973 كرر الأسد التزامه بحل للصراع مع إسرائيل خلال التفاوض وأكد على أنه اختار الحرب لأنه لم يتمكن من جعل الإسرائيليين يقبلون بذلك إلا من خلال الحرب: عندما احتلوا أرضنا كان أمامنا خياريين، إما إيجاد طريقة سياسية ودبلوماسية لجعلهم ينسحبون أو أن نقاتل لاستعادة أرضنا.لقد قادت ست سنوات من المحادثات إلى لا شيء فاخترنا الحرب لقد كان الخيار الوحيد أمامنا بعد استنفاذ كل السبل الأخرى قبل 6 تشرين الأول. كما تعرفون أن كل ما نريده هو السلام العادل وهذا ليس بالأمر الكثير الذي نطلبه وعندما يتحقق هذا الرق اللازم لهذا السلام فلن يكون هنالك من داعٍ لاجراءات خاصة كالمناطق منزوعة السلاح. راجع دو بورشغراف، حافظ الأسد: السلام العادل يمكن أن يبقى، داريسدل وهيينبوش، سورية وعملية السلام في الشرق الأوسط.

(96) داريسدل وهينبوش، سورية وعملية السلام في الشرق الأوسط، ص59-62،ماعوز، الأسد أبو هول دمشق ص177_183.

(97) داريسدل، وهينبوش، سورية وعملية السلام في الشرق الأوسد ص117_119، ماعوز، الأسد أبو هول دمشق ص109_122 سي، أسد سورية ص312-314.

(98) داريسدل وهينبوش، سورية وعملية السلام في الشرق الأوسط ص135-142، ماعوز، الأسد أبو هول دمشق ص177-188. ميشيل إيشنستادت، التسلح من أجل السلام؟ مطلب سورية المحير للتكافؤ الاستراتيجي، أوراق سياسية31، واشنطن:معهد واشنطن للسياسة في الشرق الأدنى1992.

(99) ايشنسادت، التسلح من أجل السلام ص34_37.

(100) حول التحول إلى الأسلحة غير التقليدية راجع ايلين لايسون، سورية: هل يمكن المحافظة على

الأسطورة بدون أسلحة نووية؟ المعلومات السرية النووية: لماذا تعيد الدول النظر في الخيارات النووية، تحرير كورت م.كامبل، روبرت ج.إينهورن، متيشيل ب.ريس، مطبعة بروكنغز2004 ص86، كما نوهـــنا في الفصل الأول بدأت سورية بتطوير برنامج أسلحة كيماوية في السبعينيات. وازدادت هذه الجهود خلال الثمانينات وترافق ذلك مع الحصول على أنظمة الصواريخ البالستية المعدة لعوامل الحرب الكيماوية. حول استخدام الأسد للعملاء الإرهابيين راجع سيل، أسد سورية ص461-491، ماعوز، الأسد أبو هول دمشق ص 170-177.

(101) كانـــت هـــذه المســـألة موضـــع جـــدل شديد ضمن هيئات الأمن القومي الإسرائيلي وبين هيئات الاستخبارات الإسرائيلية والأميركية أثناء ذكر الحرب ما بين إسرائيل وسورية في عام 1996 حينما جـــاء انسحاب وحدة القوات الخاصة السورية من لبنان إلى موقع الحامية التقليدية لها في سورية قرب مـــرتفعات الجولان ليثير القلق لدى الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية والموساد من أن دمشق تحضر لبدء عملية محدودة لانتزاع الأراضي على الجولان لإجبار حكومة نتنياهو الجديدة لاستئناف مباحثات الســـلام مـــع سورية وفقاً لشروط حافظ الأسد. لم يوافق ضباط الاستخبارات الأميركية على هذا التقيـــيم حيـــث قالوا أن سورية ليس لديها النية أو الخطط لبدء بصراع عسكري مع إسرائيل. رئيس الأركـــان الإسرائيلي آنذاك الجنرال آمنون ليبكن شاهاك ووزير الدفاع اسحق موردخاي أعلنوا عن عدم موافقتهم على التقييم الاستخباراتي الإسرائيلي وتمكن المسؤولون الأميركيون من منع حدوث أي مواجهة محتملة. وتم توجيه تهمة الاحتيال لضباط في الموساد وحكم عليه بالسجن لأنه أخذ مالاً بهدف دفعه لمصدر سوري موثوق حسب افتراضه وزيف تقارير حول النوايا والتخطيط العسكري السوري وادعـــى أنها من للمصدر السوري مما ساعد على التوصل إلى التقييم الإسرائيلي الخاطئ لإعادة انتشار وحدة القوات السورية الخاصة. لوصف ذلك راجع لسلي سوسر، ضرب الطبول، جيروسالم بوست 23 كانون الثاني 1997، جاي بوشنسكي ودوغلاس دافيس، انكشاف فضيحة المعلومات الزائفة.. عمـــيل الموساد ايهودا دافيس، انكشاف فضيحة المعلومات الزائفة.. عميل الموساد جيل قيد المحاكمة، جيروســـالم بوست، 7 كانون الأول 1997، كنث بولاك، خيار الحرب لسورية:تقدير الدروس من اندلاع الشغب في الضفة الغربية وغزة،بيس وونش 107، واشنطن: معهد واشنطن للسياسة في الشرق الأدنى 8 تشرين الأول 1996.

(102) زيسر، تركة الأسد ص104-113.

(103) حـــول المفهوم السوري للخطوط الأساسية لمعاهدة السلام النهائية، راجع ريموند هينبوش، هل تريد ســـورية الســـلام؟ السياســـة السورية في مفاوضات السلام السورية- الإسرائيلية، صحيفة دراسات فلسطينية 26 رقم 1 خريف 1996 ص 42-57.

(104) زيسر، تركة الأسد ص117-121.

(105) المرجع السابق ص124.

(106) نقـل وزيـر الخارجيـة الأميركي وارن كريستوفر والمنسق الخاص في إدارة كلينتون لشؤون الشرق الأوسط دنيس روس عرض رابين للأسد في البداية في آب 1993. للاطلاع على تفاصيل عرض رابين راجـع، وارن كريستوفر، فرص العصر : مذكرات، نيويورك : سكريبنر 2001 ص 220 – 224؛ ايتامار رابينوفتش، على حافة السلام : المفاوضات الإسرائيلية السورية، مطبعة جامعة برنستون 1999 ص من 3- 13، دنيس روس، السلام المفقود : الحكاية الداخلية للصراع من اجل السلام في الشرق الأوسـط، نـيويورك : فارار، شتراوس وجيروف 2004 . خلال فترة ولاية رابين وخلال الولاية القصيرة لشيمون بيريز كرئيس للوزراء بعد اغتيال رابين في عام 1995 اكد بيريز على ما قرره رابين حينما أصبح رئيسا للوزراء . لقد كان الإدراك المتقلب لدى الأسد للالتزام نظوه الإسرائيلي بالإقرار هـو المتغير الحاسم الذي كان يقرر نسبة التقدم في المفاوضات . كان هنالك ثلاث جولات منفصلة للمفاوضـات الإسرائيلية – السورية برعاية أميركية في واي، كانت الأولى ما بين 27 – 29 كانون الأول 1995 و 3 – 5 كـانون الثاني 1996 وكانت الثانية ما بين 24 – 26 و 29 – 31 كانون الثاني 1996 وبدأت الجولة الثالثة ما بين 28 شباط و 1 آذار 1996 ولكن تم تعليقها عندما انسحب الوفـد الإسـرائيلي بعد تفجيرات إرهابية في القدس وتل أبيب ورفض الوفد السوري تقديم التعازي لضحايا تلك التفجيرات.

(107) يمكن الاطلاع على المزيد من التحليل المفصل لهذه المفاوضات في مؤلف رابينوفتش، على حافة السلام، هيليـنا كوبان، محادثات السلام الإسرائيلية – السورية : 1991 – 1996 وما بعد ذلك، واشنطن، المعهد الأميركي للسلام 2000، مقتطفات من أقوال روس ذات الصلة بهذا الموضوع، السلام المفقود.

(108) كان ملخص رئيس الوزراء نتنياهو من قضية الانسحاب قد عزز عدم ثقة الأسد بنتنياهو التي تأصلت في دفـاع رئيس الوزراء عن مقاربة لبنان أولا للتفاوض على السلام مع سورية في صيف 1996 وحالة الفـزع من الحرب الإسرائيلية – السورية في اواخر الصيف وخريف ذلك العام . بعد حالة الفزع من الحـرب اسـتخدم نتنياهو مجموعة من القنوات الخلفية لاستكشاف امكانية احياء مباحثات السلام الإسـرائيلية – السـورية فقد حاول في البداية ان يقوم هنا تحت سياسة ربط عمق الانسحاب بعمق الإجراءات الأمنية وارسل ثلاثة مستشارين هامين وهم دور غوالد وداني ياتوم واوزي اراد على التوالي إلى واشنطن في عام 1997 برسائل إلى السفير السوري وليد المعلم الذي كان يترأس الوفد السوري في محادثـات مزرعة واي. كان المعلم متيقنا من ان سورية لن تبدأ المحادثات حتى يوافق نتنياهو على الالـتزام المشروط بالانسحاب الكامل . وفي كانون الثاني 1998 بدأ نتنياهو مبادرة غير رسمية لاحياء المحادثات بمساعي مواطنين أميركيين كوسطاء ولكن عدم رغبته بتوضيح موقفه حول قضية الانسحاب حرضت المسؤولين السوريين في بداية 1999 على رفض العودة إلى اتصالات القنوات الخلفية

(109) لوصف المبادلات الإسرائيلية – السورية منذ انتخاب باراك في ايار 1999 وحتى مناقشات شيفردس تاون، راجع روس، السلام المفقود ص 509 - 565

(110) وفقا لما ذكره روس، السلام المفقود ص 567 – 568 روبرت مالي مساعد الرئيس الخاص للشؤون العربية – الإسرائيلية وصف كلنتون بأنه قد تمادى في موضوع الانسحاب في محاورة هاتفية مع الاسد. وهنالك شخص اخر من فريق السلام ممن اطلعوا على المحاورة قال للمؤلف ان الرئيس كلنتون قد بالغ في تاكيده للاسد حول موقف باراك المتعلق بالانسحاب الكامل

(111) حــول التحضــيرات والفشــل في قمة جنيف راجع ن مادلين البرايت، السيدة الوزيرة : مذكرات، نيويورك : ميراماكس 2003 ص 473 – 482، روس، السلام المفقود ص 550 – 590، مارتين انديك، نتائج غير مقصودة، نيويورك : نوبف، اقتراب 2005

(112) رابينو فتش، على حافة السلام ص 214

(113) في مقابلــة في برنامج ساعة إخبارية مع ماك نيل – ليهرر يوم 1 تشرين الأول 1993، قال الأسد : بــرأيي هذا ليس خيار الفلسطيني الأمثل ولا الطريق الأفضل لإقامة السلام. ومع ذلك قررنا ألا نعوق طــريق الاتفاق وقد قلنا أن هذا يعود للشعب الفلسطيني ومنظماته. ولكن يجب ألا يتوقع أحد منا أن نــتحمس لاتفــاق سري يتم من وراء ظهورنا، راجع، الأسد والاتفاق الإسرائيلي ومنظمة التحرير الفلســطينية، فصيلة الشرق الأوسط 1 رقم 1، آذار 1994 حلل كريستوفر هيم انتقاد الأسد لعملية أوسلو، لقد أخبرتك بذلك: سورية وأسلو وانتفاضة الأقصى، سياسة الشرق الأوسط 10 رقم 3، 22 أيلول 2003

(114) حــول الحاجــات الحاسمــة للقاء الإسرائيلي – السوري وكيف يمكن أن تلتقي، راجع كيف ستبدو تسويات السلام الشاملة، تقرير الشرق الأوسط 4 – 16 تموز 2002 www.crisisgroup.org

(115) مــاعوز، الأسد أبو هول دمشق، ص 109 – 122، درايسدل و هنيبوش، سورية وعملية السلام في الشرق الأوسط، ص 59 – 97.

(116) زيسر، تركة الأسد، ص 79 – 82، 104 - 106

(117) الاسداير درايسديل، علاقات سورية مع الكتلة العربية المعتدلة، بحث مقدم أمام مؤتمر وزارة الخارجية الأميركية، السياسة الخارجية لسورية: النظر وراء أزمة الخليج، واشنطن 20 حزيران 1991.

(118) تم تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية في عام 1979 بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد.

(119) جاءت المساعدات المالية على مدى خمس سنوات من دول الخليج لدول المواجهة في الصراع العربي – الإسرائيلي والتي أقرتها قمة بغداد في عام 1978. راجع ماعوز، الأسد أبو هول دمشق ص 589.

(120) درايسديل، علاقات سورية مع الكتلة العربية المعتدلة.

(121) كانــت أهم علامة لتجدد التعاون بين سورية وبلدان الخليج في أعقاب حرب الخليج عام 1991 في توقيع إعلان دمشق في 6 آذار 1991 من جانب دول مجلس التعاون الخليجي وهي البحرين والكويت وعمان وقطر والسعودية والإمارات العربية المتحدة، وسورية ومصر. نص الإعلان على نية الموقعين 6 +2 لدعم التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري. على الرغم من أن دول مجلس التعاون الخليجي

قد انتقصت من الجانب الأمني في الإعلان منفصلة اتفاقيات ثنائية الجانب مع الولايات المتحدة للاتكال على القوات السورية والمصرية التي تواجدت في المنطقة كجزء من التلاف حرب الخليج فقد كان لهذا التراصف الجديد اطاراً تنسيقاً رخواً للتعاون السياسي والاقتصادي. لقد جاء الرمز لدور سورية المركزي في إعادة تشكيل التوازن الإقليمي في مرحلة ما بعد الحرب باختيار عاصمتها مركزاً للإعلان. لقد بقي إطار 6+2 وثيقاً في التسعينيات حيث استخدمت دول الخليج مصر وسورية كثقل مقابل لنزاعها مع إيران. لمزيد من التحليل حول أهمية إعلان دمشق راجع، ف . غريغوري غاوس الثالث، ممالك النفط: التحديات المحلية والأمنية في دول الخليج العربي، نيويورك: مطبعة مجلس العلاقات الخارجية 1994 ص 132- 137

(122) على المدى القريب كان المرتقب من الصراع العسكري الطويل بين إيران والعراق صرف اهتمام بغداد عن دمشق وبذلك توفر للأسد مزيد من الحرية في التركيز على التعامل مع إسرائيل وجيرانه العرب في المشرق . لمناقشة ذلك راجع حسين ج أغا .احمد س. خالدي، سورية وإيران : التنافس والتعاون، لندن، الناشرون بنتر، المعهد الملكي للشؤون الدولية 1994 ص 10 -13

(123) آنو شروان احتشامي وريموند أ. هينبوش، سورية وإيران قوى متوسطية في نظام إقليمي متداخل، لندن: روتلدج 1997 ص 101 – 105.

(124) أغا وخالدي سورية وإيران، ص 14 – 25

(125) نوهنا سابقاً أن الدولتين الراعيتين لحزب الله تقاسمتا ذلك العمل تقريباً، وبشكل أساسي كانت إيران تؤمن الجزء الأكبر من التمويل اللازم لحزب الله وتمارس نفوذاً حاسماً على عمليات التنظيم الإرهابية خارج المنطقة. وكانت دمشق من جانبها المرجع الأول لحزب الله فيما يتعلق بنشاطات التنظيم داخل لبنان وهذا يشمل النفوذ الحاسم على مسائل التوقيت والمدى الجغرافي والنطاق المادي لعمليات حزب الله ضد إسرائيل. لقد تداخل دور الدولتين فيما يتعلق بحزب الله لدرجة تفرض تعاولهما الذي كان يتصف أحياناً بعدم الارتياح. الأمر الأهم أنه كان طهران أحياناً الاتكال على تعاون سورية لاستخدام دمشق كمعبر رئيسي لشحن الأسلحة والمواد الأخرى إلى مقاتلي حزب الله في لبنان. وحينما اتفقت إيران وسورية على المستوى الملائم لعمليات حزب الله ضد إسرائيل لم يكن في هذا أية مشكلة تتعلق بتعاونهما التنائي. وحينما كانت الرؤية الإيرانية والسورية مختلفتان كما حدث بشكل متقطع خلال محادثات السلام الإسرائيلية – السورية في التسعينات كانت نقطة تنظيم عمليات حزب الله تشكل نقطة احتكاك بينهما. فعندما أرادت سورية خصوصاً كبح عمليات حزب الله في لبنان لتشجيع التقدم في المفاوضات لم يكن لدى إيران من دافع دي معنى للحد من نشاط التنظيم. لمزيد من المناقشة راجع أغا وخالدي، سورية وإيران ص 77 – 82.

(126) للمناقشة راجع إبرهاد كينل، البعث مقابل البعث: الصراع بين سورية والعراق 1968- 1989 لندن: ي . ب. توريس 1991

(127) اتضح هذا التحول في النصف الأول من عام 1997 وتطور باطراد طيلة ما تبقى من فترة ولاية الأسد الأب. وفي أيـــار من ذلك العام سمحت سورية بتبادل الوفود التجارية بين البلدين وفي حزيران فتحت حدودها مع العراق من أجل التبادل التجاري وانتهى بذلك سبعة عشر عاماً من إغلاق الحدود. راجع روبـرت دانين، الحلف العراقي – السوري؟ احتمالات ومدلولات، بوليسي ووتش 253، واشنطن، معهـد واشــنطن للسياسة في الشرق الأدنى 11 حزيران 1997. ونمت التجارة السورية – العراقية بشــكل ملحوظ خلال السنوات الثلاثة الأخيرة من رئاسة حافظ الأسد وقد ذكر أن سورية تستخدم كمعبر لاستيراد بضائع تحظرها عقوبات الأمم المتحدة على العراق. للمناقشة راجع باتريك كلاوس، هـــل يمكـــن للعراق إعادة تشكيل جبهة شرقية عربية ضد إسرائيل ؟ بوليسي ووتش 509، واشنطن معهـد واشــنطن للسياسة في الشرق الأدنى 8 كانون الثاني 2001. وفي تموز 1998 وقعت سورية والعراق مذكرة تفاهم لإعادة فتح خط أنابيب النفط بين كركوك وبانياس وكان الخط قد تم إغلاقه في عـــام 1982 ويحتاج لإصلاحات هائلة ليصبح قيد التشغيل بشكل كامل ولكن إعادة فتحه المتوقعة كان شكل تهديداً هاماً لتطبيق عقوبات الأمم المتحدة وبرنامج النفط مقابل الغذاء. وفي نهاية 1999 ادعـــت مصادر في صناعة النفط في منشورات تجارية وتقارير إعلامية أن الخط قد أصبح جاهزاً تقريباً لاســـتئناف تشغيله. راجع مثلاً، الخط ما بين العراق وسورية تم إصلاحه تقريباً، اتصالات الكسندر للغـــاز والنفط 4 رقم 17، 8 أيلول 1999. وأعلن وزير الخارجية العراقي محمد سعيد الصحاف عن جاهزية تشغيل الخط في شباط 2000.

(128) راجــــع على سبيل المثال ديفيد هيرو، العراق تجعل من إيران وسورية أصدقاء بشكل بعيد الاحتمال، خدمة الطباعة الداخلية 7 نيسان 1998، بيل غيرتز، سورية والعراق تريدان الاتحاد ضد أميركا وفقاً للـــتقارير، واشـــنطن تايمز 8 كانون الثاني 1998، والل فالح، العراق تتحرك لاستعادة روابطها مع سورية، اسوشيتدبرس 28 كانون الثاني 1999.

(129) حول هذه النقطة راجع زيسر، تركة الأسد ص 82 – 85

(130) للاطلاع على مناقشة تفصيلية حول العلاقات السوفيتية – السورية راجع، روبرت فريدمان: السياسة السوفيتية تجاه الشرق الأوسط منذ عاه 1970، نيويورك: براغر 1982، موسكو والشرق الأوسط: السياســـة الســـوفيتية مـــنذ غزو أفغانستان، مطبعة جامعة كامبردج 1991، غاليا غولان، السياسة الســـوفيتية في الشـــرق الأوسط: من الحرب العالمية الثانية إلى غورباتشيف، مطبعة جامعة كامبردج 1990، إفـــرايم كـــارش، الاتحاد السوفيتي وسورية: سنوات الأسد، لندن : روتلدج: المعهد الملكي للشؤون الدولية 1988.

(131) ربمـــا كـــان الأسد يمازح كيـــنجر حينما قال لـــه في أحد لقاءاتهما: يجب تصوير المشكلة على أنها العرب ضد إسرائيل وليس الولايات المتحدة مقابل الاتحاد السوفيتي. لقد أخبرني بعض العرب أنك لن تســـمح للأسلحة السوفيتية بأن تهزم الأسلحة الأميركية وبذلك فإنني افترض بأننا نكشف عن حالة

تكـون فـيها الأسلحة الأميركية ضد المصالح الأميركية، كيسنجر، سنوات الهياج، بوسطن: لتل، براون وشركاه 1982 ص 850

(132) حول تقبل الأسد لهذه المناقشات، راجع، سيل، أسد سورية ص 226 – 249، وحول تقبل كيسنجر راجـع، سنوات الهياج. للاطلاع على التحركات الدبلوماسية التي قادت إلى اتفاقية فصل القوات في عـام 1974، راجع، ستيفن سبيغل، الصراع العربي- الإسرائيلي الآخر : تشكيل سياسة أميركا في الشرق الأوسط من ترومان إلى ريغان، مطبعة جامعة شيكاغو 1985، ص 267-283

(133) بـاتير إيفـرون، واشـنطن – دمشق والأزمة اللبنانية، سورية بقيادة الأسد: القيود المحلية والمخاطر الإقليمية، تحرير موشيه ماعوز وآفنر يانيف، لندن : كرووم هيلم 1986 ص 209- 223

(134) ماعوز، الأسد أبو هول دمشق، ص 136-137

(135) سيل- أسد سورية ص 296 - 297

(136) سبيغل، الصراع العربي – الإسرائيلي الآخر ص 337 -- 339

(137) سيل، أسد سورية، ص 336

(138) للمناقشة راجع إيتامار رابينوفتش، السياسة الخارجية السورية: الأهداف، القدرات، القيود والخيارات، سوفايفال 24 رقم 4، تموز/آب 1982: 179

(139) إيفرون، واشنطن، دمشق والأزمة اللبنانية ص 209 -217

(140) رابينوفتش، السياسة الخارجية السورية ص 181

(141) درايسديل و هينبوش، سورية وعملية السلام في الشرق الأوسط ص 191، حول علاقات حبيب مع الإدارة الأميركية حول السياسة اللبنانية ومفاوضاته المعقدة مع الأسد وأريل شارون وأطراف لبنانية متـنوعة، راجـع جـون بويكـن، اللعنة على صانع السلام: الدبلوماسي الأميركي مقابل الجنرال الإسرائيلي، بيروت 1982، بلمونت، كاليفورنيا: مطبعة ابليغيت 2002

(142) درايسدل وهينبوش، سورية وعملية السلام في الشرق الأوسط ص 195 -196

(143) زيسـر، تركة الأسد ص 37 – 51، نيل كويليام، سورية والنظام العالمي الجديد، ريدنغ، بريطانيا: مطبعة إيثاكا 1999 ص 128- 232

(144) قال وزير خارجيته: كان الرئيس بوش تواقاً للارتباط مع السوريين وكان يعتقد دوماً أن جورج شولتز قـد ارتكـب خطـأ فادحاً بقطع الاتصالات مع سورية بعد التفجير المأساوي لثكنة قوات البحرية الأميركية في بيروت عام 1983. في عام 1986 أراد نائب الرئيس بوش زيارة دمشق في رحلته إلى الشرق الأوسط ولكن معاونيه عدلوه عن رأيه خشية شجار سياسي محتمل. لقد تقبل بتذمر ألا يزور سورية ولكنه كان يعتقد دوماً أن الولايات المتحدة قد أفلتت الكرة وأنه كان ينبغي التعامل مع الأسد، عـلى الـرغم مـن الخلافات الجدية حول دعم سورية للإرهاب العالمي وتورطها الشديد في تجارة المخـدرات، راجع جيمس بيكر الثالث مع توماس م . دفرانك، سياسة الدبلوماسية: الثورة.. الحرب

والسلام 1989 – 1992، نيويورك: أبناء ج . ب . بوتنام 1995 ص 296

(145) كان المؤشر المبدئي لمستوى التفاهم الجديد الذي تم التوصل إليه بين دمشق وواشنطن في تشرين الأول 1990 عندما أمر الأسد القوات السورية بقمع تمرد الجنرال ميشيل عون الماروني الذي انتحل لقب رئيس الوزراء والذي قاد قوات الجيش اللبناني التي استمرت في مقاومة الهيمنة السورية بعد توقيع اتفاق الطائف. وفي النهاية جاءت مصادقة واشنطن الضمنية على هجوم سوري نهائي على أولئك الرافضين الإذعان. راجع هاريس، أوجه لبنان ص 276 - 277

(146) بيكر، سياسة الدبلوماسية ص 297 - 298

(147) بالاضافة إلى التدخل الواسع للتوسط في المسار السوري من قبل وزير الخارجية كريستوفر والمنسق الخاص لشؤون الشرق الأوسط روس، تضمن التدخل الأميركي مع سورية خلال الفترة الأولى للرئيس كلنتون قمة كلنتون – الأسد في كانون الثاني 1994. لعب كريستوفر دوراً هاماً في الوساطة والتفاهم الذي أنهى عملية المحاسبة الإسرائيلية في حزيران 1993 وعملية عناقيد الغضب في نيسان 1996 والتخفيف من تصاعد فزع الحرب بين الإسرائيليين والسوريين في أيلول 1996، راجع كريستوفر، فرص العمر ص 220. وفي الفترة الثانية كان لروس الدور الكبير في التوسط لإعادة قناة التواصل بين رئيس الوزراء نتنياهو والاسد كما وصفنا آنفاً. وبعد تولي رئيس الوزراء باراك الحكم في عام 1999 اشترك روس ووزيرة الخارجية مادلين أولبرايت ومستشار الأمن القومي صامويل بيرغر والرئيس كلنتون نفسه في إعادة تنشيط المسار السوري . وتوجت هذه الجهود في قمة كلنتون – الأسد في جنيف في نيسان 2000 التي كانت العلامة الأولى لانهيار المسار

(148) حول هذه النقطة، راجع فلاينت ليفريت، شهادة امام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، 31 تشرين الأول 2003



الفصل الثالث

بشار .. وإمكانيات الإصلاح الداخلي

تـــركة حـــافظ الأسد.. ميراث بشار هنالك مجموعة من الصور المتنافسة عن بشـــار كقائد وطني في المناقشات التحليلية الحالية حول سورية. و الصور الرئيسة الثلاث التي ورد وصفها في الفصل الأول هي: بشار الإصلاحي غير العملي وبشار الابن الوفي وبشار المبتدئ. تقدم كل واحدة من هذه الصور تفسيراً مباشراً وبسيطاً نســـبياً عـــن نتائج السياسة خلال ولايته، وتحمل كل منها مدلولاتها الخاصة فيما يتعلق بالسياسة الأميركية الأنسب تجاه سورية. ولكن في حين تحمل كل صورة شيئاً مـــن الحقيقة حول بشار، لا تقدم أي منها إطاراً كافياً بشكل كامل لفهم السياسة السورية وصنع القرار السياسي في ظل قيادته. ولتطوير القاعدة التحليلية المؤثرة بحق لصياغة السياسة الأميركية تجاه سورية يكون من الضروري أن نأخذ عناصر من كل واحـــدة من هذه الصور ونجمعها معاً لنحصل على وصف أكثر تعقيداً وبفوارق لا تكاد تدرك عن قيادة بشار وحقائق السياسة السورية اليوم(1).

يتطلـــب إنشـــاء إطـــار كهذا في المقام الأول تفحصاً دقيقاً لسجل بشار في الرئاســـة وتعاملـــه مع قضايا السياسة الهامة. يركز هذا الفصل على مقاربة بشار للقضـــايا الداخلـــية. نـــبدأ هذا الفصل بنظرة إلى خلفيات بشار وتحضيره للرئاسة ونظرته إلى التحديات المحلية الاقتصادية والسياسية التي تواجه سورية والخطوات التي اتخذهـــا لتعزيز موقعه منذ أن خلف والده. واستناداً إلى هذه الخلفية نراجع تعامل بشـــار مـــع القضايا المحلية، بإشارة خاصة إلى قضايا الإصلاح الاقتصادي وتعزيز وجود مجتمع مدني نشيط مع سورية.



عائلة الرئيس: أنيسة وحافظ محاطين بأولادهما، من اليسار: مجد، بشار، باسل، ماهر، وبشرى

إعداد الرئيس:

تزودنا خلفيات بشار والعملية التي وصل من خلالها إلى الرئاسة بمعلومات هامة جداً لفهمه كقائد وطني. إن توحي مراجعة التكوين الشخصي والسياسي لبشار أنه قادر على التفكير حول القضايا السياسية والسياسة بطريقة تختلف عن والده ولكنه يحجم عن وضع نفسه في موقف الخلاف الجوهري مع تركة والده أو رموز النظام المرتبطين بشكل وثيق بتلك التركة. وتوحي هذه المراجعة أيضاً أن بشار يميل بشكل حقيقي تجاه الإصلاح في مقاربته للحكم ولكنه لم يصل إلى السلطة برؤية مدروسة ومتقنة بعناية من أجل التغيير.

ولد بشار الأسد في دمشق يوم الحادي عشر من أيلول عام 1965 وهو المولود الثالث لحافظ وأنيسة الأسد وابنهما الثاني[2]. نشأ بشار مع أخته الكبرى التي تكبره بخمسة أعوام وأخيه الأكبر باسل الذي يكبره بثلاثة أعوام.. وانضم إليهما شقيقان هما ماهر ومجد[3]. يقول السوريون الذين يعرفون العائلة بشكل نموذجي في وصف بشرى أنها متألقة ودية منبسطة وطموحة إلى أقصى حد، وعن

باسل أنه مندفع ومستبد، وأن بشار بالمقارنة مهذب وأنه الولد الأوسط الأخرق قليلاً الذي تعوزه البراعة والذي اكتسب هويته بين أشقائه بالكد المتواصل والتفوق الأكاديمي.

تعلم بشار بالطريقة التي تسم أبناء النخبة السورية في السنوات الأولى من حكم والده. التحق بمدرسة الأخوة (الفرير) وهي منشأة تعليمية مشهورة في دمشق لتعليم أبناء النخبة من العائلات السورية[4]. جميع السوريين الذين درسوا في هذه المدرسة مع بشار وأشقائه يتذكرون أنه كان الأكثر ميلاً إلى الجانب الأكاديمي من بين أبناء الأسد وكان أهدأ وأكثر ولعاً بالكتب من باسل وماهر[5].

إذا نظرنا إلى قرارات بشار حول تقدمه الأكاديمي وطموحاته المهنية التخصصية يكون من الهام أن نتذكر أنه لم يكن هو الخيار الأول لوالده ليتولى بعده رئاسة سورية، فقد اختار حافظ الأسد في البداية ابنه الأكبر باسل لتنشئته كخليفة لــه وكان هذا واضحاً في أوائل التسعينات[6]. لقد أقام الأسد الأب اختياره هذا على أساس أن باسل بكر أبيه واستناداً إلى تقييمه أن الصفات الشخصية لابنه تناسب نسبياً متطلبات حكم سورية. وجاء تكريس باسل لهذا الموقع ليدع لبشار الكثير من الحرية في تقرير مساره الخاص في الحياة. فخلافاً لأخويه باسل وماهر اللذين اختارا مهنة في الجيش السوري، اختار بشار دراسة الطب حيث قبل طالباً في كلية الطب – جامعة دمشق عام 1982.

إن قرار بشار ممتع من منطلق ما قد يشير إليه حول علاقته بأبيه وما يوحي بــه حول ديناميات عائلة الأسد بشكل أوسع. فعندما كان حافظ الأسد شاباً تمنى في الأصل أن يدرس الطب ولكن كان عليه التخلي عن طموحه بسبب نقص المورد المالي للعائلة[7]. فحظي قرار بشار لاختيار مهنة الطب بنوع فريد من استحسان الوالدين بلا شك. أشار مسؤول رفيع المستوى في الاستخبارات الإسرائيلية للمؤلف أن اختيار بشار لمهنة الطب يعكس نمطاً تقليدياً للاختيار المهني ضمن العائلات السامية سواء كانت عربية أو يهودية بحيث يتهيأ الابن الأكبر لإدارة أعمال العائلة (حتى ولو كان ذلك العمل حكم البلاد) ويتبع

الابـــن الثاني مهنة علمية (الطب أو القانون) ويحصل الابن الثالث على وظيفة حكومية مؤمنة (كمهنة ماهر في الجيش) وربما يكون الابن الرابع شخصاً متبطلاً عـــديم الـــنفع (كان هنالك شائعات على مدى سنوات حول أن مجد يعاني من مشاكل سوء استخدام العقاقير ومرض عقلي وربما يكون قد تلقى العلاج لهذه المشاكل في ألمانيا).

عـــندما اختار بشار دراسة الطب كان نمط التعليم الجامعي والتدريب الطبي الســـمة البارزة في جيله من أبناء النخبة السورية. درس في البداية في جامعة دمشق وحصـــل على درجة الإجازة في الطب عام 1988. على خلاف ذرية النخبة من البلدان العربية الأخرى الذين يبدؤون عموماً دراستهم الجامعية خارج المنطقة أو في بعـــض الحالات في الجامعة الأميركية في القاهرة، فإن أبناء الطبقة الراقية من المجتمع الســـوري يتمون عادة المرحلة الأولى من التدريب الجامعي في سورية ومن ثم ربما يكملـــون دراســـتهم في مـــرحلة ما بعد التخرج في أوروبا أو الولايات المتحدة الأميركـــية[8]. وقـــد اتبع بشار هذا المنحى في نهجه التعليمي فبعد تخرجه من كلية الطـــب في جامعـــة دمشـــق وأداء الخدمة العسكرية الإلزامية حيث عمل طبيباً في الجـــيش، ذهب بشار إلى المملكة المتحدة في عام 1992 ليبدأ تدريبه لمرحلة ما بعد الـــتخرج في طـــب العـــيون، وهي مرحلة تعليمية تعادل برنامج الطبيب المقيم في الولايـــات المـــتحدة، في مشفى ويسترن آي وهو جزء من مجموعة سانت ماري للمشافي التعليمية في لندن[9].

وهـــذا النمط جدير بالملاحظة والانتباه بشكل كبير لأنه ألغى حدود اطلاع بشار على الغرب زمنياً ووجودياً مما يمكن أن يكون لـــه مدلولاته الهامة على رؤيته المســـتقبلية كقائد وطني. وبشار ليس فقط من جيل أصغر من أفراد الحلقة الداخلية لحـــافظ الأســـد ولكنه أيضاً ذي تجربة أكبر في الغرب من أغلبهم[10]. ربما يكون الوقـــت الـــذي قضاه بشار في لندن قد شجعه على الإحساس بأن سورية تحتاج للتغـــيير بعـــدة سبل هامة. ومع ذلك وفي الوقت القصير نسبياً الذي أمضاه هناك، ركـــز بشار على دراسة الطب وليس على القضايا السياسية والاقتصادية التي كان

يمكـــن أن تمكنه من تطوير أجندة إصلاح بشكل ناضج تماماً[11]. يمكن للمرء أن يفترض من هذا بشكل منطقي أن الدوافع الإصلاحية لدى بشار ربما تكون واهنة إلى حـــد مـــا وإنه يحتاج إلى درجة كبيرة من الدعم الجوهري الحقيقي لترجمة هذا الدوافع إلى سياسة واقعية ملموسة.

التحضير للرئاسة:

انقطعـــت دراســـة بشار للطب واطلاعه على الغرب بشكل مفاجئ وتبدل مســـار حياته بشكل كامل مع موت أخيه باسل إثر حادث سيارة في مطار دمشق الـــدولي في كانون الثاني 1994[12]. وبعد عودته إلى دمشق لحضور جنازة أخيه، وُضـــع بشـــار دونمـــا إبطاء في مكان باسل لتحضيره للخلافة. لم يكن بشار مهيأ بشـــكل رسمـــي على الإطلاق ليكون خليفة حافظ الأسد، كما سنرى، فقد مات الأســـد الأب قبل أن يتم اتخاذ الخطوات اللازمة. ومع ذلك عمل الأب على مدى ست سنوات ونصف بشكل منظم لتحضير ابنه للسلطة[13].

ســـارت عملية تحضير بشار للرئاسة على ثلاثة مستويات، حيث سعى الأسد الأب على المستوى الأول لإيجاد تأييد لبشار داخل الجيش والجهاز الأمني.. وسعى على المستوى الثاني لترسيخ موقع بشار لدى عامة السوريين.. وأخيراً عمل حافظ الأسد على تعريف ابنه بالأبعاد الجوهرية لدوره في المستقبل.

كـــان دعم موقف بشار داخل الجيش وجهاز الاستخبارات الوجه الحاسم في عملـــية التحضـــير حيث أنه سيكون من المستحيل عليه الوصول إلى سدة الرئاسة وتـــولي منصـــبه دون موافقة ودعم سلبي على الأقل من القوات المسلحة والهيئات الأمنـــية.. فكـــان هذا الجانب يتطلب عناية واهتماماً خاصاً. كانت العامة وربما الصـــفوف العسكرية ترى في باسل وأخيه الأصغر ماهر تنافساً وميلاً حقيقياً تجاه المسائل العسكرية. وعلى خلافهما معاً جاء الوريث الجديد على غير تمكن بالمقارنة معهما بهذه العتلة الهامة للسلطة..

ركـــز جزء من الجهد المبذول لتوطيد موقف بشار مع القوات العسكرية على

تطوير اعتماداته العسكرية الضئيلة حيث كان قد ترك الجيش كطبيب قبل وفاة باسل بعامين برتبة نقيب وهي رتبة صغيرة نسبياً. وبعد عودته إلى سورية بوقت قصير اتبع دورة قائد كتيبة دبابات وتولى قيادة الوحدة في تشرين الثاني 1994، وتمت ترقيته إلى رتبة رائد في كانون الثاني 1995. بعد وفاة باسل بسنة[14]. وفي عام 1996 سجل بشار في دورة قائد فرقة ودورة ركن في الأكاديمية العسكرية العليا التي تخرج منها برتبة شرف في تموز 1997 حيث تشير بعض التقارير إلى أنه كان الأول في صفه[15]. وعند تخرجه رقي بشار إلى رتبة مقدم وتولى قيادة لواء الحرس الجمهوري الذي كان يرأسه باسل. وفي بداية 1999، تمت ترقية بشار مرة ثانية لرتبة عقيد[16].

تم إكمال الخطوات اللازمة لدعم أوراق الاعتماد العسكرية الشخصية لبشار من خلال تظاهرات التأييد النظامية التي قام بها الضباط العسكريون من أعلى المراتب داخل الحلقة الداخلية للأسد الأب. فخلال الأشهر الأولى من عودته إلى سورية، كان بشار يظهر في الاحتفالات العسكرية والأحداث التي يحضرها وزير الدفاع مصطفى طلاس. وفي أوائل تشرين الثاني 1994 في احتفال تنصيب بشار قائداً لكتيبة الدبابات، بدأ طلاس بالتعبير عن نظراته الإيجابية لبشار كخليفة محتمل لحافظ الأسد. ومع تقدم التدريب العسكري لبشار أصبح أمراً معروفاً بشكل علني أن نائب رئيس الأركان العماد علي أصلان كان أيضاً من المؤيدين لوصول بشار إلى منصب الرئاسة. وفي حزيران 1998، ذُكر أن بشار الذي كان آنذاك مقدماً ترأس تدريباً عسكرياً هاماً إلى جانب طلاس وأصلان[17]. من الصعب تقدير تأثير هذه الإجراءات حول ملاءمة بشار لقيادة القوات المسلحة السورية سواء بين الجنود أو فيلق الضباط أو العامة عموماً. ومع ذلك كانت هذه الإجراءات علامات على بروز بشار كخليفة محتمل.

لتدبر الشكوك أياً كانت المتعلقة بملاءمة بشار لقيادة ذلك العالم والتي كانت ما تزال موجودة بين القوات المسلحة في وقت الخلافة، سعى حافظ الأسد أيضاً لتمهيد الطريق لابنه بتشكيل القيادات للعناصر العسكرية الهامة الذين من المحتمل أن

يناقشوا أوراق اعتماد بشار وبالتالي من الأرجح أن يؤيدوا وصوله إلى الرئاسة عندما يحين موعد الخلافة. كان التركيز المبدئي على الوحدات التي كانت تعتبر هامة لحماية النظام بشكل تقليدي. وفي عام 1994، بدل الرئيس الأسد قائد القوات الخاصة اللواء علي حيدر الذي شغل هذا المنصب زمناً طويلاً وذلك بعد اعتراض حيدر على الخلافة الوراثية للحكم[18]. وفي السنة التالية قبل الأسد استقالة قائد الحرس الجمهوري اللواء عدنان مخلوف وهو ابن شقيق زوجة الأسد بعد أن اختلف مخلوف مع بشار[19].

ومع مرور الوقت، اتسعت الجهود المبذولة لتشكيل قيادة عسكرية تؤيد بشار في الموعد المطلوب لتشمل أعلى المراتب في أجهزة الأمن. وفي شباط 1998، طرد حافظ الأسد أخيه رفعت من مكتب نائب الرئيس الثاني لشؤون الأمن القومي[20]. وفي وقت لاحق من ذلك العام، سمح الرئيس الاسد بتقاعد رئيس الأركان العماد حكمت الشهابي الذي كان حليفه لزمن طويل وخدم لفترة طويلة في القوات المسلحة وحل محله علي أصلان. وفي حين كان هنالك عدد من العوامل التي أسهمت في تقاعد الشهابي كتردي صحته، إلا أن السوريين المطلعين على خفايا الأمور وبعض المراقبين الأجانب يعتقدون أن السبب الطاغي كان عدم تحمسه لبشار كخليفة في الحكم[21]. وعلى نحو مماثل، قبل الأسد تقاعد عدد من كبار الضباط في أعلى مراتب الجيش الذين طالت خدمتهم من الحرس القديم أو أقالهم هو ممن كانوا قادة فرق في الجيش وعين مكانهم ضباطاً شباب تربطهم صلات بالوريث أو على الأقل ممن كان وصولهم إلى هذه المراتب يناسب وصول بشار إلى سدة الرئاسة[22].

وحدث تطور مماثل في قيادات الهيئات الاستخباراتية والأمنية في سورية فقد تم استبدال رئيس مديرية الاستخبارات العامة اللواء بشير نجار وحل محله اللواء علي خوري[23] - وهو إسماعيلي- في تموز 1998، ومن ثم تم سجن نجار بتهمة الفساد[24]. والأهم من ذلك أنه تم تعيين ضابطين شابين يعتبر أنهما على صلة حميمة ببشار وهما العميد بهجت سليمان مديراً للفرع الداخلي والعميد إياد محمود

مديراً للفرع الخارجي[25]. ومن خلال مواقعهما ازداد نفوذ سليمان ومحمود داخل مديرية الاستخبارات العامة وخبا نجم رئيسهم الاسمي نائب المدير الذي تمتع بحصانة طويلة اللواء محمد ناصيف.

تم تعيين صهر بشار وهو آصف شوكت زوج بشرى في وكالة الاستخبارات العسكرية السورية في أواخر التسعينيات وترقى بسرعة إلى رتبة لواء بحيث أصبح الرجل الثاني في إدارة الوكالة[26]. وفي شباط 2000، تم وقف اللواء علي دوبا رئيس الاستخبارات العسكرية عن العمل وحل محله اللواء حسن خليل الذي كان يعتبر أنه على الأرجح سوف ينسق قراراته مع شوكت أكثر من دوبا وأنه اقل تحدياً من دوبا لبشار حول مسائل الموقع أو السياسة.[27]

لقد سعى الأسد الأب لإنشاء مكانة لبشار لدى عامة السوريين وقد سعى الأب للقيام بذلك إلى حد ما من خلال ربط باسل الراحل مع بشار الذي برز حديثاً. وعلى مدى سنة بعد رحيل باسل، غطى النظام سورية بصور الابن الراحل مشبهاً إياه بسير القديسين الطاهرين. ولكن في كانون الثاني 1995، أي بعد سنة من الحداد بدأ النظام يغطي الساحات العامة في كل أنحاء البلاد بملصقات تلقي الضوء على الثلاثي الجديد حافظ وباسل وبشار الذين بصفهم التعليق المرافق للصورة بقائدنا، مثالنا، وأملنا على التوالي.

ولكن حافظ عمل أيضاً على تشكيل صورة بشار بطريقة تختلف بشكل لافت وضروري عن الطريقة التي صيغت بها صورة باسل.. فعلى نقيض الحملة العامة التي تم تكريسها لباسل في بداية التسعينيات، والتي أضفت على باسل مواصفات كاريزما خاصة به على أنه الفارس الذهبي لمستقبل سورية، مثل بسالته العسكرية وإنجازاته كفارس شجاع، عمل الرئيس على تقديم المفهوم العام عن بشار على أنه الشخص الذي يكرس نفسه للمصلحة العامة.

أبرز ما في الأمر أنه تم وضع بشار كواجهة عامة لمبادرة مكافحة الفساد التي تمت دراستها بعناية فائقة في أواسط وأواخر التسعينيات[28]. كانت المبادرة انتقائية إلى أقصى حد حيث لم تدنُ على الإطلاق من حوالي عشرة أو الأكثر الأهم في

النظام أو حتى من عائلاتهم ولكنها أتاحت لبشار أن يبدو في الجانب الصحيح من القضية الساخنة الحقيقية التي تعني الكثير لأغلب السوريين العاديين. كانت مواصلة مسألة مكافحة الفساد تستخدم أحياناً أيضاً لتنحية مصادر المعارضة المحتملين لبشار كما حدث في اعتقال نجار المدير العام السابق لوكالة الاستخبارات. وكامتداد لعمله كأحد المشاركين في حملة مكافحة الفساد تم تقديم بشار للعامة على أنه أمين المظالم الذي يتلقى الشكاوى منهم أياً كان نوعها وهدفها حول خدمات الدولة. ويُذكر أنه قد افتتح مكاتب في جميع المدن السورية الكبرى حيث يتمكن المواطنون من التقدم بمظالمهم ضد وكالات الدولة أو لطلب المساعدة[29].

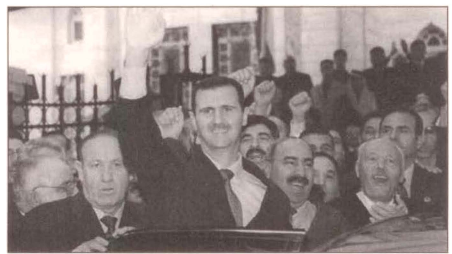
يبدو أن بشار قد تولى الدور الرئيسي بموافقة والده- دونما شك - في إنشاء بعد آخر لشخصيته العامة حيث سعى لأن يقدم نفسه على أنه الشخص القادر على قيادة سورية إلى القرن الحادي والعشرين وكانت الوسيلة الرئيسة لهذا رئاسة الجمعية المعلوماتية السورية وهي تضم مجموعة من الأكاديميين والمختصين في تكنولوجيا المعلومات في دمشق. كان أخوه باسل رئيساً للجمعية قبل وفاته ولكن لم يكن له من دور في الجمعية سوى اللقب. أما بشار فعلى نقيض ذلك، كان له دور المدير بشكل أكثر جدية بكثير. لقد لعب بشار بصفته رئيساً للجمعية على الخصوص دوراً بارزاً في ماهية العمل المكتبي الذي كان موضع خلاف في أواخر التسعينيات مما قاد في النهاية إلى اتخاذ الحكومة السورية قرار السماح بالإنترنت في سورية. برز بشار في هذه المعركة البيروقراطية على أنه بطل الأكاديميين الشباب ورجال الأعمال الذين كانوا يؤيدون بقوة إدخال تكنولوجيا المعلوماتية الحديثة في مواجهة قرارات الوزراء المحصنين في مناصبهم منذ زمن طويل والذين عارضوا دخول الإنترنت على أنها ستكون ضمن أشياء أخرى وسيلة في يد الدعاية الإسرائيلية[30]. في حين يبدو كل هذا عنصراً في صياغة بارعة لصورة مدروسة، إلا أنه يبرهن بوضوح التزاماً حقيقياً من جانب بشار لتدفق المعلومات بشكل حر إلى سورية.

لقد عمل حافظ الأسد على مدى ست سنوات من إعداد بشار لإطلاع ابنه

بشكل جيد على الأبعاد الجوهرية لدوره في المستقبل. كان مكتب بشار في القصر الرئاسي ليس بالبعيد عن مكتب والده بحيث انخرط في المشاورات حول قضايا السياسة التي كانت تزداد اتساعاً بشكل مستمر.

ركز معلمو السياسة لبشار على القضايا الداخلية في البداية، وخلال السنتين الأخيرتين من فترة إعداده أصبح بشار أكثر انخراطاً في قضايا السياسة الخارجية، (ستتم دراسة هذا الجانب من فترة إعداده للرئاسة في الفصل الرابع). وفي هذ السياق، أسس بشار لنفسه صورة المهتم بالقضايا الاقتصادية وإلى حد ما على الأقل بالإصلاح السياسي[31]. وفي الأشهر التي سبقت رحيل حافظ الأسد في حزيران 2000، اتسعت حدود النقاش حول الإصلاحات الاقتصادية الممكنة إلى حد كبير بل حتى سُمح ببعض النقاش حول الإصلاحات السياسية الممكنة، وهنالك اعتبار على نطاق واسع أن بشار هو القوة الدافعة التي كانت تكمن وراء هذه التطورات[32]. كما سنناقش لاحقاً يبدو أن هنالك عنصر الالتزام الحقيقي من جانب بشار تجاه جوهر الإصلاح بالإضافة إلى الجهود المدروسة لصياغة أفضل صورة ممكنة أمام العامة.

جاءت جهود بشار لتكوين صورة المعني بالإصلاح السياسي فتداخلت بشكل جميل ولطيف مع صورته لدى العامة على أنه المقترح والنصير لعملية مكافحة الفساد في أوائل عام 2000. أثناء التحضير للتعديل الوزاري في آذار 2000، سمح لبشار بوضع قائمة مبدئية من الوزراء الجدد لينظر إليها الأسد الأب بعين الاعتبار. يقول دبلوماسيون وصحفيون غربيون أن بشاراً حسب ما ذكر حاول توظيف فنيين ذوي فكر إصلاحي في عدة وزارات ذات علاقة وثيقة بصنع القرار الاقتصادي. ولكن والده نقض أغلب هذه التوصيات وعين هيئة وزارية أكثر انسجاماً مع الوضع الراهن[33]. على أية حال، نتج عن التعيينات الوزارية الجديدة استبدال رئيس الوزراء الذي طالت خدمته محمود الزعبي وحل محله مصطفى ميرو الذي سيكون أول رئيس وزراء بالنسبة لبشار. وبعد شهرين وجه بشار تهمة الفساد للزعبي الذي انتحر قبل أن يتم سجنه[34].



الرئيس السوري بشار الأسد يحيي الجماهير أمام مجلس الشعب

وفي سياق إعداده للرئاسة بدأ موقف بشار الشخصي يتطور حول اتجاه حياته الجديد والمتوقع قبل حدوثه. في بداية عملية الصقل والإعداد، بدا بشار فاقداً الحماس من غير حساب لدوره الجديد ولنوعية أدائه في الأحداث العامة وحينما كان يدعى للحديث كان يبدو باهتاً يعوزه البريق والإشراق والحيوية وغير مرتبط بولاء أو بعقيدة. وخلال هذه الفترة من إعداده وتمتينه كان يدور نقاش واسع من أن هنالك شكاً حول مؤهلات الطبع لديه في قيادة سورية وكانت الشائعات تعم دمشق.. رغم أنه مع أواخر التسعينيات بدا أن بشار قد اتخذ قراراً خطيراً لا سبيل للرجوع عنه. فتهيأ نفسياً وأضفى على نفسه صفة ذاتية وقبل بواقع حياته الجديدة فبدا أكثر اهتماماً بواجباته وأكثر التزاماً بالمهام التي تنتظره.

أصبح رئيساً:

برغم كل هذه الإعدادات والتحضيرات، كان هنالك مستوى يمكن إدراكه وتقديره من الشك عند وفاة حافظ الأسد في 10 حزيران 2000 حول فرص بشار لتبوأ منصب الرئاسة وإحكام هذا الموقع. يشير بعض المحللين إلى أن الأسد الأب قد مات في توقيت غير مناسب قبل أن يتم إعداد بشار للرئاسة وخصوصاً أن

حـــافظ الأســـد قد أجل تعيين بشار خليفة محتملاً لـــه بأية طريقة رسمية رغم أن الأســـد كـــان قـــد عين المؤتمر الأول لحزب البعث والذي كان متوقعاً أن يتم فيه انـــتخاب بشار عضواً في القيادة القطرية.. وكان في هذا إمكانية تسمية بشار نائباً للرئيس مما يجعله خليفة لأبيه بشكل رسمي[35]، وقد مات حافظ الأسد قبل انعقاد المؤتمر بأيام فقط.

ركـــز محللون آخرون على اعتبارات أقل شكلية والتي ربما تكون قد أعاقت تقـــدم بشار مشيرين إلى الأطراف الهامة على المشهد السياسي السوري الذين ربما كـــانوا يعارضون تعاقب الأجيال. لقد تم وضع سيناريو كان فيه رفعت عم بشار نقطـــة لم شمـــل أفـــراد الحلقة الداخلية لحافظ الأسد الذين لم يكونوا في مكانهم الصحيح والمفترض أنهم لم يكونوا موالين وهم كبار أقطاب العلويين مثل علي دوبا مدير الاستخبارات العسكرية السابق، ومحمد الخولي الرئيس السابق للاستخبارات الجوية السورية، وقائد القوى الجوية، وعلي حيدر قائد القوات الخاصة السابق.[36] يفـــترض ســـيناريو كهذا أن رفعت حينما يقدم نفسه المدافع الأكيد والقادر عن المصـــالح العلوية بشكل يفوق بشار فانه سيتمكن من حشد التأييد والدعم الكافي داخل الطائفة العلوية وبين الضباط العلويين الذين يشغلون مناصب قيادية هامة في القـــوات المســـلحة والهيـــئات الأمنـــية، فسوف يتيح لـــه ذلك تنحية ابن أخيه جانـــباً[37]. تســـاءل معلقون آخرون حول ما إذا كان بشار سيحظى بتأييد أكيد وثابـــت ممن تبقوا من أفراد حلقة حافظ الداخلية أم كامتداد لهم من الهيئات الأمنية والعسكرية[38].

على الرغم من جميع هذه الشكوك، جاء انتقال بشار إلى الحكم بشكل هادئ جداً بعد وفاة حافظ الأسد. وفي اليوم التالي أعلن خدام نائب الرئيس بحكم صفته الدستورية تعيين بشار قائداً للقوات المسلحة السورية وترقيته لرتبة فريق وهي أعلى رتـــبة عســـكرية ولم يكـــن سوى حافظ الأسد قد حاز عليها[39]. وفي غضون الأســـبوعين التاليين أدلى وزير الدفاع طلاس بعدد من البيانات العامة التي عبر فيها عـــن موافقـــة الهيئات الأمنية لبشار كقائد جديد لها[40]. وفي 17 حزيران، خلف

بشار والده كأمين عام لحزب البعث. وعدل المجلس النيابي الدستور السوري الذي كان يحدد الحد الأدنى من العمر أربعين عاماً للطامحين للرئاسة بحيث يسمح بترشيح بشـــار البالغ من العمر أربع وثلاثين عاماً ليحل مكان والده الراحل. وفي الاستفتاء الشعبي الذي أجري يوم 10 تموز وشارك فيه جميع الناخبين السوريين جاءت نسبة 97.3 مـــن الأصـــوات تؤكد ترشيح بشار. وبعد أسبوع في 17 تموز تمت تولية الرئيس الجديد.

طـــيلة سير هذه العملية لم يكن هنالك أي تلميح ولو بإشارة خفية لمعارضة بشـــار من داخل عائلة الأسد أو الحلقة الداخلية أو الجهاز الأمني والعسكري. وفي الـــنهاية، كان هنالك في الواقع كما يبدو ترتيب تفاهم جيد حول موافقة مشتركة بـــين بشـــار والأعمـــدة الهامين في نظام الأسد مما سهل عملية انتقال هادئة. من الواضـــح أن بشار كان يحتاج لتعاون أنصار النظام المؤمنين به بشكل راسخ وكبار المسؤولين الذين يتحكمون بعتلات السلطة الهامة بالإضافة إلى رمية سياسية صائبة. وبالمقـــابل، كانـــت الطبقة العليا في القيادة بحاجة لإضفاء الشرعية والوجه الجديد الـــذي يمثله بشار. وعلاوة على ذلك كله، كانت موافقتهم على دعم وتأييد بشار اســـتباقاً مـــن أفراد الحلقة الداخلية لإمكانية حدوث عدة خلافات سريعة مما كان ســـيؤدي إلى زعـــزعة الاستقرار[41]. عبر أحد المعلقين عن ذلك بقوله إن الحلقة الداخلية قد أدركت بشكل واضح أنه إذا لم يشكلوا وحدة متماسكة معاً في وقت الخلافة على الرئاسة فإنهم ربما يُشنقون كل على حدا[42].

رسم النهج:

حالمـــا اســـتلم بشار منصبه أصبحت القضية الأهم هي بالطبع ميوله كقائد وطني. كانت القضية ومازالت تطرح بشكل ينقسم ببساطة إلى شطرين: هل يباشر بشـــار نهجاً إصلاحياً جريئاً؟ أم أن عليه أن يتشبث بتعزيز موقعه والمحافظة عليه فلا يكون قادراً على التفكير ملياً بتغيرات السياسة الهامة؟.

يمكـــن طـــرح قضية نوايا بشار بصيغة شديدة الوضوح، ولكن الجواب أكثر

تعقيداً بشكل يتعذر اجتنابه. نوهنا سابقاً أن التدقيق في التكوين الشخصي والسياسي لبشار يوحي أنه يميل بشكل حقيقي نحو الإصلاح ولكنه لا يملك رؤية متقنة بشكل كامل حول إعادة تشكيل سورية كما أنه يحجم عن وضع نفسه في موقف الخلاف الجوهري مع تركة أبيه أو الشخصيات المرتبطة بشكل وثيق معها. إذا نظرنا إلى آراء بشار التي عبر عنها حول الوضع المحلي لسورية منذ أن أصبح رئيساً واختياره لمستشاريه الشخصيين نجد أن كل ذلك يؤيد فرضية أن الأسد الشاب لديه ميل عام تجاه الإصلاح وأنه يعمل على صياغة مقاربة مفاهيم واسعة لتغيير سورية ولكنه مازال يحتاج للمساعدة في وضع السياسات الخاصة ودمجها في برنامج الإصلاح الشامل. تقدم هذه المراجعة دعماً إضافياً لتقييم أن السعي من أجل الإصلاح هو تعهد تدريجي وطويل الأمد بالنسبة للرئيس الجديد لأسباب استراتيجية وتكتيكية.

الأشياء المتوقعة عن الإصلاح:

في الأيام الأولى من حكمه بدا أن الرئيس الجديد يريد أن يتخذ موقفاً ملتبساً حول توجهه الأساس تجاه الإصلاح فقدم نفسه كشخص يسعى لتحقيق التوازن بين التغيير والاستمرارية. وفي خطاب التولية نوه بشار إلى أن وظيفته في الآن نفسه هي المحافظة على مقاربة والده الراحل و تطويرها كذلك الأمر [43]. وفي شباط 2001، في أول مقابلة هامة له بعد أن أصبح رئيساً أكد بشار على اهتمامه بتحقيق التوازن بين التغيير والاستمرارية: "ليس من الممكن البدء بأي تطوير سياسي في سورية إلا من خلال المكانة التاريخية لهذا البلد. لقد ذكرت في خطاب توليتي أننا لم نأتِ لنسف الواقع وإنما لتطويره وكلمة تطوير تعني أن تبني على أساس شيء ما وتتحرك منه إلى الأمام وليس في الفراغ" [44].

بالنظر إلى عملية التهيئة الشخصية الرفيعة التي نجح من خلالها بشار في تخطي ثغرة السلطة بعد والده بالنسبة لرئيس جديد عن توليه الحكم فلن يكون من المدهش أن يتبنى بشار هذا الموقف العام حول الإصلاح. ولكن كان في هذه

المقاربة خيبة أمل لأولئك الذين خارج سورية والذين كانوا يأملون أن يكون في خلافة بشار فجر يوم جديد في السياسة السورية. وإذا نظرنا إلى وضع بشار فلن يكون من المحتمل أن يأتي الإصلاح بتسارع ونطاق يرضي التوقعات الخارجية. لقد كان التقدم بطيئاً وعرضة للعقبات وفي بعض الحالات للانقلاب إلى الضد. وهكذا، ومع استمرار بشار في الرئاسة ظهرت نزعة متزايدة نحو التحسر على فقدان التقدم والتساؤل حول مقدرة بشار أو نواياه الجوهرية لإصلاح سورية.

يمكن فهم هذا التساؤل حول اعتماد بشار الإصلاحي. كما يتضح من التدقيق في تعامل بشار مع التحديات الاقتصادية والسياسية فإنه لا يؤيد التغيير الراديكالي. لم يكن هنالك ولن يكون تغييراً سريعاً وإجمالياً للعملية السياسية.. ولكن الواقع السياسي لبشار أكثر تعقيداً مما قد توحي به كلمة إصلاحي أو رجعي. على الرغم من أن بشار لا يملك رؤية واسعة وشاملة ومتقنة لتحويل سورية، إلا أن ميوله الإصلاحية هي أكثر استراتيجية بشكل قابل للجدل مما تتضمنه الشكوك التي تشيع في الغرب بشكل متزايد[45].

يمكن وصف مقاربة بشار للإصلاح على أنها استراتيجية في إطارها الزمني لإنجاز التغيير وفي العملية التطورية التي يتخيلها.. فيما يتعلق بالتوقيت الزمني، من الواضح أن لبشار نظرة بعيدة.. وهذا يعكس في إحدى نواحيه حقائق الوضع السياسي له. يقول معلق إسرائيلي: على نقيض عدّائي المسافات القصيرة أي القادة الغربيون العالقون بين مطرقة نهاية فترة ولايتهم وسندان انتقاد المؤسسات الديمقراطية في بلادهم، يرى بشار الزمن بشكل مختلف حيث يعتقد أنه في سباق المسافات الطويلة[46]. فهو بالتأكيد لا يواجه قيود حدود نهاية فترة الحكم المفروضة على القادة الذين ينتخبهم الشعب. فليس فقط الضرورات الملحة التي تدفعه لتعزيز موقعه على المدى القريب والمتوسط تجعل بشار يميل إلى التدريجية بل إنه يستطيع تفسير مكانته السياسية وبشكل مقبول ظاهرياً على أنها مكانة تمنحه رؤية على المدى الطويل.

ولكن، يبدو أن لبشار أيضاً تقديره الاستراتيجي لمخاطر التقدم بسرعة قصوى

بالإصلاح الاقتصادي والسياسي في مجتمع مازال يتصف بانقسامات عرقية وطائفية لم يتم حلها بعد، ونزعة عميقة نحو الإسلامية داخل الغالبية العربية السنية، واقتصاد مستخلف. وهذا التقدير بدوره يؤدي إلى نشوء نموذج الإصلاح على مراحل. في حديثه مع المؤلف في 17 كانون الثاني 2004 وصف بشار الإصلاح في سورية على أنه العمل على ثلاثة مستويات وهي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وهذه المستويات الثلاثة ليست متعاقبة بشكل محض مع أن الرئيس أقر بضرورة العمل عليها في آن واحد ولكن هنالك إدراكاً محدداً للأولوية حيث يعامل الإصلاح الاقتصادي على أنه الأساس للكل ويعامل الإصلاح الاجتماعي إلى حد كبير على أنه العنصر الشَرْطي للإصلاح السياسي[47] لقد راقب حافظ الأسد بالطبع عمليات الإصلاح في الاتحاد السوفييتي والصين وفضل على الأرجح المقاربة الصينية التي تمت على مراحل في توجيهاته لبشار. لقد كان الأسد الأب قلقاً للغاية حول إمكانية انحلال سورية كما حدث للاتحاد السوفييتي بقيادة ميخائيل غورباتشيف وأن تتحول إلى أجزاء صغيرة وتنحدر إلى دولة إجرامية كما حدث في روسيا في مرحلة ما بعد السوفييت في حال تمت الإصلاحات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بسرعة قصوى.

يبدو أن الإصلاح الاقتصادي قد حاز على الأولوية في تفكير بشار منذ بداية ولايته. في مقابلة شباط 2001 مع الشرق الأوسط قال بشار أن رؤيته العامة لبلده يمكن تلخيصها في قول واحد وهو أن يرى سورية أكثر ازدهاراً. وفي مقابلة كانون الثاني 2004، مع المؤلف نوه الرئيس إلى أن الأيديولوجية البعثية لم تعد تهم وكانت رؤيته صاغها بشكل فكه إلى حد ما؛ حيث قال إذا كانت تسهم في ازدهار سورية فيمكن أن ندعوها بالاشتراكية. ولكن من الواضح أن بشار يميل إلى التحرك ببطء أكثر بإصلاح يتعلق بالسوق أكثر مما يمكن أن يروق للإجماع في واشنطن ولصندوق النقد الدولي والهيئات المالية الدولية الأخرى. وبالنظر إلى تقييمه لضعف القطاع الخاص في سورية فإن الرئيس يريد إنشاء قطاع خاص حقيقي قادر على خلق فرص العمل قبل متابعة عملية التخصيص على نطاق واسع وهو الذي سيحرم

حسب توقعاته عدداً كبيراً من موظفي القطاع العام من عملهم.

بإمعـــان النظر تكون سورية الأكثر ازدهاراً بالنسبة لبشار الشرط اللازم للإصلاح الاجتماعي والسياسي. وعلى ضوء الصراع التاريخي لنظام الأسد مع حـــركة الإخوان المسلمين والنزعة المستمرة نحو الإسلامية بين الطائفة السنية في ســـورية فلن يكون مدهشاً أن يعني الإصلاح الاجتماعي بالنسبة لخليفة حافظ توهين وإضعاف الهوية الطائفية في المقام الأول. وبالمقابل يكون توهين الهويات الطائفـــية المقدمـــة الاستهلالية الضرورية للإصلاح السياسي. لقد كان بشار واضحاً تماماً في تصميمه على عدم التحرك بسرعة في الإصلاح السياسي ونوه أن التحرك بسرعة كبيرة لدمقرطة سورية سيؤدي إلى نتيجة مماثلة لما حدث في الجزائـــر في أوائـــل التسعينيات حيث أدت الانتخابات المبتسرة إلى فوز القوى الإســـلامية المعاديـــة للديمقراطـــية ممـــا حث على تدخل الجيش وإلغاء نتيجة الانتخابات(48).

حلقة بشار:

مـــن الواضـــح أن هذه النظرة للإصلاح الاقتصادي والاجتماعي والسياسي تتضمن منظوراً استراتيجياً طويل الأمد لتحويل سورية. إن الأسلوب الذي بدأ فيه بشـــار تكويـــن نظامه يقدم دليلاً إضافياً على أن قيادته تنظر بجدية إلى طموحاته الإصلاحية.

في حين كان بشار عند توليه الحكم هو المستفيد من ترتيب إجراء اتفاقي مع الدعـــائم الهامـــة لنظام والده الراحل إلا أن هذا الإجراء لم يتأكد بأي شكل من الأشـــكال. على المستوى المنظور على الأقل واجه بشار منذ بداية رئاسته معارضة مـــن مجموعـــة متباينة من المحتفظين بوظائفهم بعد انتهاء مدتهم القانونية من أفراد الحلقـــة الداخلـــية للأسد الأب ومن أفراد العائلة الطموحين ومن أصحاب المصالح البيروقراطـــية والمهنـــية والمؤســـساتية المحصـــنين في مناصبهم وقد تداخلت هذه المعارضـــات جميعها بحيث يمكن أن تقاوم جهود التغيير في السياسات الراسخة إذا

رأى هؤلاء المعارضون في هذه الجهود تهديداً لامتيازاتهم.

منذ بداية ولايته تجنب بشار المواجهة مع بنية السلطة التي ورثها عن والده فسعى بشار بدلاً من ذلك إلى التعامل مع المعارضة المحتملة لمحاولاته لتغيير السياسات المحصنة بسبل أخرى. يمكن تفسير هذه الإجراءات إجمالاً على أنها جهود مؤازرة لتطوير نظام بديل إلى جانب تكوين السلطة التي ورثها بشار عن والده، واستخدام هذا التكوين البديل كأساس لاستراتيجية طويلة الأمد في اختيار تدريجي لنظام راسخ[49].

يمكن وصف جوهر هذا التكوين البديل المتطور على أنه الشبكة الشخصية لبشار، فقد حاول بشار قبل توليه منصب الرئاسة توسيع الحلقة الداخلية الخاصة به بشكل مستقن، بحيث يكون وراء المجموعة التي تربطه بها علاقات حميمية بمجموعة كبيرة من المؤيدين. يبدو أن هذه الشبكة التي مازالت حتى الآن مفككة إلى حد ما تتألف من مجموعة غير رسمية من المستشارين الذين يقدمون النصيحة لبشار شخصياً وهم من خارج إطار الحكومة، والمجموعة الثانية هم أفراد من خارج الحكومة السورية وقد وضعهم بشار بشكل مباشر في مواقع رسمية يتمكنون من خلالها مساعدته في التقدم بجدول أعماله.

يبدو أن وزارة المطبخ تركز على الأغلب ولكن ليس بشكل حصري على قضايا السياسة الاقتصادية والتأكيد على تعريف بشار الشخصي للميدان الاقتصادي على أنه يحتل المقام الأول في الإصلاح بالنسبة له. لقد استخدم بشار هذه الشبكة غير الرسمية بشكل أساسي حتى الآن لتحقيق التوازن في نفوذ الحرس القديم وتزويده بمصادر بديلة للمعلومات والنصائح السياسية. من الممكن تحديد هوية عدد من الأفراد الذين لهم دور في صياغة نظرة بشار حول الإصلاح الاقتصادي.

أحد أول الخبراء من خارج الحكومة السورية الذين ظهروا كمصدر نصح للرئيس الجديد هو نبيل سكر الذي حصل على شهادة الدكتوراه في إدارة الأعمال من جامعة إنديانا وهو اقتصادي مؤيد للإصلاح عمل لدى البنك الدولي على مدى

عقـــد كامل وفي القطاع المالي في لندن قبل عودته إلى سورية في عام 1991 حيث أســـس شركة استشارات خاصة[50] في السنوات الأخيرة من رئاسة حافظ الأسد وفي ظـــل التشجيع الظاهري من جانب بشار أصبح سكر الناقد البارز الذي أجيز لـــــه الانـــتقاد العلني للسياسات الاقتصادية القديمة. يمكن للمرء أن يميز ويدرك بســـهولة تأثير سكر على تصور بشار للاقتصاد السوري. من وجهة نظر سكر لا تملك سورية اقتصاداً وطنياً بالمعنى الطبيعي للمصطلح.. فالاقتصاد السوري اقتصاد دخـــلي كلاســـيكي عـــاش عـــلى الإعانات المالية من دول الخليج والمساعدات العســـكرية من الاتحاد السوفييتي الذي اندثر الآن[51] لقد كان لوجهات نظر سكر حول إصلاح السياسة أثر هام على طريقة تفكير بشار وقد عبر عن وجهات نظره هذه في مقابلة 2002 حيث قال:

> **أعارض التخصيص في سورية لأنه لا يوجد شخص يشتري مؤسسة عامة عفا عليها الزمن وعديمة الفعالية ومجلبة للخسائر إلا ربما لسلب مقدراتها والحصول على أرض وإبرام بعض الصفقات المشبوهة ففي حالة مشاريع الدولة المربحة يمكن أن يعني التخصيص فرصة ذهبية للفساد والعمليات التي تتم على نمط المافيا والتي سترافقهم تقريباً في كل لحظة. إن السياسة المثلى لسورية تكون بتشجيع بروز قطاع مشاريع خاصة حقيقي.. وهذا يعني أنه يجب على الحكومة أن تسمح لرجال الأعمال سواء كانوا سوريين أو أجانب أن يستثمروا وينتجوا ويشتروا ويبيعوا وهكذا ينشأ اقتصاد سوق حقيقي.. وقد أظهرت تجارب العديد من الدول من روسيا إلى الجزائر أن تخصيص المؤسسات التي تملكها الدولة ليست قاعدة فعالة لتحديث الاقتصاد فلماذا نبدد الأموال في محاولة تأهيل قطاع عام لم يعد ملائماً أو ذي جدوى[52].**

الشخصية الأخرى المشوقة هو أيمن عبد النور الذي ظهر في وقت مبكر نسبياً من ولاية بشار كعضو بارز في الحلقة الجديدة الخاصة بالرئيس. عبد النور مهندس يعمـــل في القطـــاع الخـــاص في سورية وقد طور علاقته ببشار بعد عودته في عام 1994 إلى ســـورية ليصـــبح رئيساً. بعد أن أصبح بشار رئيساً تم تعيين عبد النور مستشـــاراً شخصـــياً حديراً للرئيس للشؤون الاقتصادية. وقد أسس مؤخراً خدمة صـــحفية عـــلى شبكة الإنترنت بعنوان[53] All4Syria تعمل هذه الخدمة بحماية

واضحة من القصر الرئاسي حيث تنشر يومياً نشرة أخبار إلكترونية وتقدم مقالات حول الإصلاح في سورية من عدة مصادر كما أنها تؤمن منتدى للمقالات الأصلية وتبادل المعلومات.. وكثيراً ما تتضمن هذه المقالات تعليقات من نقاد النظام والمناوئين في سورية وخارجها[54].

استقطب بشار أعضاء إضافيين إلى شبكته غير الرسمية من أماكن أخرى فخلال السنة الأولى من رئاسته أسس ما يدعى بمجموعة المستشارين الثمانية عشرة لتقديم النصيحة له حول المسائل الاقتصادية وكان هؤلاء حصراً من المحيط الأكاديمي وعالم الأعمال. يبدو أن بعض هؤلاء الثمانية عشرة قد تم اختيارهم على أساس مواقعهم في المؤسسات السورية وليس لميلهم نحو التغيير الجوهري[55]. وتم اختيار الأفراد الآخرين بسبب خبرتهم في المجال الدولي وتأييدهم القوي لإصلاح السوق وإعادة الهيكلة. وقد طور عدد من هؤلاء الثمانية عشرة ذوي الفكر الإصلاحي علاقاتهم الشخصية الفردية ببشار ونذكر ضمن هذه الفئة رياض الأبرش وهو أكاديمي سابق واقتصادي في صندوق النقد الدولي[56].

وقد استقطب بشار أيضاً مستشارين غير رسميين من مجموعة من مستشارين واقتصاديين لهم علاقة بمركز الأعمال السوري-الأوروبي[57] ومركز الأعمال السوري-الأوروبي هو مشروع يرعاه الاتحاد الأوروبي وقد نتج عن عملية برشلونة التي بدأها الاتحاد الأوروبي في عام 1995 لزيادة تنافسية القطاع الخاص السوري توقعاً لاندماج سورية في منطقة التجارة الحرة الأوروبية-المتوسطية مع حلول عام 2010. لقد كان الاقتصاديون السوريون والمتخصصون في الإدارة المرتبطون بالمركز ناشطين في مساعدة رجال الأعمال المحليين لتطوير مبادرات وأفكار أعمالهم. وقد قدم بعض هؤلاء الاقتصاديين والمستشارين مثل سمير سعيفان النصيحة لبشار حول الإصلاح الاقتصادي. وسمير مثل نبيل يدير شركة استشارات في القطاع الخاص في دمشق.[58] تم تكليف سعيفان من قبل بشار في عام 2000 لإعداد تقرير يتضمن توصيات حول إجراءات الإصلاح الاقتصادي وقد حرض تقريره هذا على نقاشات هامة في دوائر القطاعين الرسمي والخاص في دمشق حول

الحاجة إلى البنوك الخاصة في سورية لتأمين رأس المال اللازم لتطوير الأعمال.[59]
لقد لعب أعضاء المركز بما فيهم سعيفان وسامي الخيمي دوراً هاماً في الفريق السوري الذي نفذ واحدة من أهم مبادرات بشار في مجال السياسة حتى تاريخه حيث أجروا المفاوضات مع الاتحاد الأوروبي حول اتفاقية الشراكة سورية-الأوروبية. يحمل الخيمي شهادة الدكتوراه في الهندسة وكان أحد مؤسسي الجمعية المعلوماتية السورية وكان من أوائل المدافعين عن دخول الانترنت إلى سورية مما أوجد له قناة لتطوير علاقته ببشار قبل أن يستلم الأسد الشاب منصب الرئاسة. كان الخيمي أيضاً أكاديمياً نشيطاً ورجل أعمال في مجال تكنولوجيا المعلومات في سورية وفي عام 2004 عينه بشار سفيراً لسورية في المملكة المتحدة[60].

أحد الأفراد الهامين في حلقة بشار الشخصية الداخلية هي زوجته أسماء التي تزوجها في 1 كانون الثاني 2001 أي قبل أقل من عام من تسلمه منصب الرئاسة. يكشف اختيار بشار لأسماء رغم معارضة والدته عن أشياء جديدة بالملاحظة في شخصيته دون شك. ولدت أسماء عام 1976 وهي ابنة الدكتور فارس الأخرس وهو أخصائي بجراحة القلب التداخلية على مستوى عالمي وعضو في كلية الطب في



الرئيس السوري بشار الأسد وزوجته أسماء أثناء زيارتهما لبريطانيا

كلــية كــنغز في جامعة لندن[61] .الدكتور الأخرس سليل عائلة سنية مرموقة من حمــص، وهكذا.. فزوجة بشار ليست علوية وذات خلفية مدنية وجيهة. ولدت أسمــاء وتربــت وتعلمت بشكل كامل في المملكة المتحدة. وبعد تخرجها من كلية كــنغز باختصاص علوم الكمبيوتر في عام 1996 اتبعت برنامج التدريب التنفيذي في شــركة ج.ب. مورغـــان وعملت في مجال الاستثمار المصرفي في بنك دوتش. وعــندما تقدم لها بشار كانت قد سجلت في برنامج MBA في كلية الأعمال في جامعــة هارفارد[62] سنناقش لاحقاً في هذا الفصل الدور العام لأسماء في سورية. عــلى أية حال من الواضح أنها بكونها أكثر أفراد وزارة المطبخ حميمية لبشار فإنها حملــت معهــا أعــلى مستوى من التدريب في مجال الأعمال واطلعت على أعلى التطبــيقات والمســتويات الدولية في مجال المال والاستثمار العالمي لتقدمه كله في مداخلاتها إلى تفكير زوجها

تــتألف المجموعــة الثانية من الشبكة غير الرسمية الخاصة ببشار من أفراد من خــارج الحكومــة السورية وقد وضعهم بشكل مباشر في المحلية. وبوضعه لهؤلاء الأشــخاص في مناصــب حكومية يبدو أن بشار يريد تطوير طبقة من المسؤولين الموالــين لــــه بشكل مباشر[63] ويتمتعون بمواقع عالية المستوى.. وبهذه الطريقة يتجنــب استهلاك الوقت الذي يتوجب في الوضع الطبيعي –وفي الحالة السورية- شدة التصلب في عمليات التوظيف والتأهيل والتطوير. يوحي العدد المتزايد لهؤلاء الأشــخاص أن بشار ربما كان يسعى وراء نوع من المسيرة الطويلة في المؤسسات الســورية. ويــبدو أن هــدف بشار من السعي وراء هذا النهج هو إقامة قاعدة بيروقراطية لمزيد من مبادرات الإصلاح القوية في المستقبل[64].

أحــد الأمثلة على هؤلاء الذين اصطفاهم بشار من خارج الحكومة السورية ونصبهم في مواقع هامة هو غسان الرفاعي الذي تم تعيينه وزيراً للاقتصاد والتجارة الخارجية في كانون الأول 2001. يحمل الرفاعي شهادة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعــة سوســكس في المملكة المتحدة وقد عمل على مدى ثلاثين عاماً في البنك الــدولي قــبل تعيينــه وزيــراً[65] .وهو فني على أعلى مستوى ويعتبره المراقبون

السوريون والأجانب عموماً أحد المتكلمين البارزين حول إعادة التكوين الاقتصادي في سورية، ومع ذلك قال الرفاعي علناً أنه ينبغي عدم إقحام سورية في عملية تخصيص واسعة وشاملة لمشاريع الدولة مما جعله يتوافق مع ميول بشار التدرجية في الإصلاح.

هنالك أمثلة أخرى عن الأفراد الذين اختارهم بشار من خارج وكالات الدولة ووضعهم في مواقع هامة تتعلق بالسياسة المحلية ومن هؤلاء:

وزير السياحة الحالي سعد الله آغا القلعة وهو اقتصادي[66] تلقى تدريبه في فرنسا وقد أوكل بشار إليه مهمة إصلاح القطاع السياحي المتخلف ولكنه يغلي أرباحاً.

ماهر المجتهد، الذي عينه بشار في موقعه الجديد أميناً عاماً لرئاسة مجلس الوزراء في أواخر عام 2003. يحمل المجتهد شهادة الدكتوراه في إدارة الأعمال وهو عضو سابق في هيئة مدراء الجمعية المعلوماتية السورية.

علي كنعان، الذي عين رئيساً للمصرف الصناعي السوري في كانون الأول 2003. كان كنعان أستاذ مادة الاقتصاد في جامعة دمشق وهو ذو توجه إصلاحي وعضو أساسي في مجموعة الثمانية عشرة[67].

عبد الله الدردري، وهو اقتصادي يحمل شهادة الدكتوراه وقد خدم في حكومة الرئيس الجديد رئيساً لهيئة تخطيط الدولة وهو الآن مدير الجمعية الاقتصادية السورية[68].

عصام الزعيم الذي خدم في حكومة بشار وزير دولة لشؤون التخطيط ثم وزيراً للصناعة ومنذ عام 2004 رئيساً لهيئة تخطيط الدولة[69]. الزعيم الذي يعتبر فنياً اقتصادياً منافساً ترأس تخطيط الدولة. الزعيم الذي يعتبر فنياً اقتصادياً منافساً ترأس الوفد الذي فاوض في اتفاقية شراكة سورية مع الاتحاد الأوروبي.

يشترك أعضاء الشبكة الشخصية لبشار سواء كانوا من وزارة المطبخ أو في مواقع حكومية، بعدة صفات:

- إنهم أكبر قليلاً من بشار ولكنهم كجيل أصغر من الحرس القديم وأغلب أفراد الشبكة غير الرسمية لبشار هم في عمر ما بين الأربعين والخمسين.
- إنهـــم ذو ثقافة غربية وإطلاع على الغرب بشكل يفوق أفراد الحلقة الداخلية لحافظ الأسد وكبار المسؤولين في نظامه بل وحتى أكثر من بشار نفسه.
- إنهـــم ذو خـــبرة فنية وأوراق اعتماد وخبرات في مجالات الأعمال والاقتصاد وتكنولوجـــيا المعلومـــات وهي مجالات حاسمة في تلبية المطالب طويلة المدى لعملية التحديث في سورية.

يـــبدو أن بشار لم يكن يبالي بالتوجه السياسي للأشخاص الذين ضمهم إلى شبكته في عدد كبير من الحالات فقد عين أشخاصاً في مناصب حكومية هامة رغم أنهم لم يكونوا أعضاء في حزب البعث[70].

لقـــد حقق بشار نجاحاً محدوداً حتى تاريخه في تعيين حاشيته[71] في مناصب وزاريـــة. في كانون الأول 2001، أجرى بشار أول تعديل وزاري لـــه كرئيس فعـــين فنيين غير بعثيين في مناصب وزارية اقتصادية كان من بينهم الرفاعي وزيراً للاقتصاد والتجارة. وفي أيلول 2003 عين بشار وزارة جديدة وكان محمد ناجي عطري رئيس الوزراء الجديد. وكجزء من هذا العمل حاول بشار أن يجعل الوزارة الجديـــدة أكـــثر عصرية وفعالية وقلل العدد من أربع وثلاثين إلى ثلاثين من خلال دمج الوظائف. كان نصف الوزراء الذين أعلن تعيينهم في أيلول 2003 مستجدين في مواقعهـــم وتم التركـــيز بالنسبة للمعنيين الجدد على مجالات الاقتصاد والتعليم والمجـــتمع. ولكن عدد المدافعين عن الوضع الراهن كان يفوق أنصار التغيير بمقدار كبير[72]. وعد بشار في أول اجتماع للوزارة الجديدة بأن تتم مراجعة أداء الوزراء بعد اثني عشر شهراً من تعيينهم مع الأخذ بعين الاعتبار أيهم أنجز تغييراً أكثر. وفي الـــتعديل الوزاري الثالث أثناء رئاسته الذي تم في تشرين الأول 2004 تمكن بشار بشكل خفيف من تحسين التمثيل الوزاري للإصلاحيين[73]. ترك الرفاعي في الواقع منصـــبه في هذا التعديل الوزاري وحل محله عامر حسني لطفي وهو المدير السابق لهيئة تسويق القطن التي تديرها الحكومة ويعتبر إصلاحياً اقتصادياً.

يعتبر الترتيب الذي يجريه بشار على مجموعة شبكته غير الرسمية مع مرور الوقت مؤشراً هاماً على اهتمامه المستمر بالإصلاح. ويمكن للمرء أن يتوقع مع هذا التبديل الذي يطرأ على المسؤولين على مستوى مرموق بأن هنالك المزيد من وزارة المطبخ أو المستشارين غير الرسميين للرئيس من الممكن أن يتقلدوا مناصب حكومية وربما حتى أن يصبحوا وزراء. وعلى سبيل المثال يكثر النقاش بين النخبة في دمشق حول منافسة رياض الأبرش أو سمير سعيفان أو نبيل سكر على وزارة المالية أو التجارة والاقتصاد. وإضافة إلى هذا يمكن للمرء أن يتوقع أيضاً أن بعض الأفراد الذين عينهم بشار في مناصب الصف الثاني من الممكن أن يتحركوا إلى مستويات أعلى من السلطة والمسؤولية.

إلى جانب إنشاء شبكة خاصة به من المستشارين والناصحين والمؤيدين اتخذ بشار خطوات لوضع الأشخاص الموالين لـه في مواقع تمكنهم من التحكم بعتلات هامة للسلطة. وفي هذا استمرار للاتجاه الذي كان متبعاً قبل وفاة حافظ الأسد. وليس من المدهش أن يكون التركيز في هذا على أجهزة الجيش والأمن. وقد تمكن بشار حتى تاريخه من تعيين المزيد من حاشيته في مواقع هامة في الخدمات الاستخباراتية أكثر من أي مكان آخر في الجهاز القهري للنظام. وقد رأينا أنه حتى قبل توليه الحكم تم تعيين مدراء ونواب جدد في مديرية الاستخبارات العامة والاستخبارات العسكرية السورية. ومع تقدم عهد بشار في الرئاسة أظهر النفوذ المتزايد لبهجت سليمان في الاستخبارات العامة ولآصف شوكت في الاستخبارات العسكرية الدمغة الشخصية العميقة للرئيس الجديد على قيادات هذه الوكالات[74] .أما غازي كنعان الذي كان من أول المؤيدين لولاية بشار بعد حافظ الأسد فقد تمت ترقيته لرتبة لواء وأحضر من لبنان في تشرين الأول 2002 ليترأس مديرية الأمن السياسي المسؤولة عن كشف النشاطات السياسية المنظمة المعارضة للنظام[75]. وفي تشرين الأول 2004 تمت ترقية كنعان مرة ثانية حيث أصبح وزيراً للداخلية.

وقد حدثت تغييرات مماثلة في القوات المسلحة وحزب البعث. ففي كانون الثاني 2002، تقاعد علي أصلان الذي كان رئيس أركان الجيش وحل محله نائبه

حسن تركماني[76] وقد ذكر أن أصلان قد عارض جهود شوكت لفرض سيطرته على كادر الجيش وتعييناته بالنيابة عن الرئيس[77]. لقد أزاح الأسد من طريقه أو همش عدة مسؤولين مرموقين في الأجهزة العسكرية والأمنية حيث كان يرى أنهم يشكلون عقبات في وجه أجندته. ففي عام 2002، نقل قادة ثلاثة فيالق ممن طالت خدمتهم في الجيش وكان والده الراحل قد عينهم في مواقعهم وتغاضى عن تجاوزهم سن التقاعد من مناصبهم[78]. وعلى النحو ذاته عمل بشار مع مرور الوقت ليضع مؤيديه في هيئتين قياديتين لحزب البعث وهما القيادة القطرية واللجنة المركزية.

وكان الحدث الأهم في أيار 2004، حيث تقاعد أول الثلاثة الأهم في الحرس القديم مصطفى طلاس الذي خدم وزيراً للدفاع فترة طويلة في يوم ميلاده الثالث والسبعين وحل محله حسن تركماني[79] وقد برز ولع طلاس بالبيانات العامة البعيدة عن الواقع إلى نهاية خدمته الرسمية ففي مقابلة التقاعد مع وسائل الإعلام السورية عبر عن سعادته لأنه كان نصير المساكين طيلة فترة عمله[80] وبسبب الدور الذي لعبه طلاس في تأمين انتقال هادئ للسلطة في عام 2000، فقد كان الاعتبار الهام لبشار هو تجنب أي خلاف جذري مع وزير الدفاع للمحافظة على صورته في أنه الشخص الذي يحفظ عهد تركة حافظ. إذا كان بشار يتبع استراتيجية العدو الطويل لتعزيز موقعه فإن مغادرة طلاس تعتبر حدثاً هاماً. ومن الجدير بالذكر أنه في صيف 2004، ذكرت روايات في عدة صحف عربية تخمينات في دمشق حول احتمال تقاعد وشيك لخدام نائب الرئيس. ومع حلول الخريف تبددت هذه الشائعات وربما كان هذا يعكس إحساساً لدى الحرس القديم والمؤسسات الأمنية أنه لم يحن الوقت بعد لمن تبقى من أفراد حلقة حافظ الأسد الداخلية أن يتنحوا جانباً[81].

وهكذا يبدو لنا أن هنالك دليلاً هاماً من بياناته الخاصة ومن تطويره لشبكته الخاصة إذ التزام بشار بمجموعة محددة من الأفكار الإصلاحية. وحينما يعزو الأولوية لتحسين مستوى المعيشة ومستوى الأداء الاقتصادي في سورية، فإن بشار

يـرتأي أن الإصلاح وخصوصاً في المجال الاقتصادي يجب أن يتم بأسلوب تدريجي لتفادي الخلل في التوازن الاجتماعي. ومن الواضح أن بشار يفضل ما يصفه البعض بالـنموذج الصيني للإصلاح حيث يضع التأكيد الأولي على الإصلاح الاقتصادي ومـن ثم الانتقال ببطء إلى الإصلاح السياسي للوصول إلى إرساء أساس الرفاهية المتزايدة.

وبهذا الخصوص مازالت مخاطر الانقسامات الاجتماعية تبدو حقيقية جداً من مـنظور القصـر الرئاسي، إذ منذ بداية الحملة العسكرية بقيادة الولايات المتحدة للإطاحـة بصـدام حسـين في العراق حدث نشاط في التمرد الكردي في سورية وخصوصـاً في الشمال الشرقي حيث يتركز وجود أكراد سورية ويتداخلون مع تمركـز أكراد شمال العراق والجنوب الشرقي من تركيا، وقد ألزمت الاحتجاجات الكـردية أحـياناً حدوث ردود عنيفة من جانب جهاز الأمن السوري[82] .وجاء الهجـوم بسـيارة مفخخة على بناء كانت تشغله الأمم المتحدة سابقاً في حي المزة بدمشـق في نيسـان 2004، والذي ادعت الجهات الأمنية في سورية أن أصوليين إسـلاميين قـد نفذوه، ليؤكد خطر أن تكون الطائفة السنية الإسلامية قاعدة تحد إسلامي متجدد لنظام الأسد[83].

جمـيع هذه الاعتبارات من وجهة نظر بشار تنم عن ضرورة المقاربة التطورية التدريجـية للإصلاح. والخطوة الثانية لفهم بشار كقائد وطني هي في التمعن بمدى قدرته واضطلاعه في تطبيق هذه المقاربة في التعامل مع القضايا الداخلية الاقتصادية والسياسية لسورية.

مجابهة العقبات التي تقف في وجه الإصلاح الاقتصادي:

نوهنا آنفاً أن بشار ورث عند توليه الرئاسة مجموعة مثبطة للهمة من المشاكل الاقتصـادية المهولـة. لقد اعتبر بشار أن العلاج بالصدمة وهو النمط الذي يتبناه صـندوق النقد الدولي أو التخصيص السريع على نطاق إجمالي واسع غير واردين بالنسـبة لـه، فركز الرئيس الجديد في سياساته الاقتصادية على محاولة الحث على تطويـر قطاع خاص لرجال الأعمال وقلل من تكاليف عقد الصفقات في الاقتصاد

المحلي وبدأ بخفض الحواجز التي تعيق التفاعل مع الاقتصاد العالمي..

تحت هذا العنوان لتطوير قطاع خاص أكثر نشاطاً بدأ بشار عدداً من التغييرات الجديرة بالتوقف عندها في إطار السياسة الاقتصادية لسورية خلال السنة الأولى من ولايته. وبهدف زيادة طلب المستهلك أمر الرئيس الجديد في الأشهر الأولى من توليه الرئاسة بزيادة رواتب العاملين في القطاع العام وهي حاجة ملحة وقد طال انتظارها. وقد بدل قوانين ذات صلة بالسماح ببطاقات الاعتماد والاستيراد الخاص للسيارات(84) والأهم من ذلك أن بشار بادر بالسماح بإنشاء المصارف الخاصة في سورية(85) يقع هذا كله ضمن التوصيات التي قدمها سمير سعيفان ونبيل سكر والتي حثت على أن وجود قطاع مالي خاص يعد أمراً ضرورياً وهاماً للمحافظة على تطور الأعمال في سورية(86).

للتقليل من تكاليف عقد الصفقات والبدء بانفتاح الاقتصاد السوري على الأسواق العالمية اتخذ بشار عدداً من الخطوات الأخرى في وقت مبكر من ولايته.. ففي كانون الثاني 2001 بدأ بإصلاح السياسات السورية التي تحكم تبادل العملات بهدف جعل الليرة السورية قابلة للتحويل بسعر استبدال واحد(87) حالما أصبح غسان الرفاعي وزيراً للاقتصاد والتجارة في التعديل الوزاري الذي تم في نهاية 2001، افترض هذا المسؤول السابق في البنك الدولي دوراً رائداً لبشار في السعي لتحقيق هذا الهدف.. وقد عهد الرئيس الجديد بهذا الأمر لرأي شركة استشارات أميركية رائدة في هذا المجال لصياغة الاقتراح لإنشاء مناطق تجارة حرة في سورية على غرار الموجودة في دبي(88).

لقد اختلط سجل المسار الذي نهجه بشار في ترجمة هذه الأفكار والمبادرات على نتائج واقعية ملموسة.. فعلى السياق الإيجابي استطاع الرفاعي الإشراف على إضفاء المنطق على السياسات السورية المتعلقة بالعملة قبل أن يترك منصبه في تشرين الأول 2004. ولكن الإصلاح تلكأ في أغلب المجالات الأخرى. وكان سمير سعيفان ونبيل سكر يتحسران أحياناً بشكل علني على ضعف التقدم في تنفيذ

الإصـــلاحات الجديدة[89]. لقد كان التنفيذ بطيئاً بسبب العجز التنظيمي في الجهاز المســـيطر في ســـورية وبسبب الحواجز والعقبات الهيكلية وأبرزها تلك المتأصلة في تركة نظام الأسد والمتمثلة في الفساد على أعلى المستويات.

عجز القابلية:

يظهـــر أثـــر عجـــز قابلية النظام السوري بشكل شديد وصارخ في صياغة السياســـة الاقتصـــادية.و ربما تكون الإصلاحات الاقتصادية الإيجابية في جزء منها بسبب عجز قابلية النظام البيروقراطي السوري لتحقيق بعض المبادرات.

إن اعتبار إدخال المصارف الخاصة إلى سورية أمراً بطولياً يوضح هذه الظاهرة بشكل جيد. فعلى الرغم من إصدار المراسيم التي تسمح بإنشاء مصارف خاصة في بدايـــة 2001 إلا أن هذا النظام لم يطور الإطار القانوني والتنظيمي اللازم لتشغيل قطـــاع مالي خاص. وكنتيجة لذلك لم يتم افتتاح حتى المصارف الخاصة المرخصة وبقـــي الأمر كذلك حتى منتصف 2002 حيث تم إنشاء لجنة المال والاعتماد في المصرف المركزي والتي آل إليها تعريف السياسة النقدية بما في ذلك السلطة لتحديد نســـبة الفـــائدة[90]. وفي عام 2003، تم تشكيل لجنة خاصة تتضمن سمير سعيفان لصـــياغة مسودة قوانين التنفيذ للمراسيم الرئاسية التي تنص على قانونية المصارف الخاصـــة ومـــع إعلان هذه القوانين تم افتتاح مصرفين خاصين صغيرين[91] ولكن الـــتأخير وعدم التأكيد ألغيا الأثر الإيجابي لمبادرات الإصلاح الهامة الذي كان يمكن أن يحدث للاقتصاد السوري.

كان السبب الجزئي في هذا التأخير ناتجاً عن الجمود البيروقراطي وانبثق أيضاً من عدم وجود الكادر المؤهل من الفنيين ضمن المكاتب المرتبطة بهذا الموضوع وغير القـــادرين على صياغة القوانين والتنظيمات اللازمة لإدارة قطاع مالي خاص على مســـتوى عـــالمي. الجدير بالذكر أن القوانين المصرفية الراديكالية الجديدة قد تمت قولبتها على نمط القوانين اللبنانية في الخمسينيات أي أن الإطار التنظيمي الذي عفا علـــيه الزمن منذ نصف قرن كان أفضل نموذج توصل إليه النظام السوري لصياغة

قوانيـــنه الخاصة. وقد نبه إلى نقطة الضعف هذه كل من سمير سعيفان وآخرون في بدايـــة ولايـــة بشار[92]. لقد أدرك بشار نفسه هذه المشكلة التي تتعلق بالإصلاح المصـــرفي حيث أشار إلى أن أي سوري يتمتع بالخبرة اللازمة للعمل في قطاع مالي خـــاص حقيقي ربما يكون قد غادر سورية من قبل[93]. ليس القطاع المصرفي هو القطاع الوحيد الذي هزل فيه الإصلاح بسبب عجز قابلية النظام لابتداع المبادرات وتنفـــيذها فالتحرك نحو إيجاد مناطق اقتصادية تعرقل بسبب نقص القابلية بالإضافة إلى المقاومـــة من داخل النظام ضد إنشاء جزر يمكن أن تنفر أولئك العاملين خارج مناطق التجارة الحرة[94].

. وبشـــكل أكـــثر عمومـــاً، أدرك الرئـــيس وكبار المسؤولين المؤيدين للتغير والاقتصـــاديون ذوي الـــنظرة التقدمـــية أن نقص الخبرة الفنية في نواحٍ حاسمة من الجهـــات البيروقراطية هو القيد الأهم في وجه الإصلاح[95].على الرغم من الجهود الـــتي بذلهـــا بشار لاستخدام أفراد يتمتعون بخبرات على مستوى عالمي فلم يكن هـــنالك ببســـاطة أشخاصٌ بعدد كافٍ بخبرة مميزة وأوراق اعتماد مناسبة والخبرة اللازمة لاقتراح إصلاحات جدية في المجالات الهامة. يرى بشار نفسه بوضوح مقيداً بهـــذا النقص الخطير ويقر علانية بحاجته إلى الدعم الخارجي لتحسين تطوير وتنفيذ سياسات ومبادرات الإصلاح. في مقابلة 17 كانون الثاني 2004 مع المؤلف، سأله المؤلـــف أيـــن يرى سورية خلال خمس سنوات فقال الرئيس أن ذلك يعتمد على مقدار المساعدة والخبرة التي ستتوفر لـــه من خارج سورية خلال هذه الفترة.

بالإضـــافة إلى عدم كفاية القدرات الفنية داخل الدواوين البيروقراطية المحددة، كـــان على بشار التعامل أيضاً مع سوء الأداء الوظيفي في دمج التخطيط عبر هذه الهيـــئات البيروقراطـــية المتعددة. نوهنا آنفاً أن بشار يدرك تماماً أنه لا يملك حالياً القـــدرة أو القابلـــية لتطوير وتنفيذ مبادرات الإصلاح في ميادين السياسة الهامة أو دمجها معاً بطريقة استراتيجية حقيقية. تبدو تغيرات السياسة التي ناقشناها فيما سبق ذات صـــفات تـــتعلق بهـــذا الموضوع بالذات وليست جزءاً من خطة متماسكة للإصـــلاح المـــنظم. يمـــيل الوزراء كأفراد على التصرف بعناد وحماقة في صياغة

السياسات ومنهم حتى أولئك المهتمين بالتغيير. وكنتيجة لذلك فقد اتخذ الإصلاح الاقتصادي في سورية بقيادة بشار الصفة التحسينية.

في جهوده لمعالجة هذه المشكلة أولى الرئيس اهتماماً وتركيزاً إضافياً على إصلاح الإدارة كأساس للإصلاح الاقتصادي وجاءت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه بتعيين ماهر المجتهد الذي يتمتع بخلفية إدارية أميناً عاماً لرئاسة مجلس الوزراء في نهاية عام 2003[96]. وفي ربيع 2004، أحضر بشار دفعة جديدة مؤلفة من أربعة عشر فنياً شاباً وكان عدداً منهم يحمل شهادة الدكتوراه من جامعات أميركية وبريطانية وأوروبية ليشكلوا نواة لكادر الإشراف وكانت مهمة هؤلاء المسؤولين الجدد مراقبة نشاطات الوزراء والتيقن من وجود تنسيق فعال عبر الدواوين البيروقراطية[97]. لقد طلب بشار المساعدة من الحكومة الفرنسية لتحديد الجهاز الإداري للرئاسة السورية وتحسين عملية التخطيط للسياسة في الوزارات وكان القصد من وراء ذلك إيجاد خطة للإصلاح الإداري تكون جاهزة للتنفيذ مع بداية عام 2005.[98] وإضافة إلى ذلك، بدأت فرنسا بتقديم التدريب اللازم للموظفين السوريين من خلال مدرسة تعليم الإدارة لتحسين مستوى خبرة الفنيين داخل الحكومة السورية[99].

الحواجز الهيكلية:

إضافة إلى القدرة والقابلية المحدودة التي تحد من قدرة بشار لدفع التغييرات قدماً، يواجه الرئيس أيضاً حواجز هيكلية هامة تعيق الوصول إلى إصلاحات شاملة. ينبثق العديد من هذه الحواجز من السجل الطويل لنظام الأسد الحافل بالفساد على أعلى المستويات.

لم يكن بشار قادراً في العديد من الحالات على إنهاء الاحتكارات التجارية أو إدخال المنافسة إلى القطاعات الهامة بسبب تركة الفساد الراسخة بين أفراد الحلقة الداخلية لوالده الراحل. إن رغبة الرئيس في تجنب المساس بالمصالح المالية للشخصيات القوية في النظام أتاحت لرجال الأعمال ذوي الصلات الجيدة المحافظة

عـــلى سيطرتهم على سوق السيارات وتجارة التجزئة على الرغم من الإلغاء الرسمي للقـــيود المفروضـــة على واردات السيارات. وكانت حاجة المصنعين الأجانب إلى وكـــلاء محليين وسيلة المناورة والتلاعب التي سمحت لرجال الأعمال بالمحافظة على موقعهم المهيمن في السوق السورية. وفي بعض الحالات، حتى المبادرات التي بدت ظاهـــرياً تشـــجع المنافسة كإصدار عروض رسمية للحصول على تراخيص الهواتف النقالة في قطاع الاتصالات كانت فعلياً غير تنافسية بشكل لا ريب فيه[100].

استمر الفساد ليشمل عائلات شخصيات هامة في النظام في ظل رئاسة بشار. فعـــلى ســـبيل المـــثال طورت عائلة خدام نائب الرئيس مصالحها في مجال الأغذية والمطـــاعم خـــلال سنوات خدمته في نظام الأسد[101] يعتبر الاقتصاديون ورجال الأعمال ذوي الفكر الإصلاحي أن مجال معالجة الأغذية في سورية هو قطاع يتميز بـــبعض المنافســـة ولكن هيمنة بعض الأطراف القوية على هذا القطاع مثل عائلة خدام يثبط همة الداخلين الجدد إلى هذا المجال.

طـــورت عائلة طلاس وزير الدفاع السابق سيطرة اقتصادية واسعة جداً على قطـــاع الإعلام والاتصالات وفي مجال الخدمات الدفاعية وتتم هذه السيطرة بكل أشكالها من خلال مجموعة من أجل سورية التي يترأسها فراس ابن طلاس[102].

وفي بعـــض الأمـــثلة امتد الفساد ليشمل عائلة بشار الشخصية حيث تتصف عائلة مخلوف وهي أسرة والدة بشار بأسوأ سمعة فقد امتد نفوذ اتصالاتها ليصل إلى حد الإمبراطورية التجارية الضخمة وحيث يتجاوز تقدير قيمتها ثلاثة مليار دولار أميركـــي[103] وقـــد أصبحت عائلة مخلوف أبرز عائلة في مجال الأعمال في سورية بشـــكل قـــابل للجدل. أبرز شخصيات عائلة مخلوف في مجال النشاطات التجارية خال بشار محمد مخلوف وابنه رامي ابن خال بشار.

يعتـــبر المـــدى الذي وصلت إليه إمبراطورية عائلة مخلوف مؤثراً للغاية ومثيراً للخشـــية من جانب ثروتها ومن جهة قدرة العائلة على استغلال الروابط السياسية لتحقيق المكاسب الشخصية[104].

تســـتمر عائلة مخلوف في سيطرتها على المصرف العقاري وهو أحد مصارف

سورية التي تديرها الدولة مما يمنحهم الوصول بامتياز إلى رأس المال اللازم لمشاريعهم التجارية.

ويستمر رامي وأخوه إيهاب في سيطرتهم على مناطق التجارة الحرة على طول الحدود السورية-اللبنانية والمتاجر المعفاة من الرسوم في مطارات سورية. وهكذا فإن الفساد المرتبط بشكل وثيق بعائلة بشار يقضي على الفائدة الاقتصادية من إحدى إجراءات التحرر القليلة نسبياً والتي ينفذها نظام الأسد.

وإضافة على ذلك، يقول الخبراء في مجال تخصيص أسواق الاتصالات في المنطقة أن الإخوة مخلوف يملكون فعلياً شركة سيريتل وهي الشركة الرائدة لتأمين خدمات الهاتف الخليوي في سورية وقد منح هذا العائلة موقعاً مهيمناً في قطاع الاتصالات في سورية مما يحجم احتمالات وإمكانيات إحراز مكاسب اقتصادية هامة من تحرير ذلك القطاع[105].

إن شخصيات النظام البارزة وأفراد عائلاتهم ورجال الأعمال المنتسبين لهم الذين يجنون أرباحاً من بقاء الوضع الراهن في حالة ائتلاف واهن يقاومون إجراءات التحرر الاقتصادي التي تتيح المجال للمنافسة في القطاعات الاقتصادية الهامة في سورية.[106] وأكثر حتى من العجز والنقص الشديد في القدرات الفنية فإن الائتلاف المعادي للإصلاح قد أحبط حركة الإصلاحات الاقتصادية الجذرية ووضعها في موقف حرج.. وهذا بالتأكيد يفرض قيوداً على استراتيجية بشار المزعومة في تنمية القطاع الخاص قبل إعادة التكوين الجذري للمشاريع التي تديرها الدولة.

يمكن من الناحية التكتيكية ربما فهم إحجام بشار عن تحدي عناصر هذا الائتلاف على المدى القريب والمتوسط. ولكن ليس من الواضح فيما إذا كان بشار ينوي أو يعرف كيف يحل هذه المشكلة البنيوية على المدى الطويل. وبالعودة على الاستعارة التشبيهية لدون كورليون عن حافظ الأسد الراحل فإن بشار يكون في حال يماثل وضع ابن دون، ميشيل: خليفة وعد بإضفاء الشرعية على كل مشاريع العائلة ولكنه يجب أن يعمل في محيط يجعل التحويل صعباً على أقصى حد.

إحدى الاستراتيجيات التي اتبعها بشار في محاولة منه للفّ حول هذه العقبات البنيوية التي تقف في وجه الإصلاح هي في استخدام الاتفاقيات الاقتصادية الدولية وخصوصاً اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي كأداة لفرض شفافية أكبر وهز إصلاح السياسات. فقد بدأت المفاوضات حول اتفاقية الشراكة بين الاتحاد الأوروبي وسورية في أواسط التسعينيات أي بعد البدء بعملية برشلونة مباشرة ولكن المتابعة وهنت في السنوات الأخيرة من ولاية حافظ الأسد[107]. وعند استلامه السلطة، عمل بشار على إعادة إحياء المحادثات فقد كان الرئيس الجديد يرى في اتفاقية الشراكة أداة مفيدة في تسريع خطا التغيير وقد استقدم اقتصاديين ذوي فكر إصلاحي من خارج الحكومة السورية ليكونوا ضمن أعضاء الوفد السوري الذي يجري المفاوضات مع بروكسل. وفي أعقاب حرب العراق وتدهور علاقات سورية مع الولايات المتحدة استخدم بشار المناقشات حول الأهمية الاستراتيجية لتطوير علاقات أفضل مع أوروبا للتغلب على مقاومة الحرس القديم لسياسة الإصلاح التي ستكون مطلباً في اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي[108]. وأخيراً وفي كانون الأول 2003، توصل المفاوضون من سورية والبعثة الأوروبية إلى اتفاق حول ما رأت فيه دمشق نصاً نهائياً وأعد بشار الخطط للسفر إلى بروكسل في آذار 2004 لتوقيع الاتفاق[109].

ولكن كان المنتظر أن تؤتي جهود بشار ثمارها في جعل اتفاقية الشراكة أمراً واقعاً ويبقى أن نرى فيما إذا كان في النهاية سيستخدم اتفاقية الشراكة كأداة محركة لتسريع الإصلاحات. وفي بداية 2004، رفض المجلس الأوروبي الذي يمثل الحكومات الأعضاء في الاتحاد الأوروبي توقيع النص الذي تم الاتفاق عليه من جانب المفاوضين في البعثة الأوروبية وأشار إلى قوانين تبناها الاتحاد الأوروبي في تشرين الأول 2003 وفيها إلزام صريح للموقعين على اتفاقية الشراكة بالتخلص من أسلحة الدمار الشامل[110] أصرت كل من بريطانيا وألمانيا وهولندا على هذا الموقف بشكل خاص[111]. وتوقفت المناقشات بين بروكسل ودمشق لحل هذا المأزق في شباط 2004 وأرجأ بشار رحلته إلى بروكسل.

ولكن بعد إعلان إدارة بوش في أيار 2004، الإجراءات المحددة لتنفيذ قانون محاسبة سورية، أعلن الاتحاد الأوروبي عن استئناف المفاوضات مع دمشق بهدف الوصول إلى قرار نهائي حول اتفاقية الشراكة. وقد أشار كريس باتن مبعوث الاتحاد الأوروبي للعلاقات الخارجية أنه في حين يشترك الاتحاد الأوروبي معأميركا في أهداف السياسة الأميركية تجاه سورية، إلا "أننا لا نشاركهم المقاربة التكتيكية ذاتها"[112]. وأخيراً، وفي تشرين الأول 2004، بدأت البعثة الأوروبية والمسؤولون السوريون بالنص المنقح الذي يحتوي إشارة أقل حزماً إلى أسلحة الدمار الشامل.. رغم أن دمشق كانت في ذلك الحين على خلاف مع فرنسا حول مسألة الهيمنة السورية في لبنان وكان الاتحاد الأوروبي قد قبل عشرة دول أعضاء جدد. ونتيجة لهذه التطورات يقول دبلوماسيون أوروبيون ومسؤولون في الاتحاد الأوروبي إنه ليس من الواضح ما مدى سرعة تحرك الاتحاد الأوروبي للموافقة على المسودة الجديدة وهي خطوة ضرورية قبل التمكن من توقيع اتفاقية الشراكة وجعلها قيد التنفيذ[113].

الإجراءات البديلة المؤقتة:

بالنظر إلى النوعية المرتجلة لصنع القرار من أجل الإصلاح الاقتصادي والعقبات البنيوية الحصينة في وجه تنفيذ مبادرات الإصلاح فلن يكون مذهلاً بالنسبة للمراقبين الخارجين أن نهج الإصلاح في ولاية بشار جاء تشنجياً متقطعاً وبطيئاً بشكل إجمالي. وفي غضون ذلك عمل بشار لإيجاد إجراءات بديلة مؤقتة لتساعده في تفادي التدهور الخطير في أداء الاقتصاد السوري. تضمنت هذه الاتفاقات زيادة دراماتيكية في التبادل التجاري السوري المحظور مع العراق في الفترة التي سبقت الإطاحة بصدام حسين، وجهود منظمة لزيادة إنتاج النفط وجذب الاستثمارات الأجنبية الجديدة إلى هذا القطاع من الاقتصاد السوري على المدى القريب والمتوسط. وقد استفاد بشار أيضاً من انتهاء عدة سنوات من القحط في سورية حيث جاء ازدياد هطول الأمطار ليحسن الأداء في القطاع الزراعي في سورية بشكل ملحوظ منذ عام 2003.

مـــا بــين توليته في تموز 2000، وبداية عملية تحرير العراق في آذار 2003، أشـــرف بشار على الازدياد الهائل في التبادل التجاري السوري المحظور مع العراق. وفي تشـــرين الثاني 2000، أقر بشار إعادة افتتاح أنبوب النفط العراقي- السوري الرئيسي الذي يمتد من حقول النفط في شمالي العراق حول كركوك إلى مرفأ بانياس الســـوري[114]. وبدأت سورية والعراق أيضاً بالتخطيط لتمديد خط أنابيب آخر ذي طاقـــة ضخمة. وكان في هذا العمل توسعاً دراماتيكياً لتدفق النفط العراقي إلى سورية.. فخلال عامي 2001-2002، استوردت سورية ما يقارب 200.000، برميل يومياً من النفط العراقي خارج إطار برنامج النفط مقابل الغذاء الذي تشرف علـيه الأمم المتحدة.[115] كان الكم الأكبر من النفط يمر عبر أنبوب النفط الرئيس مـــا بين كركوك وبانياس، وكانت البقية تمر عبر أنبوب نفط ثانوي أصغر هو في الأساس فرع من أنبوب النفط العراقي- التركي إضافة على النقل البري والحديدي. كان النفط العراقي يباع لسورية بنسبة حسم مرتفعة وكانت سورية تعيد بيعه دولياً بأسعار السوق العالمية فتجني بذلك ربحاً وافراً في هذه العملية.

اســـتمر اتساع نطاق التبادل التجاري المحظور مع العراق في قطاعات أخرى أيضـــاً. وفي كـــانون الثاني 2001، سافر رئيس الوزراء السوري ميرو إلى بغداد لتوقيع بروتوكول تجاري وهو فعلياً اتفاقية تجارة حرة مع العراق، ولم تقدم سورية هذا البروتوكول على الإطلاق للجنة عقوبات الأمم المتحدة للموافقة عليه[116] وفي مرحلة قيادة بشار أقرت سورية أيضاً رحلات جوية مباشرة بين بغداد ودمشق في خرق بذلك لقرارات مجلس الأمن في الأمم المتحدة.

وفي أوج التبادل التجاري المحظور مع نظام صدام وصلت العائدات المالية إلى مـــا يقارب 2 مليار دولار سنوياً لصالح الاقتصاد السوري.. كان هذا الفيض اشد مـــا يحـــتاجه الاقتصاد وجاء تورط أفراد الحرس القديم وكبار المسؤولين في جني الأربـــاح مـــن التـــبادل الـــتجاري المحظـــور مع العراق ليساعد في تعزيز تعاون الشخصيات الهامة في النظام لتعزيز سلطة بشار في المرحلة الأولى من حكمه.

كانت العائدات النفطية المتزايدة بديلاً اقتصادياً هاماً آخر بالنسبة لبشار حتى

بعــد سقوط نظام صدام. وطيلة فترة رئاسة بشار استفاد الاقتصادي السوري من الاتجـاه المستمر في ارتفاع أسعار النفط العالمية.. وكنتيجة لذلك كانت المكاسب التي جنتها سورية من صادرات النفط قد عززت بشكل كبير من مدخرات العملة الصعبة لسورية خلال عامي 2003-2004[117].

مــع أهمية الصادرات النفطية والعائدات النقدية ومكاسب النقد الأجنبي التي وردت للاقتصــاد السوري كانت إحدى التحديات الاقتصادية الملحة التي تواجه بشــار هــي النضــوب المحتمل لاحتياطي النفط في البلاد. من الواضح أن الرئيس الجديــد قد أدرك أن مواجهة احتمال النضوب والمحافظة على تدفق الدخل الثابت نسبياً من الصادرات النفطية يتطلب جذب شركات النفط الأجنبية التي تحمل معها رأس المــال والتكنولوجيا المتطورة إلى سورية. ونتيجة لذلك ضاعفت وزارة النفط الســورية من جهودها لتوسيع المشاركة الأجنبية في القطاع النفطي في البلاد. وفي كــانون الأول 2001، بــدأت الــوزارة بعرض امتيازات الحفر في خمسة مناطق

سوريا: خطوط البترول والغاز الرئيسية



الامتـيازات لمجموعة من شركات النفط الأجنبية التي شاركت في العرض الأول. استكشـافية في عـروض رسـمية. وفي كانون الثاني 2003، بدأت دمشق بمنح بالإضافة إلى شركة شل ذات الوجود الراسخ في سورية من قبل منحت الامتيازات عـلى مدى العام ونصف التاليين لشركات من كندا وتشيلي وكرواتيا والهند إلى جانـب عدة شركات أميركية[118] وطرحت دمشق عرضاً لامتيازات حفر إضافية في أربعة عشر موقعاً في ربيع 2004.

المولد العسير للمجتمع المدني:

في نطـاق سعي بشار للإصلاح الاجتماعي والسياسي، تركزت جهوده على مـا يمكن وصفه بتطوير المجتمع المدني في سورية.. فعلى المدى الطويل يعتبر نشوء مجـتمع مدني أكثر نشاطاً أمراً حاسماً في تحقيق توهين الهويات الطائفية التي تقع في صـميم أجندة بشار للإصلاح الاجتماعي. ويرتبط تطور المجتمع المدني أيضاً بجهود الرئيس لتطوير قطاع الأعمال الخاص. ولكن وكما هو الحال في المجال الاقتصادي فـإن بشـار مهـتم بالتطوير التدريجي للمجتمع المدني، وليس بالتحرر السياسي السـريع. ومثلما هي مواقفه التي تتعلق بالإصلاح الاقتصادي فإن مقاربته التدريجية لتطوير المجتمع المدني تعكس أولوياته الخاصة وتقديره لمتطلبات تعزيز موقعه.

لقد كان موقف بشار تجاه المجتمع المدني أحد أكثر الجوانب القابلة للجدل في ولايـته.. حيـث يعتبر موقفه تجاه هذا الموضوع مؤشراً هاماً لموقفه تجاه الإصلاح السياسي الجذري في سورية. كما أن تقلبات موقفه تعتبر خارج سورية سبباً وافياً لتموج إدراك ماهيته كقائد وطني خلال السنوات الثلاثة الأولى من رئاسته.

إشارات مشوشة:

ربمـا بسـبب الصـياغة الماهرة لصورة بشار أمام العامة على أنه الشخص المتعاطف مع الجدل الدائر حول التدفق الحر للمعلومات والمناقشة العلنية للمشاكل الحالـية، كـان في وصـوله إلى الرئاسة تحريضاً على توقع كبير لإمكانية التحرر السياسـي في سورية. فخلال السنة الأولى من حكمه بدا بشار متعاطفاً، وأحياناً

مؤيـداً لآمال وطموحات أولئك السوريين الطامحين بمزيد من الانفتاح. وبعد توليه الحكم بوقت قصير عمل بشار على الحد من هالة تمجيد شخصية الرئيس الأمر الذي كان سائداً أثناء ولاية والده فأمر بإزالة صوره من الأماكن العامة واللافتات التي تمتدح الرئيس الجديد وقد لوحظ هذا التطور في جميع نواحي دمشق[119].

وإضافة إلى ذلك، بدأ بشار بالسماح بمزيد من حرية التعبير والصحافة في سورية. وخلال الشهر الأول من توليه الحكم عين مدراء جدد في وكالة الأنباء السورية الرسمية –سانا– والإذاعة والتلفزيون الحكوميين بالإضافة إلى رؤساء تحرير جدد للصحف الثلاثة الرئيسية اليومية التي تسيطر عليها الدولة وهي البعث والثورة وتشرين. وقد نحت الثورة على الخصوص سياسة تحريرية ليبرالية بشكل أكبر بكثير في ظل رئيس تحريرها الجديد محمود سلامة. وفي كانون الأول 2000، أعلن بشار أن الأحزاب الدائمة في الجبهة الوطنية التقدمية يجاز لها نشر صحف خاصة بها وبدأت أول صحيفة بالظهور في كانون الثاني 2001، وكذلك الأمر في كانون الثاني 2001 تم إصدار أول ترخيص لصحيفة مستقلة شخصية في سورية بناء على تخويل شخصي من بشار وهي صحيفة الدومري التي بدأت بالنشر في شباط 2001[120].

والمؤشر الآخر المبكر والمشوق عن ميول بشار الإصلاحية كان في علاجه لعارف دليله وهو عميد كلية الاقتصاد السابق في جامعة دمشق والذي طرد من منصبه في عام 1998 عندما انتقد رئيس الوزراء آنذاك محمود الزعبي واتهمه إياه بالفساد. وفي آب 2000، استقبل بشار "دليله" ضيفاً مكرماً في القصر الرئاسي وأعاد الأستاذ السابق إلى منصبه في الكلية وجعله عضواً من الثمانية عشر. وفي تشرين الأول 2000، كرست صحيفة الثورة صفحتين كاملتين لتحليل انتقادات دليله للاقتصاديات البعثية[121]. بالتأكيد ما كان دليله ليحظى بهذه المنصة العامة لأفكاره دون تعيين بشار لرئيس تحرير ذي ميل تقدمي مع الإدراك لغطاء تفضل الرئيس الجديد بالموافقة على ذلك.

لقد عمل بشار أيضاً على منح السلطة لمنظمات المجتمع المدني.. فخلال السنة

الأولى من ولايته كان هنالك منظمة رائدة غير رسمية في مجال حقوق الإنسان وقد تم قمعها في التسعينيات وهي "لجان الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات الديمقراطية في سورية" وقد سمح لها باستئناف نشاطاتها العامة[122]. وقد ظهرت أيضاً منظمة جديدة تعنى بحقوق الإنسان في سورية وهي "اللجنة السورية لحقوق الإنسان" بقيادة هيثم المالح وهو محام سوري وناشط في مجال حقوق الإنسان وقد سجن في الثمانينيات عندما تحرك نظام الأسد لقمع المنظمات المهنية المستقلة[123].

رغم أن بشار لم يلغِ على الإطلاق حالة الطوارئ و لم يرفع الأحكام العرفية المفروضة منذ عام 1963 إلا أنه اتخذ خطوات لإخماد الاهتمام بالاعتقالات السياسية وسوء أنظمة محاكمة المجرمين. وخلال الصيف والخريف الأول من تسلمه منصبه، عفا بشار وأطلق سراح المئات من السجناء السياسيين ومنهم أكثر من ستمائة عضو من جماعة الإخوان المسلمين[124]. وقد نوهنا سابقاً إلى أن حافظ الأسد كان من وقت لآخر يطلق سراح مجموعات مختارة من السجناء السياسيين بما فيهم المعتقلين من جماعة الإخوان المسلمين، ولكن تصرف بشار كان فريداً من نوعه في مداه وقياسه. وعلاوة على ذلك، فأن عفو بشار الأخير قد ذكر في وسائل الإعلام السورية في تشرين الثاني 2000 بلغة تنم ولأول مرة عن أن الحكومة السورية قد سجنت أشخاصاً لأسباب سياسية[125]. وفي ذلك الشهر ذاته، ازدادت إيماءات بشار الرمزية عمقاً حينما نفذ أمراً كان والده قد أصدره قبل موته بوقت قصير لإغلاق سجن المزة المشهر به حيث يتم احتجاز العديد من المعتقلين السياسيين وأصدر عفواً عاماً عن السجناء غير السياسيين[126]. وأصدر بشار أمره الخاص بإغلاق سجن تدمر المشهر به بصورة مماثلة لذلك في الشهر التالي[127].

وبعد، في الوقت ذاته الذي كان بشار يقدم فيه على هذه الخطوات، يبدو أنه كان أيضاً يحدد بعض الحدود الخارجية لمجال وسرعة التحرر. وقد عكس هذا في ناحية منه الأولويات التدريجية الخاصة به وعكس أيضاً مقاومة الأطراف المحصنين في مناصبهم في التكوين السلطوي الذي كان بشار قد ورثه. في الأشهر الأولى من رئاسة بشار كان هنالك مؤشرات على أن خدام نائب الرئيس وهو الزعيم المؤثر

في الحـــرس القديم واللواء سليمان من مديرية الاستخبارات العامة الذي على الرغم من ولائه لبشار كان يمثل الهيئة الأمنية، أظهرا استياءهما من وجود مزيد من التحرر في التعـــبير العام[128]. وفي آب 2000، عقد الرئيس الجديد اجتماعاً مع الأحزاب الستة التأسيسية في الجبهة الوطنية التقدمية حيث قرر فيه بشار تأجيل تعريف قانون أحـــزاب سياسية جديدة أو السماح لأحزاب جديدة بالانضمام إلى الجبهة الوطنية التقدمية[129].

من ربيع دمشق إلى شتاء دمشق:

عـــلى خلفية هذه الإشارات المشوشة يكون السؤال الأهم بالنسبة للسوريين والمهتمين من الخارج هو كيف سيوازن بشار دوافعه نحو التحرر مع اهتمامه بتنظيم عملـــية التغيير. من خلال سياق الأحداث خلال السنتين الأولى والثانية من رئاسته وهي الفترة التي شهدت صعود وغوص ما يسمى بربيع دمشق.. نجد أنها توحي بأن هذا التوازن لن يكون سلساً أو سهلاً.

في الـــبداية، أنعش وصول بشار إلى الرئاسة ازدهار النشاط لمصلحة الإصلاح السياســـية في ســـورية. واستمر المفكرون والمعلقون السوريون بوصف هذه الفترة بربـــيع دمشق الذي تميز بظهور أول حركة مجتمع مدني حقيقية[130]. كان بعض الشخصيات البارزة في هذه الحركة من المدافعين المتمرسين عن الإصلاح السياسي مثل صادق العظم وكان الآخرون من الجيل الجديد من المفكرين والفنانين والمعلقين السياسيين الملتزمين بتطوير المجتمع المدني في سورية.

كانـــت أول ظاهرة علنية تم الاعتراف بها على نطاق واسع لحركة المجتمع المدني المتجدد في سورية قد حدثت في أيلول 2000 أي بعد ثلاثة أشهر فقط من رحيل حافظ الأسد وبعد شهرين من تولية بشار عندما قام تسع وتسعون مفكراً بارزاً وفناناً ومختصاً بتوقيع ونشر بيان رسمي وهو بيان التسعة والتسعون يطالبون فـــيه بمشـــاركة سياسية متزايدة لجميع شرائح المجتمع السوري[131]. يجادل بيان التســـعة والتســـعون في أن الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والقانونية لن تحقق أغراضـــهم المطلوبـــة دون إكمالهـــا بالإصلاح السياسي. لقد دعا مؤلفو النص

والموقعـون عليـه بشـكل محدد أولاً وآخراً لوضع حد لحالة الطوارئ وقانون الأحكام العرفية المفروضة منذ عام 1963. ودعوا أيضاً للعفو عن جميع السجناء السياسيين وسجناء الضمير والمرحلين والمنفيين. ودعوا أيضاً لإقامة دولة القانون ومـنح الحريات العامة والاعتراف بالتعددية السياسية والفكرية وحرية الجمعيات والصـحافة والتعـبير ووضع حد لمراقبة المطبوعات بكل أشكالها. بإعلان بيان التسعة والتسعون طرح الموقعون عليه قضية الإصلاح السياسي على أجندة النقاش العلـني بشكل مباشر ومتقن تماماً. وأرادوا في الآن ذاته اختبار ومساندة ما رأوه كميول إصلاحية لدى بشار الأسد.

مـن الممكـن أن تكون هذه المطالب العلنية تحريضية واستفزازية في السياق السـوري، ولكن الموقعين التسعة والتسعون كانوا ماهرين في صياغة بيانهم ببراعة بحيـث يكون خطر رد الفعل العنيف من جانب النظام في حده الأدنى.. ففي حين أكـدوا عـلى أهمـية التعددية إلا أنهم لم يطالبوا بشكل صريح بأحزاب سياسية جديدة، أو بإزالة حزب البعث الذي يحظى بالامتيازات و لم يهاجم البيان بشار أو شرعيته أو الطريقة التي وصل فيها إلى السلطة. ليس هنالك لأي من الموقعين تاريخ هـام في نشـاط معادٍ للنظام بل إن العديد منهم كانوا مفكرين بارزين على أعلى مسـتوى وشخصـيات عامة مثل صادق العظم والشاعر أدونيس اللذين يتمتعان بمكانة فردية وعامة وقد تسامح معهم النظام على مدى سنين عديدة[132].

كـان نشر بيان التسعة والتسعون حدثاً صاعقاً حفز ازدياد النشاط في المجتمع المدني في سورية بشكل ملحوظ. وتوالدت المنتديات السياسية غير الرسمية وحلقات النقاش في دمشق والمدن السورية الأخرى. سبق وجود بعض هذه المجموعات ربيع دمشق كونها نشأت في السنوات القليلة الأخيرة من رئاسة حافظ الأسد ولكن عدد خلايـا المجـتمع المدني هذه تزايد بشكل ملحوظ وهام في النصف الثاني من عام 2000. كان العديد من هذه المجموعات في النهاية منظماً بشكل هش تحت عنوان لجان إحياء المجتمع المدني في سورية[133]. بدا بشار في البداية مؤيداً لهذه التطورات وقـد ذكر أن الرئيس الجديد قال للمسؤولين الأمنيين الذين عبروا عن قلقهم بشأن

هذه التطورات "من حقكم معرفة ماذا يفعل هؤلاء الناس ولكن لا يمكنكم منعهم عن فعل ذلك"[134].

ومع تطور الحركة في الأشهر التي تلت تولية بشار، نشأت كتلتان مميزتان كانت الأولى تمثل المعسكر المعتدل نسبياً وهي تتمثل في الموقعين البارزين لبيان التسعة والتسعين. لقد سعى هؤلاء المعتدلون للتوصل إلى تحالف ضمني مع بشار والأطراف الأخرى ذات الفكر الإصلاحي في النظام لتغيير النظام الهيكلي تدريجياً ومن الداخل. وبهدف تشجيع هذا التحالف كان هذا المعسكر محدوداً في أهدافه بشكل متعمد كما يتضح من نص بيان التعسة والتسعون[135].

كانت الكتلة الثانية أكثر تطرفاً في أهدافها وتكتيكاتها، حيث حذت حذو الناشطين في المجتمع المدني في أوروبا الشرقية قبل انهيار الكتلة السوفييتية واتخذتهم نموذجاً يحتذى به ناشطوها. فبدلاً من السعي لاختبار وتحدي ميول بشار الإصلاحية أظهرت هذه الكتلة تحدياً للدعائم الأساسية في النظام اعتماداً على تقديرها بأن هذا النظام غير قادر على إصلاح نفسه وأنه لابد من مواجهته مباشرة بحركة شعبية واسعة القاعدة. من أبرز الشخصيات التي ضمها هذا الجناح كان عضو البرلمان المنشق رياض سيف الذي كان لاعباً هاماً في نشر منتديات النقاش خلال الأشهر الأولى من رئاسة بشار من منطلق ترأسه لمنتدى الحوار الوطني. وقد أسس سيف تنظيماً آخر وهو أنصار المجتمع المدني في آب 2000، واستخدمه كأساس للإعلان عن خطط إنشاء حزب سياسي مستقل والذي سيدعى حزب السلام الاجتماعي في كانون الثاني 2001[136].

ويضم المعسكر المتطرف عارف دليله أيضاً، حالما عاد إلى الحياة العامة أثبت رجل الاقتصاد هذا أنه مدافع آخر عن إصلاحات السوق وقد كانت أجندته سياسية بقدر ما كانت اقتصادية. في تشرين الأول 2000، نشر دليله افتتاحية في صحيفة الثورة التي تديرها الدولة وناقش فيها فكرة أن حكم الحزب الواحد لم يعد فعالاً وأنه لابد من تغيير ذلك لنجاح الإصلاح الاقتصادي[137].

وفي النهاية، وضع بشار حداً لأهداف دليله حينما أصبحت مواقف هذا

الأكاديمي الذي أعاد تأهيله متطرفة جداً لدرجة لا يمكن للرئيس الدفاع عنها. ومن بين هؤلاء الراديكاليين نذكر محمد صوان وهو عضو سابق في أحد الأحزاب التأسيسية للجبهة الوطنية التقدمية وهو الذي بدأ التجمع من أجل الديمقراطية والوحدة في بداية 2001 [138].

وجاءت نقطة التحول في ربيع دمشق مع نشر بيان الألف الذي أعده ناشطون في مجال المجتمع المدني وهو متابعة لبيان التسعة والتسعين. وذكر أن صياغة بيان الألف كانت مثيرة للتراع إلى حد كبير في حركة المجتمع المدني مما يعكس تشعب الحركة وقد تم تسريب نص البيان قبل الأوان إلى صحيفة لبنانية يومية قبل أن يوقع الألف عليه بشكل فعلي[139]. كان النص المنشور لبيان الألف أكثر تطرفاً بشكل ملحوظ من سابقه حيث كان يدعو بشكل واضح وصريح إلى إنهاء الدور القيادي الرائد لحزب البعث في الحياة السياسية لسورية وإقامة دولة ديمقراطية متعددة الأحزاب.

كان في نشر بيان الألف تحريضاً لبداية الهجوم المضاد المنظم على حركة المجتمع المدني من جانب المتشددين في النظام الأمر الذي وصفه الناشطون في مجال المجتمع المدني لاحقاً على أنه شتاء دمشق الذي أنهى ربيعها. لقد كان في نشر البيان قبل الأوان ذريعة لصالح المتشددين في النظام لاتخاذ إجراءات صارمة للحد من الدور الذي يقوم به الجناح الأكثر تطرفاً في حركة المجتمع المدني[140]. وفي النهاية، لم يفعل بشار الكثير لمقاومة الهجوم المضاد بل إنه في الواقع أجازه أحياناً كما يبدو في بياناته العامة حيث يحذر من الإفراط في النشاط المسرف وغير المقيد من أجل الإصلاح[141].

في سياق عام 2001، ومع استهلال عام 2002، اتخذ النظام عدداً من الخطوات لبتر نشاطات حركة المجتمع المدني وصد أي مظاهر تحررية أخرى[142]. وفي شباط 2001، على سبيل المثال بدأت الحكومة بإغلاق منتديات لقاءات المجتمع المدني. وفي أيار 2001، طرد محمود سلامة من عمله كرئيس لتحرير صحيفة الثورة[143]. وبعد عدة أشهر من ضغط الحكومة والمضايقات المستمرة التي

بـــدأت في ربــيــع 2001، تم تعلــيق نشر صحيفة الدومري في كانون الثاني 2002 [144]. وفي أيلــول 2001، تم اعــتقال رياض سيف وأعضاء آخرون في البـرلمان من المنشقين مثل مأمون الحمصي وتم الحكم عليهم بالسجن في النهاية في صــيف 2002 [145] واعــتقل عــارف دليله أيضاً في أيلول 2001، وأرسل إلى السجن في عام 2002 بسبب دفاعه عن الأحزاب السياسية المستقلة[146].وكذلك تم اعــتقال عــدة شخصيات بارزة في لجان الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات الديمقراطــية. واللجــنة السورية لحقوق الإنسان من الحركات الناشطة في المجتمع المــدني. ومــن ثم تمت محاكمتهم وسجنهم مثل رئيس المكتب السياسي في الحزب الشـيوعي السوي رياض الترك[147]. وفي صيف 2002، تم إصدار مذكرة اعتقال بحــق كبار قادة اللجنة السورية لحقوق الإنسان، مما أجبر اللجنة على الانتقال إلى لندن حيث تابعت عملها[148].

تجديد الإصلاح التدريجي:

بــقى القمــع الــذي فرض على ربيع دمشق هو السبب الأهم لخيبة الأمل العريضــة ببشار الأسد كإصلاحي محتمل للحياة السياسية في سورية. يكثر الجدل حــول أنــه إذا ابتعدنا عن التغيير السياسي الجوهري يكون بشار قد تبنى النموذج الصــيني في الإصــلاح حيــث تكون الأسبقية للتحديث الاقتصادي على التحرر السياســي[149]. ومــن هذا المنظور، يكون أفضل تفسير يمكن تقديمه حول بشار كعــامل محتمل للإصلاح السياسي أنه قد حاول أن يضع نفسه في منتصف الطيف السياســي الســوري كمدافع عن التغيير ما بين المتطرفين من دعاة الاستمرار في الحرس القديم ودعاة الحداثة الراديكاليين في حركات المجتمع المدني[150]. وهذا يعني أنــه لن يكون بالإمكان حدوث أية تغييرات هامة في النظام السياسي السوري في المستقبل المنظور رغم إمكانية الشعور ببعض التحسن في الجو السياسي الإجمالي.

تبدو صلاحية هذا المنظور بشكل لا ريب فيه، فبشار لا يستطيع أو لا يرغب بفرض المواجهة مع الحرس القديم وعناصر الهيئات الأخرى بطريقة تتطلب إحداث تحــول تنظــيمي جــريء في السياسة السورية. ولكن بشار استمر بطريقة حاذقة

وبارعة في إظهار تقديره للحاجة إلى منح السلطة للمجتمع المدني إلى جانب سعيه لتحقيق الإصلاح الاقتصادي وقد زرع البذور التي يمكن أن تنمو يوماً ما لتصبح شبكة من المجتمع المدني المعني بالإصلاح في سورية. ربما تكون أهم وأبرز هذه البذور هي تشجيع بشار للحركات الوليدة من المنظمات غير الحكومية في سورية. وهذه المقاربة بالتأكيد توافق اهتمامه لترقية وتعزيز قطاع أعمال خاص وزيادة جاذبية وقبول الهوية اللاطائفية واللاعرقية.

على الأغلب تنسجم هذه المنظمات غير الحكومية مع تعريف المنظمات غير الحكومية التي ترعاها الحكومة. وحتى هذا اليوم لا تملك سورية قانوناً لتنظيم نشاطات المنظمات غير الحكومية. وعلى الجماعات التي تريد تنظيم المواطنين بشكل خاص لأشكال متنوعة من النشاط الاجتماعي والدفاع عنه أن يتم تسجيلها تحت عنوان قانون الأعمال الخيرية وأن تحصل على موافقة الحكومة لممارسة عملها. ومع ذلك كله، ظهرت منذ أواسط عام 2003، أكثر من عشرين مجموعة من هذا النوع[151] وليس من المدهش أن تكون الجماعات التي أجيز لها العمل والتنظيم ذات أجندة تتوافق مع المقاربة الإجمالية لبشار في الإصلاح الاجتماعي. ولقد ركزت بعض الجماعات على بعض المواضيع المحددة كحماية البيئة أو المحافظة على الحياة البرية، وركزت مجموعات أخرى وبشكل صريح على وضع أسس قطاع أعمال خاص أكثر نشاطاً وفعالية. ونذكر ضمن هذه الفئة صندوق التنمية الريفية المتكاملة لسورية الذي تم تأسيسه تحت رعاية أسماء الأسد[152]. ويدير الصندوق برامج ذات اعتمادات صغيرة في مساحات واسعة من الريف السوري. كذلك هنالك منظمات غير حكومية أسست حديثاً ركزت على تطوير مجال الأعمال ومنها تحديث وتفعيل دور المرأة في التطوير الاقتصادي وهي منظمة بدأت عملها أيضاً تحت رعاية أسماء الأسد، واتحاد رجال الأعمال السوريين الشباب[153].

اعتمد بشار على موارد مركز الأعمال السوري-الأوروبي في تشجيعه لتطوير حركة المنظمات غير الحكومية الوليدة. منذ اتخاذ الإجراءات الصارمة التي فرضها النظام وألمت بالتالي ربيع دمشق. اتسع عمل المركز ليشمل إضافة إلى دعم مبادرات رجال الأعمال رعاية المنظمات غير الحكومية التي تركز على تطوير

لاعبين أكثر فعالية في القطاع الخاص. منذ وصولها إلى دمشق أصبحت السيدة الأولى في سورية أسماء الأسد بطلة على مستوى رفيع في نشاطات مركز الأعمال السوري-الأوروبي، حيث تؤمن صلة الوصل المباشرة للمركز والمشتركين فيه من السوريين مع القصر الرئاسي[154].

في الوقت ذاته الذي شجع فيه بشار تطور المنظمات غير الحكومية التي ترعاها الحكومة في سورية، كان هنالك توسع لما يمكن وصفه بالمنظمات غير الحكومية الحقيقية. وهي المنظمات التي لا يتطلب تسجيلها لدى الدولة تحت عنوان قانون الأعمال الخيرية. وفي حين يتوافق بعض هذه الجماعات مع النموذج التقليدي للإحسان إلا أن هنالك عدداً منها مكرس بعدة طرق لتحسين الظروف اللازمة لمزيد من السياسة الليبرالية في سورية. ومن الأمثلة على هذه التنظيمات هو مشروع الثروة المكرس لتشجيع النقاش الجدي لمواضيع حقوق الأقليات وهو بالتأكيد موضوع هام وحاسم في أية عملية مأمولة لنشر الديمقراطية في سورية[155].

في الوقت ذاته الذي سعى فيه بشار للتوصل إلى اتفاقية شراكة محتملة مع الاتحاد الأوروبي كأداة محركة مأمولة لتسريع خطأ الإصلاح الاقتصادي، يبدو أنه كان لديه طموحات مماثلة للاستفادة من هذه الاتفاقية في تسهيل التحرر السياسي في سورية. والناشطون في مجال المجتمع المدني السوري متفائلون بحذر حول المنافع الاجتماعية والسياسية المحتملة من اتفاقية الشراكة بين سورية والاتحاد الأوروبي[156]. أثناء المفاوضات التي جرت بين سورية والاتحاد الأوروبي والتي أدت إلى التوصل إلى مسودة الاتفاقية في كانون الأول 2003، وافقت دمشق على عبارات صريحة تنص على التزامها بالتحرر الاجتماعي والسياسي. يعتقد الناشطون في مجال المجتمع المدني أن هذه العبارات يمكن أن تؤمن الدافع لمزيد من حرية الصحافة والإعلام ولإنشاء أحزاب سياسية خارج إطار الجبهة الوطنية التقدمية.

نجد مثالاً آخر عن مقاربة بشار التدريجية في تنشيط المجتمع المدني في سعيه لإجراء إصلاحات هامة في مجال التعليم العالي السوري. وبالعمل من خلال رئيس جامعة دمشق الإصلاحي المعتدل هاني مرتضى شجع بشار على إنشاء الجامعة الافتراضية السورية والتي يقصد منها وصل الطلاب السوريين بأساتذة ومناهج

الجامعـــات التي يتم تعليمها حلو المنطقة وفي أوروبا وأميركا الشمالية[157]. وجاء الحـــدث المدهـــش حيـــنما فتح بشار نظام التعليم السوري ليتم السماح بإنشاء الجامعات الخاصة والتي كانت أولها جامعة القلمون التي بدأت العمل الفعلي في عام 2003.[158]. في حـــين بقي هنالك العديد من المشاكل في التعليم العالي السوري إلا أن مـــبادرات بشـــار الأخيرة في هذا المجال تعكس التزامه المستمر في التوسيع البطيء للساحة الاجتماعية في سورية[159].

يـــبدو أن مقاربة بشار لنشوء المجتمع المدني في سورية منذ شتاء دمشق تقدم دلـــيلاً آخـــر عـــلى التزامه بالنموذج التدرجي في الإصلاح. ولكن تساءل بعض المراقـــبين فـــيما إذا كـــان بشار وحركة المجتمع المدني الوليد قد يواجهان حركة ارتجاعية من الحرس القديم تماثل تلك التي أنهت ربيع دمشق. ومن هذا المنظور نجد في المضـــايقات الرسمـــية المستمرة للمقاول الفني ومالك صالة العرض عيسى توما خلال عام 2004 واعتقال المفكر والناقد الاجتماعي نبيل فياض في أيلول 2004 نذيراً لاتخاذ إجراءات صارمة من جانب الجهاز الأمني[160].

مـــن المؤكد أن احتمال الحركة الارتجاعية من الحرس القديم والهيئة الأمنية أمر واقعـــي. لا شـــك أن القلق انتاب الحرس القديم حول الجهود الأميركية والفرنسية المبذولة في صيف وخريف 2004 لإحكام قبضة الضغط الدولي على سورية بسبب وجودهـــا العسكري ومكانتها المهيمنة في لبنان. وربما يكون القلق قد استولى على الجهـــات الأمنـــية بسبب الانتشار المتزايد للعاطفة الجهادية في سورية نتيجة للعمل العســـكري الأميركـــي في العـــراق وكذلـــك الأمر القلق حول احتمال حدوث الاضطرابات من جانب الأكراد السوريين والذي أشار إليه الشغب الكردي الذي حـــدث في الشـــمال الشرقي من سورية في عام 2003. ربما تكون هذه العوامل جميعها قد شكلت المقدمة المنطقية لإحكام القبضة الرسمية في حالتي توما وفياض.

ولكـــن لـــيس من الواضح تماماً فيما إذا كانت هذه الأفعال الأخيرة تعني أن بشار قد تخلى عن نهجه المختار بطريقة حازمة. يقول بعض المراقبين أن تعيين غازي كـــنعان وزيـــراً للداخلية إنما هو دليل إضافي على انتزاع الحرس القديم الاعتراف القســـري بمكانـــتهم ومركزهم. ولكن يبدو من المعقول والمقبول ظاهرياً أن تعيين

كـــنعان يعكـــس اهتمام بشار باختيار مدير للأمن الداخلي يكون بإمكانه المحافظة على النظام والانضباط في الوقت الذي تتعرض فيه سورية للضغوط، وحينما يفعل ذلك بطريقة محنكة ومصقولة بعناية، فإن هذا قد يتيح الفرصة لإشادة المجتمع المدني الجديـــد بالطريقة المقبولة. ولهذا الخصوص وبعد تعيين كنعان بفترة وجيزة بدأت الشـــائعات تظهر في الصحافة العربية ومنشورات المعارضة السورية حول الحدوث الوشيك لإعادة تشكيلات جهازي الأمن والاستخبارات في سورية. تبعاً لما ورد في اليومـــية الإلكترونية المعارضة أخبار الشرق فقد خطط كنعان لإجبار عشرات من الموظفـــين في الأمن والشرطة الذين يشغلون مناصب عالية على التقاعد المبكر من وظائفهم. وهؤلاء الذين يخطط لطردهم هم حسب ما قيل الذين يرفضون التفاهم والإذعـــان لمحاولات وزير الداخلية توحيد الخدمات الأمنية حول الخط الإصلاحي الجديـــد لبشار[161]. والعلامة الثانية على إجراء التغييرات في الجهاز الأمني كانت في ترقية آصف شوكت لمنصب نائب مدير الاستخبارات العسكرية السورية حسن خليل الذي تقاعد في شباط 2005، ممهداً الطريق لتولي شوكت مكانه[162].

وعلى نحو مماثل في التعديل الوزاري الذي تم فيه تعيين كنعان وزيراً للداخلية تم إحضـــار مهدي دخل الله إلى الحكومة ليكون وزيراً للإعلام.. حينما كان دخل الله رئـــيس تحرير صحيفة الحزب اليومية البعث نشر افتتاحيات في عامي 2003 و 2004 يـــنادي فـــيها للتقليص من دور ونفوذ حزب البعث ونصرة مقاربة بشار التدرجـــية في الإصلاح[163]. أدخل دخل الله تغيراً فورياً في لهجة ردة فعل النظام عـــلى الانـــتقادات لدرجـــة أنه ظهر في قناة الجزيرة في نقل حي في أحد برامجها التلفزيونـــية لـــيرد على الأسئلة التي يطرحها معارضون سوريون يعيشون في المنفى وأفراد من المعارضة اللبنانية[164]. وكانت المفاجأة الكبرى في ظهور افتتاحية ناقدة تســـخر مـــن معاملـــة الخدمـــات الأمنية للسجناء في صحيفة تشرين التي تديرها الدولـــة[165]. جاء تعيين دخل الله إشارة إلى استمرار جهود بشار في إعادة صياغة دور حـــزب البعـــث في المجـــتمع والسياسة السورية مما سيشكل تدرجاً هاماً تجاه إصلاح سياسي حقيقي أعمق.

في الوقـــت ذاتـــه الذي كان بشار يجري فيه هذا التعديل الوزاري اتخذ أيضاً بعــض الخطوات الصغيرة تجاه تحرر سياسي محدود جداً. في صيف 2003، أعلن حـــزب البعـــث أنه لن يتدخل بعد الآن في شؤون الحياة اليومية للبلاد[166]. وفي تشرين الأول 2004، تم تعديل دستور الجبهة الوطنية التقدمية بحيث يتاح لأحزاب جديدة أليفة سياسياً بالدخول تحت مظلة الجبهة[167].

ويـــبدو وكأن الهيئة القضائية لم تتوصل إلى قرارها النهائي بشأن مقاربة بشار التدرجية في مجال الإصلاح الداخلي. بالنظر إلى طموحات بشار الظاهرية المزعومة والقـــيود المعترف بها فإنه من المحتمل أن يستغرق تنفيذ الأجندة التدرجية للتحديث الاقتصـــادي والاجتماعي سنوات بل ربما عقد أو أكثر. ولكن على ضوء الوضع الاســـتراتيجي المشكل لسورية بصورة متزايدة يكون السؤال المطروح هو فيما إذا كان لدى القائد هذا النوع من الوقت. وحتى في غضون ذلك الإطار الزمني، يدرك بشـــار أنـــه لا يســـتطيع تحقيق أهدافه في سياسة إصلاح سورية دون مساعدات ومســـاندات دولية جوهرية. وحينما يشعر الحرس القديم والهيئة الأمنية أن الموقف الإقليمي لسورية يتعرض للضغوط فإنه من الأرجح أن يتصرفوا بطريقة تولد مقاومة إضـــافية مـــن داخـــل النظام للأجندة التدرجية لبشار. وهكذا، ربما تكون أكثر التحديات الأساسية التي تواجه بشار هي تدبر المحيط الخارجي لسورية. سنركز في الفصل التالي على طريقة معالجة بشار للعلاقات الخارجية لسورية.

مصادر الفصل الثالث

(1) هـــذا التحليل صادق إلى أبعد حدّ، فالصور أحادية الرؤية مسيئة لموضوعية معرفة سياسة رجل مختلف كالرئيس بشار الأسد وفي ظل ظروف دولية لم تُسبق من قبل.

(2) كان المولود الأول لحافظ الأسد طفلة اسموها بشرى وماتت وهي رضيعة إثر مرض أصابها عند تعيين حـــافظ ضابط قوى جوية في مصر أثناء الجمهورية العربية المتحدة التي لم تعش طويلاً. وكان المولود الثاني طفلة ولدت في تشرين الأول 1960 أثناء تعيين حافظ في مصر أيضاً وأعطيت الاسم ذاته الذي كـــان لأختها الراحلة، راجع باتريك سيل، أسد سورية: الصراع من أجل الشرق الأوسط، بيكرلي، كاليفورنيا: مطبعة جامعة كاليفورنيا 1989 ص 68 – 69.

(3) ولد ماهر في عام 1968 ولا تتوفر معلومات علنية عن السيرة الشخصية لمجد.

(4) أســـس مدرســـة الأخوة الرهبان الفرنسيسكانيون أثناء الاحتلال الفرنسي ثم استولت عليها الحكومة الســـورية وحولـــتها إلى مدرسة نصف عامة للأولاد أي أنها تتقاضى رسوم التعليم وأجوره حتى ولو كانت عامة وذلك في الستينيات. درس جميع أبناء الأسد في هذه المدرسة ودرست بشرى في مدرسة اللاييك وهي مدرسة كانت دينية سابقاً وأنشأها الفرنسيون.

(5) حـــول تعليم بشار وشخصيته، راجع سوزان ساكس، رجل في الأخبار: الطبيب الشاب المتحول في رئاسة سورية، نيويورك تايمز 14 حزيران 2000.

(6) يذكر زيسر تقريراً نشر عام 1993 في أسبوعية الحرر العربية التي تصدر في باريس حيث ذكر حافظ اختـــياره لباســـل على أن يكون خليفته، راجع إيال زيسر، صراع الخلافة في دمشق، فصيلة الشرق الأوســـط 2 رقـــم 3، أيلول 1995. حول الإشارات الأخرى إلى أن باسل قد أصبح الخليفة المهيأ كتوزيع صورة مع صور حافظ في المناسبات العامة، راجع إيال زيسر، تركة الأسد: سورية في مرحلة الانتقال، مطبعة جامعة نيويورك 2001 ص 158 - 159

(7) وصـــل الحـــد بالأسد الأب أنه اتصل بجامعة سانت جوزيف في بيروت للاستفسار عن دراسة الطب هناك ولكن عائلته كانت أفقر من أن ترسله إلى لبنان لملء استمارات التسجيل، سيل، أسد سورية ص 38

(8) مـــا زال أغلب أبناء النخبة السورية لا يدرسون في الخارج، وإذا فعلوا ذلك فإنهم يذهبون إلى الخارج لفـــترة لا تزيد عن السنة. في حديث شخصي مع المؤلف نوه ناشط في المجتمع المدني السوري بشكل يعبر عن الاستياء والسخرية إلى حد ما إلى أن هذا يتيح لهم فرصة تذوق السلع الغربية ولكنه لا يطور

لديهم أي إحساس بالقيم الديمقراطية. تقول كوبان أن العديد من غير الغربيين الذين يدرسون في الغرب يصبحون أكثر عداء للغرب نتيجة لتجربتهم تلك، راجع هيلينا كوبان، لا شيء أكيد مع أسد سورية الجديد، Christian Science Monitor 28 حزيران 2000

(9) تختلف التقارير الصحفية في وصفها للمدة التي أقامها بشار في لندن. أخبر بشار المؤلف في كانون الثاني 2004 أنه بدأ تدريبه في مشفى ويسترن آي عام 1992 وحتى وفاة أخيه باسل في كانون الثاني 1994

(10) حتى الوقت المحدود الذي أمضاه بشار في الغرب هو أكبر مما كان لوالده أو أغلب أفراد الحرس القديم الذين باستثناء وزير الخارجية فاروق الشرع لديهم القليل من التجربة المباشرة في الغرب ونادراً ما سافروا إليه. بشار الذي قدم بطلب تأشيرة دخول للولايات المتحدة وحصل عليها قبل أن يصبح رئيساً عبر زواره الأميركيين منذ الهجمات الارهابية في الحادي عشر من أيلول 2001 عن أسفه أنه لم يتمكن من القيام بتلك الزيارة.

(11) في مقابلة مع المؤلف يوم 17 كانون الثاني 2004 قال بشار أنه خلال إقامته في لندن ركز على عمله في مشفى ويسترن آي بطريقة غير معتادة لطبيب شاب في مرحلة التدريب بعد التخرج. كان يعيش قرب المشفى وأدعى أنه لم يعرف الكثير عن لندن خلال الوقت الذي أمضاه هناك.

(12) ادعى بعض السوريين وبعض المسؤولين في أحاديث خاصة أن باسل كان في طريقه إلى المطار ليسافر إلى ألمانيا لزيارة أخيه بحد في مؤسسة للعلاج النفسي هناك.

(13) حول تحضيرات الخلافة عموماً، راجع، زيسر، تركة الأسد، ص 160-171.

(14) بنيامين أورباخ ودافيد شنكر، بروز بشار الأسد، بوليسي ووتش 371، واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 5 آذار 1999.

(15) سيرة بشار الأسد، ArabicNews.com 28 حزيران 2000، أذيعت قصة في دمشق على مدى عدة أشهر بعد تخرج بشار من الأكاديمية العسكرية العليا أن هنالك ضابطا آخر كانت علاماته أعلى من بشار بقليل في دورة قائد فرقة ودورة ركن مما يجعله الأول على صفه وتقول القصة أن هذا الضابط قد سحب اسمه من الاعتراف الرسمي به على أنه الطالب الأول ليسمح لبشار بنيل هذا الشرف.

(16) أورباخ وشنكر، صعود بشار الأسد، سيرة بشار الأسد.

(17) أورباخ وشنكر، صعود بشار الأسد.

(18) زيسر، صراع الخلافة في دمشق، تحرير ميشيل كوليتز دون، مورث الأسد، ايستيميت، 24/10 أيار 1996، ميشيل ايشنستادت، من يحكم سورية؟ بشار الأسد واقطاب العلويين، بوليسي ووتش 472، واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 21 حزيران 2000.

(19) إيشنستادت، من يحكم سورية؟، إيال زيسر، الجيش السوري: بين الجبهتين الداخلية والخارجية،

صحيفة ميريا 5 رقم1، آذار 2001، زيسر، تركة الأسد ص 162.

(20) بعد تحديه الفاشل لقيادة حافظ الأسد بعد إصابة الأخ الأكبر بنوبة قلبية في عام 1983 تم طرد رفعت بشكل فعلي من سورية في عام 1984. وبعد قضاء عدة سنوات في باريس سمح له أخوه الأكبر بالعودة إلى سورية لحضور جنازة والدته ثم بقي رفعت في سورية لغاية عام 1998. وهو يقيم حالياً بشكل رئيسي في أسبانيا ولكن انتشرت شائعات تقول أنه عاد إلى سورية في أيلول 2004. أخبار الشرق، 26 أيلول 2004. للإطلاع على معلومات إضافية حول رفعت ودوره في عائلة الأسد والسياسة السورية الحديثة راجع، ملف: رفعت الأسد، نشرة استخبارات الشرق الأوسط2، رقم5، 1 حزيران 2000.

(21) الشهابي الذي كان يصف نفسه في لقاءاته مع المسؤولين الأمريكيين والأجانب على أنه الرجل الثاني الأقوى في سورية، كان لغاية صعود بشار يعتبر على نطاق واسع داخل وخارج سورية الخليفة المحتمل للأسد. للإطلاع على مناقشة حول استبدال الشهابي راجع، الأسد يخلي البيت، ايتيميت، 17 تموز 1998، زيسر، تركة الأسد ص 166.

(22) زيسر، تركة الأسد ص 162-163، 166-167، راجع أيضاً زيسر، مفاتيح الأحجية السورية، فصيلة واشنطن 23 رقم 2، ربيع 2000.

(23) الاسم غير دقيق.

(24) الأسد يخلي البيت

(25) اشتستادت، من يحكم سورية؟. وطبعاً هذه المعلومة في شقها الثاني غير دقيقة(المدقق).

(26) يقدم صعود شوكت تبصراً في ديناميات عائلة الأسد. كان شوكت ضابطاً واعداً في الجيش وقد تزوج مرتين وطلق حينما التقى بشرى الاسد في بداية التسعينيات وقد عارضت عائلة بشرى هذه العلاقة بشدة من ناحية لأن شوكت كان أكبر من بشرى بعشر سنوات ومن ناحية ثانية بسبب طلاقه مرتين. حاول ماهر بكد الفصل بين الاثنين ورفض حافظ الأسد مباركة خطط زواجهما وفي عام 1995، فر الاثنان معاً. توترت العلاقات مع الرئاسة بشكل جدي في البداية وفي عام 1996، تقدمت بشرى وزوجها باستفسار إلى السفارة البريطانية في دمشق للحصول على تأشيرة سفر لمتابعة دراسة الدكتوراه في جامعة كامبردج. وفي الحال حملت بشرى بتوأم ووضعت في عام 1997. وفي مواجهة حفيديه الأولين لان حافظ الأسد بشكل واضح في معارضته للزواج. أقام شوكت علاقة إيجابية مع بشار وارتقى بسرعة درجات السلطة في سورية. لمزيد من المعلومات حول خلفيات شوكت ومهنته راجع: ملف اللواء آصف شوكت، نشرة استخبارات الشرق الأوسط2، رقم6، 1 تموز 2000.

(27) اشتستادت، من يحكم سورية؟.

(28) حول نشاط بشار في مكافحة الفساد، راجع، زيسر، تركة الأسد، ص 167 وغاري غامبل، التحديات الأهم لبشار، نشرة استخبارات الشرق الأوسط2، رقم6، 1 تموز 2000.

(29) محاورات شخصية للمؤلف مع مراقبين سوريين وصحفيين أجانب.

(30) في حوارات شخصية للمؤلف مع أعضاء هيئة الجمعية المعلوماتية السورية.

(31) راجع على سبيل المثال مقابلة بشار مع باتريك سيل في صحيفة الحياة، لندن، 7 آذار 2000.

(32) آلان حورج، سورية لا خبز ولا حرية، لندن: كتب زد 2003، ص 129.

(33) لتقييم التغييرات الوزارية التي تمت في آذار 2000 في سورية، راجع غاري غامبل، بشار يعدل المناصب الوزارية في الحكومة السورية، نشرة استخبارات الشرق الأوسط2، رقم3، آذار 2000.

(34) غاري غامبل، ليل سورية ذو السكاكين الطويلة، نشرة استخبارات الشرق الأوسط2، رقم5، 1 حزيران 2000، غامبل، رئيس الوزراء السوري السابق يأخذ أسراره معه إلى القبر، ميد إيست ميرو، 22 أيار 2000.(هذه أيضاً من سيل المعلومات غير المدققة من الكاتب).

(35) تحديات بشار التأسيس والاستياء، ايكنيميست 16 حزيران 2000.

(36) اشبنستادت، من يحكم سورية؟.

(37) تحديات بشار، غاري غامبل، عائلة الأسد والخلافة في سورية، نشرة استخبارات الشرق الأوسط2، رقم 6، 1 حزيران 2000.

(38) إيال زيسر، هل يمكن لبشار أن يستمر ويواصل التقدم في سورية؟، بوليسي ووتش 470، واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 12 حزيران 2000.

(39) زيسر، الجيش السوري بين الجبهتين المحلية والخارجية.

(40) حول دور طلاس في تأكيد الانتقال الهادئ، راجع يوسي بايدائس، السنة الأولى لبشار: من طب العيون إلى الرؤية القومية، بوليسي فوكس 41، واشنطن: معهد واشنطن للسياسة في الشرق الأدنى، تموز 2001.

(41) قبل يومين من تولية بشار قال وزير الدفاع طلاس علناً، بموت الرئيس الراحل كان أمامنا خيارين وهما إما أن نسلم المسؤولية لعبد الحليم خدام بصفته نائباً لرئيس الجمهورية أو أن يتم تعييني أنا.. فكرنا بالأمر بروية وعقلانية ووجدنا أن جميع أفراد الحرس القديم يقاربون السبعين عاماً فإذا عينا أحدهم فإنكم ستواجهون تحدي رئاسة الجمهورية كل عامين وهذا ليس في صالح الاستقرار. ولهذا قررنا بالإجماع تعيين الدكتور بشار الشاب، مقابلة مع الأهرام 15 تموز 2000، إذا نظرنا إلى الدور الهام الذي قام به طلاس لتأمين انتقال هادئ للسلطة من حافظ إلى بشار يكون من المشوق أن نتذكر الدور الذي لعبه طلاس قبل أربعين عاماً حينما أعاد زوجة حافظ وابنته الرضيعة بأمان إلى سورية أثناء سجن حافظ في مصر.

(42) راشيل برونسون، سورية: الاتحاد معاً أو الشنق بشكل منفرد، فصلية واشنطن، خريف 2000.

(43) يمكن إيجاد الترجمة الإنكليزية لخطاب بشار في ساعة التولية على موقع البوابة العربية
www.al-bab.com/arab/countries/syria/bashar00a.htm

وبشار إليه ببساطة بعبارة خطاب التولية.

(44) راجع المقابلة مع بشار الأسد في صحيفة الشرق الأوسط في 8 شباط 2001، الترجمة الإنكليزية على موقع

www.al-bab.com/arab/countries/syria/bashar0102b.htm#Political

سنشير على هذه المقابلة بعبارة مقابلة شباط 2001.

(45) نعتقد أن هذه الرؤية موضوعية إلى بعد حدّ(المراجع).

(46) بايدانس، السنة الأولى لبشار ص2.

(47) في مقابلـــة مع المؤلف في 17 كانون الثاني 2004، لاحظ بيرثن علامة أخرى أن الإصلاح السياسي الـــذي كان متوقعاً لدى الكثيرين عند بداية رئاسة بشار سرعان ما أصبح وراء الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي، استخدمت وسائل الإعلام السورية بشكل متزايد مصطلح الإصلاح والتحديد للإشارة إلى عهد جديد يتصف بالتطوير والتحديث. راجع فولكر بيرثن، سورية بقيادة بشار الأسد: التحديث وحـــدود التغيير، أوراق آدلفي 366، مطبعة جامعة إكسفورد، المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية 2004.

(48) في مقابلة مع المؤلف 17 كانون الثاني 2004.

(49) بيرثن، سورية بقيادة بشار الأسد ص9-11.

(50) شـــركة ســـكر هي مكتب الاستشارات السوري للتطوير والاستثمار حيث تقدم خدماتها للشركات المحلـــية والدولية ضمن نشاطات الأعمال في سورية، موقعه على الإنترنت: www.scbdi.com وفيه بعض المؤلفات الحديثة لسكر حول الإصلاح الاقتصادي في سورية.

(51) لعرض وجهات نظر سكر بشكل موثوق راجع مقابلته مع الشرق الأوسط 18 تشرين الثاني 2002.

(52) راجـــع مقابلة سكر مع أمير طاهري، الصوت السوري البديل: مقابلة مع نبيل سكر، ناشيونال ريفيو أون لاين، 2 كانون الأول 2002، www.nationalreview.com

(53) موقع All4Syria على الإنترنت هو: www.all4syria.org

(54) هذه المعلومات ليست دقيقة أيضاً.

(55) مثل راتب الشلاح رئيس غرفة تجارة دمشق.

(56) كذلك أيضاً غسان قلا وهو إصلاحي ونائب رئيس غرفة تجارة دمشق.

(57) موقع المركز على الإنترنت: www.sebcsyria.org

(58) بـــدأ سعيفان شركته بمستشارين في مجال الأعمال والاقتصاد ومقرها في دمشق وقد بدل اسمها لاحقاً فأصبح مركز التطوير العربي.

(59) ســـتيفن غلايـــن، الفوضى المالية ونقص رأس المال يحدقان بالشرق الأوسط، رابطة الكسندر للنفط والغاز، 24 آب 2003.

(60) أدى سمير الخيمي قسم استلامه منصب سفير سورية في المملكة المتحدة يوم 18 تشرين الأول 2004، صحيفة تشرين، دمشق، 18 تشرين الأول 2004.

(61) من محاورة شخصية بين المؤلف والدكتور الأخرس.

(62) لمزيد من المعلومات حول خلفيات أسماء، راجع آن آبلباوم، عندما تروم بشار، سليت 29 كانون الثاني 2001، غاري غامبل، ملف أسماء الأسد سيدة سورية الأولى، نشرة استخبارات الشرق الأوسط3 رقم 6، حزيران 2001، بتر بومونت، من إنها طالبة المدرسة إلى أسماء المعبودة السورية، أوبسيرفر، لندن، 15 كانون الأول، 2002.

(63) هذا ليس دقيقاً لأن الرئيس الأسد لم يترك بعض هؤلاء في مناصبهم عندما لم يجدهم فاعلين بالصورة اللازمة. والواقع أن الرئيس السوري فضل فعلياً عدم تقريب المقربين بقدر ما كان يبحث عن الفعاليات النوعية، وباختصار فإنه كان يعمل كرجل دولة لا كزعيم مجموعة أو عصبة.(المدقق).

(64) هنا يصبح التحليل أكثر دقة.

(65) حول عمل الرفاعي، راجع تعيين غسان الرفاعي وزيراً في الحكومة السورية الجديدة، نشرات مطبعة البنك الدولي، 28 كانون الثاني 2002.

(66) هذه المعلومة غير دقيقة لأن سعد الله أغا القلعة دكتور مهندس وله اهتمامات بالمعلوماتية وبالموسيقى.(المدقق).

(67) في حوار شخصي مع زملاء كنعان السابقين في جامعة دمشق.

(68) عُين مؤخراً نائباً لرئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية، ومعه تم أحياء هذا المنصب.(المدقق).

(69) غير دقيق لأنه غادر وزارة الصناعة ولم يعّين في هذا المنصب.

(70) بوش، سورية بقيادة بشار الأسد، يشير المؤلف إلى بعض الذين لهم علاقة بالجمعية المعلوماتية السورية كان عاملاً هاماً آخر لبعض الأشخاص الذين ضمهم بشار إلى شبكته الشخصية.

(71) لا يمكن الحديث عن هؤلاء جميعاً أو عن غيرهم كحاشية للرئيس الأسد الذي لم يلصق أحداً به.

(72) من منطلق أي معيار جدي كان أقل من حوالي العشرة من الوزراء الجدد يمكن اعتبارهم أبطالاً حقيقيين في مجال الإصلاح. وعلاوة على هذا كما نوهنا في الفصل الثاني يكون تأثير الإصلاحي ضمن وزارته محدوداً بسبب إحاطته بعدد كبير جداً من المدافعين عن الوضع الراهن المحضيين في مناصبهم. من الواضح أن بشار كان ما يزال يشعر نفسه مقيداً بالعديد من الظروف والحقائق والوقائع التقليدية في اختياره للوزراء مما يحد من المجال المتاح له لاختيار إصلاحيين مفوهين وتقدميين. كان سبعة عشر من الوزراء الذين تم تعيينهم في أيلول 2003 أعضاء في حزب البعث وكان سبعة آخرون أعضاء في أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية ويبقى ستة فقط لا ينتسبون إلى أحزاب محددة، راجع، حزب البعث يحتفظ باليد العليا في الحكومة الجديدة، تقرير سورية، تشرين الأول 2003.

(73) حول مجموعة من التفسيرات المحتملة لمواصفات الإصلاحي في وزارة تشرين الأول 2004، راجع،

نيكولاس بلانفورد، التساؤلات الباقية حول التعديل الوزاري في سورية، ديلي ستار، 6 تشرين الأول 2004، ثلاث نشرات لجوشوا لانديس على موقع الانترنت. http://syriacomment.com، ماذا تبشر الوزارة السورية الجديدة؟ 5 تشرين الأول 2004، المزيد عن الوزراء السوريين، 8 تشرين الأول 2004، المعضلة العلوية للأسد، 8 تشرين الأول 2004.

(74) غاري غامبل، إعادة تنظيم جذري في الاستخبارات العسكرية في سورية، نشرة استخبارات الشرق الأوسط4 رقم 2، شباط 2002.

(75) حول خلفيات غازي كنعان، راجع، دانيل ناصيف، اللواء غازي كنعان، نشرة استخبارات الشرق الأوسط2 رقم 1، كانون الثاني 2000.

(76) التلفزيون العربي السوري، دمشق، 22 كانون الثاني 2002.

(77) غامبل، إعادة تنظيم جذري في الاستخبارات العسكرية في سورية.هذا غير دقيق ومن الواضح أن المعلومات القادمة من شبكة الاستخبارات العربية، وغامبل يمثلها غير دقيقة.(المدقق).

(78) للحد من الرد العكسي المحتمل عينهم الرئيس نواباً لوزير الدفاع وهو موقع لا يمكنهم من خلاله إصدار الأوامر للقوات.

(79) السفير، بيروت، 4أيار 2004، وكالة الصحافة الفرنسية، 13 أيار 2004.

(80) أشار طلاس أيضاً أنه سيبقى رئيساً للجنة حزب البعث للخدمات المسلحة حتى تجرى انتخابات الحزب المعدة في عام 2005 ولكنه نفى بشكل صريح افتراض أي دور لـه كناكب لبشار، إيلاف، المملكة المتحدة، 16 نيسان 2004.

(81) تقاعد حدام في حزيران 2005 بعد المؤتمر القطري لحزب البعث(المدقق).

(82) حول نشاط التمرد الكردي، راجع غاري غامبل، عودة صحوة الأكراد في سورية، نشرة استخبارات الشرق الأوسط6 رقم 4، نيسان 2004، هافل يوسف، نشوء القضية الكردية في سورية، ثروة بروجكت، 5 نيسان 2004 عمار عبد الحميد، الخروج من الظلام: القضية الكردية في سورية تولد من جديد، ديلي ستار، بيروت، 9 نيسان 2004.

(83) للإطلاع على الوصف الرسمي للنظام عن هذا الهجوم راجع، مسؤول رسمي يقول: جماعة أصولية صغيرة تنفذ هجوماً في دمشق، وكالة الصحافة الفرنسية، 15 أيار 2004. واستنتج المسؤولون السوريون أن جماعة إرهابية نمت في الداخل يتزعمها سوري كان يهرب الأسلحة إلى العراق ومن الممكن أنه قد قاتل إلى جانب المتمردين هناك وأن هذه الجماعة هي المسؤولة عن الهجوم. وقد وردت نظريات عديدة بديلة عمن يمكن أن يكون وراء هذا الهجوم في الصحافة العربية والغربية. إحدى هذه النظريات تعزو هذا الهجوم إلى شبكة أكبر من الإسلاميين الذين تربطهم صلات بتنظيم القاعدة وجماعة الزرقاوي من خلال عصبة الأنصار المتمركزة في مخيم عين الحلوة للاجئين الفلسطينيين في لبنان. ادعى حزب الإصلاح المعارض المنفي من سورية أن هذا الهجوم هو مسرحية أعدها النظام. وقال مفكر

ســـوري للمؤلف أن هنالك خلاف بين وكالتي الأمن حول حلقة التهريب وفي هذا مؤشر على عدم تمكـــن بشار من السيطرة على الوضع. راجع All4Syria، 24 حزيران 2004، جيروسالم بوست، 27 نيســـان 204، للإطـــلاع على وصف للظروف المريبة المحيطة بالهجوم راجع، انفجار في دمشق: عشرة أسباب للشك في ادعاءات سورية، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 6 رقم5، أيار 2004.

(84) تم تنفـــيذ زيـــادة الرواتب في آب 2000، أسوشييتد برس، 26 آب 2000. تم إصدار أول بطاقات اعـــتماد في نهاية عام 2000، وكالة الصحافة الفرنسية، 25 كانون الأول 2000، تم إصدار مراسيم ذات صـــلة بالسماح بالاستيراد الخاص للسيارات في تموز 2000، وكالة الصحافة الفرنسية، 8 تموز 2000.

(85) أعلنـــت قوانـــين السماح بتشغيل مصارف لبنانية خاصة في منطقة التجارة الحرة على طول الحدود اللبنانـــية- الســـورية في آب 2000. أصدرت أول مجموعة من القوانين التي تسمح بإنشاء مصارف سورية خاصة في كانون الأول 2000 وتم نشر التوجيهات الملحقة في آذار 2001، وكالة الصحافة الفرنســـية 8 آب 2000، سانا 2 كانون الأول 2000، الصحافة الدولية المتحدة 19 آذار 2001، أسوشييتد برس 29 آذار 2001.

(86) أشـــار نبيل سكر إلى أن الإصلاح المصرفي أمر ضروري لتحريك المدخرات المحلية والأجنبية والمساعدة على جذب تدفق رؤوس الأموال وتحسين تخصيص الموارد في الاقتصاد الوطني. راجع سكر، تعليق على الإصلاح المصرفي وإنشاء المصارف، عرض أمام اللجنة القومية العربية في غرفة التجارة العالمية، دمشق 17 أيلول 2002.

(87) ميدل إيست إيكونوميك دايجست 2 شباط 2001.

(88) في حوار شخصي للمؤلف مع رجال أعمال ومسؤولين سوريين.

(89) نبـــيل ســـكر، فرص الإصلاح الاقتصادي في سورية، المصرفي العربي، صيف 2001، سمير سعيفان، الإصـــلاح الاقتصادي المتير للجدل في سورية، مركز التطوير العربي 2000، المعلومات متوفرة على موقع الإنترنت

www.adc-syria.com

(90) غاري سميث، هل بشار يعني العمل؟ رويترز، 16 شباط 2002.

(91) للإطلاع على القطاع المالي الخاص في سورية، راجع، المصارف في سورية 2003، إعداد تقرير سورية ونشرته وكالة المعلومات والاتصالات في الشرق الأوسط، في باريس.

(92) سعيفان، الإصلاح الاقتصادي المثير للجدل في سورية.

(93) في مقابلة مع المؤلف، 17 كانون الثاني 2004.

(94) قـــال دبلوماسيون غربيون في دمشق أن الرفاعي نفسه قد تساءل حول الحكمة من إنشاء منطقة تجارة حرة قائلاً أنه يفضل العمل على إصلاح النظام ككل. لمزيد من التفاصيل حول الخطط راجع، الحكومة

تهيء لإقامة منطقة اقتصادية خاصة، تقرير سورية، أيار 2004.

(95) في حوارات شخصية مع المؤلف.

(96) محاورة شخصية للمؤلف مع مسؤولين سوريين.

(97) في محاورة شخصية للمؤلف مع دبلوماسيين أوروبيين.

(98) في مقابلة مع المؤلف، 17 كانون الثاني 2004، راجع أيضاً، سورية: الأولويات العامة، مجموعة العمل في اكسفورد، أون لاين بريفنغ 55، 21 حزيران 2004، www.oxfordbusinessgroup.com .

(99) حوار شخصي للمؤلف مع مسؤولين فرنسيين.

(100) ستانلي ريد، طريق الإصلاح الوعرة، بسنس ويك، 4 أيلول 2000، بوش، سورية بقيادة بشار الأسد ص 37.

(101) نتيجة لتعامل خدام الطويل مع ملف لبنان كان لعائلته مصالح كبيرة في مجال الاتصالات وإعادة الإعمار في لبنان وكان لهم حصة الأسد في شركات الخليوي حسب قول خبراء الاتصالات في الشرق الأوسط.(؟؟؟)

(102) موقع فراس طلاس على شبكة الإنترنت www.firastlass.comوموقع المجموعة من أجل سورية .www.masgroup.net

(103) حوار شخصي للمؤلف مع رجال أعمال سوريين ورجال أعمال مغتربين.

(104) على سبيل المثال، حاول رامي مخلوف حسب ما ذكر أن يستولي على دور وكيل مرسيدس في سورية من منطلق إصدار قانون يجبر الشركة على تعيينه وكيلاً حصرياً لاستيراد قطع الغيار. ولكن شركة مرسيدس رغبت بالمحافظة على خدمات عمر سنقر وأبنائه أصحاب هذا الامتياز منذ وقت طويل. إيلاف، المملكة المتحدة، 24 حزيران 2004.

(105) ربما يكون الفساد في قطاع الاتصالات في سورية مرتبطاً ببشار نفسه، من خلال قناة إضافية، فخلال مرحلة إعداد وتهيئة بشار للرئاسة، اضطلع في إدارة الملف اللبناني في ولاية والده ويبدو أن الأسد الشاب طور علاقاته مع الإخوة اللبنانيين طه وعزمي ميقاتي، وهم إخوة نجيب ميقاتي الوزير اللبناني للأشغال العامة والنقل في حكومة رئيس الوزراء اللبناني الحريري وقد ترك منصبه في الوزارة الجديدة التي شكلها عمر كرامي في تشرين الثاني 2004. تبعاً لما قيل على لسان مسؤولين وصحفيين لبنانيين ودبلوماسيين أميركيين أصبح طه وعزمي وكلاهما مدراء تنفيذيين في مجال الاتصالات أضحوكة بشار والوسيلة التي تمكن من خلالها الحصول على المواد التكنولوجية المتطورة جداً والتي يصعب الحصول عليها في سورية، وبمقابل ذلك، يذكر أنه سمح للأخوين ميقاتي بالمشاركة في أعمال عائلة مخلوف في مجال الاتصالات في سورية.

(106) غاري غامبل، العقبات السياسية التي تواجه الإصلاح الاقتصادي في سورية، نشرة استخبارات الشرق

الأوسط3، رقم7، تموز 2001.

(107) عمليــة بر شلونة التي بدأت بإعلان برشلونة في عام 1995 كانت بداية للمفاوضات بين اثنتي عشرة دولــة متوســطية والاتحاد الأوروبي بهدف إقامة منطقة تجارة حرة أوروبية-متوسطية مع حلول عام 2010.

(108) في حوار شخصي للمؤلف مع مسؤولين سوريين.

(109) وكالة الصحافة الفرنسية، 10 كانون الأول 2003، حوار شخصي للمؤلف مع مسؤولين أوروبيين.

(110) دانيــيل ويليــامز، الهــيار الصــفقة التجارية بين سورية والاتحاد الأوروبي بسبب موضوع الأسلحة الكيماوية، واشنطن بوست، 8 نيسان2004.

(111) في حوار شخصي للمؤلف مع دبلوماسيين أوروبيين ومسؤولين في الاتحاد الأوروبي.

(112) دوغلاس ديفيس، الاتحاد الأوروبي يتابع اتفاقية التجارة السورية، جيروسالم بوست، 14 أيار 2004.

(113) هنالك بند خاص في الاتفاقية يجعلها قيد التنفيذ بعد توقيعها الرسمي مباشرة قبل المصادقة عليها من قبل البرلمانات الفردية للدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي وسورية. وكالة الصحافة الفرنسية، 19 تشرين الأول 2004، تقرير سورية، تشرين الثاني 2004.

(114) ملء الخط السوري والعراق يذكي نيران العقوبات، ديلي أويل، 22 تشرين الثاني 2000.

(115) تراوحت التقديرات ما بين 180.000-230.000 برميل يومياً.

(116) غــاري غامبل، علاقات سورية الخارجية: العراق، نشرة استخبارات الشرق الأوسط3، رقم3، آذار 2001.

(117) وحدة استخبارات الإيكونوميست، سورية: 2003، ص44. www.eiu.com.

(118) قسم الطاقة، موجز تحليل بلد: سورية www.eia.doe.gov/emeu/cabs/syria.html.

(119) بالإضافة إلى دعوته لإزالة الملصقات التي تحمل صوره ورسومه، أصدر بشار تعليماته لوسائل الإعلام بعــدم استخدام عبارة القائد الخالد سواء لوصفه هو أو والده الراحل. راجع، سورية: بشار يطالب وسائل الإعلام باستخدام معلومات هادئة ومتوازنة ومنطقية، تشرين، دمشق، 17 تموز 2000.

(120) جورج، سورية، ص 129-134.

(121) الثورة، 1 تشرين الأول 2000، للاطلاع على ملخص النقاط الهامة في مقالة دلينة بالإنكليزية، راجع رويــدة مــباردي، نفس من الهواء الطلق ينبعث في الصحافة السورية، وكالة الصحافة الفرنسية، 2 تشرين الأول 2000.

(122) لجــان الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات الديمقراطية في سورية، أنشئت في عام 1989 ولكن تم قمعها من قبل النظام في عام 1991 عندما تم اعتقال رئيسها أكثم نعيسة وآخرون. أطلق سراح نعيســة مــن الســجن في عام 1998 وتم إطلاق سراح المسؤولين الآخرين في نهاية التسعينيات. وفي أيلول 2000، أي بعد شهرين من تولية بشار، التقت اللجان لأول مرة منذ عام 1991. وتم انتخاب هيئة

جديدة من الأمناء بقيادة نعيسة. راجع، جورج، سورية، 2ص41. وفي كانون الأول 2000 أطلقت اللجان دعوتها العامة لتعليق الأحكام العرفية والعفو عن جميع المعتقلين السياسيين وضمان العودة الآمنة للمنفيين السياسيين ومحاكمة عادلة وعلنية لأولئك المتهمين بجرائم تمس أمن الدولة ترديداً لصدى العديد من المواضيع التي يشملها بيان التسعة والتسعون الذي سنناقشه لاحقاً. وفي الوقت نفسه، قال نعيسة أن هنالك عضواً واحداً فقط من مجموعته بقي في السجن وذلك الفرد هو الصحفي نزار نيوف الذي كان يحرر النشرة الإخبارية الشهرية للجان ما بين عامي 1989-1991 وقد أطلق سراحه في أيار 2001. للاطلاع على محنة نيوف راجع، جورج، سورية، ص 121-124، موقع اللجان حالياً على الإنترنت www.cdfsyr.de.

(123) تصف اللجنة السورية لحقوق الإنسان نفسها على موقعها على الإنترنت بقول: منظمة مستقلة ومحايدة تعنى بحقوق الإنسان وتهتم جوهرياً بالدفاع عن الحريات العامة وحقوق الإنسان للشعب السوري عبر ممارسات متعددة. موقع اللجنة على الإنترنت www.shrc.org.uk وراجع، جورج، سورية ص41.

(124) الرئيس السوري يأمر بإطلاق سراح 600 سجين سياسي، أسوشيتيد برس، 16 تشرين الثاني 2000 تقول جماعة حقوق الإنسان السورية أن هذا العفو هو أول خطوة هامة للأسد، وكالة الصحافة الفرنسية 17 تشرين الثاني 2000.

(125) جورج، سورية، ص 40.

(126) المرجع السابق، السجن المشهر به سيصبح مشفى حديثاً، أسوشيتيد برس، 21 تشرين الثاني 2000.

(127) يبدو أنه لم يتم تنفيذ هذا الأمر حيث ذكر أنه ما يزال هناك سجناء سياسيين مازالوا محتجزين في سجن تدمر بعد ثلاث سنوات من صدور الأمر أي في عام 2003. إيال زيسر، ربيع زائف في دمشق، أوربنت 44 رقم 1 ص 43، 2003.

(128) جورج، سورية، ص 36، 55-56.

(129) الشرق الأوسط 6 آب 2000. أوردت صحيفة الأهرام تقريراً ذكرت فيه أن بشار الأسد التقى مع وزير الداخلية في كانون الثاني 2001، لمناقشة رفع الأحكام العرفية ولكن انتخابات شباط 2001 لرئيس الوزراء الإسرائيلي آريل شارون أدى إلى توقف الفكرة فقد خشي الأسد أن تنوح حرب شاملة مع إسرائيل في الأفق وجرى النقاش على أنه لابد من ضبط الحريات المحلية لتجنب اندلاع فوضى سياسية. راجع، سامي مبيض، دفع القيود، أسبوعية الأهرام القاهرة، كانون الثاني 2002، ص 30-24.

(130) جورج، سورية، ص 30-46، وصف موجز لربيع دمشق.

(131) الملحق ب لترجمة نص بيان التسع والتسعون والموقعين عليه. ظهر نص البيان لأول مرة في الصحافة اللبنانية وأعيدت طباعته ليطلع عليه جمهور القراء الإقليمي والدولي في صحيفة الحياة يوم 27 أيلول 2000.

(132) جورج، سورية، ص 39-42.

(133) المرجع السابق، ص 33، 51-52. في أوج حركة المجتمع المدني في سورية كان هنالك 300 صالون سياسي يدار وقد تضاءل هذا العدد إلى 14 مع حلول تموز 2002. راجع، اتهام الناشطين السوريين في مجال حقوق الإنسان بمحاولة تغيير المؤسسات والحكم عليهم بالسجن من خمسة إلى عشر سنوات، أسوشيتيد برس، 31 تموز 2002.

(134) افتح يا سمسم، ميدل إيست إيكونوميك دايجست، 22 كانون الأول 2000.

(135) تمركزت هذه المجموعة حول ميشيل كيلو ومنتداه السياسي. راجع، جورج، سورية، ص 42-46.

(136) كـــان رياض سيف أحد أبرز الشخصيات في الحياة السياسية السورية خلال العقد الأخير من رئاسة حافظ الأسد. وهو أحد القلائل من رجال الأعمال الذين بنوا أنفسهم بأنفسهم وقد أنشأ سيف وطور أحد أكبر المشاريع في صناعة الألبسة في سورية. فاز في انتخابات المجلس النيابي كمرشح مستقل رغم معارضـــته للنظام وأعيد انتخابه في عام 1998. بالإضافة إلى تأسيس حزب أنصار المجتمع المدني في ســـورية نشر سيف مذكرة رسمية في بداية 2001، يدعو فيها الحكومة إلى إجراء تحقيقات في عقود الهـــاتف المحمول التي حصل عليها الملياردير رامي مخلوف ابن خال بشار. راجع، رائد الخراط، رياض ســـيف: عضو البرلمان السوري، نشرة استخبارات الشرق الأوسط3، رقم3، آذار 2001. في شرح معارضـــته لأجندة سيف الأكثر تطرفاً في جوانبها الإصلاحية يقول ميشيل كيلو أن سيف يظن نفسه ليش فاليسا وأن سورية هي بولندة وأن النظام السوري على وشك أن ينهار، جورج، سورية، ص 42

(137) مباردي، نفس هواء طلق ينبعث في الصحافة السورية، موجز الاستخبارات: سورية، نشرة استخبارات الشرق الأوسط2، رقم10، تشرين الثاني 2000.

(138) جورج، سورية، ص 45-46.

(139) نشرت صحيفة السفير في بيروت مقالاً تورد فيها مقاطع من المسودة التي تم تسريبها من بيان الألف في 11 كانون الثاني 2001، قبل أيام من نشره بشكل رسمي في الصحف، راجع، جورج، سورية، ص 42-45. يوجد النص الكامل للبيان في الملحق ب.

(140) اتهـــم وزيـــر الإعـــلام آنذاك عدنان عمران السفارات الأجنبية أنها تدفع لحركات المجتمع المدني وأن الاســـتعمار الجديد لم يعد مقتصراً في اعتماده على الجيوش. كان عبد الحليم خدام أول من كانوا في الهجـــوم المضاد الذي شنه النظام حيث تبدلت لهجة الحوار مع الناشطين الجدد في مجال المجتمع المدني. راجع، جورج، سورية، ص 47-63، زيسر، ربيع دمشق الزائف، ص 52-61.

(141) راجـــع على سبيل المثال مقابلة بشار مع صحيفة الشرق الأوسط في شباط 2001. في مقابلة حزيران 2001، قـــال بشار إن كلمة ربيع لا تعنينا.. والربيع فصل مؤقت.. قد يحب بعضنا الربيع وقد يحب آخرون الشتاء.. وإذا أردنا التعمق في التحليل فإننا نقول إن الفاكهة تنضج في الصيف. ولكن لا يوجد

فواكـــه دون الربيع عندما تزدهر الأشجار.. ولا يوجد ربيع دون أمطار الشتاء وهلم جرا.. لا يتطابق التحديث مع كلمة ربيع أو أي فصل آخر.. إننا لا ننظر إلى الفصول الأربعة وإنما إلى عملية التحديث الحقيقية. بثت المقابلة في إذاعة الجمهورية العربية السورية-دمشق-27 حزيران 2001.

(142) حول الهجوم المضاد للنظام، راجع، جورج، سورية ص 47-63، نيكولاس بلانفورد، في حين يترنح الإصـــلاح.. النخـــبة السورية تحكم قبضتها، كريستشيان سينس مونيتور، 30 أيلول 2003، بسام حداد، العمل كالمعتاد في سورية، تقرير الشرق الأوسط، 7 أيلول 2001، مجموعة الأزمات الدولية، ســـورية بقـــيادة بشار -2- تحديات السياسة الداخلية، تقرير الشرق الأوسط24، مجموعة الأزمات الدولية، بروكسل: 11 شباط 2004، ص 7-14.

(143) حـــول فصلـــه من العمل ومدلولات ذلك، راجع، جورج، سورية، ص 132-134، مازال التغيير يتملص من سورية، ميديست ميرور، 30 أيار 2001.

(144) رغـــم اســـتئناف نشر الدومري بعد تعليق دام ثلاثة أسابيع استمرت الصحيفة تواجه المضايقات التي يفرضه النظام وقد أجبرت أخيراً على الإغلاق في آب 2003. وخلال الحرب على العراق التي قادتها الولايات المتحدة، أتهم مالك ومحرر الصحيفة علي فرزت بإهانة الشعب العراقي والجيش. فاتخذ النظام السوري من هذا ذريعة لإجباره على إغلاق المجلة بشكل نهائي. كيم غطاس، الكاتب السوري الساخر يجـــد نفســـه في خط المواجهة الأول مع دمشق، فاينشال تايمز، لندن، 3 آب 2003، رولا خلف، سحب رخصة أول صحيفة خاصة في البلاد يبدد الآمال من أجل صحافة سورية أكثر حرية، فاينشال تايمز، لندن، 8 آب 2003. للاطلاع على المدة القصيرة لنشر الصحيفة، راجع، جورج، سورية، ص 130-132.

(145) حول اعتقال ومحاكمة سيف وحمصي راجع، جورج، سورية، ص 49-50، 56-61، سامي مبيض، نهاية ربيع دمشق، أنباء الخليج، 22 تشرين الثاني 2001.

(146) حـــول اعـــتقال وســـجن عارف دليلة، راجع، جورج، سورية، ص 58-61، 146-147، اتهام الناشطين في مجال حقوق الإنسان بمحاولة تغيير الدستور.

(147) تم إطلاق سراح الترك في النهاية لأسباب إنسانية في تشرين الثاني 2002، على الرغم من العفو الذي صدر في تموز 2004، والذي شمل معتقلين سياسيين بمناسبة الذكرى السنوية الرابعة لتولي بشار الحكم والذي أطلق فيه سراح 257 سجيناً، إلا أن المعتقلين المذكورين هنا بقوا في السجن حتى نهاية 2004 . راجع، سورية: إطلاق سراح السجناء السياسيين، 21 تموز 2004. www.arabicnews.com.

(148) ورد في موقـــع اللجـــنة أنه لحين السماح للجنة بافتتاح مكتبها الرئيسي في دمشق وفروعها في باقي المحافظات السورية، فسوف يكون مقر اللجنة بشكل مؤقت في لندن.

(149) آلان ماكوفـــسكي، ســـورية بقيادة بشار الأسد: المشهد المحلي والنموذج الصيني للإصلاح، بوليسي ووتش 512، واشنطن: معهد واشنطن للسياسة في الشرق الأدنى، 17 كانون الثاني 2001، بابداتز،

السنة الأولى لبشار، ص 22، للاطلاع على نظرة ثاقبة حول عدم إمكانية تطبيق النموذج الصيني على سورية، راجع مقالة الإصلاحي السوري الشهير والمفكر برهان غليون، التحرر من وهم الطريق الصيني، 8 تموز 2004، aljazeera.net؛ ابراهيم حميدي، الإصلاح السوري بين التجربتين الماليزية والصينية.. والعلاقة بين البعدين السياسية والاقتصادي، الحياة 8 أيار 2004.

(150) بايدانز، السنة الأولى لبشار، ص 23.

(151) عمار عبد الحميد، مهد التناقضات، مشروع الثروة، نيسان 2004.

(152) سمير فرح، نقرة للسوريين عن طريق التسجيل في مقاهي الإنترنت، كريستشيان سينس مونيتور، 25 تشرين الثاني 2003، الصندوق الدولي للتنمية الزراعية :

www.ifad.org/ngo/ecp/2002/pn/syria.htm يعني اختصار اسم الصندوق اللجنة باللغة العربية

(153) موقع الاتحاد على الإنترنت: www.syea.org اختصار اسم تحديث وتفعيل دور المرأة في التطوير الاقتصادي يعني مورد بالعربية، وموقع هذا التنظيم على الإنترنت هو: www.mawred-syria.org

.

(154) في حوار شخصي للمؤلف مع ناشطين في مجال المجتمع المدني السوري.

(155) حرصاً على الانكشاف الصريح يعترف المؤلف أنه عضو في الهيئة الاستشارية لمشروع الثروة إلى جانب عالم الاجتماع المصري والمدافع عن المجتمع المدني سعد الدين ابراهيم والباحث الفرنسي غيلس كيل.

(156) في حوار شخصي للمؤلف مع ناشطين سوريين في مجال المجتمع المدني وموظفين في مركز الأعمال السوري-الأوروبي.

(157) افتتاح أول جامعة افتراضية في الشرق الأوسط في سورية، تقرير سورية، 9 أيلول 2002. يمكن الوصول إلى الجامعة الافتراضية السورية على موقع الإنترنت: www.svonline.org/sy/eng وفي التعديل الوزاري الذي تم في أيلول 2003، تمت تسمية مرتضى وزيراً للتعليم العالي.

(158) الترخيص لأربع جامعات خاصة، تقرير سورية، تشرين الأول 2003.

(159) دافيد ليش، http://syriacomment.com، بشار يعيد صياغة الفلسفة التنفيذية لسورية، 15 أيلول 2004.

(160) جوش لانديس، http://syriacomment.com، عيسى توما: مازال لدى الفنانين أمل، 19 أيلول 2004، اعتقال نبيل فياض، 3 تشرين الأول 2004. فياض ناقد شرس ضد الاتجاه الإسلامي في المجتمع السوري له موقع على الإنترنت بعنوان الناقد ينشر مقالات إصلاحية وانتقادات يكتبها هو نفسه وسوريون آخرون www.annaqed.com وكان أيضاً الناطق الرسمي باسم حزب التجمع الليبرالي في سورية الذي تم حله بعد اعتقاله مباشرة. تم اعتقال فياض دون تهمة لمدة شهر على الأقل قبل أن يتم إطلاق سراحه في 3 شرين الثاني 2004، أسوشييتيد برس، 5 تشرين الثاني 2004. لم تصدر السلطات السورية تفسيراً لاعتقاله على الإطلاق ولكن النشرة المذكورة أعلاه بعنوان اعتقال

نبيل فياض تؤدي إلى التأمل في بواعث النظام. لم يتم اعتقال توما ولكن مسوولو النظام أمروه بالكف عن معارضه المشحونة بالدين والسياسة.

(161) ســوف يتهم بعض المسئولين في جهازي الأمن والشرطة بتهم الاختلاس واستغلال مناصبهم لتحقيق مكاســب مالــية، أخــبار الشرق، 28 تشرين الثاني 2004.(الحقيقة أن هذه التهم تقف وراء تلك الإجراءات وليس لأسباب سياسية أو تعبوية)المدقق.

(162) عــندما تم اختيار شوكت ليكون المدير التالي للاستخبارات العسكرية السورية جرد شوكت من مجال اختصاصه كمدير لفرع من الاستخبارات العسكرية السورية وهو فرع أمن القوات الذي كان يتمتع مــن خلاله بنفوذ مستقل وتم حل هذا الفرع عن طريق ترقية شوكت إلى منصبه الجديد حيث دمجت مهــام الفــرع في مهام الاستخبارات العسكرية السورية. على الرغم من كون شوكت حليفاً وقريباً لبشــار، إلا أن هنالك شائعات تدور حول علاقته السيئة مع خليل. أخبار الشرق، 20 تشرين الثاني 2004.

(163) حول تعيين دخل الله، راجع، لانديس، المعضلة العلوية للأسد، بماذا تبشر الوزارة السورية الجديدة؟.

(164) وســائل الإعــلام السورية تقدم على خطوات جديدة، تقرير سورية، كانون الأول 2004، يذكر الــتقرير أمثلة أخرى على تفكيك القيود المفروضة على الانتقاد العلني. على الرغم من التقدم الواضح فــيما يتعلق بحرية التعبير فقد استمر الصحفيون الســوريون في معاناتهم في ظل الوعيد والتهديد. كان الصــحفيون على الخصوص عرضة للمضايقات المستمرة إذا أشاروا بأي شكل إلى الفساد من جانب المســوولين على أعلى مستوى أو إذا كتبوا عن الشئون الكردية. تقرير حماية حرية الصحافة، مراسلون بلا حدود، 8 كانون الأول 2004.

(165) لقراءة النص الأصلي للافتتاحية راجع، تشرين 23 تشرين الثاني 2004. انتقد دخل الله بشكل مباشر في الافتتاحية ولكن مع ذلك أجيز نشرها. تقرير سورية، كانون الأول 2004. لابد من الإشارة هنا إلى أن غــازي كــنعان هــو ايضاً من أنصار مزيد من حرية الصحافة وقد قال في إحدى المرات أن الصحف السورية لا تجذبك للقراءة. أخبار الشرق 24 تشرين الثاني 2004.

(166) يــنص القــرار رقم 408 الذي أصدرته قيادة حزب البعث أن مهمة الحزب القائد هي في التخطيط والإشــراف والتوجــيه والمراجعة وتحديد ضرورات التقارير. على الناخبين للحزب ومؤسساته عدم الــتدخل في شوون العمل اليومي للمؤســسات الحكومية والســماح للرفاق المعينين في تلك المؤسسات بــأداء واجباتهم. وسوف يتم أي تعيين في المواقع الإدارية والتنفيذية في مكاتب الحكومية وفقاً لمدى ملاءمة المرشح لهذه الوظيفة بصرف النظر عن انتمائه الحزبي. راجع، إيال زيسر، بشار الأسد ونظامه: بــين الاستمرارية والتغيير. أورينت 45 رقم2، 2004، ص 251. لم يتم إقرار القانون دون مقاومة فقد جادل أنصار الحزب الأقوياء ضد تهميشهم من الحياة السياسية للبلاد.

(167) بعد تعديل دستور الجبهة الوطنية التقدمية أدرجت فيها تسعة أحزاب وهي حزب البعث برئاسة بشار

الأســـد، جناح بكداش من الحزب الشيوعي السوري برئاسة وصال فرحة بكداش، جناح فيصل من الحـــزب الشيوعي الـسوري برئاسة يوسف فيصل، و ASU حزب الاتحاد الاشتراكي وMSU وهو حـــزب الوحدوية الاشتراكية كلهم برئاسة فايز إسماعيل، وASM حزب الاشتراكية الصرف برئاسة أحمـــد الأحمـــد، والحـــزب الوحدوي الاشتراكي الديمقراطي وهو تكتل انشق عن حزب الوحدويين الاشـــتراكيين في عـــام 1974 وهـــو الـــيوم برئاسة فضل الله ناصر الدين، وحزب الوحدة العربية الديمقـــراطي برئاسة غسان أحمد عثمان، وحزب العهد الوطني. حول الدستور الجديد للجبهة الوطنية التقدمية، راجع، الدستور المعدل للجبهة، زيادة عدد الأعضاء والسيطرة لحزب البعث، أخبار الشرق، 18 تشرين الأول 2004. راجع أيضاً، مناقشة الأحزاب السياسية في عهد بشار الأسد، زيسر، بشار الأسد ونظامه، ص 251-256.

الفصل الرابع

منزلة بشار وسورية في النظام الإقليمي

كـــان الحفاظ على منزلة سورية في النظام الإقليمي هو الاختبار القاسي على الخصـــوص الـــذي خضع لـــه بشار في السنوات الأولى من رئاسته. وقد كانت السنوات الأربع ونصف من ولايته فترة تقلب استراتيجي واضطرابات بشكل غير عـــادي حـــتى وفقاً لمعايير الشرق الأوسط.. وكان الإبحار في خضم هذه الأمواج العاتية تحدياً خاصاً يواجه هذا القائد الوطني الجديد.

إن الخـــيوط الهامـــة في السياسة الخارجية السورية هي بالطبع لبنان وميدان الصـــراع العـــربي-الإسرائيلي والتوازن الإقليمي والعلاقات مع الولايات المتحدة. وقـــبل أن ندقـــق في كيفـــية تعامل بشار مع هذه الجوانب في العلاقات الخارجية لســـورية، يوضح هذا الفصل التحضيرات التي أعدها بشار للتعامل معها في رئاسته بما في ذلك الصورة المبدئية التي سعى لإبرازها كرجل دولة ناشئ ووقائع التحديات التي واجهته إبان استلامه الحكم.

الصورة والواقع:

ذكرنا في الفصل الثاني أن حافظ الأسد قد ترك لابنه نصاً صيغ بعناية وإتقان حول كيفية التعامل مع العلاقات الخارجية لسورية وهي الكيفية التي تأصلت على مـــدى ثلاثـــة عقود من تجارب وخبرات الأسد الأب كقائد وطني وكلاعب لـــه اعتباره في الشؤون الإقليمية. في سياق إعداد بشار وتهيئته للرئاسة، كان بشار يطلع بشكل متزايد ويكون لـــه دور في إدارة والده للوضع الأمني القومي والدبلوماسي

لسورية، أي أن بشار- فعلياً- كان يتلقى النص ويتعلمه من المؤلف شخصياً.

من الممكن تأريخ بداية انشغال بشار بالشؤون الخارجية والأمن القومي مع نهاية عام 1998، عندما تم تسليمه مسؤولية الإدارة والمتابعة اليومية لملف لبنان الحرج.. وقد تسلم بشار هذا التقرير من نائب الرئيس عبد الحليم خدام الذي كلفه حافظ الأسد بهذا الموضوع على مدى ما يقارب العشرين عاماً[1]. منذ عام 1995، عندما ظهر بشار كخليفة محتمل وحتى أواخر 1998، تضمن تعليمه الشؤون اللبنانية لقاءات مع مجموعة من الشخصيات السياسية اللبنانية ومنهم الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله[2]. حينما تولى بشار القيام بالمسؤولية المتزايدة للملف اللبناني على مدى عام 1998، مازج بين معالجته للقضايا اللبنانية ومبادراته في مكافحة الفساد. كان عدد من أهداف حملة بشار ذات روابط قديمة مع رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري وقد ازدادت غنىً من خلال تعامله مع السياسي الملياردير[3] وكان في سعي بشار وراء تحقيق أهدافه تحجيم للحريري الذي أصبحت إزاحته من السلطة هدفاً سورياً.

تصاعد انخراط بشار في قضايا إقليمية أخرى بشكل واضح خلال عام 1999 والنصف الأول من عام 2000، ففي شباط 1999، على سبيل المثال سافر إلى عمان لتقديم التعازي للملك عبد الله عقب وفاة الملك حسين في الشهر السابق[4]. وبدأ الوريث ذا الحق الذي لا ينازع بمقابلة القادة الأجانب الذين يزورون دمشق في بعض الأحيان. ولكن لم يكن هنالك أي مؤشر على تولي بشار لأي دور في المباحثات الدبلوماسية بشأن عملية السلام مع سورية قبل أن يصبح رئيساً[5].

في حين أن بشار رسم لنفسه على الساحة المحلية صورة الشخص المهتم والمعني بالتغيير والإصلاح، حينما تعلق الأمر بالسياسة الخارجية، عكس عن نفسه صورة الشخص الذي يحافظ على نهج والده في كل ما يتعلق بالقضايا الهامة. وحينما تولى مهام الرئاسة أكد بشار علناً على أهمية الاستمرارية في السياسة الخارجية السورية. وقد استبقى نائب الرئيس ووزير الخارجية اللذين طالت خدمتهما في عهد والده

وقـد كـان كلاهما منخرطين بشكل مباشر في تنفيذ العلاقات الخارجية لسورية بقـيادة حافظ الأسد. لقد كان خطاب التولية الذي أدلى به بشار مدعاة للدهشة، فالنصـف الأول من الخطاب يتعامل مع القضايا المحلية والاقتصادية والسياسية وقد أكـد الرئـيس الجديـد فـيه على ضرورة تحسين أداء سورية وتحديث الأفكار والممارسـات الباطلة، وتجنب بشكل لا يمكن إنكاره تحديد المدى الذي يمكن أن يصـل إليه هذا التحديث. وفي النصف الثاني من الخطاب الذي يتعامل مع الشؤون الإقليمية والدولية أكد على الرسوخ الاستراتيجي والقانوني والأخلاقي للسياسات التي اتبعها والده في قضايا هامة مثل عملية السلام مع إسرائيل والعلاقات السورية-اللبنانية وأخذ على نفسه عهد المحافظة على مبادئ الشرعية الدولية التي تتضمنها[6].

ولكـن، في الفـترة الـتي أحاطـت بوصول بشار إلى الحكم، تبدل المحيط الاستراتيجي لسورية بطرق وترت من إمكانية تطبيق ألفباء حافظ على التحديات الـتي تواجـه الرئيس الجديد. في الواقع أن بشار منذ بداية ولايته كان مجبراً على تكيـيف ألفـباء الأمـن الوطني التي خطها والده لتلائم الظروف المتغيرة بشكل متسـارع. لقد حافظ بشار طيلة فترة رئاسته على الأهداف الواسعة الاستراتيجية وفي مجـال السياسة الخارجية التي تبناها والده. ولكن كان عليه تعديل العديد من المقاربات التكتيكية الراسخة. ويبقى مدى الإتقان الذي سيتمكن بشار من خلاله إجـراء هذه التعديلات هو الاختبار الذي يواجه قيادته بالإضافة إلى تدبره للعديد من المسائل الداخلية في سورية.

المحيط الاستراتيجي المتغير:

بـدأ المحيط الاستراتيجي لسورية بالتبدل بطرق هامة حتى قبل أن يخلف بشار والـده. ففـي آذار 2000، أي قـبل شهرين من وفاة حافظ الأسد انهار المسار السـوري لعملـية السلام بشكل فعلي في قمة كلنتون-الأسد في جنيف مما ألغى الإطـار الرئيسي لهيكل العلاقات السورية مع إسرائيل والولايات المتحدة. وفي أيار 2000، أي قـبل أسـابيع فقـط مـن وفاة الأسد الأب سحبت إسرائيل قواتها

العسكرية من الجنوب اللبناني[7]. وبعد شهر من ذلك أي في حزيران 2000، أكد مجلس الأمن في الأمم المتحدة إذعان إسرائيل لقرار مجلس الأمن رقم 425 بانسحابها الكامل من لبنان مما حجم العنصر الأهم في الاستراتيجية السورية التقليدية في المجال اللبناني وفي ميدان الصراع العربي-الإسرائيلي[8]. وقد ادعت سورية ولبنان بالطبع أن الانسحاب الإسرائيلي لم يكن كاملاً حيث أن القوات الإسرائيلية بقيت في مساحة خمس وعشرين كيلو متراً وهي تدعى مزارع شبعا وادعت لبنان أنها جزء من أراضيها التاريخية. وقد رفض مجلس الأمن ذلك الادعاء وصادق على موقف إسرائيل من أن هذه الأرض سورية تاريخياً وبذلك تقع هذه المسألة في صلب قرار مجلس الأمن رقم 242 الذي يتعلق بالصراع الإسرائيلي-السوري وليس ضمن القرار رقم 425.[9] وفي أيلول 2000، أي بعد ثلاثة أشهر من وفاة حافظ وبعد شهرين من تولية بشار اندلعت انتفاضة الأقصى التي أضافت طبقات جديدة من التحدي والتعقيد لتعامل الرئيس الجديد مع المسائل العربية-الإسرائيلية والموقف الإقليمي لسورية.

وقد تأثر المحيط الاستراتيجي لسورية أيضاً بالتغيرات السياسية في الولايات المتحدة وإسرائيل. ففي كانون الثاني 2001، تسلم جورج بوش الابن الحكم في الولايات المتحدة. في حين كانت النظرة المبدئية لوصول بوش إلى الحكم إيجابية في العديد من العواصم العربية بما فيها دمشق حيث رأوا فيه بداية العودة إلى سياسات جورج بوش الأب إلا أنه سرعان ما اتضح أن إدارة الابن ذات مقاربة تجاه المنطقة تختلف تماماً عن إدارة أبيه وإدارة كلنتون. وبعد تولية بوش بوقت قصير أصبح آريل شارون رئيساً للوزراء في إسرائيل[10]. لقد فرض التاريخ الشخصي لشارون ونظرته الاستراتيجية العامة مصاعب إضافية على علاقات سورية مع إسرائيل وكامتداد لها مع الولايات المتحدة.

وبعد أكثر من سنة بقليل على تولية بشار، جاءت بالطبع هجمات الحادي عشر من أيلول الإرهابية عام 2001، وبداية الحرب العالمية على الإرهاب بقيادة الولايات المتحدة، الأمر الذي كان له أثره الدراماتيكي على المحيط الاستراتيجي

لسورية. ومن شأن إضفاء أهمية متزايدة على الإرهاب والأنظمة الشريرة في السياسة الخارجية الأميركية أن يضاعف من التوتر ما بين دمشق وواشنطن فيما يتعلق بمكانة سورية كدولة راعية للإرهاب وتسعى نحو امتلاك أسلحة الدمار الشامل. ومع انتقال الحرب على الإرهاب من أفغانستان إلى العراق جاءت الحملة العسكرية لإدارة بوش لخلع صدام حسين لتفرض تحديات غير مسبوقة على الاستراتيجية الراسخة لسورية لحماية موقعها الإقليمي.

وهكذا، ورغم أن بشار كان يميل إلى التأكيد على الاستمرارية في سياسة سورية الخارجية إلى مدى أكبر منه في الشؤون المحلية، إلا أن الأحداث أجبرته على تكييف السياسة الراسخة مع الظروف الجديدة. ورغم أن بشاراً قد استبقى اللاعبين الهامين في تنفيذ السياسة الخارجية لسورية من أعضاء الحلقة الداخلية لوالده إلا أن الرئيس الجديد سعى لتطوير شبكة بديلة من المستشارين لمساعدته على فهم الظروف الجديدة وتطوير الاستجابات اللازمة من خلال السياسة الملائمة.

في تطويره لشبكة استشارية بديلة للشؤون الخارجية يبدو أن بشار كان مدفوعاً بمصلحته في عدم الاتكال التام على وزير الخارجية فاروق الشرع من أجل الحصول على المعلومات والنصيحة. في بداية رئاسته، رفع بشار من مكانة نائب وزير الخارجية وليد المعلم. كان المعلم في مجال العمل الدبلوماسي على مدى سنوات عديدة سفيراً لحافظ الأسد في الولايات المتحدة، بما في ذلك الفترة التي وصلت فيها عملية السلام إلى أوجها. وخلال خدمته في واشنطن أظهر المعلم سمعة طيبة كشخص يلتزم بتحسين العلاقات وزيادة التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وسورية. أُعيد المعلم إلى دمشق في عام 1999، وعُين نائباً[11] لوزير الخارجية بعد الجراحة الطارئة التي أجريت للشرع في تشرين الأول 1999، لتوسيع الشرايين. كان المقصود من إعادة المعلم إلى وزارة الخارجية تخفيف عبء العمل الكبير الملقى على عاتق وزير الخارجية. وبعد تولي بشار الحكم أصبح المعلم محاوراً على مستوى رفيع حول العلاقات مع الولايات المتحدة رغم أن تبعيته البيروقراطية

للشرع حدث من إمكانية تواصله المباشر مع الرئيس. وفي عام 2003، بعد حرب العــراق أحال بشار نائب وزير الخارجية الآخر سليمان حداد إلى التقاعد وجعل المعلم الشخص الأبرز في وزارة الخارجية. وهنالك تخمينات حول أن بشار سيقاعد الشرع ليحل محله المعلم.

وظهــرت شخصــية بثينة شعبان كمستشار هام للرئيس الجديد في الشوون الدولية. شعبان الحائزة على شهادة الدكتوراه في الأدب الإنكليزي من جامعة ليدز وما زالت حتى الآن أستاذة اللغة الإنكليزية في جامعة دمشق وقد كانت على مدى ســنوات عديــدة رئيسة مكتب العلاقات الإعلامية الخارجية في وزارة الخارجية والمــترجم الشخصي لحافظ الأسد. وبعد وصول بشار إلى الحكم تحددت هويتها بسرعة كجزء من شبكة بشار الشخصية وسرعان ما بدت منافساً للشرع. وكجزء مــن الجهــود المستمرة لبشار لتحديد النظام البيروقراطي السوري أشرفت شعبان شخصــياً عــلى جهود التوظيف بالاستحقاق والجدارة بحيث يتم اختيار المميزين والموهوبين من طلبة الجامعة وتعيينهم في مواقع وظيفية في قسمها الخاص في وزارة الخارجــية ومكتــب رئيس الوزراء ومكتب الرئاسة نفسها[12]. وفي عام 2003، رقــى بشار شعبان إلى الوزارة وعينها في موقع أنشىء حديثاً باسم وزيرة المغتربين وقــد مــنح هذا الدور الجديد شعبان مبرراً واسعاً للسفر خارج البلاد بالنيابة عن الرئيس وربما كانت تعمل لترسيخ نفسها بديلاً واقعياً لوزير الخارجية.

لابــد من ملاحظة العمل الأخير لعماد مصطفى وهو حالياً سفير سورية في واشــنطن. مصــطفى الحائز على شهادة الدكتوراه في علوم الكمبيوتر من جامعة سيري في المملكة المتحدة كان أستاذاً في جامعة دمشق وقد تعرف جيداً على بشار في أواخــر التسعينيات كونه عضواً في الهيئة التنفيذية للجمعية المعلوماتية السورية. خلال السنة الأولى من رئاسته اختار بشار شخصياً مصطفى لتعيينه عميداً مؤسساً لكلــية المعلوماتية الجديدة في الجامعة. وفي بداية 2003، ومع معارضة شديدة من جانــب الشــرع على حد وصف المطلعين السوريين عين بشار مصطفى الذي لا يتمــتع بأيــة خبرة في مجال وزارة الخارجية نائب رئيس البعثة السورية في السفارة السورية في واشنطن بنية واضحة لجعل مصطفى السفير السوري التالي في الولايات

المتحدة. وفي آب 2003، استدعى بشار السفير الذي يشغل المنصب والذي لم يترك انطباعاً مهنياً لمنصب الدبلوماسي ورقى مصطفى ليكون قائماً بأعمال السفارة.. وفي النهاية، قدم مصطفى أوراق اعتماده الرسمية للرئيس بوش كسفير لسورية في الولايات المتحدة في نيسان 2004.

وقد طبق بشار في الفترة الأخيرة نموذج مصطفى على تعيينات سفارية هامة أخرى. وفي 2004، تعدى بشار نطاق وزارة الخارجية. وسمى حوالي عشر سفراء جدد في مناصب هامة ومنهم سامي الخيمي الذي عينه سفيراً لسورية في المملكة المتحدة. كان هؤلاء المعينون الجدد يتمتعون بمستويات مهنية وتعليمية مميزة إضافة إلى الخبرة والتحدث باللغة المطلوبة في مناصبهم. وكان العديد منهم مثل الخيمي تربطهم صلات وثيقة ببشار. من المؤكد أن هذه التعيينات الجديدة، قد خرقت المعايير الراسخة في مبدأ تعيين السفراء في النظام السوري.

ولكن إلى أي مدى يعكس ارتقاء شخصيات مثل المعلم وشعبان ومصطفى النهج المختلف للسياسة الخارجية السورية؟.. وعلى وجه الخصوص إلى أي مدى تملك هذه الشخصيات حساً مختلفاً بالمقارنة مع الحرس القديم حول الماهية المثلى في حماية موقع سورية في المنطقة؟ في الحدود الدنيا يشترك قادة الشبكة الاستشارية البديلة لبشار لشؤون السياسة الخارجية مع قائدهم الإحساس بأن سورية تحتاج إلى علاقات أفضل مع الولايات المتحدة لأسباب استراتيجية بالإضافة إلى مساندة تقدم الإصلاح الداخلي. ومن المؤكد أن هؤلاء اللاعبين الجدد مقيدين مثل بشار بحقائق ألفباء حافظ الأسد الواسعة. ومع ذلك فإنهم يختلفون عن الحرس القديم في أنهم أكثر قدرة على إدراك أن مكانة سورية الاستراتيجية قد تبدلت بشكل هام منذ وفاة حافظ الأسد وأنه بهدف حماية المصالح السورية لابد من تكييف ألفبائه بحيث تتلاءم مع الظروف المتغيرة. يمكن للمرء بهذا الخصوص أن يصف أفراد الحرس القديم على أنهم متوحدون استراتيجياً في عدم قدرتهم الواضحة على فهم وإدراك كيف أن العالم قد تغير منذ الحادي عشر من أيلول بعدة طرق هامة لسورية.

وهكذا، هنالك ديناميكية يمكن تقديرها ما بين الحرس القديم والجيل الشاب

حول قضايا السياسة الخارجية. والاختبار الحقيقي الذي يواجه إشراف بشار على الموقف الإقليمي لسورية والأمن القومي في تعامله مع خيوط السياسة الخارجية الأربعة الهامة لسورية وهي لبنان وميدان الصراع العربي-الإسرائيلي والتوازن الإقليمي والعلاقات مع واشنطن.

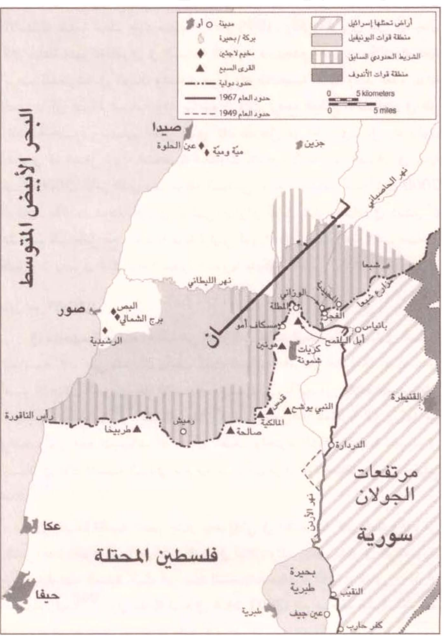
لبنان:

وصل بشار إلى الحكم في فترة من المرونة الداخلية والخارجية المدهشة في الوضع اللبناني. على الصعيد الخارجي كان العديد من التحولات التي سبق ذكرها في المحيط الاستراتيجي لسورية يحمل مدلولات هامة للمكانة السورية في لبنان مما يفرض ضغوطاً واضحة وملموسة على الصيغة الراسخة التي وضعها حافظ الأسد للمحافظة على الهيمنة السورية في لبنان. بالإضافة إلى هذه التحولات المحيطية الخارجية تأكدت الصيغة التي وضعها الأسد الأب للمحافظة على مكانة سورية في لبنان بتطورين في السياسة اللبنانية الداخلية.

كان أول هذين التطورين تكثيف المناقشات العامة وانتقاد الدور السوري في لبنان بعد انسحاب إسرائيل من الجنوب في حزيران 2000. منذ توقيع اتفاقية الطائف في عام 1989 جاءت النداءات المطالبة بإخراج الوجود العسكري السوري من لبنان من داخل الطائفة المسيحية المارونية حيث كانت صحيفة النهار الناطق الرسمي التي تعبر عن المظالم المارونية[13]. وبعد الانسحاب الإسرائيلي من لبنان، أصبحت المعارضة اللبنانية للوجود السوري أكثر صراحة وخصوصاً بين المارونيين[14]، وقد أدى هذا إلى زيادة شدة المناقشات العامة حول الدور السوري في لبنان أكثر من أي وقت مضى منذ توقيع اتفاقية الطائف.[15]

والتطور السياسي الثاني الذي من الممكن أن يكون قد عقد إدارة وتدبير بشار للمصالح اللبنانية الخاصة بسوية هو في عودة رفيق الحريري رئيساً لوزراء لبنان في تشرين الأول 2000.[16] وخلال الفترة الأولى من استلامه للمنصب بدءاً من عام 1992 أصبحت دمشق أكثر قلقاً حول أنه كان يطور لنفسه قنوات خاصة مع الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى وأبرزها فرنسا متحاهلاً وزير الخارجية

منطقة الحدود الثلاثية الإسرائيلية – اللبنانية – السورية



والمسؤولين الموالين لسورية ممن تربطهم صلات وثيقة بالرئاسة اللبنانية[17]. وتحت الضغوط السورية قبل الرئيس اللبناني إميل لحود العرض التهديدي للحريري بالاستقالة عندما استلم لحود منصبه في عام 1998. ولكن الحريري على أية حال كان سلطة منهوكة القوى في السياسة اللبنانية. فاستخدم الحريري مكانته الواقعية كزعيم للمعارضة في البرلمان واستفاد من ثروته الشخصية الهائلة وأعد العدة بعناية للعودة إلى عالم السياسة وقد ساعده في ذلك تراجع الوضع الاقتصادي في ظل رئاسة لحود وسليم الحص الذي كان قد حل محل الحريري.. بل ربما يكون الحريري قد استغل ثروته الشخصية للحدوث المفاجئ لأزمة سعر الصرف في بداية عام 2000، الأمر الذي دعم موقفه السياسي. ومع انتخابات آب-أيلول 2000 البرلمانية، تأكدت عودة الحريري كرئيس للوزراء. أدرك بشار والقيادة في دمشق أن عليهم التعامل مع شخصية قوية لرئيس الوزراء في بيروت وهو لاعب سياسي طموح لا ينضوي تحت لواء السيطرة السورية بشكل كامل.

تدبر أمر الاحتلال:

في مواجهة هذه الخلفية من التحولات الاستراتيجية والسياسية في الساحة اللبنانية كان على بشار أن يكيف ألفباء السياسة الخارجية تجاه لبنان بحيث يتدبر أمر الاحتلال السوري بعد الانسحاب الإسرائيلي وتأكيد دور بلاده المهيمن على السياسة اللبنانية[18]. لقد قام بشار كرئيس بتسويات للمقاربة التي ورثها عن والده. وأبرز هذه التسويات أنه حاول تلطيف واحتواء المشاعر المعادية لسورية في لبنان في الآن نفسه الذي منع فيه نشوء أي مركز قوة مستقل بشكل حقيقي هناك[19].

وإلى هذا الحد استمر بشار ببعد إيجابي في الظاهر بما كان يفعله والده من إنقاص عدد الجنود السوريين المتمركزين في لبنان. ولقد كثف بشار في الواقع وزاد من تصعيد هذه العملية حيث أمر بستة انسحابات منفصلة للقوات السورية منذ أن أصبح رئيساً[20]. وفي مقابلة له في شباط 2001، مع صحيفة الشرق الأوسط اليومية التي تصدر من لندن دافع بشار عن الوجود العسكري السوري في لبنان

حيث قال إن القوات السورية، توجد في لبنان لتنفيذ مهمتين، الأولى لاستعادة السلام المدني بما يتوافق مع ما عهد به اتفاق الطائف إلى دمشق، واستجابة لحالة اللاسلم واللاحرب مع إسرائيل. لم يتم إنجاز أي من هاتين المهمتين وفقاً لما قاله بشار وقد رفض الالتزام بسحب القوات السورية من لبنان حتى ولو تم تحقيق السلام مع إسرائيل[21]. ولكنه بإنقاص عدد القوات السورية وإعادة انتشارها تمكن بشار من خفض مظاهر الهيمنة السورية إلى حدها الأدنى بالنسبة لأغلب اللبنانيين وخصوصاً في الطائفة المارونية[22]. وقد تمكن لغاية عام 2005، على الأقل الادعاء بأنه يحرز تقدماً في تنفيذ شروط اتفاقية الطائف التي تتعلق بترتيب وتنظيم القوات العسكرية السورية في لبنان في الحين الذي يعزز فيه الإجراءات اللبنانية التي تعكس سلطة ذاتية أكبر في إدارة شؤونهم الخاصة.

لقد سعى بشار لدعم هذا الوجه الحميد من الهيمنة السورية مع تحركات استرضائية أخرى. وفي سياق التقدم السريع إلى الانتخابات البرلمانية في آب-أيلول 2000 في لبنان، بدأ بشار بتكثيف الحوار ما بين المسؤولين السوريين والقادة المارونيين. وكنتيجة لهذا أعلنت الهيئة الإكليريكية معارضتها لمقاطعة المسيحيين للانتخابات فما كان من عدد من الساسة المارونيين التقليديين الذين تنحوا عن استفتاءات 1992 و 1996 إلا أن شاركوا في انتخابات عام 2000. وقد عقد بشار أيضاً اتفاقات سرية مع عدة معارضين مارونيين بارزين ممن هم ضد الاحتلال السوري بحيث يتاح لهم العودة إلى لبنان من المنفى في فرنسا مقابل التزامهم الصمت إزاء المسائل السياسية وهي صفقة دامت فترة قصيرة فقط. وفي النهاية وحسب ما ورد في كتابات ناقدين للاحتلال السوري فإن الرئيس السوري الجديد حاول فعل المستحيل وهو أن تؤول الانتخابات للنخبة الموالية لسورية وغرس الوهم لدى الجميع من أن عملية الانتخابات تتم بصورة حرة وعادلة[23]. وجاءت إيماءة بشار على أعلى مستوى للحساسيات اللبنانية في زيارته الرسمية لبيروت في آذار 2002، وهي أول زيارة كهذه لرئيس سوري منذ أن سافر حافظ الأسد إلى بيروت في عام 1975.

وبمزيد من التدقيق يبدو أن نقصان السيطرة السورية على الشؤون اللبنانية إنما هو أمر ظاهري أكثر من كونه واقعياً.. فقد وازن بشار إنقاص عدد القوات السورية بزيادة عدد كادر الاستخبارات المتمركز في لبنان بل إن بعض اللبنانيين يدعون أن عدد كادر الاستخبارات السوري في لبنان قد ازداد فعلياً خلال رئاسة بشار[24]. في الواقع أنه في فترة ما بعد الطائف كان وجود الكادر الاستخباراتي العسكري السوري في لبنان أكثر أهمية بشكل قابل للجدل للمحافظة على الهيمنة السورية وتوسيعها المحتمل بشكل يفوق أهمية وجود الجنود السوريين. وبهذا الخصوص فإن تغيير بشار لنسبة العاملين السوريين من الشكل الصريح إلى الشكل السري يجب ألا يعتبر أنه يمثل تخفيفاً لعزيمة والده في البقاء على القمة في لبنان[25]. لقد ترافق توسيع انتشار جهاز الاستخبارات السوري في لبنان بما يمكن تفسيره بمزيد من الوضع الاستبدادي من جانب الجهاز الاستخباراتي والأمني اللبناني مع التركيز الخاص على العناصر المارونية الراديكالية والإسلاميين السنيين ... وقد كان هذا الموقف بمساندة سورية واضحة[26].

اللعب بالسياسة:

كان بشار مصمماً من الناحية السياسية على احتواء نفوذ رئيس الوزراء اللبناني الحريري للتيقن من أن هذا القائد اللبناني لن يباشر بمبادرات استراتيجية من شأنها أن تعزز الحكم الذاتي للبنان على حساب سورية. فقد وظفت الحكومة السورية بقيادة بشار عدة تكتيكات لخدمة هذا الغرض.. أولها أن بشار قد سهل سطوة حزب الله على المسرح السياسي اللبناني كثقل مقابل للحريري[27].

لقد عكس بروز حزب الله المنزلة الرفيعة التي احتلها حزب الله بشكل متزايد في لبنان وفي المنطقة بعد الإدراك الذي انتشر بشكل واسع في العالم العربي لفكرة أن التنظيم قد نجح في إخراج قوات الدفاع الإسرائيلية من الأرض العربية المحتلة. ولكن خلافاً لوالده الذي قمع المنزلة السياسية التي حظي بها حزب الله في عام 1996، بعد الازدياد المفاجئ لشعبية التنظيم بعد عملية إسرائيل "عناقيد الغضب"، سمح بشار لحزب الله بإقامة منطقة خاصة به في جنوب لبنان بعد الانسحاب الإسرائيلي[28].

منذ انسحاب قوات الدفاع الإسرائيلية، استخدم حزب الله قاعدته الأرضية في جنوب لبنان كمنصة لحشد التأييد الشعبي ليس فقط في المنطقة وإنما في أنحاء أخرى من لبنان كذلك الأمر[29]. وفي التماسه لمكانة سياسية أعظم، حظي حزب الله بشكل مستمر بتأييد الرئيس السوري الجديد. كان واضحاً أن بشار كان يقدر بأن شعبية حزب الله المتزايدة تجعل التنظيم حليفاً مفيداً في مقاربته لتدبر شؤون الساحة السياسية اللبنانية. ويبدو واضحاً أيضاً أن بشار يحترم ما يراه هو من منجزات ومزايا قيادية خاصة بشخصية حسن نصر الله.[30] وفي مقابلته مع الشرق الأوسط في 8 شباط 2001، تضمن ما قاله بشار بشكل واضح أن حزب الله قد أصبح جزءاً من تكوين الحكومة اللبنانية منوهاً إلى أن القرارات المتعلقة بمواصلة الهجمات ضد الأهداف الإسرائيلية من الأراضي اللبنانية بعد انسحاب قوات الدفاع الإسرائيلية لابد أن تتم من خلال التنسيق بين الحكومة والمؤسسات التي تضم الجيش والمقاومة اللبنانية أي حزب الله. لقد كان الصعود السياسي لحزب الله من عدة طرق متمماً لجهود بشار التي بذلها لتبديل وتنظيم الوضع شبه العسكري للجماعة تجاه إسرائيل وفي المنطقة عموماً على ضوء المحيط الاستراتيجي المتبدل لسورية. سنناقش هذه الجهود لاحقاً في هذا الفصل.

لقد سعى بشار لتقويض الموقف السياسي للحريري بدعم ومساندة المنافس الرئيس لرئيس الوزراء وهو الرئيس لحود. وفي مقابلته مع الشرق الأوسط في شباط 2001، بدا أن بشار يرد على المنتقدين المارونيين للوجود السوري وعلى مؤيدي رئيس الوزراء الحريري معلناً أن شريكه في صنع القرار المشترك السوري-اللبناني هو لحود الذي وصفه بشار بأنه يتربع على قمة الهرم.

وعلى نحو مماثل قوضت القيادة السورية بقيادة بشار موقف الحريري من خلال دعمها للحود في إحباط مبادرات السياسة التي يقدمها رئيس الوزراء. منذ إعادة توليته لمنصب رئيس الوزراء، سعى الحريري لتنفيذ برنامج متجدد يهدف إلى إعادة إحياء الاقتصاد اللبناني وهو البرنامج الذي تم تقديمه بشكل تمهيدي لما يسمى بمؤتمر باريس الثاني في تشرين الثاني 2002.[31] وعلى مدى سنتين بعد مؤتمر

باريس الثاني، تمكن لحود بمساندة سورية من عرقلة أغلب المقترحات السياسية للحريري مثل موضوع التخصيص. يدافع أنصار لحود عن تصرفات الرئيس بالإشارة إلى التهم السابقة بالفساد وحتى الأرباح الهائلة من القطاع الخاص من جانب الحريري ورفاقه في الدورة السابقة له كرئيس للوزراء.

وفي الختام، لم يتردد بشار في الاستفادة من الوسائل المباشرة لكبح جماح الحريري عندما كانت تتيح له الظروف الفرصة لذلك. وفي بداية عام 2001، دعا الرئيس السوري رئيس الوزراء اللبناني إلى دمشق بعد أن أعلن الحريري علانية عن رغبته في السماح للرئيس السابق الجميل بالعودة إلى لبنان من منفاه في فرنسا مما جعله على خلاف جذري مع الأولويات السورية. وذُكر أن بشار أثناء اجتماعهما وجه تأنيباً رسمياً شديداً للحريري الذي لم يكرر ما قاله ثانية بعد ذلك، والذي أدى إلى حدوث هذا القلق في العاصمة السورية[32]. وفي النهاية، بالطبع عقد بشار صفقته الخاصة مع الجميل ولكن هذا الحدث أكد عزيمة القائد السوري على عدم إتاحة الفرصة للحريري لفرض أجندته السياسية داخل لبنان. وعلى نحو مماثل في نيسان 2003 مع اقتراب انتهاء الحملة العسكرية الأميركية في العراق أدركت سورية الخطر المتزايد لعمل أميركي ضد مصالحها في المنطقة، فأجبرت دمشق الوزراء اللبنانية على الاستقالة للتأكد من أن الهيئة الخليفة ستضم عدداً أكبر من العملاء الموثوقين لسورية بحيث يبقى رئيس الوزراء خاضعاً للمراقبة[33].

وصلت المواجهة بين بشار والحريري إلى أوجها في خريف 2004، عندما دعم القائد السوري تمديد فترة ولاية لحود لرئاسة ثانية في تحد للدستور اللبناني. وكجزء من محاولاته لتلطيف المشاعر المعادية لسورية في لبنان احترم بشار ظاهرياً فكرة السماح باستبدال لحود بما يتوافق مع الدستور اللبناني بحيث يحل محله ماروني آخر على أن يكون افتراضاً مذعناً لسورية عندما تنتهي فترته الرئاسية في تشرين الثاني 2004.[34] ولكن، وفي وجه الانتقاد الدولي المتزايد للهيمنة السورية في لبنان، آثر بشار التشبث بلحود وربما يكون هذا تحت ضغط من الحرس القديم أو الهيئة الأمنية لئلا يعرض السيطرة السورية في لبنان للخطر في هذه اللحظات

الحاسمة[35]. وبناء على تحريض من سورية، عدلت السلطات اللبنانية الدستور في أيلول 2004، لتمديد فترة ولاية لحود لثلاث سنوات أخرى.

كان لدور سورية الجازم في تمديد فترة ولاية لحود التحريض ما حث مجلس الأمن في الأمم المتحدة على تبني القرار 1559 في أيلول 2004 الذي يطالب فيه دمشق بإخراج جنودها من لبنان والتوقف عن تدخلها في الشؤون اللبنانية. وقد حرك هذا مجموعة من الأحداث الدراماتيكية. وبعد إقرار القرار فكرت إدارة بوش بتجميد ممتلكات المسؤولين اللبنانيين والسوريين لحين يتم سحب القوات السورية. وقد دفع هذا الأمر إلى جانب الإحباط الذي ألم به من جراء التمديد لولاية لحود الحريري الذي يقال أن له مدخرات مالية ضخمة جداً في الولايات المتحدة، إلى الاستقالة كرئيس للوزراء في تشرين الأول 2004.[36] وحل محله عمر كرامي.

وبعد استقالته بدأ الحريري مباحثاته مع تجمع المعارضة ضد سورية في مجلس النواب اللبناني. وفي 14 شباط 2005 حينما كان على حافة الانضمام العلني إلى المعارضة اغتيل الحريري في بيروت. وأشعل الاغتيال شرارة سلسلة من الاحتجاجات ضد الحكومة وضد سورية في شوارع العاصمة اللبنانية مما قاد إلى استقالة حكومة كرامي في وقت لاحق من ذلك الشهر.

وهكذا، واجه بشار تحدياً جدياً بشكل متزايد في المحافظة على القبضة السورية على محركات القوة الرئيسي ومنع نشوء مراكز سلطة مستقلة بشكل حقيقي. وسواء بقي لسورية وجود مباشر في لبنان أو لم يبق فعلى الأرجح أنها سوف تستمر في التمتع بتأييد صف واسع من المجتمع اللبناني على تفوقها المميز في السياسة الخارجية. وجاءت التظاهرة المعاكسة في 8 آذار 2005 بطلب من نصر الله وقد حضرها ما يقدر بنصف مليون شخص[37] وهي تقدم الدليل على الثقل الديمغرافي لمؤيدي سورية في لبنان وخصوصاً من الطائفة الشيعية. ومع ذلك، فإن جهود بشار لتكييف الفباء والده مع الوقائع الجديدة في الساحة اللبنانية كانت مدعاة لمزيد من التوتر في علاقات سورية مع الولايات المتحدة وبعض حلفائها المفترضين في أوروبا وخصوصاً فرنسا.

ميدان الصراع العربي-الإسرائيلي:

كان التحدي المتعلق بتكييف ألفباء حافظ الأسد لتلائم الظروف المتغيرة أمراً حـاداً بشـكل خاص فيما يتعلق بميدان الصراع العربي- الإسرائيلي. فعندما تمت الخلافـة كـان المسار السوري في عملية السلام في حالة توقف وكانت حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك تركز جهودها للتوصل إلى صفقة نهائية حول الأوضاع مع الفلسطينيين.[38] . بدا بشار في البداية وكأنه يعلل نفسه بأمل إمكانية اسـتئناف المفاوضات مع باراك.. ولكن لم يكن لديه الوقت الكافي لاستكشاف مـدى تلك الإمكانية قبل حدوث التطورات على المسار الفلسطيني وفي السياستين الإسرائيلية والأميركية لتحول دون استمرارية المفاوضات بشكل نهائي.

في مواجهة الانهيار الفعلي للمسار السوري كانت ألفباء حافظ توحي للرئيس الجديـد بضـرورة مواصلة تطوير برنامج الأسلحة الكيماوية في سورية وقدراتها المـتعلقة بالصـواريخ البالسـتية كقوة ردع استراتيجية وكان هذا ما فعله بشار. وكانت الألفباء توحي لـه أيضاً بتوظيف الوسائل التقليدية وعلى وجه الخصوص عمليات حزب الله للضغط على إسرائيل. وإضافة إلى ذلك، أوحت الألفباء لبشار باسـتخدام الوسـائل الدبلوماسـية للإيماء لإسرائيل والولايات المتحدة بالخسائر الاسـتراتيجية من جراء إهمال احتياجات سورية ولاستباق تجريد مكانة سورية من الدعم الإقليمي والدولي على أساس تسوية سلام مقبولة.

ولكـن، وكمـا هو الحال في الساحة اللبنانية، فإن الوقائع الجديدة في المحيط الاسـتراتيجي لسـورية أضفت مزيداً من الصعوبة على تطبيق بشار لألفباء حافظ عـلى ميدان الصراع العربي-الإسرائيلي وذلك إلى حد فاق توقعات الأب والابن. وقـد صـح هذا على وجه الخصوص فيما يتعلق باستخدام العملاء الإرهابيين[39] وشـبه العسـكريين للضـغط على إسرائيل وإدارة الأمور الدبلوماسية العربية-الإسرائيلية في ظل غياب مسار سوري يحمل أي معنى.

الدور الجديد للعملاء:

ازداد تعقيد خيار التصعيد عمليات حزب الله ضد إسرائيل مع الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان. وبعد آذار 2001، وصل إلى رئاسة الوزراء الإسرائيلية رئيس للوزراء يتصف بانخفاض عتبته الانتقامية أكثر ممن سبقوه ضد المصالح السورية كرد على تحريضات حزب الله. ومع ازدياد اضطرام الانتفاضة الثانية كان على الرئيس السوري الجديد أن يوازن بين الضرورات السياسية الملحة لدعم المقاومة الفلسطينية مقابل ازدياد خطر جر بلاده إلى ساحة الصراع مع إسرائيل. وعلى ضوء هذه الاعتبارات كان على بشار أن يعدل من الدعم غير المباشر لحزب الله والجماعات الفلسطينية الرافضة الشتى التي تربطه بها صلات وثيقة. فقد جرب بشار ثلاث طرق بديلة للمحافظة على روابط صلة سورية مع هذه المنظمات الإرهابية حيث سمح لهذه الجماعات بمواصلة الضغوط المباشرة على إسرائيل وشجعهم على الانخراط بأنفسهم في الانتفاضة، وبإشارة خاصة إلى حزب الله عزز من قدراقم العسكرية بحيث يمكن أن يشكلوا قوة ردع استراتيجية لمواجهة أي فعل عسكري إسرائيلي ضد المصالح السورية.

تطبيق الضغط:

بدا بشار في البداية راغباً بإيجاد طرق يتمكن من خلالها حزب الله على الخصوص من الحفاظ على لعب دوره التقليدي في الاستراتيجية السورية تجاه إسرائيل أي الضغط على إسرائيل من خلال الاستخدام المتدرج للقوة والانخراط السياسي بدمشق وفق ظروف يقبلها نظام الأسد. وجاءت الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان ليلغي قيمة ورقة حزب الله بالنسبة لسورية على المدى المنظور على الأقل[40]. وقدر بشار بوضوح أنه بحاجة لتوضيح استمرارية وجود التهديد على طول الحدود الشمالية لإسرائيل بواسطة مقاتلي حزب الله الذين يمكنهم بعد انسحاب قوات الدفاع الإسرائيلية الوصول إلى الخط الأزرق الذي يمثل الحدود الدولية. بدا الاهتمام بهذا الأمر ملحاً على الخصوص حينما بدأ بشار يشك في رغبة إدارة كلنتون المنسحبة بدفع استئناف المفاوضات الإسرائيلية-السورية وفقاً لشروط تقبلها دمشق.

وتوافق اهتمام بشار بإيجاد سبل لمتابعة اللعب بورقة حزب الله مع القرار الخاص بحزب الله في مواصلة الكفاح المسلح ضد إسرائيل[41]. وفي صيف وخريف 2000، كان حزب الله يشعر بزهو الانتصار على الانسحاب الإسرائيلي وينظر له على أنه نصر لنموذج يحتذى به من مقاومته المسلحة[42]. وبعد جدل داخلي حول النهج المستقبلي للجماعة، أي فيما إذا كان التنظيم سيستمر في قتاله ضد إسرائيل أو التخلي عن المقاومة المسلحة والتركيز على النشاطات السياسية والاجتماعية، اختارت قيادة حزب الله ما وصفه الأمين العام نصر الله بمواصلة التحرير[43].

وهكذا، وفي أعقاب الانسحاب الإسرائيلي مباشرة قدرت سورية وحزب الله أن عليهما مواصلة الكفاح ضد إسرائيل وأن عليهم القيام بذلك بشكل يضمن لهم الحصانة نسبياً. يفسر بعض المحللين رغبة بشار في إقرار استمرار الفعل المباشر من قبل حزب الله ضد أهداف إسرائيلية على أنه دافع إيديولوجي يعكس إعجاب إدارة الرئيس السوري بشخصية حسن نصر الله وتقدير أقل من والده الراحل لمخاطر هذه المقاربة البغيضة[44]. ولقد عبر مسؤولون أردنيون وسعوديون ومن دول الخليج الأخرى عن قلقهم تجاه هذا الأمر لمسؤولين أميركيين قائلين بأن التحام بشار مع قائد حزب الله وتوقه لكل ما هو مؤيد للعروبة والإسلام إنما هو مؤشر على افتقار القائد السوري الجديد لملكة التمييز والمحاكمة العقلية[45].

الأمر الصحيح بشكل مؤكد هو إعجاب بشار الحقيقي بإنجازات نصر الله ومهاراته الهامة والجديرة بالاعتبار. والصحيح أيضاً أن بشار قد أمضى وقتاً في مقابلة نصر الله ومسؤولي حزب الله الآخرين أكثر بكثير مما فعل والده[46]. ولكن بمزيد من التدقيق في نشاطات حزب الله منذ خريف عام 2000 نجد أنه عندما كان يثبت أن استخدام التنظيم بالطرق التقليدية يكون محفوفاً بمخاطر كثيرة، فإن بشار كان يسعى لإيجاد سبل جديدة لتعزيز فاعلية حزب الله في دعم الأهداف السورية الراسخة منذ زمن طويل. وباتباعه لهذا النهج كان القائد السوري يبرهن على عدم وجود مصلحة في التعجيل بحدوث أي شيء من شأنه أن يقرب من

اندلاع حرب كاملة بين إسرائيل وسورية، بل على العكس تماماً في الواقع كشف عن وعي وإدراك تام للخسائر غير المقبولة التي يمكن لنتيجة كهذه أن تفرضها على سورية وعلى نظامه[47].

بالنظر إلى حداثة عهد بشار النسبية بالرئاسة وجدية التحديات التي تواجهه نتيجة للمحيط الاستراتيجي المتبدل فلن يكون مدهشاً أن تكون عملية التسوية قد استلزمت كنتيجة حتمية قدراً كبيراً من المحاولة والخطأ. وخصوصاً أن بشار قد مرّ بمنحدر قاس في تعلمه التقرير فيما إذا كان عليه(وكيف يستمر) في استخدام نشاطات حزب الله شبه العسكرية التقليدية كوسيلة للضغط على إسرائيل. ومع ذلك كلما كان بشار يشتط في المجال العملياتي الذي يزود به حزب الله، كان عليه حتى تاريخه أن يصلح النهج الذي اتبعه بالشكل الكافي وبالزمن المحدد لتجنب الوصول إلى مستوى غير مرغوب من الصراع مع إسرائيل.

في المرحلة الأولى من طور تعلمه كيفية استخدام حزب الله سعى بشار لإيجاد إطار لعمليات متواصلة ينفذها حزب الله ضد أهداف إسرائيلية في محيط ما بعد الانسحاب[48]. ولكن سرعان ما تعلم بشار وقادة حزب الله أنه لا يمكنهم تدبر أمر مخاطر الردود الإقليمية والدولية من خلال عمليات التنظيم بالسهولة التي كانت تتم من قبل وخصوصاً بعد استلام آريل شارون مهام منصبه كرئيس لوزراء إسرائيل.

وفي وجه النشاط غير المتوقع من ردود الفعل الإسرائيلية على تحريضات حزب الله والتي ضمت هجمات جوية إسرائيلية على أهداف سورية في لبنان حاول بشار العودة إلى الوضع السابق لقواعد اللعبة التقليدية التي تنظم التفاعلات العسكرية ما بين إسرائيل وحزب الله[49]. وقد حاول المسوولون السوريون على الخصوص إعادة التأكيد على القواعد التي تم التوصل إليها في تفاهم نيسان 1996. كان الهجوم الإسرائيلي على موقع الرادار السوري في لبنان في نيسان 2001 يدل على نية شارون بتغيير القواعد القديمة وإتاحة الفرص لحركات تصعيد لولبية تدور ما بين إسرائيل وسورية. كانت دمشق تأمل بوضوح أن تتمكن الولايات المتحدة من

إقنـــاع شارون بعدم تغيير قواعد اللعبة اللبنانية بهذه الطريقة لإحباط خطر التصعيد في الصراع الإقليمي[50]

كـــان اختـــبار إعادة تأكيد بشار على القواعد القديمة للعبة في منتصف أيار 2001 عـــندما شـــن حزب الله هجومه بالصواريخ على القاعدة الحدودية لقوات الدفـــاع الإسرائيلية في منطقة مزارع شبعا و لم يؤد الهجوم إلى حدوث أية إصابات بين الإسرائيليين. وحينما لم ترد إسرائيل بدا هذا تأكيدا لتقدير الأوساط الرسمية في دمشـــق من أن شارون قد تخلى عن جهوده الهادفة لتحديد قواعد جديدة للتفاعل الإسرائيلي – السوري على المسرح اللبناني. ولكن هذه النظرة المتفائلة نسبيا كان عمـــرها قصـــيرا .. فبعد هجمات حزب الله حول مزارع شبعا في أواخر حزيران وتمـــوز أمر شارون القوات الجوية الإسرائيلية لمهاجمة محطة رادار سورية أخرى في منطقة البقاع. وأدركت سورية مخاطر التورط في انتقام اسرائيلي على نطاق واسع، وبعد الهجمات الإرهابية في الحادي عشر من أيلول على الولايات المتحدة أدركت خطر اعتبارها ضمن الجانب المخطئ في حرب إدارة بوش على الإرهاب .. فأقرت التزام حزب الله بحالة الهدوء في أواخر صيف وأوائل خريف 2001[51].

وفي المـــرحلة الثانـــية مـــن طور تعلم بشار حاول قادة حزب الله والرئيس الســـوري التوصل إلى توازن ملائم بين متابعة القتال ضد إسرائيل وتجنب التصعيد غـــير المرغوب فيه.. واستأنف حزب الله في تشرين الأول 2001 هجمات محدودة في منطقة مزارع شبعا[52]. وابتداء بهذه البداية المنخفضة نسبيا بدا حزب الله بزيادة تدريجـــية لمستوى العمليات ضد إسرائيل ليرى إلى أي مدى يصل الأمر وما مدى النجاة من ردود إسرائيلية عقابية مفرطة[53].

مـــع عـــدم تأكيد قواعد اللعبة، وجد كلّ من إسرائيل وحزب الله وسورية أنفسهم في حلقة تصعيد لولبية بدءا من آذار 2002 ... فمع بداية ذلك الشهر بدأ حزب الله بموافقة سورية دون شك بإرسال المقاتلين الفلسطينيين عبر الخط الأزرق لمهاجمـــة أهـــداف إســـرائيلية، وكان الأمر الظاهر من ذلك هو إبداء التضامن مع الانتفاضـــة المســـتمرة. وبـــدأ حزب الله أيضا باستخدام مقاتلين فلسطينيين لشن

هجمـــات بصواريخ الكاتيوشا على شمالي إسرائيل. وفي 28 آذار أي بعد يوم من مجـــزرة عيد الفصح عند اليهود في ناتانيا شنت إسرائيل عملية الدرع الواقي حيث أرســـلت تشكيلات من قوات الدفاع الإسرائيلية وتوغلوا في أعماق الضفة الغربية واحـــتلوا في النهاية جميع المراكز السكانية الفلسطينية الهامة. وردا على ذلك شن حـــزب الله سلســـلة غير مسبوقة من الهجمات على مزارع شبعا حيث نفذ أربع عشـــرة عملية مستقلة في غضون أسبوعين. وردت إسرائيل على هذه الاستفزازات عـــلى نطاق واسع بإطلاق نيران المدفعية على أهداف لحزب الله في جنوب لبنان.. ولكـــن أرجحية نطاق العمليات العسكرية الإسرائيلية في داخل الأراضي اللبنانية كانـــت تـــزداد بشكل لا يقبل النقاش[54]. لقد حرض هذا الخطر وزير الخارجية كولـــن باول في رحلته التي قام بها في نيسان 2002 إلى المنطقة لمحاولة إعادة البدء ببعض العمليات السياسية بين إسرائيل والفلسطينيين وأن يتوقف في دمشق وبيروت في محاولة للحد من التصاعد اللولبي بين إسرائيل وسورية.

لقد أحرزت رحلة باول الثانوية بعض النجاحات القليلة التي من دونها لكانت رحلـــة وزيـــر الخارجية مدعاة للإحباط وأدت إلى توضيح نقطة التحول الهامة في تطـــور وضـــع عملـــيات حـــزب الله تجاه إسرائيل بعد انسحاب قوات الدفاع الإســـرائيلية[55]. وحينما أوضح لبشار المخاطر المحتملة من جراء الصراع الإقليمي عـــلى المصـــالح السورية تمكّن باول من حث القائد السوري على تقييد هجمات حـــزب الله ضد الأهداف الإسرائيلية. وبعد اجتماع باول مع بشار لم ينفذ حزب الله أية عمليات ضد المصالح الإسرائيلية إلى ما بعد خمسة أشهر أي في آب 2002 حينما هاجم التنظيم مركزا أماميا للجيش الإسرائيلي في منطقة مزارع شبعا. ومنذ ذلـــك الحـــين استقر حزب الله على الهجمات ذات النطاق الصغير نسبيا بفواصل زمنـــية متباعدة إلى حد ما ضد الأهداف الإسرائيلية في مزارع شبعا بالإضافة إلى الانـــتقام عـــلى نطاق ضيق ضد الاستفزازات الإسرائيلية عبر الخط الأزرق[56]. كانـــت الـــنيران المضادة للطائرات التي يطلقها حزب الله ضد الطائرات العسكرية الإسرائيلية تُحدث إصابات عَرضية في مستوطنات المدنيين في شمال إسرائيل.

من الواضح أن بشار قد تعلم الكثير حول حدود الممكن في ذلك المسرح المحدد.. و لم يتمكن بشار من منع تبدد قيمة نشاطات حزب الله شبه العسكرية كمصدر قوة ونفوذ على إسرائيل. لقد كان حزب الله في مأزق حرج جدا فيما يتعلق بالتأثير السياسي والتكتيكي لعملياته التي تستهدف مصالح إسرائيلية بشكل مباشر. لقد نشا هذا المأزق ليس فقط بسبب الوقائع الاستراتيجية المتغيرة في المنطقة والتي أثارت مخاطر التصعيد، وإنما أيضا بسبب الدعم الذي تلاشى داخل لبنان لعمليات التنظيم ضد إسرائيل حيث أدرك الكثيرون من اللبنانيين التكاليف الباهظة المتوقعة من انتقام واسع النطاق[57]. وفي الوقت نفسه لم يدفع بشار على الإطلاق بتحاربه التكتيكية مع حزب الله إلى ما وراء نقطة اللاعودة. وفي النهاية سادت حالة من التوازن المؤقت على طول الحد الشمالي لاسرائيل.

سوف يكون من عدم الحكمة - بالطبع- الإهمال التام لإمكانية تدهور الوضع الأمني على طول الخط الأزرق وحدوث دورة تصعيدية في المستقبل.. فحالة السكون على طول الخط الأزرق ليست أمرا مضمونا، ومن الممكن لسوء التقدير والحساب من طرف حزب الله والمبالغة في ردة الفعل من طرف إسرائيل أن يؤديا إلى بدء حركة تصعيدية أخرى[58]. مع استمرار مسار تعلم بشار يكون المطلوب هو تدبر أميركي ثابت للوضع بما يتضمن ذلك من تذكير لبشار بالخسائر المحتملة عليه وعلى نظامه والتي سوف يفرضها تصعيد الصراع الإقليمي[59].

دعم القضية الفلسطينية:

إلى جانب جهوده التي لم تنجح كليا في دعم قيمة حزب الله كوكيل شبه عسكري سعى بشار لاستخدام التنظيم لزيادة نفوذ سورية في ساحة الانتفاضة الفلسطينية[60]. يبدو أن بشار قد قدر بأن إبراز صورة سورية في سياق الانتفاضة من شانه أن يساعده على عدة جبهات؛ إذ سوف يضفي البريق على اعتماده كقائد عربي وطني ويعزز موقفه الشعبي ويمكن أن يضعف موقف ياسر عرفات كقائد فلسطيني متفوق وبارز، ويضاعف من نفوذ سورية في الشؤون الفلسطينية.

ربما يكون بشار قد قدر بأن هذه الاعتبارات تتوافق مع الغباء التي ورثها عن أبيه.

وهاهنا أيضا توافقت حسابات بشار مع المشورات الداخلية لحزب الله . فبعد انسحاب قوات الدفاع الإسرائيلية من لبنان تركز جزء من مداولات حزب الله الداخلية من أجندته المستقبلية على ما إذا كان يترتب عليه تقديم الدعم الايجابي للمقاومة الفلسطينية . ومع بداية 2001 قرر التنظيم بشكل واضح، وفقا لما قاله نصر الله نفسه في وقت لاحق من تلك السنة، عدم السماح للفلسطينيين بالقتال لوحدهم على الإطلاق[61].

لقد اتخذ انخراط حزب الله في المقاومة الفلسطينية عدة أشكال .. فقبل اندلاع الانتفاضة الحالية في أيلول 2000 كان حزب الله يؤمن التدريب اللازم في معسكراته في لبنان للرافضين الفلسطينيين المعارضين لاتفاق أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية وقد ازداد هذا النشاط بشكل واضح منذ أواخر عام 2000 حيث اشتمل على التعاون مع حماس والجهاد الإسلامي الفلسطينيتين . وقد بدأ حزب الله أيضا تامين الأسلحة والمعدات العسكرية للرافضين الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية، وربما يقاس مدى هذه النشاطات بمدى عمليات التهريب التي تم إحباطها[62]. والأمر المشهور به كان تورط حزب الله في محاولة تهريب برعاية إيرانية لنقل خمسين طناً من الأسلحة إلى غزة على متن الباخرة كارين – 1000 في كانون الثاني 2002 [63]. لقد حاول حزب الله أيضا تهريب صواريخ الكاتيوشا إلى الضفة الغربية عبر الأردن في بداية 2002 [64].

بالإضافة إلى تامين التدريب اللازم والمواد والمعدات حاول حزب الله توسيع نطاق عملياته إلى داخل الأراضي الفلسطينية وما يخص إسرائيل . وعلى سبيل المثال تسلل منفذو عمليات التنظيم إلى داخل الضفة الغربية وغزة لمساعدة حماس والجهاد الإسلامي وقد عمل هؤلاء المنفذون أيضا لإنشاء شبكة خاصة بالتجنيد في حزب الله في داخل الأراضي الفلسطينية لإدراج أسماء الشباب الفلسطينيين من اجل تدريبهم في معسكرات التنظيم في لبنان، حيث كان من المفروض أن يتم إعدادهم ليصبح هؤلاء منفذين إرهابيين بأنفسهم[65]. يدعي المحللون الذين لهم صلات

بالجهات الأمنية الإسرائيلية وحلقات الاستخبارات أن حزب الله قد نظم أيضا شبكة لعناصر تنظيم فتح الشرير وهو تنظيم فرعي مسلح من كتلة فتح المهيمنة على منظمة التحرير الفلسطينية ومقره في الضفة الغربية [66]. وإضافة إلى ذلك كشفت السلطات الإسرائيلية النقاب عن خلايا من العرب الإسرائيليين جندهم حزب الله في مهمات إرهابية واستخباراتية [67].

تمت عملية فلسطننة حزب الله خلال رئاسة بشار بالعمل السوري المتواصل للرافضين الفلسطينيين الناشطين في الانتفاضة. سنناقش لاحقا الموقف السوري تجاه الجماعات الفلسطينية التي تربطها بها صلات وثيقة ولكن يجدر الذكر هنا أن بشار قد حاول اتباع الفباء والده في هذه النقطة أيضا سعيا منه لاستمداد النفوذ وتعزيز موقفه الشعبي من خلال التأييد غير المباشر لتنظيمات مثل حماس والجهاد الإسلامي مع التحكم بمخاطر التصعيد.

ولكن مما يقبل الجدل أن فلسطننة حزب الله والروابط السورية المستمرة مع الجماعات الرافضة يشكلان مخاطر تصعيدية اكبر من عمليات حزب الله على طول الخط الأزرق. وجاءت الضربة الجوية الإسرائيلية في تشرين الأول 2003 على معسكرات تدريب الرافضين الفلسطينيين في سورية والذي ربما كان مهجورا بعد هجوم انتحاري لحماس في حيفا ليشير بان ارتباط سورية بصلات مع الرافضين الفلسطينيين قد وضعها تحت تهديد المزيد من العمل العسكري الإسرائيلي [68]. إذا كان حزب الله قد تورط يوما في الهجمات الإرهابية الفلسطينية الهامة سواء في الأراضي الفلسطينية أو فيما يخص إسرائيل فان احتمال الانتقام الإسرائيلي المهول ضد سورية سوف يكون مريعا في الواقع.

يبدو أن الدعم السوري المتواصل للرافضين الفلسطينيين لم يؤت تقدما في المصالح السورية خلال السنوات الأربعة الأولى من رئاسة بشار. ربما تكون هذه التطورات قد أسهمت في إضعاف لا يمكن إنكاره لموقف عرفات ولكنها فرضت خسائر على موقع سورية الاستراتيجي بشكل أكثر عموما. وبالإضافة إلى مخاطر التصعيد قوض الإدراك الإسرائيلي والأميركي للدعم السوري لتكثيف الانتفاضة

أي احتمال مأمول لاستئناف محادثات السلام الإسرائيلية – السورية، وقد أسهمت هذه الادراكات نفسها في تدهور علاقات سورية مع الولايات المتحدة. وبهذا الخصوص أيضا كان في هذا حد من قيمة أوراق الإرهاب التي ورثها بشار عن والده.

ربما كان بشار أيضا يستخلص الاستنتاج نفسه حول قيمة الروابط السورية مع الرافضين الفلسطينيين . وفي أيلول 2004 غادر سورية خالد مشعل رئيس المكتب التنفيذي لحماس في دمشق ورمضان شلح رئيس المكتب التنفيذي للجهاد الإسلامي وكانت مغادرتهما أمرا ظاهريا للبحث عن مكان إقامة بديل[69] . وفي النهاية عاد كلاهما إلى ملاذهما السوري الآمن، ولكن هذه الحركة بدت كإشارة من بشار لاستكشاف إمكانية التقليل من مستوى الدعم السوري لهذه التنظيمات.

ويبقى أن نرى كيف أثرت وفاة عرفات في تشرين الثاني 2004 على تقييم بشار للقيمة الدائمة المتأتية من إبقاء روابطه مع هذه الجماعات. وجاءت زيارة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الجديد محمود عباس المعروف بأبي مازن إلى دمشق في كانون الأول 2004 في أول اجتماع بين رئيس منظمة التحرير الفلسطيني والنظام السوري منذ عام 1983 فكانت دلالة على إمكانية انصهار الجليد في العلاقات بين الحركة الفلسطينية التي تمثل التيار الرئيسي ونظام الأسد. وفتح عباس المجال لإمكانية مزيد من التعاون بين سورية ومنظمة التحرير الفلسطينية عندما قال بأن السوريين قد تقبلوا جداً طلب تحديث العلاقات الثنائية بين الطرفين[70] . لكن بشار احتفظ بخيار العمل على تحجيم قيادة فلسطينية معتدلة إذا تصرفت هذه القيادة بطرق يراها هو غير ملائمة للمصالح السورية .

إنشاء قوة ردع استراتيجية:

إحدى المجالات التي ربما يكون بشار قد تمكن من خلالها زيادة قيمة حزب الله كمساعد لوضع الأمن القومي في سورية هو في تعزيز جهاز حزب الله شبه العسكري المحتمل. فعلى مدى سنوات عديدة كان أسوأ سيناريو لعمل عسكري إسرائيلي ضد سورية هو الهجوم المصفح على سهل البقاع اللبناني الذي يتجه شرقا

ويمتد إلى سورية ومن ثم باتجاه دمشق. وقوة الردع الوحيدة لسيناريو كهذا هو ما تمكن حافظ الأسد من إظهاره بالتهديد باستخدام الأسلحة الكيماوية ضد أهداف إسرائيلية . وقد كان هذا دوماً حالة ردع غير مُرضية حيث يدرك المسؤولون السوريون تماما لردة الفعل الانتقامية التي بإمكان إسرائيل شنها .

مع تلاشي فرص استئناف مفاوضات السلام وخطر حدوث صراع عسكري مع إسرائيل الذي بدا بالازدياد منذ أوائل 2001، قرر بشار بوضوح استخدام حزب الله كوسيلة متممة لموقف الردع السوري وفقا لكل المؤشرات وافق بشار على السماح لإيران بزيادة ضخمة في كمية الأسلحة التي تؤمنها لحزب الله عن طريق الرحلات الجوية إلى مطار دمشق الدولي وإرسال أنظمة سلاحية متقدمة أيضا . وبدأت إيران على الخصوص بإرسال صواريخ لحزب الله بمدى يزيد عن مدى صواريخ كاتيوشا وهي تتضمن فجر – 5 [71] . يصل مدى صاروخ فجر – 5 إلى خمسة وأربعين ميلا ومن الممكن إذا أطلق من جنوب لبنان أن يضرب أية مدينة إسرائيلية شمال حيفا.

يبدو أن توسيع حزب الله لقدرات الضرب على مدى بعيد يرتبط مباشرة بادراك سورية لخطر حدوث صراع عسكري مع إسرائيل.. والشحنات التي بدأت في بداية 2001 ازدادت كثافة بعد الحادي عشر من أيلول 2001 عندما استولى القلق على سورية من أن تعتبرها إدارة بوش في حربها على الإرهاب ضمن الجانب المخطئ[72]. وكامتداد لذلك كان بشار قلقا أيضا من احتمال أن يستغل شارون الحرب التي تقودهاأميركا على الإرهاب فينفذ حملة إقليمية خاصة به ضد الدول الراعية المجاورة لإسرائيل .

لقد كان في إنشاء ترسانة صواريخ حزب الله كجزء من موقف الردع لسورية تعقيدا مؤكدا لحسابات المخططين الإسرائيليين الذين يأخذون بعين الاعتبار عدة خيارات عسكرية في المسرحين السوري واللبناني . وفي نهاية 2004 كان التقديرات لعدد الصواريخ قصيرة المدى وطويلة المدى التي تحت تصرف حزب الله في الجنوب اللبناني أنها تصل إلى 8000 – 10.000[73]. بالنظر إلى هذه الأعداد

وتوضع ترسانة الصواريخ التابعة لحزب الله فمن غير المرجح أن تمتلك إسرائيل قدرة الضربة الأولى بالمعنى الدقيق لنفي أي تهديد أحادي وشامل على الأهداف الإسرائيلية . ومن هذا المعنى ربما يكون بشار قد نجح في الحصول على قدر إضافي من الردع الاستراتيجي لنظامه. ولكن هذا الكم الإضافي استلزم ثمنا وهو نشوء حالة إضافية من التعقيد على حسابات وتقديرات جميع الأطراف في المثلث الإسرائيلي – اللبناني – السوري وأدى بالتالي إلى زيادة احتمالات سوء التقدير والحساب. وإضافة إلى ذلك فإن توسيع حزب الله لقدراته في ضربة بعيدة المدى زاد من مستوى الضرر الذي يمكن أن تؤدي إليه سوء التقديرات .

الدبلوماسية الصعبة:

لقد حاول بشار أيضا الدفاع عن مصالح سورية في ميدان الصراع العربي – الإسرائيلي من خلال الوسائل الدبلوماسية . لقد نوهنا في الفصل الثاني إلى أن حافظ الأسد قد عرّف التفاوض على السلام مع إسرائيل على أنه الخيار الاستراتيجي المفضل لسورية . لقد ترك الأسد الأب لابنه مجموعة معرفة بشكل جيد من الوقائع والحقائق والظروف للتوصل إلى معاهدة سلام مقبولة وهي تتضمن الانسحاب الإسرائيلي الكامل من مرتفعات الجولان والشمولية ومدة قصيرة نسبيا للتنفيذ، ومجموعة معلنة من الشروط لاستئناف المفاوضات وأهم هذه الشروط إعادة التأكيد على التزام رابين الممكن بالانسحاب الكامل وهو ما يُسمى بوديعة رابين.

منذ بداية رئاسته قدم بشار نفسه على أنه ملتزم بمتابعة مفاوضات السلام على انه الخيار المفضل لسورية وأنه ملتزم بحقائق ووقائع والده من أجل التوصل إلى صفقة مقبولة. وقد أعاد الرئيس الجديد التأكيد في خطاب التولية على التزامه بسلام شامل وعادل على أنه الخيار الاستراتيجي لسورية، ولكنه نوه بأن هذا السلام يجب ألا يكون " على حساب أرضنا ولا على حساب سيادتنا "[74]. وفي مقابلة لـه مع الشرق الأوسط في 8 شباط 2001 قال بشار عن مقاربته للسلام "

لم أحذف شيئا و لم أضف شيئا والرئيس حافظ الأسد لم يستسلم ولن نستسلم نحن لا اليوم ولا في المستقبل " . وفي الواقع أن بشار طيلة فترة رئاسته لم ينكث بمواقف عملية السلام الجوهرية التي ورثها عن والده.

ولكـــن هـــذا الوفاء بالعهد لتلك التركة ولّد تحديات حقيقية للقائد الوطني الجديـــد ،إذ كشـــفت إدارة بشار للموقف الدبلوماسي لسورية في ميدان الصراع العـــربي – الإســـرائيلي عن ثلاثة أطوار حيث بدا في الطور الأول أنه يريد تجديد المفاوضـــات بسرعة من النقطة التي توقف عندها والده حسب افتراضه. وفي الطور الـــثاني تخـــلى بشار عن الأمل باستئناف قريب للمفاوضات واختار بدلا من ذلك حملـــة دبلوماســـية قدحية عامة وحمّل إسرائيل مسؤولية انهيار المسار السوري. في الطور الثالث والحالي يبدو أن بشار قد عاد يرى مصلحته في استئناف المفاوضات .

الأمل بتجديد المفاوضات :

في الأشـــهر الأولى مـــن ولايته بدا أن بشار يعلل نفسه بإمكانية حث إدارة كلنـــتون على إجراء محاولة أخيرة للتوسط في إتمام المحادثات مع حكومة باراك من اجـــل عملية السلام الإسرائيلية – السورية. في خطاب توليته دعا الأسد الولايات المـــتحدة لتلعب دورها الكامل كوسيط أمين وراع لعملية السلام، منوها انه لا بد مـــن ممارسة الضغوط لكي يتم تنفيذ أسباب الشرعية الدولية وما تتضمنه من جميع الحقوق الشرعية للشعب اللبناني والفلسطيني والسوري. وفي تشرين الأول 2000 في أول زيـــارة لـــــه خارج البلاد كرئيس لسورية قال بشار في القاهرة " بالنسبة للولايـــات المـــتحدة، نحـــن نشعر بأن لدى الرئيس بيل كلينتون ووزيرة خارجيته مـــادلين أولبرايت النوايا الحقيقية والرغبة لمساعدة الأطراف على تحقيق السلام وهو الســـلام العـــادل والشامل "[75]. وبعد أسبوعين في زيارة لـــه إلى المملكة العربية السعودية التقى بشار بوزيرة الخارجية الأميركية أولبرايت لمناقشة الاستئناف المحتمل للمسار السوري ضمن أشياء أخرى.

عـــندما التقى بشار مع البرايت كان يدرك بأن حكومة باراك وإدارة كلينتون

لم يكونا مستعدين لاستئناف المفاوضات مع دمشق .. وهذا بالتأكيد جزء هام من سياق شن حزب الله لحملة هجمات على طول الخط الأزرق في ذلك الشهر نفسه وكـــان المقصود من هذه الاعتداءات تذكير إسرائيل بالثمن المقابل لإهمال مصالح ســـورية الدبلوماسية واحتياجاتها. ومع اقتراب نهاية عام 2000 حثت التطورات على المسار الفلسطيني بشاراً على محاولة زيادة نفوذ سورية في الشؤون الفلسطينية واقتـــنع القائد السوري الجديد انه لا يمكنه متابعة المفاوضات الدبلوماسية في عملية السلام مع سورية من حيث توقف والده تماما. وجاء تصاعد العنف الإسرائيلي – الفلســـطيني وجيشان المشاعر المعادية لإسرائيل في كل أنحاء المنطقة مع ازدياد شدة انتفاضـــة الأقصـــى فعقّد ذلك من أي تجديد محتمل للمسار السوري. وسرعان ما قـــادت هذه الاعتبارات الرئيس السوري الجديد لاستنتاج أنه من المستحيل سياسيا بالنســـبة لـــــه اســـتئناف المفاوضات حتى ولو كانت الحكومة الإسرائيلية راغبة بالمتابعة على أساس وديعة رابين.

وقـــد أدى هذا الاستنتاج بدوره إلى تحول هام في موقف سورية الدبلوماسي تجـــاه عمليـــة الســـلام. كان الأسد الأب حسب ما قاله وزير الخارجية الشرع لمســـؤولين أميركـــيين في منتصف وأواخر التسعينيات يرى بأن عرفات قد حطم التضـــامن العربي بالاستمرار في عملية أوسلو، فإذا كانت سورية ستتمكن من عقد صفقة تتوافق مع الخطوط الحمراء للأسد فإن الرئيس السوري سوف يقبلها بصرف النظر عن وضع المفاوضات الإسرائيلية – الفلسطينية[76]. وعلى نقيض ذلك كان تقدير بشار في أوائل عام 2001 أنه لا يستطيع العودة إلى المفاوضات مع إسرائيل حـــتى يكون هنالك تحسن في ظروف المسار الفلسطيني . وربما يكون قد قرر بأن لديـــه الفرصـــة لإعادة تأكيد النفوذ السوري على المسار الفلسطيني وهذا الموقف ينسجم مع ميله لفلسطننة حزب الله.

تم نقل موقف بشار المتعلق باستحالة استئناف المفاوضات دون حدوث بعض التحسن على الجبهة الفلسطينية لواشنطن وانعكس موقفه هذا أيضا في بياناته العامة الرسمـــية، ففـــي شـــباط 2001 قال بشار : " إن الهدف الأخير هو سلام شامل

وعادل.. وشامل يعني جميع الأراضي المحتلة فالجولان ولبنان لا تعنيان سلاما شاملا ولذلك لا بد أن يكون هنالك تناسق بين المسارين السوري واللبناني من جهة والمسار الفلسطيني من جهة أخرى.. إن كلمة شامل فيها دلالة على الشمولية العربية ونحن نصر على سلام شامل وعلى التعاون والتنسيق مع العرب على المسارات الأخرى" [77].

عندما قوبل بإلحاح للتعبير بشكل صريح وواضح أن سورية لن توقع معاهدة مع إسرائيل قبل أن يفعل الفلسطينيون ذلك .. قال بشار : " ليست القضية أن نوقع أو لا نوقع .. يجب أن تتحرك المسارات في آن واحد .. ونحن لا نعرف فلربما يوقعون قبلنا .. لن نوقع على أي شيء ما لم نتأكد من أن ذلك يخدم المنطقة ويحقق سلاماً دائماً [78]..ولن يكون السلام دائما ما لم يرد جميع الحقوق العربية دونما استثناء أي كان" [79].

وبعد شهر في آذار 2001 في قمة الجامعة العربية في عمان عرّف بشار عملية السلام لسورية بتعابير مشابهة : لقد سعت سورية نحو سلام عادل وشامل يستند إلى مرجعية اتفاق مدريد بالانسحاب الكامل من الأراضي اللبنانية والسورية والفلسطينية إلى حدود 4 حزيران 1967 وإعادة القدس الشرقية وإنشاء دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس [80].

وقد كان إحجام بشار عن استئناف محادثات السلام ناشئا بالتأكيد عن انتخاب اريل شارون ليحل مكان ايهود باراك كرئيس لوزراء إسرائيل وتولية جورج بوش الابن رئيسا للولايات المتحدة. وقد أوضح شارون على مدى سنوات عديدة معارضته للانسحاب الكامل من مرتفعات الجولان مما جعل من عدم المرجح بالنسبة له كرئيس للوزراء أن يوافق على الدخول في مفوضات مع سورية تتضمن إعادة التأكيد على وديعة رابين. وفي الولايات المتحدة جاء الرئيس الجديد بوش ليزدري سعي من سبقوه الحثيث وراء عملية السلام العربية – الإسرائيلية وقدر بأنه لا يملك الافتتاحية المناسبة للانخراط الناجح في هذه العملية فقرر مبدئيا عدم الانخراط فيها والانتظار لوقت موات أكثر [81]. وحينما بدأت إدارة بوش

بالانخــراط الجدي في القضية الفلسطينية في عام 2002 من خلال البداية الرباعية للولايات المتحدة والأمم المتحدة والاتحاد الأوربي وروسيا جاء تعريف مقاربة إدارة بــوش للمســائل العربية – الإسرائيلية في خطاب الرئيس في 24 حزيران 2002 ورســم خارطــة الطريق المبدئية للشرق الأوسط – حيث أبقت الإدارة الأميركية سورية جانبا[82].

الدبلوماسية العامة:

مــع ازدياد شكوك بشار باحتمالات المدى القريب لتجديد المسار السوري تحول تركيزه من المفاوضات المأمولة إلى العلاقات الدبلوماسية العامة المعدة لتركيز مســؤولية الانتقاد الدولي لتدهور الوضع الإقليمي على إسرائيل. وقد وضعت لغة الرئيس السوري مزيدا من التأكيد المتعاظم على إسرائيل كعقبة رئيسية في وجه أية تسوية . وفي زيارته إلى القاهرة في تشرين الأول 2000 لم يؤكد بشار أنه لا مجال لمناقشــة إمكانية التزام إسرائيل باستئناف المفاوضات حيث قال : " في السلام لا توجد مسؤولية محددة عن الخطوة التالية .. ولكن إذا كنا سنفرض وجود مثل هذه المســؤولية في صنع قرار السلام فيجب أن نقول بأن موقف سورية بشان السلام واضح وأن إسرائيل لم تقرر بعد فيما إذا كانت تريد السلام أم لا "[83].

ولكــن في قمــة الجامعــة العربية في عمان اشتدت لهجة بشار حول موقف إســرائيل تجاه السلام: " لقد قتل الإسرائيليون رابين عندما خامرهم الشك في أنه ســوف يقدم شيئا من أجل السلام .. إن مجرد الشك جعلهم يقتلونه رغم أنه كان بطلا في تهشيم عظام الفلسطينيين خلال الانتفاضة الأولى. لا تريد إسرائيل الالتزام بأيــة مــبادئ يقرها المجتمع الدولي لتحقيق السلام .. وليس لدى إسرائيل الرغبة بالتوصل إلى سلام حقيقي. "

وقــد أصــبح القائد السوري أكثر صراحة في إدانته لمقاومة إسرائيل لتسوية تكــون مقبولة لدمشق : " لقد كنا منشغلين بتحليل الفرق بين اليمين واليسار في إســرائيل .. أما بالنسبة للعرب فلا يوجد يمين ولا يسار .. من يقتل ألف عربي في

إســــرائيل فهـــو يساري ومن يقتل خمسة آلاف عربي فهو يميني .. بالنسبة لنا نحن العرب جميع الإسرائيليين يمينيين"[84].

في بعـــض الأحيان (من أواخر 2000 والنصف الأول من 2001) تضمنت لغة بشار حول إسرائيل صيغا يمكن وصفها بأنها معادية للسامية .. ففي قمة منظمة المؤتمر الإسلامي في الدوحة في تشرين الثاني 2000 على سبيل المثال أشار بشار إلى محـــاولات إســـرائيل المســـتمرة لـــتهويد القدس من خلال هدم معالمها الإسلامية والمسيحية ومن خلال التأكيد أنها العاصمة الأبدية الموحدة لإسرائيل على الرغم من نصـــوص الـــتوراة عن ارض كنعان التي هي فلسطين. كان الكنعانيون قبيلة عربية بنـــت القـــدس قـــبل ميلاد المسيح بثلاثة آلاف سنة . لقد كان وجود اليهود في فلســـطين عـــبر التاريخ قصير الأمد بفواصل زمنية متباعدة كأقلية بين سكان بلاد الأصـــليين . ليس لتعجرف الإسرائيليين وممارساتهم أية صلة من أي نوع بأخلاق وآداب وتعالـــيم أي دين سماوي[85]. وبعد أربعة أشهر في قمة الجامعة العربية في عمان ناقش بشار انه يجب أن يتم سبر دقيق لواقع الرأي العام الإسرائيلي فإسرائيل مجتمع عنصري بل وأكثر عنصرية من النازية[86].

وصـــلت هـــذه اللغـــة إلى أوجهـــا في بداية أيار 2001 بعد الضربة الجوية الإســـرائيلية على محطة الرادار السوري في لبنان في الشهر السابق. وفي زيارة رسمية لـــه إلى اسـبانيا وفي عبارات الترحيب بالبابا يوحنا بولس الثاني إلى دمشق بعد بضـــعة أيام استخدم بشار الصيغة التقليدية عن اليهود على أنهم قتلة المسيح مؤكدا بقولـــه: " إخوتـــنا في فلسطين يُقتلون ويُعذبون والعدالة تنتهك وكنتيجة لذلك تم احـــتلال أراضينا في لبنان والجولان وفلسطين من قبل أولئك الذين قتلوا حتى مبدأ المســـاواة حينما ادّعوا أن الله قد خلق شعبا مميزا عن باقي الشعوب. نراهم يعتدون عـــلى الأماكن المقدسة والإسلامية والمسيحية في فلسطين وينتهكون حرم الأقصى وكنيســـة القـــيامة في القدس وكنيسة المهد في بيت لحم .. إنهم يحاولون قتل جميع مبادئ الأديان المقدسة بالعقلية نفسها التي خانوا بها عيسى المسيح وعذبوه بالطريقة نفسها التي حاولوا بها الغدر بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم[87].

استخدمت سورية مركزها في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الذي شغلته في كانون الثاني 2002 في ظل قيادة بشار لتعزيز حملتها الدبلوماسية العامة حول القضايا العربية – الإسرائيلية. وخلال شتاء وربيع 2002 ومع ازدياد شدة العنف الإسرائيلي – الفلسطيني أدرجت سورية على جدول الأعمال على نحو أسبوعي لمجلس الأمن مسودات قرارات انتقاد لإسرائيل. . وقد قاومت دمشق بشكل اعتيادي التسوية المذلة للغة التي تتيح تبني مجلس الأمن للقرارات المرتبطة بالشرق الأوسط ورفض الصيغ التي تحتوي إشارات مرجعية إلى الإعمال العسكرية الإسرائيلية بإشارات إلى هجمات الفلسطينيين على المدنين الإسرائيليين. لقد امتنعت سورية عن التصويت على سبيل المثال على قرار مجلس الأمن رقم 1397 في آذار 2002[88]. وقد تم تبني هذا القرار بدعم من الولايات المتحدة وكان يعني مصادقة مجلس الأمن لأول مرة على حل إقامة دولتين لحل الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني. مع أن القرار كان يدعو لإقامة دولة فلسطين إلا أن سورية اعترضت على البنود التي تنص على إنهاء جميع أعمال العنف.

لقد استخدم بشار أيضا وسائل الدبلوماسية العامة لتقويض الدعم الدولي لمبادرات السلام الدولية التي يعتبرها معادية للمصالح السورية . وعندما بدأت إدارة بوش جهودها لتنفيذ خارطة الطريق لحل إقامة الدولتين لحل الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني في حزيران 2003، حث بشار الخطا في جهوده التي تتوافق مع ألفباء والده لعدم المصادقة على مقاربة تتجاهل سورية بشكل فعلي . في بياناتهما الرسمية وفي الاحتجاجات الدبلوماسية مع المحاورين الأمريكيين والأوربيين والعرب، عبر المسؤولون السوريون بما فيهم بشار ووزير خارجيته الشرع عن تقديرهم بأن إدارة بوش ليست جادة في متابعتها لخارطة الطريق وان الجهود الدبلوماسية الحالية محكومة بالفشل[89]. ومع نهاية صيف 2003 كان تراجع إدارة بوش عن المتابعة الدبلوماسية الجدية للتقدم بخطة خارطة الطريق إثباتا لصحة الشكوك السورية بالنسبة للعديد من شعوب المنطقة . وفي عام 2004 انتقدت سورية بشكل مماثل مبادرة غزة أولا لرئيس الوزراء شارون وتأكيد الرئيس بوش على مسائل الوضع

النهائي التي طرحها شارون[90].

العودة إلى المفاوضات ؟..

منذ الحرب على العراق في ربيع 2003 تحولت لغة بشار حول استئناف محادثات السلام لتعكس رغبة متجددة بشكل واضح للدخول في المفاوضات. ليس من السهل أن نفرز ما هو حقيقي وملائم من الناحية التكتيكية في البيانات السورية حول استئناف المفاوضات مع إسرائيل . وهل يعدل بشار إصراره على أن تبدأ المحادثات من منطلق إعادة التأكيد الإسرائيلي الفعلي على وديعة رابين؟. هل سيدخل في المحادثات دون أسبقية تحرك على المسار الفلسطيني ؟. هل سيرضى بالتفكير في صفقة تنحرف عن الخطوط الحمراء التي وضعها والده لتسوية مقبولة ؟.

مر تأثير بيانات بشار حول هذه المسائل بشيء من التطور بعدما نظر إليه في دمشق على أنه الخاتمة السريعة غير المتوقعة للحملة العسكرية لخلع صدام حسين. وبعد عملية تحرير العراق مباشرة بدا بشار ومسؤولون سوريون آخرون بالإعلان من خلال وسائل الإعلام المختلفة عن استعداد سورية لعودة البدء بمحادثات السلام مع إسرائيل وقد أرسل الرئيس السوري رسالة مماثلة لرئيس الوزراء شارون من خلال المندوب الأميركي توم لانتوس وهو عضو كاليفورنيا الديمقراطي[91].

ورد شارون في أواخر نيسان انه مستعد لاستئناف المفاوضات ولكن على أن تتم المحادثات دون أية شروط – في إشارة واضحة لرفضه إعادة أي تأكيد على وديعة رابين[92].

وفي وقت لاحق من الربيع بدت المواقف السورية تتطور بشكل أكبر. فبعد أن اقترح وزير الدفاع دونالد رامسفيلد أن تغيير النظام القسري قد يكون مقاربة مناسبة للتعامل مع سورية، وبعد الزيارة العقيمة لوزير الخارجية باول إلى دمشق في بداية أيار أدلى بشار بمقابلة مع نيوزويك قال فيها إن أساس تجديد المفاوضات بين إسرائيل وسورية يجب أن يكون مؤتمر مدريد الذي انعقد في تشرين الأول 1991[93]. لقد كانت مبادئ مدريد بالطبع أساسا في الشروط المرجعية لأية مفاوضات سلام مقبولة

لسورية. ولكن وديعة رابين التي ربما يرغب الدبلوماسيون السوريون بالجدال حول أنها كانت بوضوح متضمنة في مبادئ مدريد، وفكرة الأرض مقابل السلام كانت أمرا منفصلا وتطوراً لاحقاً تاريخياً في سجل العلاقات الدبلوماسية الإسرائيلية – السورية. بتعريف مدريد على أنها الأساس المقبول لاستئناف المحادثات دون أية إشارة إلى وديعة رابين، كان بشار يشير بشكل قابل للجدل إلى تخفيف الشروط السورية لعودة البدء بالحوار الدبلوماسي. ولكن في أواخر صيف 2003 ومع اتضاح أن مبادرة إدارة بوش حول خارطة الطريق قد أرجئت وان القوات الأميركية عاجزة عن التقدم في العراق عادت دمشق إلى البيانات الصريحة حول الخط الراسخ.

مرت عبارات بشار حول المصلحة في العودة إلى طاولة المفاوضات بحلقة مماثلة بعد عدة أشهر. فبعد الضربة الجوية الإسرائيلية على مخيم تدريب الإرهابيين الفلسطينيين في سورية في تشرين الأول 2003 قال بشار في مقابلة له في أواخر تشرين الثاني مع صحيفة نيويورك تايمز إن على إدارة بوش أن تعيد إحياء المفاوضات بين إسرائيل وسورية منوها إلى انه كان قد تم إكمال الصفقة بنسبة 80% عندما انهارت المحادثات قبل بضعة أشهر من وفاة حافظ الأسد[94]. واظهر بشار مرة ثانية صيغة لغوية فسرها البعض على أنها اقتراح أنه لا يصر على إعادة التأكيد الصريح على وديعة رابين لاستئناف المحادثات. وفي مقابلته مع نيويورك تايمز قال بشار : " يقول البعض إن هنالك شروطا سورية . وجوابي على ذلك . لا فليس لدينا شروطا سورية" . ونوه الرئيس قائلا:" يجب أن يتم استئناف المفاوضات من النقطة التي توقفت عندها وهذا ببساطة لأننا أنجزنا قدرا عظيما في هذه المفاوضات" . و لم يقل صراحة بان الاستئناف من النقطة التي توقفت عندها المحادثات السابقة شرط لازم لعودة البدء بالحوار.

ربما كان بشار في إدلائه بهذه البيانات يعوّل على كون رئيس الوزراء شارون غير راغب في استئناف المحادثات مع سورية فكان يرد بطريقة تتيح لدمشق التخلص من مأزق كهذا. فإذا كان الأمر حقيقة كذلك، فقد كان رد شارون على تعبير بشار عن المصلحة في تجديد المحادثات بالطريقة التي توقعها تماما، فلم يكرر

شـــارون فقط إصراره على أن تبدأ محادثات السلام من اللاشيء دون أية شروط مســـبقة –وهــذا حسب ما أوردته جيروزالم بوست- بل إن شارون أخبر أعضاء وزارتـــه في أواخـــر كانون الأول بأن إسرائيل سوف تتفاوض مع سورية فقط في حـــال توقفت سورية عن إيواء الإرهابيين الفلسطينيين وإزالة وجود مقاتلي حزب الله عـــن الحـــدود الإســـرائيلية-اللبنانية وتجريد حزب الله من ترسانة الصواريخ المـــتزايدة[95]. وقد أدلى الناطق الرسمي باسم شارون وأعضاء وزارته ببيانات عامة مماثلة[96].

وربمـــا تكون حكومة شارون قد أعلنت بشكل شديد الأثر والتعبير في اليوم الأخـــير مـــن عـــام 2003 عن خططها لمضاعفة عدد المستوطنات الإسرائيلية في مـــرتفعات الجـــولان المحتلة على مدى السنوات الثلاثة القادمة[97]. وبدت الآمال بتجديد المحادثات ضعيلة جدا.

ولكـــن ســـرعان ما اتبعت إسرائيل ذلك باقتراح من جانبها . فبعد أيام من إعـــلان حكومـــة شارون عن خططها لإقامة المستوطنات في الجولان بادر الرئيس الإســـرائيلي موشيه كاتساف بشكل شخصي- على ما يبدو- بدعوة بشار بشكل علني للقدوم إلى القدس لإجراء المحادثات دون أية شروط مسبقة ولكن بحيث يكون بإمكـــان كلا الطرفين إثارة أي موضوع للنقاش[98]. رفض المسؤولون السوريون ووســـائل الإعلام التي تسيطر عليها الدولة عرض كاتساف واصفين إياه بأنه غير جـــدي . وسرعان ما عادت دمشق إلى البيانات الصريحة حول الشروط الراسخة للعـــودة إلى طاولـــة المفاوضات[99]. وفي منتصف كانون الثاني 2004 كان بشار نفســـه يقـــول للزوار بأن سورية مستعدة لاستئناف محادثات السلام ولكن يجب مـــتابعة المناقشـــات من النقطة التي توقفت عندها المفاوضات السابقة[100]. وقد فشلت كذلك الجهود التي بذلتها الحكومة التركية ممثلة برئيس وزرائها رجب طيب اردوغـــان في بدايـــة 2004 لإيجـــاد صـــيغة تعـــيد إسرائيل وسورية إلى طاولة المفاوضات[101].

طـيلة عـام 2004 اسـتمر بشـار في التأكيد على مصلحته في استئناف المفاوضـات ولكـن وفقا لشروطه هو . وفي تشرين الأول 2004 وافقت القيادة القطـرية على قرار يعيد التأكيد على أن السلام مع إسرائيل هو خيار استراتيجي لسـورية. وفي تشرين الثاني 2004 عقد بشار اجتماعا مع الرئيس المصري مبارك ومـبعوث الأمم المتحدة إلى الشرق الأوسط تيري رود لارسن[102]. وقد لخصت الـتقارير الإعلامية الصادرة عن تلك الاجتماعات المرونة اللغوية التي تخدم بشار. وقد ذُكر أن بشار كان راغباً في البدء بالمفاوضات دون شروط مسبقة ولكنه يصر على أن يتم استئناف المحادثات من النقطة التي توقفت عندها.

أدى هـذا كلـه إلى جدل مثير في أوساط الأمن القومي الإسرائيلية حول جديـة بشار والرغبة في قبول عرضه بتجديد المفاوضات. كان بعض اللاعبين الهـامين في هيئة الاستخبارات الإسرائيلية ومنهم مدير الاستخبارات العسكرية وأصحاب المناصب العليا في قوات الدفاع الإسرائيلية يجادلون بأن بشار جدي وأن عـلى إسرائيل أن تجد سبيلا لاستئناف المسار السوري[103]. ولكن كان هـنالك آخرون ومنهم مسؤولون مرموقون مقربين من رئيس الوزراء شارون ويبدو أن منهم شارون نفسه لم يكونوا يعتقدون أن بشار قادر – بصفته رئيسا جديـدا نسبيا لنظام الأقلية العلوية – أو راغب بالتفاوض بشكل جدي. وقد تسـاءل بعـض هؤلاء الإسرائيليين حول ما إذا كان المحنك حافظ الأسد في مفاوضات السلام خلال التسعينيات كان أمرا جديا من الناحية الاستراتيجية، أم انه كان مجرد تمثيلية تكتيكية. إذ يعارض هؤلاء المسؤولون في المعسكر الثاني في حالات عديدة دفع الثمن الذي يتوجب على إسرائيل افتراضا أن تدفعه من أجـل الوصول إلى صفقة مع سورية. وحتى الآن على الأقل لم تؤدِ تعابير بشار عـن المصلحة في استئناف مفاوضات السلام إلى أي شيء ذي معنى من منطلق الردود الإسرائيلية.

يـبدو من المشكوك فيه أن بشار في النهاية سوف يرغب في تخفيف إصراره حـول إعـادة التأكيد على وديعة رابين كأساس لتجديد محادثات السلام. هنالك

مقـــترحات ظاهرية بأن سورية قد تخفف من موقفها بشان هذا الموضوع في حال وجـــود ما تعتبره دمشق ضغوطا خارجية قصوى على النظام بسبب العراق وقضايا الإرهاب،فيما ستتم العودة إلى الموقف الموروث دونما استثناء حالما تكون الضغوط في حدودها الدنيا.

عـــلى أيـــة حال. ربما يكون بشار ميالا لاستئناف المفاوضات وفقا لشروط مقـــبولة حتى دون حدوث تحسن ملحوظ في ظروف الجبهة الفلسطينية. بالنظر إلى الأهمية المركزية لتحقيق تسوية مقبولة مع إسرائيل لإنجاز الأهداف الاستراتيجية التي حددهـــا حـــافظ الأب، يبدو من المحتمل أن تراجع بشار عن السعي للتوصل إلى اتفاق ثنائي كان انحرافا موقتا، ودالا على انخفاض أرجحية أن تكون حكومة باراك وإدارة كلينـــتون مســـتعدتين للدفع نحو صفقة مع سورية في الأشهر الأخيرة من توليـــيهما الحكـــم، وردة الفعـــل الشعبية في الشارع العربي حول اندلاع انتفاضة الأقصى[104]. وفي الوقت ذاته يوحي الهيكل والترتيب السياسي في إسرائيل انه من غـــير المحتمل لجميع الأطراف حاليا دراسة هذا المقترح في المستقبل المنظور. وطالما تصـــر دمشق على شروطها لاستئناف محادثات السلام فلن يكون هنالك أي معنى للعـــودة إلى الانخراط في المسار السوري حتى تتبدل التيارات السياسية في إسرائيل، وربما في الولايات المتحدة أيضا.

مـــن الأدلـــة المـــتوافرة يبدو من المرجح جداً أن يبقى بشار مقيدا بالحقائق والوقـــائع والظروف التي عرّفها وحددها والده فيما يتعلق بشروط اتفاقية السلام المقـــبولة. فلـــيس هنالك أي شيء في لغة بشار أو سلوكه منذ نهاية حرب العراق يوحي بأنه مستعد للتسوية بأقل مما يمكن وصفه بشكل مقبول ظاهريا بالانسحاب الإســـرائيلي الكـــامل من مرتفعات الجولان. بل على العكس تماما، لقد عبّر بشار طـــيلة فـــترة رئاســـته وبشكل متكرر عن التزامه وولائه لهذه الحقائق والظروف. وســـوف يمثل التخلي عنها في هذا الظرف بالذات تغيرا هاما في السياسة الخارجية لسورية.

إدارة التوازن الإقليمي:

مـــع تعليق المسار السوري، تشير ألفباء حافظ الأسد أن على بشار الاهتمام بالجانـــب الدبلوماســـي للمحافظة على دعم وتأييد الدول العربية المعتدلة لموقف ســـورية في عملـــية السلام. وفي الوقت ذاته يمكن لبشار أن يلعب بورقتي العراق وإيـــران كإشارة إلى الولايات المتحدة وإسرائيل عن الثمن المقابل لتجاهل حاجات ســـورية الدبلوماسية. ولقد عمل من غير ريب بكد ومواظبة للمحافظة على الدعم الدولي والإقليمي لموقف سورية بشان التفاوض مع إسرائيل. ولكن قرار إدارة بوش الإطاحـــة بصدام حسين من خلال غزو العراق أدى إلى تحجيم حدي لخيار دول الشر الذي يتبناه نظام الأسد. وكان الاضطراب السياسي العظيم الذي تلا اغتيال الحريري قد عقّد أيضا علاقات سورية مع الدول العربية المعتدلة.

حماية موقف سورية من عملية السلام:

مـــع تراجع احتمالات وإمكانيات العودة إلى المسار السوري في السنة الأولى مـــن رئاسته، عمل بشار من منطلق الوفاء على ما نصه والده من منع تبديد الدعم الدولي والإقليمي للعناصر الجوهرية لموقف سورية ومكانتها في عملية السلام. وقد استقطب جل اهتمام بشار أكثر دولتين عربيتين وهما مصر والسعودية.

كانـــت الـــرحلات الثلاثة الأولى لبشار كرئيس في تشرين الأول 2000 إلى مصـــر والســـعودية والأردن. وكانت هذه الرحلات الثلاث بهدف التحضير لقمة الجامعة العربية الاستثنائية في القاهرة في وقت لاحق من ذلك الشهر.

وعلى نحو مماثل استضاف بشار مبارك رئيس مصر وعبد الله ملك الأردن معا في دمشـــق في آذار 2001 للتحضير لقمة الجامعة العربية في عمان في وقت لاحق مـــن ذلك الشهر. وهو اجتماع لاستئناف القمم العادية التي كانت قد عُلقت منذ حـــرب الخليج. وفي كلتا الحالتين كان بشار قادرا على المحافظة على دعم صريح لموقـــف سورية في عملية السلام من خلال البيانات الرسمية التي صدرت عن هذه الاجتماعات.



الرئيس السوري بشار الأسد مع الرئيس المصري حسني مبارك في شرم الشيخ

وبأسلوب مماثل جذبت سورية الدول الهامة قبل انعقاد قمة الجامعة العربية في بيروت في آذار 2002 التي تبنت مبادرة السلام التي قدمها ولي العهد السعودي عبدالله في شباط 2002 [105].

وتضمنت البيانات الرسمية التي صدرت عن قمة بيروت كبند أول في قائمة المطالب العربية من إسرائيل الانسحاب الإسرائيلي الكامل من جميع الأراضي المحتلة منذ عام 1967 بما فيها مرتفعات الجولان السورية إلى حدود 4 حزيران 1967 بالإضافة إلى ما تبقى من أراضٍ لبنانية محتلة في جنوب لبنان. لقد أكد هذا المطلب على صحة المطالب الرئيسة لسورية وموقفها فيما يخص مزارع شبعا. وإضافة إلى ذلك عمل بشار ووزير خارجيته الشرع على التأكيد بأن إشارة ولي العهد عبدالله إلى التطبيع مع إسرائيل قد تم تعديلها في بيان القمة الرسمي فأصبحت: علاقات طبيعية في سياق سلام شامل [106]. لقد عكس هذا التغير بوضوح قبول حافظ الأسد الراحل لعلاقات طبيعية بشكل رسمي مع إسرائيل كجزء من تسوية سلمية بالإضافة إلى مقاومته لأي التزام بوجود أي تفاعل زمن السلم ما بين إسرائيل

وســــورية. إن نجاح بشار في تحقيق الحد الأدنى من موقفه يدل على شيء ما حول مسار تعلمه كقائد وطني.

لقــــد سعى بشار في البداية للحيلولة دون مصادقة الجامعة العربية على المبادرة وفرض ضغوطا جبارة على الرئيس اللبناني لحود ليضع عقبات هائلة بما في ذلك منع مندوب فلسطين من تقديم خطاب القائد الفلسطيني عرفات في القمة. ولكن الوفد الســـعودي برئاســـة عبدالله أوضح انه سيتدخل بشكل حازم لضمان دعم القمة لمــبادرة السلام السعودية. وفي النهاية وافق بشار على حتمية إقرار المبادرة ولكنه عمل للتأكد من احترام الخطوط الحمراء السورية[107].

وفي تمـــوز 2003 بعد اجتماع بشار ومبارك في شرم الشيخ اصدر القائدان بـــياناً رسمياً يدعوان فيه اللجنة الرباعية لدفع عملية السلام على المسارين السوري واللبـــناني وما بين إسرائيل والفلسطينيين[108]. ولقد شجعت دمشق أيضا جهود المــبعوث الخـــاص للاتحـــاد الأوربي إلى الشـــرق الأوسط في ذلك الوقت ميغل موراتينوس لتأييد خارطة طريق متممة للمسار السوري في سياق الرباعية[109].

لقـــد نجح بشار بشكل كبير في المحافظة على الدعم الدولي والإقليمي للعناصر الأساســـية لموقفه في عملية السلام. ولكن ما نجم عن اغتيال الحريري أدى إلى توتر علاقاتـــه مع الدول العربية المعتدلة الهامة وأبرزها المملكة العربية السعودية.إذ يتكل بشـــار عـــلى إخوته في الجامعة العربية لاستباق أي عمل من جانب مجلس الأمن لفـــرض تنفيذ القرار 1559. ولكن بهدف التمتع بمكانة دبلوماسية مقبولة طلبت الـــدول العربية المعتدلة من بشار تعديل السبل التي تحمي بها مصالحها في لبنان تحت عنوان تنفيذ اتفاق الطائف.

العراق وإيران:

واجـــه بشـــار صعوبة في اللعب بورقتي العراق وإيران ضد الولايات المتحدة وإســـرائيل. وفي الواقـــع جاءت الحرب على الإرهاب بعد الحادي عشر من أيلول لتحـــيي ما كان مهجورا من فقرات ألفباء حافظ الأب حول علاقات سورية مع

العـــراق وإيران. ولقد بحثنا توسيع بشار للروابط الاقتصادية السورية مع العراق في الفصل الثالث، أما معالجته للدبلوماسية السورية قبل وخلال وبعد الحملة العسكرية الأمركـــية للإطاحـــة بصـــدام حسين فسوف نبحث فيها في وقت لاحق من هذا الفصـــل. من الهام أن ننوه هنا انه في سياق الحرب العراقية في عام 2003 كانت العزيمة الواضحة بشكل متزايد لإدارة بوش على خلع صدام بالقوة قد أثرت بدرجة كبيرة على المحيط الاستراتيجي لسورية. كان جزءا من هذا التأثير على الأقل هو ما تضمنته الإطاحة المحتملة بصدام من تأثير على علاقات سورية بإيران.

خـــلال السنة والنصف الأولى من رئاسة بشار كانت سورية وإيران قادرتين عـــلى المحافظة على مستويات هامة من التعاون الاستراتيجي وخصوصا فيما يتعلق بحـــزب الله وجنوب لبنان. وعندما مرّ على ولايته أربعة أشهر فقط أي في تشرين الأول 2000 اســـتقبل بشـــار وزيـــر الخارجية الإيراني في دمشق لمناقشة الوضع الإقلـــيمي على ضوء اندلاع الانتفاضة الجديدة. وكان القرار المبدئي لقيادة حزب الله بمواصلة بعض الحملات شبه العسكرية ضد إسرائيل بعد الانسحاب الإسرائيلي من لبنان مدعوما من دمشق وقد أقرته طهران بشكل واضح أيضا. وقد سافر بشار نفســـه إلى طهـــران في كـــانون الثاني 2001 لمقابلة الرئيس محمد خاتمي والزعيم الـــروحي عـــلي خامنئي، وبعد شهرين جاء وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي لزيارة دمشق. وبعد نيسان 2001 ساندت طهران إلى حد كبير جهود بشار لتدبر مخاطر الرد الإسرائيلي على استفزازات حزب الله المتواصلة.

ولكـــن العلاقـــات السورية مع إيران مرت بفترة توتر بشان موقف البلدين المتوقع تجاه الحملة العسكرية الأميركية للإطاحة بصدام حسين. وفي أعقاب هجمات الحادي عشر من أيلول 2001 دعمت إيران الحملة العسكرية الأميركية لتدمير نظام طالـــبان حيث كانت إيران تعاني من مظالم قديمة من أفراد طالبان الذين يحكمون أفغانســـتان. وتعاونت طهران أيضا مع الولايات المتحدة لدعم إقامة سلطة أفغانية مؤقـــتة بعـــد طالبان في مؤتمر بون في كانون الأول 2001. وحينما حولت إدارة بوش اهتمامها من أفغانستان إلى العراق للإطاحة بنظام صدام أظهرت إيران موقفا

مؤيدا بشكل مماثل تجاه التخلص من عدوها الموجود غرباً وطمحت للعب دور في إقامة نظام سياسي بعد صدام في العراق. وعلى الرغم من أن إدارة بوش في النهاية لم تحافظ على التعاون أو التنسيق التكتيكي مع إيران فيما يخص العراق إلا أن منظور طهران لتغيير النظام هناك جعلها على خلاف مع دمشق[110]. مع خلع صدام واختلاف المصالح الإيرانية والسورية فيما يتعلق بالجهود الأميركية لفرض تغيير النظام في العراق فقد بشار وقايةً هامة في موقفه الدبلوماسي.

بالنظر قُدُما ربما تتمكن إيران وسورية نظريا من استعادة شكل ما للتعاون الاستراتيجي بينهما. وفيما يتعلق بتطورات ما بعد صدام في العراق تشترك كلتا الدولتين بالمصلحة في منع تقسيم العراق وفقا للخطوط الطائفية حيث أن سابقة من هذا النوع من شانها أن يماثلها ذلك بالنسبة للأكراد في سورية وإيران.فقد نشطت كلتا الدولتين في اجتماعات الدول الجوار وهي منتدى دبلوماسي غير رسمي للدول التي تحد العراق وهي تركيا والسعودية والكويت بالإضافة إلى سورية وإيران لمناقشة التطورات في عراق ما بعد صدام في عام 2003 و2004 وشاركت كلتا الدولتين في المؤتمر متعدد الأطراف لإدارة بوش حول مستقبل العراق في شرم الشيخ في تشرين الثاني 2004[111]. ولكن لم تؤتِ هذه الجهود أُكلها حتى الآن. وعلاوة على ذلك ومع ازدياد سوء علاقات إيران مع إدارة بوش بقي المسؤولون والدبلوماسيون الإيرانيون في حالة شك حول نوايا بشار النهائية في التراصف الاستراتيجي تجاه الولايات المتحدة الذي من شانه أن يعرّض الموقف الاستراتيجي للجمهورية الإسلامية للخطر الكبير[112]. يبقى أن نرى فيما إذا كانت جهود إدارة بوش في بداية 2005 لأحكام الضغط الدولي على إيران بشان نشاطاتها النووية وعلى سورية بشان وجودها في لبنان ستؤدي إلى تعاون استراتيجي أوثق بين طهران ودمشق.

العلاقات مع واشنطن:

إن الخسارة المتتابعة للغطاء الواقي الذي أوجده حافظ الأسد خلال العقد الأخير من رئاسته إلى جانب غياب المفاوضات الإسرائيلية-السورية يعني أن على

بشار أن يتدبر أمر علاقات سورية مع الولايات المتحدة بحيازة لما هو اقل بكثير مما كـــان يحظى به والده. فمنذ أن أصبح رئيسا عبّر بشار عن اهتمامه بعلاقات أفضل مـــع الولايـــات المـــتحدة. وهـــذا الاهتمام يتوافق مع ما خطه والده حافظ ومع التقييمات الواقعية لحاجات سورية الاستراتيجية . بالإضافة إلى المنافع الاستراتيجية مـــن التراصف الناجح تجاه واشنطن، يرى بشار أن تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة أمرٌ حاسم وهام جدا لطموحاته طويلة المدى من اجل الإصلاح الداخلي.

ولكـــن مـــع تبدد مصادر القوة الدبلوماسية لم يكن بشار قادرا على تحقيق روابـــط وثيقة مع واشنطن ولا حدوث التدهور الحقيقي في العلاقات الثنائية. يمثل هذا التدهور أهم فشل في حسن التدبير الدبلوماسي عند بشار حتى الآن، ويكشف عـــن أهم تحدٍ يواجهه في مجال السياسة الخارجية للمستقبل.. يتطلب هذا التدهور والـــتحدي الذي نشا عنه مزيدا من التدقيق في الأزمات الإقليمية المرتبطة بالعراق والحـــرب عـــلى الإرهـــاب بعد الحادي عشر من أيلول وآخرها توتر العلاقات الأميركية-السورية حول لبنان.

أزمة العراق:

أصبحت علاقات بشار مع إدارة بوش حول العراق علاقة شائكة قبل أن تبدأ الولايـــات المتحدة بالتحضير لعملية تحرير العراق. وخلال السنة والربع الأولى من رئاســـته تشـــابك تعهد بشار بإيجاد روابط اقتصادية وثيقة مع العراق مع المطلب المبدئي لإدارة بوش في الأشهر التسعة الأولى من توليه الحكم بإعادة سن العقوبات الدولـــية عـــلى نظـــام صدام. ومع توسع العلاقات الاقتصادية السورية —العراقية سرعان ما ظهرت دمشق على أنها المنتهك الأسوأ لعقوبات الأمم المتحدة المفروضة على العراق من حيث النوعية والكمية وربما كان أكثر ما في هذا الأمر إشكالية من المـــنظور الأميركـــي هـــو تـــورط سورية في نقل المعدات العسكرية والمواد ثنائية الاســـتخدام إلى العـــراق عـــن طريق الشحن البري[113]. وأصبحت الانتهاكات السورية لنظام العقوبات محل نزاع دبلوماسي مع الولايات المتحدة في شباط 2001 أثناء الزيارة الأولى لوزير الخارجية باول إلى دمشق. ففي اجتماعه مع بشار، حث

باول الرئيس السوري على وضع خط الأنابيب العراقي-السوري الرئيس تحت إشراف برنامج النفط مقابل الغذاء الذي تشرف عليه الأمم المتحدة. **كان باول يعتقد بأنه قد تلقى شيئا من قبيل الالتزام من بشار ولكن أعضاء السلك الدبلوماسي الأميركيون الذين حضروا الاجتماع يقولون بأن القائد السوري تعهد فقط بوضع خط الأنابيب العراقي-السوري الذي ما يزال في مراحل التخطيط تحت إشراف برنامج النفط مقابل الغذاء. وقد حاول السفير الأميركي في سورية آنذاك أن يلتقي مع باول بعد الاجتماع لاستباق حدوث سوء تفاهم ولكنه لم يتمكن من ذلك قبل مغادرة باول دمشق**[114]. وقد أوجز وزير الخارجية على متن الطائرة للمراسلين عن التقدم الواضح الذي أحرزه مع بشار. وعندما علم باول لاحقا بان بشار لن يضع أنبوب النفط العراقي-السوري الرئيسي تحت إشراف الأمم المتحدة فسّر هذا الحدث العارض بقوله إن الرئيس السوري قد كذب عليه[115].

وفي اجتماع شباط 2001 بين بشار وباول كانت انتهاكات سورية للعقوبات الموضوع الاستفزازي للإدارة بوش. وبعد أن تخلت الإدارة الأميركية عن حملتها لابتكار عقوبات ذكية على العراق في صيف 2001 وبعد هجمات الحادي عشر من أيلول . بدأت الإدارة بالتخطيط للإطاحة بصدام وكانت هذه العملية تتضمن التفكير بالقيام بعمل انتقامي ضد سورية. تم اقتراح فكرة الاعتراض أو تدمير الشحنات التي تنتهك نظام العقوبات واستهداف خط الأنابيب العراقي-السوري الرئيسي بهجوم القوات الخاصة عليه أو الضربات الجوية لقطع تدفق النفط. ولكن في النهاية لاقت هذه الخطوات الحد الأدنى من التبرير القانوني والقليل من احتمال التأييد الدولي لها. وعلاوة على ذلك أن ضرب خط الأنابيب قد يقطع تدفق النفط العراقي إلى الأردن وتركيا مما سيكون له نتائج اقتصادية وخيمة على هاتين الدولتين العضوين في ائتلاف الإدارة الأميركية ضد صدام. وهكذا لم يتم اتخاذ أي قرار لمعاقبة سورية على انتهاكها للعقوبات.

إضافة إلى هذه الاعتبارات كان هنالك شعور لدى وزارة الخارجية والمستويات العليا في مجلس الأمن القومي طيلة عام 2002 أن ردة الفعل الأميركية

عـــلى النشاطات السورية في انتهاك عقوبات الأمم المتحدة المفروضة على العراق يجـــب أن يتـــبعها سعي أوسع لتغيير النظام في العراق. **وقد اختلف المسؤولون في الإدارة الأميركـــية بشـــكل مـــتوقع حول اجتذاب سورية للمشاركة في الحملة العســـكرية. ذكر مسؤولو وزارة الخارجية فوائد المشاركة السورية في ائتلاف حـــرب الخلـــيج وناقشوا فكرة أن بإمكان سورية أن تؤمن تغطية سياسية هامة بالإضـــافة إلى الدعـــم الســـري للعمليات العسكرية الأميركية في العراق. أما المســـؤولون المدنـــيون في مكتـــب وزير الدفاع فقد عارضوا بشدة المشاركة الســـورية قـــائلين بأنها أمر غير لازم وان مشاركتها قد تخلق إحساسا بالمديونية لدمشـــق ممـــا يمكن أن يعيق الرد الأميركي المناسب على دعم سورية المتواصل للجماعات الإرهابية.**

وفي الختام لم تتخذ الإدارة الأميركـــية أي قرار بشان هذه المسالة واختار البيت الأبـــيض إرجـــاء أهـــم المواضيع الجوهرية المتعلقة بسورية إلى ما بعد الحرب على العـــراق. ولغايـــة البدء بالحرب استمرت الإدارة الأميركية بمطالبة سورية بالإذعان لـــنظام عقوبـــات الأمم المتحدة دون أي مؤشر على النتائج السلبية التي قد تحيق بسورية في حال رفضت التعاون أو أي مؤشر على النتائج الايجابية التي ستحظى بها في حال قدمت الدعم لتحقيق الأهداف الأميركية[116].

مـــع عـــدم طرح عروض ارتباطات أميركية تعوض عن منافع شراكة سورية اقتصاديا مع العراق. ومع ازدياد التوتر بين دمشق وواشنطن حول الإرهاب، سلك بشـــار الاتجاه المعاكس لوالده فيما يتعلق بالدعم السوري لعمل عسكري أميركي ضـــد العراق . فقد قرر الرئيس السوري بشكل واضح في مرحلة الإعداد السريع لـــلحرب أنـــه ســـيفعل كل ما بوسعه للقضاء على فرصأميركا في النجاح وذلك بالمســـلك الدبلوماسي، وفي حال تأزمت الأمور بالوسائل العسكرية غير المباشرة. بـــدا بتقديره أن هذه المقاربة هي السبيل الوحيد الذي يتمكن من خلاله اتقاء رد ارتجاعي أميركي حدي ضد سورية.

كـــان جـــدال بشـــار على الجبهة الدبلوماسية خلال عام 2002 أن التغيير

القسري للنظام في العراق سوف ينجم عنه موت الملايين من العراقيين ودب الفوضى في أنحاء العراق والبلدان المحيطة به[117]. ومن خلال مقعدها في مجلس الأمن دافعت سورية عن مصالح بغداد طيلة اغلب عام 2002[118]. وحتى في تشرين الثاني حينما قررت سورية الانضمام إلى التصويت بالإجماع لصالح قرار مجلس الأمن رقم 1441 الذي يوجه إنذارا إلى العراق في حال استمر برفض الإذعان للقرارات السابقة اعتُبر هذا شكلاً من أشكال المعارضة للطموحات العسكرية الأميركية. ودافع بشار عن الدعم السوري للقرار 1441 قائلا إنه محاولة لإيجاد طريقة سلمية للتعامل مع الأزمة العراقية من خلال عودة المفتشين إلى العراق. وقال الرئيس السوري إن إدارة بوش هي غير الراضية عن عملية التفتيش وأنها تندفع نحو الحرب.

وفي أعقاب النجاح العسكري الذي أحرزته عملية تحرير العراق، ذكر المعلقون في الولايات المتحدة وإسرائيل معارضة بشار للحملة العسكرية الأميركية في العراق قائلين أن هذا إنما يؤكد شكوكهم حول التوجه الاستراتيجي للقائد السوري وعدم سداد رأيه وافتقاره لدقة المحاكمة العقلية[119]. لقد بدا بشكل مؤكد أحيانا في ربيع 2003 أن بشار قد اخطأ تقديره وحساباته بطريقة يمكن أن تكون فاجعة على نظامه . ولكن في النهاية تمكن بشار من النجاة من العواقب المحتملة المباشرة لسوء تقديره . فمن بعض الجوانب جاءت الصعوبات التي واجهت الولايات المتحدة في محاولتها لفرض الاستقرار في العراق بعد الحرب لتثبت ربما ما خامر بشار في البداية حول نتائج العمل العسكري الأميركي هناك . وعلاوة على ذلك، بالنظر إلى عدم المقبولية المطلقة من المنظور السوري لسابقة التدخل العسكري الأميركي السهل نسبيا في العراق – للإطاحة القسرية بنظام علماني عربي تهيمن عليه أقلية طائفية وعرقية لرفضه الإذعان لأهداف السياسة الأميركية – كان أمام بشار خيارات قليلة إلا معارضة إدارة بوش .

يبدو أن قرار بشار لمعارضة العمل العسكري الأميركي كان متأصلا في تقديره أن العراق سوف يصبح ورطة حقيقية بالنسبة للولايات المتحدة . أي فيتنام

شــرق أوسطي . وكان من الملائم أيضا بالنسبة لبشار أن يتيح لشخصيات النظام ذات الشــأن وعائلاتهم فرصة جني الأرباح من خلال استغلال الأزمات من خلال مواصلة نشاطاتهم المحظورة عبر الحدود .

ومن هذا المنظور ومع اقتراب الحرب في أواخر 2002 كان من المفهوم اتخاذ أعمال يُقصد منها زيادة احتمال المأزق العسكري في العراق ولا يقل هذا شانا عن التقلـيل مــن فـرص أي عمل عسكري أميركي ضد سورية على المدى القريب والمتوســط . وتمشيا مع هذا المنطق استمرت الشحنات السورية التي تحمل معدات عســكرية ومواد ثنائية الاستخدام إلى العراق حتى بداية الحرب. وإضافة إلى ذلك، حيــنما أصبحت الحرب وشيكة الحدوث في بداية 2003 وحتى خلال الأسبوع الأول مــن القــتال في آذار، اتخــذت الحكومة السورية خطوات بهدف تسهيل تحركات من عُرفوا لاحقا بالمقاتلين الأجانب إلى داخل العراق [120]. على أية حال لا يوجــد دلــيل يؤيد الادعاءات القائلة بأن سورية قد حفظت في حوزتها مخزون أسلحة الدمار الشامل العراقية خلال فترة الاستعداد للحرب.

على مدى الأسابيع القليلة التي مرت من آذار ونيسان 2003 بدا أن معارضة بشــار لعملية تحرير العراق كان خطأ كبيرا في تقديره للأمور . وحيث بدا واضحا أن قــوات الائتلاف سوف تنجز أهدافها العسكرية بسرعة توقفت سورية بشكل واضح عن تسهيل تحركات المقاتلين الأجانب عبر الحدود السورية – العراقية [121]. لقد ذُهلت دمشق بالنتيجة السريعة غير المتوقعة لحملة الائتلاف العسكرية . ففي 7 نيســان كانت شاشات التلفزة في جميع أنحاء العالم تبث صور تحطيم تمثال ضخم لصــدام في بغــداد . بينما كان التلفزيون السوري يبث فيلما وثائقيا عن المواقع الأثــرية في ســورية .. لقد ازداد القلق داخل النظام بالتأكيد مع تصريحات الوزير رامســفيلد في آذار حيــث قال بان سورية قد تكون الهدف التالي لحملة تقودها الولايات المتحدة لتغيير النظام بشكل قسري [122].

ولكــن مع منتصف نيسان أصبح واضحا أن الولايات المتحدة مشغولة جدا بالوضــع بعد الحرب في العراق وانه من المستبعد أن تباشر مغامرة عسكرية جديدة

في المنطقة في أي وقت قريب. وتناقضت تعليقات رامسفيلد مع بيانات وزير الخارجية باول الذي أشار إلى انه ليس لدى الإدارة الأميركية أية خطط لعمل عسكري ضد سورية[123]. وقد أكد الرئيس بوش هذا الموقف بنفسه[124]. لقد تمكنت سورية حتى الآن على الأقل من التملص والمراوغة . **لقد ثبت انه يمكن الدفاع بالحجة القوية عن إحساس بشار بان العراق سيكون ورطة عويصة بالنسبة للولايات المتحدة حيث كان هذا الحدس أساسا لاتخاذه القرارات على ضوء سير الأحداث على ارض الواقع منذ سقوط نظام صدام. وقد تأيدت تنبؤات بشار حول أن الحرب ستؤدي إلى مقتل ملايين العراقيين واتضح انه كان في غاية الصواب وسداد الرأي حينما حذر من أن الولايات المتحدة نفسها لا تعرف كيف ستنتهي الحرب في العراق، وبأن هذا العمل العسكري سوف يُقحم العراق والمنطقة في عالم مجهول . وقد تحقق كل ما قاله إذا استعدنا الأحداث الماضية وتأملنا فيها**[125].

بعد الإطاحة بصدام واجهت واشنطن ودمشق مسألة فيما إذا كان بإمكانهما التوصل إلى تفاهم نفعي مشترك حول نهج مستقبل العراق وكيفية إقامة أساس جيوسياسي أكثر استقرار في المنطقة. كانت الولايات المتحدة تواجه تحديات جدية بشكل متزايد في مسالة فرض الاستقرار بعد مرحلة الصراع. كان لنظام بشار مصالح هامة في إحراز المكاسب من نشوء عراق ما بعد صدام وهي مصالح متأصلة في الأهداف الاستراتيجية القديمة لحافظ الأسد من خلال تجنب تهميش سورية في المنطقة والمحافظة على العراق كمصدر للفائدة الاقتصادية.

من اجل حماية هذه المصالح حاول بشار البحث عن سبل يؤثر من خلالها بهيكل العراق ما بعد الحرب. نوهنا سابقا أن سورية كانت مشاركا متلهفا في عدة اجتماعات لوزراء خارجية الدول المجاورة للعراق وقد استضافت إحدى هذه الاجتماعات[126]. ولكن بدون إقرار أميركي لمنتدى دبلوماسي إقليمي لمناقشة القضايا المرتبطة بالعراق يكون من غير المحتمل نهائيا أن تتمكن هذه البلدان من إنشاء آلية فعالة لتعزيز المصالح العامة في بيئة ما بعد صدام. ودعت إدارة بوش في

النهاية إلى عقد مؤتمر متعدد الأطراف حول مستقبل العراق في تشرين الثاني 2004 أي بعـــد عام ونصف من انتهاء الحملة العسكرية ولكن يبدو أن هذا الاجتماع لم يشكل أي حافز تجاه مزيد من التعاون بينأميركا وسورية.

لقد بذلت الولايات المتحدة جهودا محدودة لتشجيع التعاون الثنائي مع سورية بشـــأن العراق وكان التركيز في حدود ضيقة على مسائل تكتيكية كضبط الحدود العراقية – السورية وإعادة الممتلكات العراقية الرسمية من سورية. وفي غياب الإطار الاســـتراتيجي الأساســـي للتعاون ثبت أنه من الصعب أن يكون هناك أي ارتباط تكتيكي حول القضايا المفردة.

بـــذل القادة الأمريكيون المحليون جهودا جديرة بالاهتمام لربط سورية بقضية الحـــدود؛ فخـــلال صيف وخريف 2003 جادل القادة العسكريون الأمريكيون الميدانـــيون حول هذا الموضوع وفقا لادعاءات المسؤولين المدنيين في مكتب وزير الدفـــاع أن سورية ما زالت مستمرة في مساعدة المقاتلين الأجانب على العبور إلى داخـــل العراق[127]. وكان احد القادة الأمريكيين وهو الجنرال دافيد بيتراوس من الفـــرقة الجويـــة 101 وهو المسؤول عن جزء كبير من شمالي العراق قد وجد حلا بالتوصـــل إلى إجـــراءات شخصـــية مع السلطات السورية . بحيث يكون بمقابل الســـماح لـــرجال الأعمـــال السوريين بإعادة إقامة الصلات التجارية مع العراق يتوجـــب عـــلى المسؤولين السوريين المحليين تنسيق جهود ضبط الحدود مع ضباط الفـــرقة الجوية 101 وتزويد قطاع الفرقة في شمالي العراق بالكهرباء[128]. وقد نوه مســـؤولون أمريكيون علنا في خريف 2003 أن سورية كانت تقدم المزيد لضبط حدودها مع العراق[129].

كـــان عمـــر الـــتقدم في الـــتعاون الأميركي – السوري حول مسالة الأمن الحـــدودي قصيرا. ولقد عارض مكتب وزير الدفاع هذا التعاون طيلة عام 2003 حيـــث كـــان يصدر احكاماً[130] ضد اقتراحات الارتباط مع السوريين في حملة تنســـيقية لضـــبط المرور عبر الحدود العراقية – السورية. ومع حلول ربيع 2004 وتدهـــور الوضـــع الأمني في العراق وازدياد عدد الإصابات بين الأمريكيين اعتبر

المســـؤولون في واشـــنطن سورية على أنها مصدر قوات ائتلاف المقاتلين الأجانب وطالبوا الحكومة السورية بفعل المزيد للحيلولة دون ذلك[131].

وعـــادت احـــتمالات استعادة بعض إجراءات التعاون الأمريكي- السوري بشان قضية الحدود عند زيارة رئيس الوزراء العراقي المؤقت إياد علاوي إلى دمشق في تمـــوز 2004 . عاد علاوي من زيارته وهو مقتنع بأنه يمكن أن ينجز شيئا من الجهـــود الجدية لإعادة دور بشار في قضية الأمن الحدودي[132]. لقد كان علاوي في الواقـــع – وفقا لما ذكره مسؤولون أمريكيون – أكثر تفاؤلا بشكل نسبي حول إمكانية إعادة العلاقات التعاونية مع سورية مما كان عليه بشان إيران.

كـــان من الصعب على المتشددين في واشنطن مقاومة حث الرحل الأميركي المخـــتطف في بغـــداد فاتبعت إدارة بوش زيارة علاوي إلى دمشق برحلتين على مستوى رفيع إلى سورية. كان في الرحلة الأولى مساعد وزير الخارجية ويليام بيرنز الـــذي عاد إلى سورية في أيلول 2004 وبرفقته هذه المرة مساعد وزير الدفاع بيتر رودمـــان. وقد التقى الاثنان مع بشار ومع مسؤولين سوريين مرموقين فيما وُصف عـــلى أنـــه أجـــرى مناقشات جدية حول شروط التعاون العسكري الأميركي – السوري بشان الحدود العراقية – السورية. وبعد أيام وفي اجتماع عُقد على هامش الجمعـــية العمومية في الأمم المتحدة في نيويورك أعاد وزير الخارجية الشرع التأكيد لوزيـــر الخارجية باول على التزام سورية بضبط الحدود. وتعهد الشرع أيضا باتخاذ الإجـــراء اللازم لوقف تدفق الأموال عبر الحدود بهدف تمويل نشاطات التمرد في العراق.

كانـــت نـــتائج مهمـــة بيرنز – رودمان مختلطة؛ فمن جهة قال المسؤولون الأمريكـــيون إن السوريين قد اتخذوا الخطوات اللازمة لتحسين الوضع الأمني على طـــول الحـــدود العراقية – السورية كتحديد بمجازات ضيقة كنقاط عبور رئيسية واســـتبدال الأسلاك الشائكة القديمة البالية. ومن جهة أخرى، ذُكر أن المسؤولين الســـوريين كانوا بطيئين في التحرك ضد المسؤولين السابقين في نظام صدام الذين تعتقد إدارة بوش أنهم متواجدون في سورية . **يقول المسؤولون السوريون ويقرهم**

علـى ذلـك المسؤولون الأمريكيون بأن توسيع التعاون العسكري على طول الحـدود قد تعرقل بسبب بطء استجابة الحكومة العراقية المؤقتة على مبادرات مثل نشر دوريات خفر مشتركة على طول الحدود.

تلـت مهمـة بيرنـز – رودمان في كانون الثاني 2005 زيارة نائب وزير الخارجية الذي ترك منصبه ريتشارد ارميتاج إلى دمشق.

يذكر مسؤولون من كلا الجانبين أنه قد تم تحذير السوريين في هذا الاجتماع لاتخاذ خطوات أكثر جدوى ضد العناصر العراقيين السابقين المتواجدين في سورية. وقـد تعهـدت الولايات المتحدة من جانبها بالمتابعة مع الحكومة العراقية لتشجيع التقدم الأسرع في التعاون العسكري على طول الحدود.

إنه ليس من المدهش أن العناصر المختلفة في إدارة بوش قد قيّمت أداء سورية بطرق متناقضة:

ففـي بداية كانون الأول 2004 اخبر كبار المسؤولين العسكريين الأمريكيين صحيفة وول ستريت أن سورية تبذل جهودا جدية لضبط الحدود[133]. وقد حظي الـنظام السوري بالمديح على زيادة عدد حرس الحدود وبناء نقاط تفتيش جديدة لمـنع التسـلل واعتقال المئات على الحدود واستخدام طاقمها الأمني لتتبع هؤلاء الشـباب حسب ما ذكره ضابط عسكري أميركي مرموق في الميدان . وقد ذكر مسـؤول أميركي آخر أن سورية قد اعتقلت بناء على طلب من الولايات المتحدة ضابطا عراقيا سابقا يقيم في سورية ويُشتبه انه كان يشرف على أعمال التمرد.

عـلى نقيض ذلك. استمر مسؤولو البنتاغون المدنيون في اتهامهم بأن التمرد العراقي يتلقى التمويل والقوة البشرية من خلال سورية. وقال رامسفيلد في مقابلة لـه في بداية كانون الأول أن تطفل سورية وإيران في العراق إنما هو بهدف قتل الأمريكـيين. وبعد أن أحكمت الولايات المتحدة سيطرتها على معقل المتمردين في الفلوجة في تشرين الثاني2004، ذكر أنه قد تم العثور على جهاز استقبال شارات عالمي في مصنع للقنابل وقيل أنه كان يحتوي على نقاط استقبال من غرب سورية. وقـد وصـف المسـؤولون الأمريكيون هذا كدليل على تورط البعثيين العراقيين

المتمركزين في سورية في توجيه عمليات التمرد[134].

ربما كانت الحقيقة تكمن فيما بين هذين التقييمين المتباعدين. ويبدو واضحاً أن سورية قد اتخذت بعض الخطوات لتحسين موقفها فيما يتعلق بالجانب الأمني على طول حدودها مع العراق وفي الوقت ذاته يبدو واضحاً بشكل مساوٍ أن دمشق لم تكن لتفعل كل ما بوسعها لمنع دخول الأشخاص والمال والتجهيزات عبر حدودها. إجمالاً. في حين عارض بشار التدخل العسكري الأميركي في العراق، يبدو أنه راغب في عقد صفقة مع الولايات المتحدة فيما يتعلق بفرض الاستقرار في مرحلة ما بعد صدام هناك. ومع ازدياد الضغط الأميركي على الوجود السوري في لبنان أظهرت دمشق نفسها وكأنها راغبة في أن تكون مستعدة للمساعدة وتقديم المعلومات حول ما سيتم طرحه كدليل على الدور السوري في التأثير على تسليم الأخ غير الشقيق لصدام وعدد من مسؤولي النظام السابقين إلى الحكومة العراقية الجديدة في شباط 2005.

وانكشف نموذج غير مرضٍ على نحو مماثل فيما يتعلق بإعادة الممتلكات العراقية الرسمية الهامة من سورية. ففي أيلول 2003 ذهب فريق من وزارة المالية إلى دمشق للمساعدة في تحديد الودائع المالية العراقية الرسمية التي تم تحولها إلى المصارف السورية قبل سقوط صدام. وذكر المسؤولون أنهم قد لاقوا تعاوناً ممتازاً من نظرائهم السوريين ونوه الناطق الرسمي باسم الإدارة الأميركية علناً بأن سورية تتصرف بشكل إيجابي بهذا الشأن[135]. وها هنا أيضاً كان عمر تقدم علاقات التعاون الأمريكي- السوري قصيراً في ظل غياب الإطار الأساسي للتنسيق الأمريكي- السوري حول مستقبل العراق من أجل تحسين العلاقات الثنائية عموماً. على الرغم من تعاونها مع محققي وزارة المالية إلا أن سورية وحتى نهاية 2004 لم تعد أياً من الممتلكات التي حددها أولئك المحققون إلى بغداد. وفي الواقع لقد استخدمت الحكومة السورية بعضاً من هذه الودائع المصرفية لسداد مبالغ لسوريين كانوا قد أنجزوا أعمالاً في العراق قبل الحرب مما سبب الفزع للمسؤولين الأمريكيين[136].
وبعد زيارة بيرنز- رودمان إلى دمشق في أيلول 2004 عاد فريق من محققي وزارة المالية إلى دمشق وقد أوضحوا للسوريين أنه في حال لم تعيد دمشق هذه الممتلكات

إلى العراق في غضون ستة أشهر فإن الإدارة الأميركية ستكون مستعدة لاعتبار المصرف التجاري السوري كمؤسسة رئيسة لغسيل الأموال استناداً إلى نص القانون الوطني وإلغاء التعاملات المالية الدولية مع سورية بشكل فعلي. ويبقى أن نرى فيما إذا كان النظام السوري مستعداً للتعاون في هذا الموضوع.

الحرب على الإرهاب:

كانت عدم القدرة على إقامة تعاون ذي معنى وهدف بينأميركا وسورية والمحافظة عليه بشأن العراق عاملاً هاماً في تدهور العلاقات الأميركية- السورية خلال رئاسة بشار. ولكن ربما يكون الأمر الحاسم أكثر هو موقف سورية الإشكالي في الحرب العالمية على الإرهاب.

بعد هجمات الحادي عشر من أيلول 2001 الإرهابية كان وضع سورية كدولة راعية للإرهاب وتسعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل قد جعل بشار على خلاف مع إدارة بوش. لتجنيب سورية من التصنيف في الجانب الخاطئ من الحرب على الإرهاب عرض بشار في غضون أسابيع من الهجمات تقديم المعلومات الاستخباراتية حول القاعدة والجماعات السنية المتطرفة للولايات المتحدة. وكما أقر مسؤولو الإدارة الأميركية بشكل علني لاحقاً،فقد حث هذا العرض على إنشاء قناة مشاركة استخباراتية بين وكالة الاستخبارات المركزية والاستخبارات العسكرية السورية اللتين لم يحدث بينهما تواصل منذ حرب الخليج الأولى[137].

استمرت القناة الاستخباراتية إلى ما قبل حرب العراق تماماً مما أثار الأمل على نحو ودي حول إمكانية إقامة العلاقات الودية بشكل أوسع بين واشنطن ودمشق. وقد ذكر سيمور هيرش في نيويوركر **أن المعلومات التي تقدمها الاستخبارات العسكرية السورية فاقت توقعات وكالة الاستخبارات المركزية من حيث الكمية والنوعية**[138]. كانت هذه المعلومات أحياناً تشكل دليلاً فعلياً يتيح لوكالة الاستخبارات الأميركية والجهات الأمنية الحليفة إحباط ما وصفه المسؤولون في الإدارة الأميركية بأنه عمليات كان من شأنها أن تؤدي إلى موت الأمريكيين[139].

كان الرئيس بوش في اتصالاته مع بشار سواء خطياً أو هاتفياً يقر دوماً بتعاون

سورية مع الولايات المتحدة ضد القاعدة.

ولكن الاستمرار في هذه القناة كان دوماً موضوعاً قابلاً للجدال داخل إدارة بوش. وقد عارض المحافظون الجدد في مكتب وزير الدفاع ومكتب نائب الرئيس الموافقة على مساعدة سورية قائلين بأن هذا الأمر من شأنه أن يخلق إحساساً بالمديونية لدمشق ويعيق أي رد أميركي ملائم على دولة راعية للإرهاب وقال المسؤولون في وزارة الدفاع إن أي شكل من أشكال الارتباط مع دولة راعية للإرهاب هو في الواقع تنازل يهدد كمال حرب الإدارة الأميركية العالمية على الإرهاب.[140] وكنتيجة لهذه الخلافات الداخلية بقي ارتباط الإدارة الأميركية مع دمشق محدوداً بالمشاركة بالمعلومات الاستخباراتية ضد القاعدة.

في حين كانت دمشق تتعاون مع الولايات المتحدة ضد القاعدة كان تورطها غير المباشر في نشاطات إرهابية يمثل إشكالية متزايدة لموقف سورية في واشنطن. يصح هذا على سياق الحرب العالمية ضد الإرهاب وفي سياق الانتفاضة التي كانت تزداد عنفاً. وخلال عام 2002 كررت إدارة بوش مطالبها من بشار بإغلاق منشآت الرافضين الفلسطينيين في سورية وطرد أهم قادتهم وتعطيل عمل القيادة الإرهابية لحزب الله في لبنان والحيلولة دون مرور شحنات التجهيزات العسكرية الإيرانية إلى مقاتلي حزب الله عبر دمشق. وقد نُقلت هذه المطالب لبشار بصفة شخصية خلال زيارة وزير الخارجية باول إلى دمشق في نيسان، وزيارة مساعدة وزير الخارجية بيرنز في تشرين الأول حيث سلم بيرنز رسالة خطية من الرئيس بوش إلى بشار يحدد فيها هذه النقاط، وفي زيارة أخرى لبيرنز في كانون الثاني 2003.

أراد بشار استغلال المشاركة الاستخباراتية ضد القاعدة لتعزيز مجال أوسع من التعاون مع الولايات المتحدة وأشار إلى تفهمه بأن على سورية أن تعدل من موقفها تجاه المنظمات الإرهابية التي تجمعها بها الروابط والصلات. وأشار أيضاً إلى أن إقامة علاقة استراتيجية تعاونية مع الولايات المتحدة، هي مسألة تحظى ببعض الحساسية بالنسبة له داخل نظامه. وفي اجتماعه مع مساعد وزير الخارجية بيرنز في تشرين

الأول 2002 علـى سـبيل المـثال عـبر بشار عن اهتمامه باستخدام قناة المشاركة الاسـتخباراتية لمناقشة المواضيع الثنائية المثيرة للنزاع كموضوع العراق والإرهاب منوهاً إلى أن مـا يصـله عبر القناة الاستخباراتية يصله دون أي تنقيح. على أية حال كانت الانقسامات داخل الإدارة الأميركية حول صواب الارتباط مع سورية السبب في إحباط اختـبار حـدي لهذا الطرح. أما على جبهة الإرهاب، كما مع العراق، فقد أرجأت الإدارة الأميركية قضايا جوهرية هامة تتعلق بسياسة سورية إلى ما بعد حرب العراق.

حالمـا انتهـت حرب العراق أصبح دعم سورية للإرهاب البند الأكثر أهمية وأولوية على الأجندة الأميركية مع بشار. ولكن الإدارة الأميركية كانت ما تزال غير قادرة على تقرير استراتيجية متماسكة ومترابطة منطقياً للسعي وراء تحقيق أهدافها في دمشـق. **ففـي الأسابيع التي تلت الإطاحة بصدام، تم وضع التغيير القسري للـنظام جانباً كخيار سياسة قريب الأمد بالنسبة لسورية.** ولكن المحافظين الجدد في الإدارة الأميركية استمروا في معارضة العروض الطارئة للاستفادة الاستراتيجية أو السياسـية أو الاقتصادية من دولة راعية للإرهاب مثل سورية إلا أن في حال وقف تورطها في الإرهاب، وقالوا إن مقاربة الجزرة والعصا ستكون مكافأة على سلوكها السـيء. كـان البديل الوحيد المتبقي هو تكرار المطالب الأميركية القديمة وهي أن تقطـع سـورية علاقاتها بالإرهابيين ودعم هذه المطالب تصعيد الضغوط بشكل متقطع على بشار لكي يذعن لهذه المطالب.

لقد كان هذه هو التوجه الأساسي لإدارة بوش تجاه سورية منذ ربيع 2003. وفي أيـار 2003 عـاد وزير الخارجية باول إلى دمشق وهو يحمل مطالب تركز بشكل شديد على المطالب الأميركية بأن تخفض سورية من روابطها بالإرهابيين إلى أدنى حد. ولكن كان لدى باول القليل مما يطرحه للحث على إجراء تغييرات هامة في السـلوك السـوري. مـن المتنبأ به أن وزير الخارجية لم ينجز شيئاً ذا أهمية في مباحـثاته مـع القائد السوري. وفي زيارة لاحقة لمساعد وزير الخارجية بيرنز إلى دمشـق في آب 2003 لم تكـن هذه المباحثات مجدية أيضاً أكثر من سابقتها. مع شـعور الإدارة الأميركـية بالإحـباط المتزايد بسبب استمرار السوريين في عنادهم

وتصلبهم على موقفهم حول العراق والإرهاب بدلت موقفها في خريف 2003 وجسدت معارضتها للموقف السوري من خلال قانون محاسبة سورية وقانون استعادة سيادة لبنان اللذين وقعهما الرئيس بوش للتنفيذ في كانون الأول. وبدأت الإدارة الأميركية بتنفيذ القانون الجديد في أيار 2004 بفرض عقوبات جديدة على سورية. وفي نهاية ذلك العام كانت الإدارة الأميركية تنظر في مسألة فرض عقوبات إضافية على سورية تفرض قيوداً على الشركات الأميركية العاملة هناك.

على الرغم من الافتقار إلى وجود أي قدر مقبول من النجاح قد يجعل سورية تعدل سلوكها المشكل وخصوصاً فيما يتعلق بالإرهاب استمرت الإدارة الأميركية بمقاومة استراتيجية الارتباط المشروط مع دمشق. وبالإلحاح على هذه النقطة في شباط 2002 قال عضو في مجلس الأمن القومي للمؤلف: بالطبع لن نتفاوض مع سورية حول هذا الموضوع وعليهم أن يوقفوا نشاطاتهم لأن هذا هو الشيء الصحيح.

لبنان كنقطة بداية:

مع سعي إدارة بوش لإيجاد سبل جديدي لزيادة الضغط على دمشق وجدت طريقها إلى فكرة قديمة وهي استخدام سيادة لبنان طريقة لتهديد ما يعتبره القادة السوريون مصالح حيوية. كان المتشددون في الإدارة الأميركية ومنهم وزير الدفاع رامسفيلد والمحافظون الجدد الشباب في مكتب وزير الدفاع ومكتب نائب الرئيس مشدودين لفكرة استخدام لبنان كنقطة ضغط ضد دمشق منذ بداية ولاية بوش. ولكن الإدارة الأميركية افتقرت إلى شريك في مجلس الأمن راغب في دعم قرار إدانة الاحتلال السوري للبنان. ولكن مع حلول صيف 2004 أصبح الرئيس الفرنسي جاك شيراك يشعر بغضب كافٍ من معاملة بشار لرئيس الوزراء اللبناني الحريري فبدلت فرنسا موقفها ووافقت على مساندة الولايات المتحدة في تأييد قرار مجلس الأمن الذي يتضمن صياغة صارمة. وكان التطفل السوري الواضح بشكل متزايد على الخصوص في المشاحنات اللبنانية حول مسألة التمديد المحتمل للرئيس لحود هو السبب في التحريض على موقف فرنسي أصلب.

لطالما عارضت حكومة الرئيس شيراك فكرة التمديد للحود وساندت موقف البطريرك الماروني الكاردينال صفير والقادة المارونيين الآخرين في معارضتهم لخطوة من هذا القبيل[141]. وحينما اتضح أنه سيتم التمديد للحود أراد شيراك حشد الانتقاد الدولي لهذه الحركة وسرعان ما حظي هذا بتأييد أميركي لما سيصبح قرار مجلس الأمن رقم 1559.

كانت الموافقة على القرار 1559 هزيمة دبلوماسية هامة لبشار. فليس فقط أن الحليف القديم لسورية وهي فرنسا أيدت هذا الإجراء بل امتنعت عن التصويت الصين وروسيا والدولة العربية الوحيدة في المجلس وهي الجزائر. ومنذ أن تمت الموافقة على القرار تعاونت فرنسا والولايات المتحدة لإنشاء جدول لإعداد تقارير نظامية من قبل الأمين العام حول تنفيذ القرار. وبعد اغتيال الحريري في شباط 2005 قررت إدارة بوش التي أعيد انتخابها الاستفادة من هذا الموضوع ليس فقط لإجبار القوات السورية على الانسحاب من لبنان بل لإضعاف الموقف الاستراتيجي لسورية أيضاً.

منذ نهاية حرب العراق ازداد شعور بشار بالإحباط بسبب ما يراه من عدم رغبة إدارة بوش لعقد صفقة استراتيجية مع سورية. ووفقاً لبشار وكبار المسؤولين السوريين الآخرين لا يحاول المسؤولون الأمريكيون التفاوض حول القضايا الهامة مع دمشق، بل عوضاً عن ذلك يكررون المطالب القديمة ويتوقعون الإذعان دون أية مناقشة لأي مقابل[142]. يبدي بشار نفسه على أنه غير قادر في ظل هذه الظروف لفعل الكثير من أجل إرضاء واشنطن أو إقامة علاقات ثنائية أفضل. وقد قال الرئيس السوري نفسه للمؤلف في مقابلة كانون الثاني 2004 أن سورية دولة وليست مؤسسة خيرية. فإذا كانت ستمنح شيئاً ما فلابد أن تعرف ما الذي ستحصل عليه بالمقابل.

وهكذا. لم ينجح بشار في جهوده لتجنب التدهور الحقيقي في علاقات سورية مع الولايات المتحدة. ومنذ انتهاء حرب العراق حاول بشار إيجاد سبل يعوض من خلالها الافتقار إلى ارتباط إيجابي مع واشنطن. وكان لقراره في التوصل

إلى اتفاقـــية شراكة مع الاتحاد الأوروبي- الذي سبق وناقشناه في الفصل الثالث- بعـــد استراتيجي بالإضافة إلى جوانبه السياسية والاقتصادية الداخلية. وفي كانون الثاني 2004 سافر بشار إلى تركيا في محاولة منه لإضفاء القالب الاستراتيجي على علاقـــة ســـورية الاقتصـــادية المزدهرة مع جارها الشمالية، وخصوصاً أن القائد السوري كان مهتماً باستخدام تركيا كوسيط مع إدارة بوش حيث أن تركيا عضو في مـــنظمة حلـــف شمالي الأطلسي وحليف حميم للولايات المتحدة[143]. وجاءت الزيارات الرسمية إلى الصين في حزيران 2004 وإلى روسيا في كانون الثاني 2005 فوسعت ورسخت من شبكة بشار التجارية وحلفائه السياسيين.

ولكن يبقى في غياب الارتباط الإيجابي مع واشنطن العائق الدبلوماسي الأكبر الذي يواجه بشار. يمثل هذا العجز في إقامة مثل هذا الارتباط عقبة في وجه مكانة ســـورية وموقفها الإقليمي ومعوقاً لأية استراتيجية من أجل الإصلاح الداخلي في ســـورية. لابد الآن من استقصاء قضية العلاقات الأميركية- السورية في عهد بشار من منظور السياسة الخارجية الأميركية.

مصادر الفصل الرابع

(1) إيـال زيسـر، أسد سورية: مقاربة الدورة الخامسة في الحكم، بوليسي ووتش 366، واشنطن معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 6 شباط 1999.

(2) بنـيامين أوربـاخ ودافيد شنكر، صعود بشار الأسد، بوليسي ووتش 371 واشنطن: معهد واشنطن لسياسية الشرق الأدنى، 5 آذار 1999.

(3) غـاري غامـبل، وزياد عبد النور، ملف رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان، نشرة استخبارات الشرق الأوسط3، رقم7، تموز 2001.

(4) أورباخ وشنكر، صعود بشار الأسد.

(5) كتب زيسر في عام 1999، أن بشار قد انخرط في عملية السلام الأولية مع إسرائيل، ولكن ليس لدى المؤلف أي مصدر آخر يعزو به إلى بشار دوراً في المباحثات الدبلوماسية لعملية السلام قبل وصوله إلى الحكم. إيال زيسر، الوريث الذي لا ينازع على الحق، نيو ريبليك، 11 تشرين الأول 1999.

(6) يمكـن الاطلاع على الترجمة الإنكليزية لنص خطاب التولية الذي أدلى به بشار والذي نشرته وكالة الأنباء العربية السـورية على موقع البوابة العربي:

www.al-bab.com/arab/countries/syria/bashar00a.htm

سنشير إلى الخطاب منذ الآن بتسمية خطاب التولية.

(7) حدث الانسحاب خلال 22-24 أيار 2000.

(8) تقريـر الأمـين العام المتعلق بتنفيذ قرارات مجلس الأمن 425 (1978)، 462 (1987)، نيويورك: الأمم المتحدة، 16 حزيران 2000.

(9) فريديريك س. هوف، ما وراء الحدود: لبنان وإسرائيل وتحدي التغيير، واشنطن: ميدل إيست انسايت 2000، مجموعـة الأزمـات الدولية، ألعاب قديمة وقواعد جديدة: الصراع على الحدود الإسرائيلية اللبنانية، مجموعة الأزمات الدولية، تقرير الشرق الأوسط7، بروكسل: 18 تشرين الثاني 2002 ص7 .www.crisisgroup.org

(10) انتخب شارون رئيساً للوزراء في دورته الأولى يوم 6 شباط 2001، واستلم مهام منصبه يوم 7 آذار.

(11) الحقيقة أنه عين معاوناً وليس نائباً لوزير الخارجية. (المراجع)

(12) هـنالك عدد من الزوار الأميركيين والأجانب ذهبوا إلى دمشق وتعاملوا مع كادر شعبان من الموظفين الشـباب في القسـم الخاص بشعبان في وزارة الخارجية وقد كان الزوار متأثرين بشكل إيجابي بنوعية

هؤلاء الشباب.

(13) رغم أن بنود الطائف تنص على حصر الرئاسة اللبنانية بشكل فعلي ضمن الطائفة المارونية إلا أن الرئيسين اللذين تم تعيينهما بعد الطائف وهما إلياس الهراوي وإميل لحود ينظر إليهما كمارونيين من الخط القديم ومساعدين على تحقيق المصالح السورية ومطالبها. رغم الموالاة المارونية نجد أن سورية قد خلعت قادة مسيحيين لبنانيين من النظام السياسي من خلال النفي أو السجن ولكن يبقى هؤلاء الممثلين الشرعيين لطائفتهم. وقد تركزت الموالاة الانتقامية على قائد القوات اللبنانية السابق والذي أعلن نفسه رئيساً للوزراء ميشيل عون والموجود حالياً في المنفى في فرنسا.

(14) في أيلول 2000، أصدر مجلس الأساقفة المارونيين بزعامة البطريرك الماروني الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير بياناً يدعو فيه للتنفيذ الكامل لاتفاق الطائف بما في ذلك إعادة انتشار القوات السورية إلى البقاع ونشر القوات المسلحة اللبنانية إلى الجنوب بالإضافة إلى الانسحاب النهائي لجميع القوات السورية من البلاد. غاري غامبل، ملف نصر الله بطرس صفير البطريرك السادس والسبعون للكنيسة المارونية، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 5، رقم 5، أيار 2003. وفي سياق الأشهر المتعددة التالية التحم المفكرون والسياسيون والأحزاب السياسية المارونية حول صفير في مطالبته للحد من الهيمنة السورية المستمرة في لبنان فشكلوا ما يسمى بلقاء قرنة شهوان والاسم مأخوذ من اسم لدير الماروني الذي التقوا فيه لأول مرة. غامبل، ملف نصر الله بطرس صفير، للإطلاع على أجندة اللقاء راجع النشرة التي أصدرها المجتمعون باسم: لقاء قرنة شهوان في سنته الأولى.. مواقف وبيانات، نيسان 2001- نيسان 2002.

(15) غاري غامبل، إضعاف التفضل السياسي السوري في لبنان، مها ملحم، الآلاف يتظاهرون ضد الوجود السوري في يوم الاستقلال، نشرة استخبارات الشرق الأوسط2، رقم 11. كانون الأول 2000، مارلين ديك، تلهف ثلاثة عشر عاماً: زوال اتفاقية الطائف حول لبنان، تقرير الشرق الأوسط أون لاين، 13 آب 2002. www.merip.org
مجموعة الأزمات الدولية، ألعاب قديمة وقواعد جديدة، ص 27-28.

(16) الحريري سني لبناني من صيدا أصبح مليارديراً كونشالي في مجال العمارة في المملكة العربية السعودية. لعب دوراً هاماً في الجهود السعودية للوساطة في التوصل إلى اتفاق الطائف في أواخر الثمانينات. عاد إلى الوطن في نهاية الحرب الأهلية اللبنانية ليدخل عالم السياسة. تم تعيينه رئيساً للوزراء في عام 1992 وأعيد تعيينه في عام 1995. لمزيد من المعلومات عن خلفيات الحريري وعمله راجع، لبنان: عودة رفيق الحريري، ابستيميت 8 رقم 18، 8 أيلول 2000، غاري غامبل وزياد عبد النور، ملف رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 3، رقم 7، تموز 2001. يؤكد البرنامج السياسي للحريري كرئيس للوزراء على إعادة الأعمار في لبنان وإنشاء بيئة عمل صادقة بحيث يصبح البلد مركزاً خدماتياً ومالياً في المنطقة. فولكر بيرثس، الأسطورة والمال: أربع سنوات للحريري

وتحضير لبنان لشرق أوسطي جديد تقرير الشرق الأوسط 27، رقم2 ربيع 1997، جون روبرتسن الحريري: التجديد والمعافاة النسبية، توم نجم، أفق 2000: الصلاحية الاقتصادية والحقائق السياسية، السياسة في منطقة البحر الأبيض المتوسط 3، رقم1، ربيع 1998، فرانك دبي ودانوتا بيترن السلام والأزمة: إعادة إعمار لبنان؟، باريس: مطبعة جامعات فرنسا 2003، ص 115-124. قاد الحريري عدة مشاريع ذات معالم بارزة في إعادة الإعمار خلال مهمته المحددة كرئيس للوزراء بما في ذلك مطار بيروت الدولي، الطريق الساحلي، إعادة بناء مركز مدينة بيروت، دبي وبيترن السلام والأزمة، الفصل 5و6 لم تكن هذه المشاريع دون جدال فقد كان هنالك اتهامات أن الحريري وأصدقائه والمقربين إليه كانوا يثرون في سياق هذه العملية من خلال الحلقات السياسية اللبنانية في فترة ولايته.

(17) في حوار شخصي للمؤلف مع مسؤولين فرنسيين. كان للحريري علاقة وثيقة قديمة مع الرئيس الفرنسي جاك شيراك ويقال في فرنسا أن الحريري كان المساند المالي الأهم في حملة شيراك الرئاسية.

(18) أسعد أبو خليل، لبنان بعد سنة واحدة من الانسحاب الإسرائيلي، تقرير الشرق الأوسط أون لاين، 29 أيار 2001، غاري غامبل، هل تخسر سورية السيطرة على لبنان؟ فصلية الشرق الأوسط8 رقم2، ربيع 2001، غاري غامبل، هل تستطيع سورية إعادة النظام اللبناني؟ نشرة استخبارات الشرق الأوسط3 رقم 6، حزيران 2001.

(19) وردت هذه النقطة عند باتريك سيل في تحليله لأداء بشار في نصف السنة الأول من رئاسته الذي نشره في صحيفة الحياة في 26 كانون الثاني 2001. قدم سيل النسخة الإنكليزية من هذه المقالة بعنوان الأشهر الستة الأولى للرئيس بشار الأسد: الإصلاح في محيط خطر، كمحاضرة في المعهد الملكي للشؤون الدولية في لندن يوم 25 كانون الثاني 2001، وهي متوفرة على موقع الإنترنت:

.www.mafhoum.com/press/chttam.html

(20) خفض بشار عدد القوات السورية المتواجدة في لبنان من حوالي 25000 عند توليه الحكم إلى حوالي 15000 في نهاية عام 2004. دلال سعود، تحليل تحركات إعادة الانتشار الجديدة لسورية، الصحافة الدولية المتحدة، 16 تموز 2003، زياد عبد النور وغاري غامبل، إعادة الانتشار الرابعة لسورية من لبنان، نشرة استخبارات الشرق الأوسط5 رقم7، تموز 2003، سكوت ويلسون، سورية تبدأ تفكيك بعض المراكز الأمامية في لبنان، واشنطن بوست، 22 أيلول 2004.

(21) الرئيس الأسد يناقش قضايا إقليمية، التحديات التي تواجه سورية، الشرق الأوسط، 8 شباط 2001.

(22) إيال زيسر، مغادرة لبنان؟ تل أبيب نوتس20، جامعة تل أبيب، مركز حاني للدراسات الاستراتيجية 5 تموز 2001.

(23) غاري غامبل ودانييل ناصيف، الانتخابات البرلمانية في لبنان: اختلاف المعارضة، نشرة استخبارات الشرق الأوسط2 رقم8، أيلول 2000.

(24) يوسي بايداتس، السنة الأولى لبشار: من طب العيون إلى الرؤية القومية، بوليسي فوكس 41،

واشنطن، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، تموز 2001، ص38-41.

(25) زيسر، مغادرة لبنان؟ لا تؤكد أفعال بشار بأن السوريين قد فقدوا سيطرتهم على لبنان أو قدرتهم على قسم من يتحدونهم. إجمالاً لا يعني إعادة انتشار السوريين في لبنان نهاية الوجود السوري والسيطرة السورية في لبنان أو حتى تمثل بداية النهاية.

(26) وزارة الخارجية الأميركية، لبنان: تقرير البلد عن ممارسات حقوق الإنسان، 2001، 2002.

(27) كان الحريري وحزب الله خصمين على المسرح السياسي اللبناني. للإطلاع على خلفية التوتر بين الطرفين أثناء الفترة الأولى للحريري كرئيس للوزراء، راجع غراهام وأشر، حزب الله وسورية والانتخابات اللبنانية، صحيفة دراسات فلسطينية 26، شتاء 1997، 59-67.

(28) جاءت عبارة أرض حزب الله في تعليق لغال لوفت، تموز-آب 2003، إيال زيسر، عودة حزب الله، فصلية الشرق الأوسط9 رقم4، خريف 2002. في الانتخابات البرلمانية التي جرت في آب-أيلول 20020 عقدت قيادة حزب الله صفقة مع دمشق بضمان الانتخابات لجميع المرشحين إذا لم تضم قائمة المرشحين عدداً كبيراً ونتيجة لذلك لم يكسب التنظيم مقاعد في هذه الانتخابات. وبالمقابل منحت دمشق التنظيم مكانة مهيمنة بشكل فعلي في الجنوب ميشيل يون، حزب الله في الخارج والداخل، تقرير الشرق الأوسط أون لاين، 26 تشرين الأول 2000. وكملاحظة جانبية كانت رغبة بشار في دعم موقف حزب الله في جنوبي البلاد قد صعدت من خطر الصراع العسكري المتجدد على طول الحدود الإسرائيلية-اللبنانية في صيف وخريف عام 2002. وتعتبر هذه الفترة مشوقة على الخصوص لأن نشاطات حزب الله شبه العسكرية لم تكن المحرض المباشر. جاءت المكانة المتزايدة لحزب الله بعد انسحاب قوات الدفاع الإسرائيلية لتحرض على حركة ارتجاعية من جانب المنافس الشيعي الأول حركة أمل وقائدها الناطق باسم المجلس النيابي نبيه بري وكان في جهود بري لمجابهة هذا الوضع حركة تصعيدية أخرى. ومن منطلق قلقه على الخسارة النسبية للموقف الشعبي بحث بري عن طريقة ما يوضح فيها لشيعة الجنوب أنه يمكن أن يقدم لهم ما لا يمكن لحزب الله أن يقدمه ووجد بري ميزة ما في قدرته على منح الناخبين مشاريع كلاسيكية حكومية تعود على الناخبين والأنصار بمكاسب كبيرة. وركز على الخصوص على زيادة الموارد المالية للقاطنين في المنطقة الأمنية التي تم تحريرها مؤخراً في الجنوب من خلال ضخ الماء من نهر الوزاني وهو فرع من **Lake Kinneret** ونهر الأردن الذي تأخذ منه إسرائيل ماءها أيضاً. فكان قلق إسرائيل حول سابقة إشكالية بشأن التعاون المشترك في تقاسم المياه والنقصان المحتمل لوضعها كقوة ردع على طول حدودها مع لبنان بعد انسحاب قوات الدفاع الإسرائيلية فجاء ردها في أيلول 2002 بالتهديد بعمل عسكري إذا بدأ لبنان بضخ الماء بكميات كبيرة جداً من نهر الوزاني. وفي النهاية لم يكن في رغبة الحكومة الإسرائيلية أو أي من اللاعبين الهامين في لبنان أو سورية تصعيد الخطر ليصل إلى حد الصراع الإقليمي حول نزاع أرضي يتعلق بتقاسم المياه. وبتسهيلات أميركية مع حلول تشرين الأول 2002، تمكنت جميع الأطراف من

الـــتراجع عن صراع محتمل. كان المؤلف آنذاك مدير شؤون الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي وكان في الفريق الأميركي وكجزء من رحلة إقليمية سافر إلى لبنان وإسرائيل في تشرين الأول 2002 لاســـتباق حـــدوث مزيد من التصعيد في هذا النزاع. إيال زيسر، إسرائيل ولبنان: للمعركة من أجل الوزاني، تل أبيب نوتس 50، جامعة تل أبيب، مركز جافي للدراسات الاستراتيجية، 14 تشرين الأول 2002.

(29) زيسر، عودة حزب الله.

(30) أحد الأدلة الشخصية التي تؤيد هذا التقييم أن بشار دعا نصر الله للتحدث في مراسم حزيران 2001 في القرداحة في سورية لإحياء الذكرى السنوية الأولى لوفاة حافظ الأسد.

(31) كـــان مؤتمر باريس الثاني برعاية الرئيس الفرنسي شيراك، وكان الهدف منه المساعدة الثنائية التي تتيح للبـــنان إعـــادة تنظـــيم ديونه بتخفيض سعر فائدة. كان مؤتمر باريس الأول في شباط 2001 يضم المتبرعين لمساعدة لبنان في جهوده المبذولة لإعادة الإعمار. دليله هيكل، ماذا حدث للمتبرعين في مؤتمر باريس الثاني. Arabfinance.com

(32) الجدال حول عودة عون، نشرة استخبارات الشرق الأوسط3، رقم1، كانون الثاني 2001.

(33) لتحليل التغير الوزاري، راجع، دلال سعود، تشكيل الوزارة اللبنانية الجديدة التي تضم ثلاثين عضواً، الصحافة الدولية المتحدة، 17 نيسان 2003.

(34) في حوار شخصي للمؤلف مع صحفيين لبنانيين وسوريين.

(35) ازداد هذا الضغط مع صدور القرار 1559 في مجلس الأمن في الأمم المتحدة في أيلول 2004.

(36) سكوت ويلسون، استقالة رئيس الوزراء اللبناني والتوتر في سورية، واشنطن بوست، 21 تشرين الأول 2004.

(37) الحقيقة أن هذه المظاهرة ضمت 1,5 مليون شخص لكن المؤلف وقت تحت تأثير التفويض الذي مارسه الصف الآخر(المدقق).

(38) بعد انهيار المسار السوري في قمة كلنتون-الأسد في آذار 2000، حول باراك تركيزه في استراتيجيته لعملية السلام للوصول إلى عقد صفقة نهائية حول الوضع مع الفلسطينيين وقد استهلكت هذه المهمة طاقاته الدبلوماسية فيما تبقى لـــه من فترة حكمه.

(39) ء الحظ يقع الكاتب في مطب تعريف المقاومة هنا بالإرهاب.

(40) ديـــي ويـــتر، السلام والأزمة، مجموعة الأزمات الدولية، حزب الله: ثورة بلا سبب؟ موجز الشرق الأوسط، 30 تموز 2003: 7-9.

(41) تشبث حزب الله بذريعة احتلال إسرائيل لمزارع شبعا لتبرير الاستمرار في موقعه العسكري في المنطقة الحدوديـــة ولكـــن الأمم المتحدة تعتبر مزارع شبعا أراض سورية حيث تم احتلالها في حرب 1967 عـــندما استولت إسرائيل على الجولان وهي خاضعة لمراقبة فرق الأمم المتحدة المنتشرة هناك منذ ذلك

الحين. ورفضت سورية ولبنان تسوية هذا الموضوع بشكل رسمي بتسجيل ادعاءاتهما على الخارطة مع الأمم المتحدة وفضلتا استغلال الخلاف المفتوح حول ذلك. وحتى لو تمت تسوية مسألة ملكية مزارع شبعا فإن حزب الله يتطرق أحياناً إلى ذكر ادعاءين حدوديين آخرين وأن الانسحاب الإسرائيلي في عام 2000 لم يحلهما بما يرضيه. يتهم حزب الله إسرائيل باختراق خفيف للأراضي اللبنانية في أربعة مواقع بهدف جعل الجانب الإسرائيلي في حالة دفاعية أفضل وأثار حزب الله أيضاً ادعاء القرى السبعة وهي سبع قرى كان يسكنها الشيعة وكان هؤلاء قد فروا من فلسطين إلى لبنان في حرب 1948 وتم تسجيلهم كلاجئين فلسطينيين. يدعي حزب الله أن هذه القرى لبنانية وقد منح هؤلاء اللاجئين الجنسية في عام 1994. ولكن البعض يتهم حزب الله أنه يثير جدالاً مقبولاً ظاهرياً لأغراض طائفية حيث لم يأت حزب الله على ذكر القرى المسيحية التي تتوضع قرب القرى الشيعية السبعة في منطقة الجليل والتي فر سكانها إلى لبنان في عام 1948 أيضاً و لم تدعم الحكومة اللبنانية أياً من الادعاءين. ربما يؤدي التوصل إلى قرار بشأن النزاع حول مزارع شبعا إلى دفع حزب الله لادعاء آخر يبرر من خلاله عملياته العسكرية المتواصلة. راجع، هوف، ما وراء الحدود، آلي جوريش، رؤية حزب الله للحدود اللبنانية-الإسرائيلية، بوليسي ووتش 368، واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 4 آذار 2002.

(42) إيلي كارمون، القتال على كل الجبهات: حزب الله والحرب على الإرهاب والحرب في العراق، بوليسي فوكس 46، واشنطن: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، كانون الأول 2003، ص 15.

(43) استخدم نصر الله هذه العبارة في خطاب الانتصار يوم 26 أيار أي بعد يومين فقط من مغادرة الإسرائيليين، مجموعة الأزمات الدولية، ألعاب قديمة وقواعد جديدة، ص 8، 13.

(44) زيسر، عودة حزب الله، غاري غامبل وزياد عبد النور، حزب الله ما بين طهران ودمشق، نشرة استخبارات الشرق الأوسط4 رقم2، شباط 2002، شهادة باتريك كلاوسون نائب مدير معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ في 30 تشرين الأول 2003.

Foreign.senate.gov/testimony/2003/clawsontestimony031030.pdf

للاطلاع على التقييم النقدي للوصف الإسرائيلي لبشار الذي يعكس هذه النظرة راجع، باتريك سيل، سورية وإسرائيل وفلسطين ولبنان أربع شركاء في رقصة خطرة، الحياة 24 كانون الأول 2000، توجد الترجمة الإنكليزية لهذا النص على موقع الإنترنت:

.www.mafhoum.com/press/sealeh10.html

(45) في حوار شخصي للمؤلف مع مسؤولين أميركيين وأردنيين.

(46) الغريب أن الكاتب يضع هذه الفرضية التي سوقها إيال زيسر والإسرائيليون بدون أي مستند إذ لم يعلن عن لقاءات بين الرئيس الأسد وحسن نصر الله مثلما كان الأمر عليه في عهد الرئيس الراحل،

يعني أن هنالك هدفاً مبيتاً من هذا الإدعاء لتقويض صورة الرئيس خارجياً والتأليب ضده(المدقق).

(47) في القمـــة التاسعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في الدوحة في تشرين الثاني 2000، شرح بشار أن البعض يدعـــو إلى الجهـــاد ولكـــن هـــذا لا يعني أن هؤلاء يريدون الحرب فجميعنا يقدر الظروف ويعرف الإمكانـــيات وهم لا يطلبون شيئاً أكثر من الممكن الذي تستطيع دولنا تقديمه وخصوصاً أن هنالك إيمـــان راســـخ لدى الكثيرين من هؤلاء أن العديد من الدول وخصوصاً إسرائيل لا تتمنى لنا الخير بل ويسعون لإبقائنا في ظروفنا الحالية من الفقر والرجعية وهكذا نستمر في دفع الثمن وهم يستلمون هذه الدفعات المادية والأخلاقية. سنشير إلى هذا الخطاب منذ الآن بتسمية خطاب الدوحة.

(48) بدأت هذه الحملة لحزب الله في بداية تشرين الأول 2000، عندما شن التنظيم أول هجوم لـــه على مواقع إسرائيلية في مزارع شبعا باستخدام تبرير الادعاء اللبناني-السوري أن الانسحاب الإسرائيلي من جـــنوب لبنان لم يكن كاملاً واستمر حزب الله في تنفيذ هذه الهجمات على نطاق مكثف على مدى الأشهر التسعة التالية وفي الوقت ذاته، حاول حزب الله أن يكسب الرهان بتنفيذ عمليتي اختطاف في شهر تشرين الأول. أسفرت العملية الأولى عن اختطاف ثلاثة جنود إسرائيليين من أحد مواقع قوات الدفـــاع الإســـرائيلية في منطقة مزارع شبعا من قبل مقاتلي حزب الله وفي الواقع كان هؤلاء الجنود الـــثلاثة مصابين بجروح بالغة جداً أثناء الهجوم وكانت الثانية من خلال إغواء رجل أعمال إسرائيلي وضـــابط احتياط في قوات الدفاع الإسرائيلية لجذبه إلى لبنان حيث أخذه حزب الله كرهينة. مجموعة الأزمـــات الدولـــية، ألعاب قديمة وقواعد جديدة، ص 8-9، دانييل سوبلمان، قواعد جديدة للعبة: إســـرائيل وحـــزب الله بعـــد الانسحاب من لبنان، مذكرة رسمية 69، جامعة تل أبيب، مركز جافي للدراســـات الاســـتراتيجية، كانون الثاني 2004 ص 62. قال حزب الله أن استمرار الانتفاضة في الأراضـــي المحـــتلة هو مبرر للاختطافين وكان التنظيم يجمع أجزاء صفقة يستخدمها في التفاوض مع إســـرائيل لإطلاق سراح السجناء اللبنانيين من السجون الإسرائيلية، يونغ، حزب الله في الخارج وفي الداخل.(الكتاب الأخير قمنا بترجمته ونشر في الدار العربية للعلوم- المدقق).

(49) في نيسان 2001، أي بعد شهر من استلام منصبه رد شارون على هجوم حزب الله بالصواريخ على دبابـــة إسرائيلية في منطقة مزارع شبعا حيث أمر القوات الجوية الإسرائيلية بإلقاء القنابل على منصة الـــرادار السوري في لبنان. أوضح مسؤولون في مكتب رئيس الوزراء أن رد الفعل هذا يقصد منه أن يحـــدد شـــارون هيمنة التصعيد على حزب الله وحماته السوريين. راع، الطائرات الحربية الإسرائيلية تضرب محطة الرادار السوري في لبنان وتقتل ثلاثة جنود، هاآرتز، تل أبيب، 16 نيسان 2001. تمت معاقبة سورية وقيادة حزب الله بشكل مؤقت من خلال هذا الخط القاسي الذي اتبعه شارون ولكنهم استمروا في رغبتهم لإيجاد طريقة لمواصلة العمليات المسلحة ضد إسرائيل لاستباق الانتقام الإسرائيلي عـــلى نطاق واسع. راجع، إيال زيسر، الاختبار الأول لبشار، تل أبيب نوتس 16، جامعة تل أبيب، مركـــز جافي للدراسات الاستراتيجية، 19 نيـــسان 2001. بعد الضربة الجوية الإسرائيلية على منصة

الـرادار السوري ردت دمشق بتبجح مطالبة النداءات الدولية بكبح الموقف، التي لم تعد ذات فعالية، وأكدت على حق سورية بالانتقام من إسرائيل بالطريقة التي تراها ملائمة. لوصف وتحليل الرد المبدئي السوري على الضربة الجوية الإسرائيلية في نيسان 2001، راجع، يوتام فلدنر، ألعاب التصعيد: سياسة الـردع الســورية-الجزء الأول- على حافة الهاوية، سلسلة التحقيق والتحليل 56، واشنطن، معهد أبحاث وسائل إعلام الشرق الأوسط، 24 أيار 2001. وخلال أسبوعين أوضحت القيادة السورية أن لا مصـــلحة لها في تصعيد الموقف. وفي زيارة لــه لإسبانيا في بداية أيار أخبر بشار صحيفة El Pais اليومية التي تصدر في مدريد، أن الانتقام العسكري ضد الهجوم على الرادار السوري سوف يعني تحقيق رغـــبة شارون في دفع المنطقة نحو الحرب، وأضاف أن سورية لم تدعم الحرب يوماً وأن هنالك سبلاً مختلفة للرد على الهجوم الإسرائيلي. راجع، جيوس سيبريو وانجلس اسبينوسا،

Sira no quiere la escalada military no creo que Israel se lance a esa aventura, El Pais, May2, 2001.

(50) في مقالة نشرتها صحيفة الأوسط الأسبوعية التي تصدر بالعربية من لندن في 30 نيسان 2001، قالت على لسان مراسلها في دمشق إبراهيم حميدي أن هنالك ترو هام في دراسة الحسابات التي تجري على أعلى مستوى في الحكومة السورية. وقد ذكر حميدي عن مصادر مجهولة ولكن من المؤكد أنها تسربت مـــن مكتب وزير الخارجية الشرع إذ لم يكن من الشرع نفسه أن القيادة السورية تدرك بأن إسرائيل أقـــوى عســـكريا من سورية. ومع ذلك، وفقاً لما ذكره حميدي فإن دمشق تريد الاستمرار في دعم عمليـات حزب الله ضد مواقع إسرائيلية في منطقة مزارع شبعا دون أن يجرها ذلك إلى مواجهة غير ضـــرورية ودون التخلي عن حق سورية في الرد على الهجوم الإسرائيلي بالقنابل. بالمحافظة على قواعد اللعـــبة الثابتة يمكن لإسرائيل الرد على هذه العمليات بضرب أهداف ذات صلة بحزب الله أو أهداف لبنانية أخرى.

(51) مجموعـــة الأزمـــات الدولية، ألعاب قديمة وقواعد جديدة ص 8 – 9 . مع تخلي حزب الله وأنصاره الســـوريين عن أولوياتهم النسبية خلال فترة السكون هذه كان هنالك احتمال مواصلة بعض النشاط شبه العسكري ضد إسرائيل في حين تفوق التنظيم في عملياته الإرهابية خارج المنطقة . قال مسؤولون أمريكـــيون ولبنانيون للمؤلف إنه خلال خريف 2001 سعى حزب الله من خلال وساطات متنوعة لاستكشاف إمكانية التوصل إلى تفاهم مع الولايات المتحدة في الوقت الذي قيد التنظيم من نشاطاته إلى هجمات ذات نطاق صغير في مزارع شبعا بفاصل زمني يصل إلى ستة أو ثمانية أسابيع وكف غالبا عـــن نشاطاته الإرهابية خارج المنطقة. وفيما يتعلق بهذا ذكر في الصحافة أن السفير البريطاني في لبنان بـــريان كنشـــ الـــتقى مع مسؤولين من حزب الله في 12 كانون الأول 2001 في بيروت. راجع، غاريـــث سميث، السفير البريطاني يجري اتصالات مع مقاتلي حزب الله ؛ فاينتشال تايمز، 13 كانون الأول 2001. رغم أن هذه المفاتحات لم تؤد إلى شيء إلا أنها انعكاس مشوق للحسابات والتقديرات

المعقدة التي كان يجريها حزب الله والسوريون وبشكل شبه أكيد القيادة الإيرانية في هذه الفترة.

(52) حول هذه الفترة، راجع، ايال زيسر، هجمات حزب الله : الدوافع والمدلولات ؛ تل أبيب نوتس 30، جامعة تل أبيب، مركز حافي للدراسات الاستراتيجية، 28 كانون الثاني 2002

(53) استمر الجيش الإسرائيلي بالتحليق في الفضاء الجوي اللبناني وإرسال الدوريات على طول الشاطئ اللبناني منذ انسحاب قوات الدفاع الإسرائيلية من جنوب لبنان. راجع التقرير نصف السنوي للامين العام حول القوات المؤقتة التابعة للأمم المتحدة في لبنان ؛ مجموعة الأزمات الدولية، حزب الله ص 8 . وفي حزيران 2001 بدا حزب الله بإطلاق النيران بشكل متقطع على الطائرات العسكرية الإسرائيلية التي تخترق المجال الجوي اللبناني. وفي بداية 2002 بدأت عناصر التنظيم شبه العسكرية بإطلاق النيران المضادة للطائرات ضمن المجال الجوي الإسرائيلي بعد أن تكون الطائرات الإسرائيلية قد مرت. مجموعة الأزمات الدولية، ألعاب قديمة وقواعد جديدة ص9 . لم تكن القذائف المضادة للطائرات التي يطلقها حزب الله قادرة على ضرب الطائرات الإسرائيلية ولكن إطلاق هذه النيران كان الهدف منه أحيانا تخطي الخط الأزرق حيث كانت الطائرات تحط في كيبوتزيم في شمال إسرائيل فتحدث إصابات طفيفة وأضرار بالممتلكات ؛ راجع، سوبلمان، قواعد جديدة للعبة. ص 70 -87

(54) انعكس القلق الأميركي حول ازدياد خطر حدوث صراع إقليمي في إعلان الرئيس بوش في شباط 2002 انه سيرسل مبعوثه إلى الشرق الأوسط الجنرال البحري المتقاعد انتوني زيني، وفي خطابه في روز غاردن في 4 نيسان 2002 حول الشرق الأوسط الذي أعلن فيه إرسال وزير خارجيته كولن باول إلى المنطقة.

(55) حول رحلة باول في نيسان 2002 إلى الشرق الأوسط، راجع، بوب وود وورد، بوش في حالة حرب، نيويورك : سيمون وشوستر 2002 ص 323 – 326 . يقول وود وورد أن مستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس حجمت من جهود باول لإعادة بدء العملية السياسية بين إسرائيل والفلسطينيين وحيث كان المؤلف ممثلا لمجلس الأمن القومي في هذه الرحلة فان بإمكانه التأكيد على دقة هذا الوصف.

(56) شن حزب الله حوالى عشرة مجموعات من الهجمات على مدى عامين ما بين اب 2002 – آب 2004 وكان ذلك عادة ردا على تصعيد العنف في ميدان الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي وانتهاك سيادة لبنان. وهذه الهجمات لا تتضمن إطلاق النيران المضادة للطائرات ردا على تحليق الطائرات الإسرائيلية فوق الأراضي اللبنانية وقد كان كلا هذين الأمرين يحدثان بانتظام. عن الاستراتيجية التي تكمن وراء هجمات حزب الله، راجع: نيكولاس بلانفورد، حزب الله والورقة اللبنانية لسورية، تقرير الشرق الأوسط اون لاين 14 أيلول 2004

(57) مجموعة الأزمات الدولية، حزب الله ص 6-8 . من المشوق أن ننوه في هذا الخصوص إلى أن رئيس الوزراء اللبناني الحريري ووسائل الإعلام التي يسيطر عليها قد تذمروا علنا في ربيع 2001 من

العمليــات العسكرية المتواصلة لحزب الله على الحدود مع إسرائيل بعد الضربة الجوية الإسرائيلية على محطــة الرادار السورية في نيسان. وتذمر الحريري ومعسكره مرة ثانية خلال فترة التصعيد في آذار – نيسان 2002 مما أثار التساؤل حول إحدى النقاط الهامة للفعالية السورية مع إسرائيل.

(58) استمر حزب الله في محاولة إيجاد سبل جديدة لتغيير المعادلة العسكرية على طول المنطقة الحدودية بحيث تصبح لصــالحه، مثلما حين حاول تحليق طائرة مراقبة بلا طيار إيرانية الصنع فوق شمال إسرائيل في تشــرين الــثاني 2004 دون أن تــتمكن قوات الدفاع الإسرائيلية من اكتشافها في الوقت المناسب لإسقاطها.. ورغم أن الطائرة لم تكن مزودة بالأسلحة وذات قيمة ضئيلة كأداة مراقبة إلا أن المراقبين الإسرائيليين حذروا من أن طائرة كهذه كان يمكن أن تكون محملة بالمتفجرات أو بأسلحة كيماوية في المســتقبل. وقــد أعلن حزب الله انه سيستمر باستخدام طائرات التجسس طالما استمرت الطائرات الإسرائيلية في التحليق فوق سماء لبنان. من الواضح أن حزب الله قد استمر في البحث عن وسيلة لردع طائــرات المراقبة الإسرائيلية حيث لا تبدو هذه الوسيلة تهديدية بما يكفي للتحريض على مستوى غير مقــبول من الانتقام العسكري من جانب قوات الدفاع الإسرائيلية . الجزيرة. نت، 8 تشرين الثاني، 2004 النهار 9 تشرين الثاني 2004.

(59) لقــد قال دنيس روس بهذا الخصوص أن بشار ما زال يفكر في أن إسرائيل ستبقى ضمن حدود معينة وهو يحتاج لأن يسمع منا ذلك.. فإذا كان يحرض للحرب فلا تتوقعوا منا أن نأتي لإنقاذكم، جيفري غولدبيرغ، في حزب الله، نيويوركر 78 رقم 31، 14 تشرين الأول 2002.

(60) وصــف بعــض المحللين هذا بأنه إضفاء للصفة الفلسطينية على حزب الله، مجموعة الأزمات الدولية، حزب الله، ص 9

(61) حســن نصرالله قائد حزب الله : عرفات ليس الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني، الموند، مدريد، 18 كانون الأول 2001

(62) كارمون، القتال على جميع الجبهات ص25

(63) اعترضــت قوات البحرية الإسرائيلية سبيل السفينة في البحر الأحمر . للاطلاع على التفاصيل راجع، روبــرت ساتلوف، كارين – 1000 : المدلولات الاستراتيجية للتواطؤ الإيراني الفلسطيني، بوليسي ووتش 593، واشنطن : معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 15 كانون الثاني 2002

(64) أوقفــت قــوات الأمــن الأردنية هذه العملية . ذكرت قصة تعاون حزب الله وإيران في مجال تهريب الأسلحة والهجوم على إسرائيل عبر الأردن في كتابات أمير طاهري، الأردن تكشف عن خطط إيرانية لشن الهجمات على إسرائيل من أراضيها، الشرق الأوسط، 5 شباط 2002

(65) غولدبرغ، في حزب الله، كارمون، القتال على جميع الجبهات، ص 16-17

(66) المرجع السابق، ماثيو ليفيت، موقع لحزب الله في الضفة الغربية، بيس ووتش 429، واشنطن : معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 20 آب 2003

(67) اريـــيه اوسوليفان، حزب الله يجند العرب الإسرائيليين، جيروزالم بوست، 19 شباط 2002، غاري غامبل، منفذو العمليات الإسرائيليون لحزب الله، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 4 رقم 9، أيلول 2002، غولبيرغ، في حزب الله

(68) كـــان واضـــحا أن هذا المعسكر قد تم استخدامه من قبل عدة جماعات إرهابية مختلفة بما فيها الجهاد الإســـلامي التي ادعت المسؤولية عن هجوم حيفا . دوغلاس جل، تم تحديد موقع الإنشاء في معسكر سوري ضربته إسرائيل، نيويورك تايمز، 10 تشرين الأول 2003

(69) في حوار شخصي للمؤلف مع مسؤولين مصريين وإسرائيليين .

(70) وكالة الصحافة الفرنسية 9 كانون الأول 2004، أخبار الشرق، 8 كانون الأول 2004

(71) للاطـــلاع عـــلى التفاصـــيل راجع، غاري غامبل، ترسانة الصواريخ الاستراتيجية لحزب الله، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 4 رقم 11، تشرين الثاني – كانون الأول 2002 . بدا شارون بالتذمر علنا حول مدى عودة تزويد إيران لحزب الله وطبيعة الأسلحة التي زودته بها في آذار 2001.

(72) المرجع السابق

(73) غولدبيرغ، داخل حزب الله، يتجاوز الرقم 8000، كارمون، القتال على جميع الجبهات، يقدر الرقم بـــ 9000، غامبل، الترسانة الصاروخية الاستراتيجية لحزب الله يعطي رقم 10000

(74) خطاب التولية

(75) الرئيسان المصري والسوري يدعوان لقمة عربية، القناة الفضائية المصرية، القاهرة، موجز مؤسسة البث الـــبريطانية لما تبثه المحطات العالمية، 2 تشرين الأول 2000، سنشير إلى هذا المرجع منذ الآن بالمؤتمر الصحفي المشترك لمبارك والأسد.

(76) كريستوفر هيمر، لقد أعوزتك هذا : سورية واوسلو وانتفاضة الأقصى، ميدل ايست بوليسي 10 رقم 3، 22 أيلول 2003

(77) الشرق الأوسط 8 شباط 2001

(78) غريب أن الكاتب لم يلتقط الرسالة الضمنية الذكية التي وجهها الرئيس الأسد هنا بهذه العبارات السياسية الدقيقة.(المدقق)

(79) المرجع السابق

(80) أخذت الترجمة السورية الرسمية لخطاب بشار في القمة من موقع وزارة الإعلام السورية على الانترنت
www.moi-syria.com/bassad.html
سنشـــير إلى الخطاب منذ الآن بخطاب قمة الجامعة العربية في عمان . وقد قام المؤلف بمراجعة الترجمة الـــسورية لتحسين نوعية اللغة الانكليزية فيها.

(81) شـــهادة بـــول اونيل وزير المالية السابق، رون سوسكيند، ثمن الولاء : جورج بوش والبيت الأبيض وثقافة بول اونيل، نيويورك : سيمون وشوستر 2004 ص 70 – 72 . خلال سنته الأولى في الحكم

كان العمل الوحيد الهام للرئيس بوش فيما يتعلق بعملية السلام العربية – الإسرائيلية مسالة لغوية بحتة حيث صادق في خطاب لـــه في الجمعية العمومية في الأمم المتحدة في تشرين الثاني 2001 على إقامة دولة فلسطينية كجزء من حل إقامة دولتين للصراع الإسرائيلي – الفلسطيني

(82) تتألف المجموعة الرباعية من الولايات المتحدة وروسيا والاتحاد الأوربي والأمين العام للأمم المتحدة فقد بــدأت في مدريــد في نيســان 2002 لتنسيق الجهود الدولية بهدف التوسط في الصراع العربي – الإســرائيلي . ولكن جهود المجموعة تركزت بشكل حصري تقريبا على المسار الفلسطيني . وحيث كــان المؤلف مشاركا في إنشاء المجموعة الرباعية وإعداد بياناتها الأولية وعدة بيانات لاحقة يستطيع المؤلف بأن يثبت بأن بوش والبيت الأبيض قد أحجما دوما عن الإشارة إلى سورية في وثائق الرباعية وكانــت الإشارات إلى سورية في البيانات العامة للرباعية فقط. وفي خطاب الرئيس في 24 حزيران وهـــو البـــيان الرئيس للإدارة الأميركية حول السلام العربي – الإسرائيلي،وقد ركز الرئيس بشكل كــامل على الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني . كانت الإشارة الوحيدة إلى سورية تقول : يجب أيضا أن نحـــل القضـــايا المتعلقة ... سلام نهائي بين إسرائيل ولبنان وإسرائيل وسورية وهذا يدعم السلام ويحارب الإرهاب . يمكن الاطلاع على النص على موقع الانترنت

www.whitehouse.gov/news/releases/2002/06/20020624-3.html

يقصـــد من خارطة الطريق خطة تدريجية خطوة بخطوة لتنفيذ خطاب الرئيس الذي أدلى به في حزيران وعـــنوانه الرسمي : خارطة الطريق التي تعتمد على انجاز حل الدولتين الدائمتين للصراع الإسرائيلي – الفلسطيني . يمكن الاطلاع على النص على موقع الانترنت:

www.state.gov/r/pa/prs/ps/2003/20062.htm

لم يتم فقط حذف اسم سورية من العنوان بل لم يتم ذكرها في سياق النص حتى الجانب الثاني حيث ترى الخطة عقد مؤتمر للأطراف الأربعة لدعم الانتعاش الاقتصادي الفلسطيني والبدء بعملية تودي إلى إقامة دولة فلسطينية ذات حدود مؤقتة . تشير الوثيقة إلى أن هذا المؤتمر يجب أن يكون شاملا ويعتمد على هدف تحقيق السلام الشامل في الشرق الأوسط بما في ذلك سلام بين إسرائيل وسورية وإسرائيل ولبـــنان . في الجانب الثالث تركز الوثيقة على المفاوضات للتوصل إلى اتفاق دائم وشامل بين إسرائيل ودولة فلسطين الجديدة . تدعو الوثيقة إلى بذل الجهود الدولية لدعم التقدم للوصول إلى تسوية شاملة بين إسرائيل ولبنان وإسرائيل وسورية وعلى أن يتم تحقيقها بأسرع وقت ممكن .

(83) المؤتمر الصحفي المشترك لمبارك والأسد

(84) خطاب قمة الجامعة العربية في عمان .

(85) خطاب قمة منظمة المؤتمر الإسلامي في الدوحة لا نفهم كيف يعتبر الكاتب هذين التصريحين معادين للسامية(المدقق).

(86) خطاب قمة الجامعة العربية في عمان

(87) نشرت وكالة الأنباء السورية الترجمة الانكليزية الرسمية على موقعها يوم 5 أيار 2001 ومن ثم أزالته. ايـال زيســر، Damascus Blood Libel، تـل أبيب نوتس 18 جامعة تل أبيب، مركز حاي للدراسات الاستراتيجية 10 أيار 2001

(88) S/RES/1397 القرار الذي تم تبنيه في 12 اذار 2002

(89) في حوار شخصي للمؤلف مع مسؤولين أميركيين وأوربيين

(90) ردت ســورة عــلى مــبادرة غزة أولا بتأكيد بوش لشارون بإعلانها أنها على الرغم من الانتهاكات الإسـرائيلية للشـرعية الدولية فان الرئيس الأميركي قد حث العالم على شكر الإرهابي شارون لأنه سوف ينسحب من غزة . كما لو أن هذا الانسحاب يمثل تنازلا من جانب إسرائيل التي أخرت هذا الانسحاب غير الكامل على مدى ما يزيد عن خمس وعشرين سنة في ضوء قرار مجلس الأمن في الأمم المتحدة رقم 242 . إذاعة دمشق 22 نيسان 2004 .

(91) بــدأت سورية بالتلميح عن رغبتها بعودة البدء في المفاوضات مع إسرائيل في نهاية نيسان. البيانات السورية لوزراء خارجية تركيا واليابان، يقول وزير الخارجية أن سورية مهتمة بسلام عادل وشامل في الشـرق الأوسط، اسوشييتد برس، 29 نيسان 2003. وفي 7 أيار 2003 تحدث ناطق رسمي باسم وزارة الخارجـيـة الســورية عن تجديد استعداد سورية الدائم للعودة إلى المفاوضات على أسس مؤتمر مدريد وقرارات مجلس الأمن المرتبطة به ومبدأ الأرض مقابل السلام ونفى المتحدث أن يكون هنالك محادثـات سرية مع إسرائيل في الأشهر السابقة، سورية تنكر المحادثات السرية مع إسرائيل، الصحافة الدولية المتحدة، 7 أيار 2003. وبعد ثلاثة أيام نشرت صحيفة تشرين اليومية الحكومية السورية مقالا تعلـن فيه استعداد سورية لتجديد المفاوضات. حول إعلان سورية وردود إسرائيل، راجع، إسرائيل مستعدة للتفاوض مع سورية إذا جاءت بأيد نظيفة: شالوم، وكالة الصحافة الفرنسية، 10 أيار 2003 ، هيوب كينون، لانتوس يحدد الخطوات لسورية، جيروزالم بوست 20 نيسان 2003

(92) تشــك إســرائيل في عرض المحادثات السورية، وكالة الصحافة الفرنسية 29 نيسان 2003، رئيس الوزراء الإسرائيلي ينظر إلى محادثات غير مشروطة مع سورية، العلاقات مع أبو مازن، القناة الأولى في التلفزيون الإسرائيلي 8 أيار 2003

(93) لالي ويمــاوث، الرئـيـس السوري بشار الأسد يتحدث عن العراق وإسرائيل وأسلحة الدمار الشامل، نيوزويك 19 أيار 2003

(94) نيل ماكفاركوهار، سورية تلح على المحادثات مع إسرائيل، نيويورك تايمز 1 كانون الأول 2003

(95) هيوب كينون، شارون حذر من المقترحات السورية، جيروزالم بوست 29 كانون الأول 2003

(96) للاطــلاع عــلى الجدل في إسرائيل حول كيفية الرد على المقترحات السورية راجع، هيوب كينون، رئيس الوزراء وشالوم يختلفان حول المقترحات السورية، جيروزالم بوست 31 كانون الأول 2003 ؛ بيـتر ابناف، تقارير: الوزراء يضغطون على إسرائيل حول المحادثات، اسوشييتد برس 8 كانون الثاني

2004، هـــازل وارد، إســرائيل تقــول بأن على سورية أن تنهي دعمها للإرهاب من اجل إحياء المحادثات، وكالة الصحافة الفرنسية 11 كانون الثاني 2004

(97) كلود صالحاني، تحليل: مستوطنات الجولان تعرقل السلام، الصحافة الدولية المتحدة 31 كانون الأول 2003

(98) أعلن كاتساف مبادرته لأول مرة عبر الإذاعة الإسرائيلية وجدد دعوته هذه في مقابلة على قناة الجزيرة بعـــد يومين، راوية راجح، الرئيس الإسرائيلي يحث سورية على الزيارة، اسوشييتد برس 14 كانون الثاني 2004

(99) وصف رئيس الوزراء السوري محمد ناجي العطري عرض كاتساف على انه دعوة علنية وقال انه ليس هـــناك أمل بتحقيق سلام عادل وشامل مع الإدارة الصهيونية، راجع راجح، الرئيس الإسرائيلي يحث ســورية عـــلى الزيارة، إديث ليدر، مندوب سورية يرفض الدعوة الإسرائيلية للمحادثات، اسوشييتد برس 13 كانون الثاني 2004. راجع افتتاحية هشام بشير في صحيفة تشرين اليومية التي تديرها الدولة في 17 كانون الثاني 2004 بعنوان تحديات السلام، التي كتب فيها المؤلف: إذا كانت إسرائيل جادة حقـــا في عروضــــها فيجب أن تعلن صراحة التزامها المطلق بقرارات القانون الدولي المتعلقة بهذا الأمر واستعدادها لاستئناف المفاوضات من النقطة التي توقفت عندها.

(100) في مقابلة مع المؤلف في 17 كانون الثاني 2004

(101) في حوار شخصي للمؤلف مع مسؤولين أتراك.

(102) حول تعليقات لارسن راجع، نينا جلعوت، لارسن: يدعو الأسد إلى تنفيذ وعيده، جيروزالم بوست 1 كـــانون الأول 2004. أوردت وكالة أنباء الشرق الأوسط من القاهرة تعليقات مبارك بعد اجتماعه مع بشار، 30 تشرين الثاني 2004

www.mena.org.eg

على الرغم من أن لارسن ومبارك قالا بان بشار اخبرهما بأنه راغب بالتفاوض دون شروط مسبقة إلا أن بشار اخبر رئيس الوزراء اللبناني إميل لحود (هكذا وردت خطأ في النص) أن الموقف السوري هو استئناف المفاوضات من النقطة التي توقفت عندها. وقد كرر وزير الإعلام السوري مهدي دخل الله هـــذا الموقف في مقابلة تلفزيونية لــــه، راجع وكالة الأنباء السورية 30 تشرين الثاني 2004، وقناة الجزيـــرة 30 تشــــرين الثاني 2004 . وبعد تعليقات لارسن بوقت قصير كشف الرئيس الإسرائيلي موشيه كاتساف عن انه قد أجرى محادثات سرية مع الأسد في أيار 2004 وقد عرض الاجتماع مع الرئـــيس السوري في إسرائيل أو سورية أو بلد ثالث. وقال الأسد في رده حسبما ذُكر:"سوف أكون سعيدا بلقائي معك إذا جئت ممثلا للحكومة الإسرائيلية" فرد كاتساف بأنه يستطيع القدوم ممثلا لدولة إســـرائيل وليس للحكومة، فرفض الأسد الفكرة. راجع معاريف، تل أبيب 9 كانون الأول 2004. وقد طلب كاتساف من الأسد أن يثبت جديته في دعوته الجديدة لمفاوضات السلام بالتعبير عن حسن

النيــة كـــان يعيد مثلا رفات الجاسوس الإسرائيلي ايلي كوهين الذي نفذ فيه النظام السوري حكم الإعدام في عام 1065، اسوشييتد برس 9 كانون الأول 2004

(103) في حوار شخصي للمؤلف مع مسـؤولين إسرائيليين. يعبر المؤلف عن امتنانه لمارتين انديك على تدقيقه في هذه النقطة.

(104) يدعي المسـؤولون الأتراك أن أهم عامل أسهم في إفشال جهودهم لإعادة بدء المناقشات الإسرائيلية – السورية كان اغتيال الإسرائيليين لقائد حماس الشيخ احمد ياسين في آذار 2004

(105) نشــرت مــبادرة ولي العهد السعودي لأول مرة في مقابلة مع توماس فريدمان، إشارة آسرة من ولي العهــد الســعودي، نــيويورك تايمز 17 شباط 2002. نشر هنري سيغمان مزيدا من الإيضاحات الســعودية حــول ظروف ووقائع المبادرة، هل ستستغل إسرائيل الفرصة؟. نيويورك تايمز 21 شباط 2002. راجـــع التعليق على الجدل الداخلي العربي حول المبادرة قبل القمة العربية في آذار 2002، ســـرج شميمان، بسرعة فكرة السلام السعودية تحظى بالزخم في الشرق الأوسط، نيويورك تايمز 13 آذار 2002

(106) يمكن الاطلاع على الترجمة الانكليزية لنص مبادرة السلام للجامعة العربية على موقع البوابة:
www.al-bab.com/arab/docs/league/peace02.htm

(107) في حوار شخصي للمؤلف مع مسـؤولين أميركيين وأردنيين

(108) ليا راضي، مبارك والأسد يريدان انخراط سورية في عملية السلام الجديدة مع إسرائيل، وكالة الصحافة الفرنســية 7 تموز 2003، الأسد ومبارك يدعوان لتضمين سورية ولبنان في خارطة الطريق، النهار – بيروت 8 تموز 2003

(109) لم تحــظ فكرة خارطة الطريق المنفصلة للمسار السوري بقبول الرباعية بسبب المقاومة الشديدة لإدارة بوش. وقد ماتت الفكرة فعليا عندما ترك موراتينوس منصبه كمبعوث خاص في نهاية حزيران 2003 وحل محله الدبلوماسي البلجيكي مارك اوت في 4 تموز. أصبح موراتينوس وزيرا للخارجية في حكومة زاباتيرو في اسبانيا التي تم انتخابها في آذار 2004 بعد هجوم القاعدة على شبكة القطارات في مدريد.

(110) حول التوترات في العلاقات الإيرانية – السورية بعد عملية تحرير العراق، راجع، هيثم مزاحم وانرس ســترندبرغ، سورية وإيران: علاقات متوترة في محيط متغير، مراجعة استخبارات جين، تشرين الأول 2003

(111) كانــت وجهــة نظر سورية – العراق أول فقرة تم إيرادها في البيان الرسمي لمؤتمر شرم الشيخ: إعادة التأكــيد على سيادة العراق واستقلاله السياسي ووحدة أراضيه بالإضافة إلى وحدته الوطنية بما يتوافق مــع مــبادئ عدم التدخل في شؤونه الداخلية وعلاقة حسن الجوار بين الدول كما وردت في دستور الأمــم المــتحدة. وقد أكد مؤتمر طهران للدول المجاورة على نتائج مؤتمر شرم الشيخ والتأكيد على الالتزام بمنع تقسيم العراق في البند الأول من البيان الرسمي: أكد وزراء الداخلية على بنود قرار مجلس

الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 1546 وبيانات الجلسات السابقة للدول المجاورة للعراق والتي تتضمن الجلسات الأخيرة في القاهرة وشرم الشيخ وأكدوا أيضا على سيادة العراق واستقلاله السياسي ووحدة أراضيه ووحدته الوطنية وحق الشعب العراقي بحياة مستقرة وآمنة . نص مؤتمر شرم الشيخ حول العراق، الأخبار، القاهرة 24 تشرين 2004، النص الكامل للبيان النهائي لمؤتمر طهران حول العراق، وكالة الأنباء الإيرانية طهران 1 كانون الأول 2004

(112) في حوار شخصي للمؤلف مع مسؤولين ودارسين إيرانيين

(113) زليف شيف، سورية تشتري الأسلحة للعراق في أوربا الشرقية، هآرتز 15 تموز 2002 ؛ غاري غامبل، سورية تسلح العراق، نشرة استخبارات الشرق الأوسط 4 رقم 9، أيلول 2002، دانيل ويليامز ونيكولاس وود، أسلحة أوربا الشرقية تجد طريقها إلى العراق، وبعض الموردين ربما يمنحون عضوية حلف شمال الأطلسي، واشنطن بوست 20 تشرين الثاني 2002

(114) في حوار شخصي للمؤلف مع مسؤولين أميركيين

(115) الآن سيبرس، الولايات المتحدة تفضل تخفيف العقوبات على العراق، في رحلته إلى الشرق الأوسط لخص باول خطة تركيز الجهود ضد الجيش، واشنطن بوست 27 شباط 2001، جين بيرلز، باول يواصل الطريق ويحل بعض النقاط، نيويورك تايمز 2 آذار 2001 ؛ الآن سيبرس وكولوم لينش،أميركا تتجنب المواجهة مع السوريين حول النفط العراقي، واشنطن بوست 14 شباط 2002. وفي طريقه إلى زيارة دمشق في أيار 2003 قال باول للمراسلين: إنني متأكد بأنه سيكون هنالك مناسبة لتذكير زملائي السوريين أنني قبل عامين حصلت على تأكيد حول أنبوب النفط واتضح لي أن الأمر ليس كما اتفقنا وسوف أتذكر هذا دوما. راجع غلين كيسلر، باول يفصل أسباب القلق لسورية في اجتماع للتخفيف من التوترات، يسعى الوزير للقيام بعمل محدد، واشنطن بوست 3 أيار 2003

(116) في أواخر تشرين الأول 2002 التقى مساعد وزير الخارجية ويليام بيرنز مع بشار وسلمه رسالة من الرئيس بوش يكرر فيها قلق الولايات المتحدة من الموقف السوري وقد كرر بيرنز رسالته هذه في زيارة لاحقة له إلى بغداد في كانون الثاني 2003

(117) مقابلة بشار مع محرر رويترز غربت لينباك في تشرين الأول 2002، يتعلق قلقنا بالمجهول فحتى الولايات المتحدة نفسها لا تعرف كيف ستنتهي الحرب في العراق. ولا يمكن لك تغيير النظام دون قتل ملايين العراقيين، راجع، الرئيس الأسد يستقبل محرري وسائل الإعلام، SyriaLive.net 19 تشرين الأول 2002

(118) (2002) S/RES/1441تم تبني القرار في 8 تشرين الثاني 2002. اعتبر القرار ضمن أشياء أخرى أن العراق يخرق قرارات مجلس الأمن ذات الصلة بهذا الموضوع وأثار الفصل السابع من دستور الأمم المتحدة وحذر العراق انه سيواجه عواقب جدية كنتيجة لاستمراره في انتهاك ما يتوجب عليه.

(119) ايال زيسر، سورية والحرب في العراق، مراجعة الشرق الأوسط للشؤون الدولية 7 رقم 2، حزيران 2003، مجموعة الأزمات الدولية، سورية بقيادة بشار -1- : تحديات السياسة الخارجية، تقرير مجموعة الأزمات الدولية حول الشرق الأوسط 23 بروكسل 11 شباط 2004 ص 3-4، 17

(120) في أسوأ مرحلة من هذا النشاط اعترض جنود القوات الجوية البريطانية الخاصة العاملة في الصحراء الغربية في العراق سبيل أربع حافلات محملة بمشبوهين من الانتحاريين الذين حاؤوا بهدف القتال ورغم أن هؤلاء حاؤوا من عدة دول عربية إلا أن جميعهم كان يحمل جوازات سفر سورية، راجع، سورية تمنح جوازات السفر للانتحاريين، تايمز – لندن، 2 نيسان 2003. واعترضت القوات الأميركية العاملة في غرب العراق في الأسبوع الأخير من الحرب سبيل حافلة كانت تقل تسعة وخمسين رجلا في سن العسكرية وبحوزتهم 650.000 دولار أميركي نقدا ورسالة تعرض المكافآت المالية مقابل قتل الجنود الأميركيين، وقد تم إعادة توجيه سير الحافلة إلى سورية. راجع، هانز غريميل، المقاتلون الأجانب يشكلون تهديدا في العراق، اسوشيتد برس 15 نيسان 2003 . قدم شاب فلسطيني من لبنان وصفا مباشرا حيث انضم إلى المجاهدين الآخرين الأجانب في دمشق على أن يتم نقلهم بالحافلات إلى منطقة الحرب في العراق، جوناثان ستيل، الحرب في الخليج: في قافلة إلى الهلاك، العرب الذين يريدون مساعدة إخوانهم العراقيين، غارديان – لندن 3 نيسان 2003

(121) حوار شخصي للمؤلف مع مسؤولين أميركيين

(122) حول ملاحظات رامسفيلد أن سورية كانت ترتكب أفعالا عدوانية ستكون مسؤولة عنها، راجع دافيد سانغر واريك شميث، رامسفيلد يحذر إيران وسورية من مساعدة العراق، نيويورك تايمز 29 آذار 2003. وردت في مؤلفات روميش راتنيسار تهديدات وتحذيرات الإدارة الأميركية لسورية خلال الحرب على العراق، هل المحطة التالية سورية ؟. تايمز 161 رقم 17، 28 نيسان 2003 . ايال زيسر، سورية والولايات المتحدة: Bad Habits Die Hard فصلية الشرق الأوسط، صيف 2003

(123) في 17 نيسان 2003 أفاد باول في مقابلة له في البرنامج التلفزيوني (أخبار الساعة) مع جيم ليهرر، كما قلت سابقا وقد أشار الرئيس إلى ذلك بالتأكيد في تعليقاته، لا يوجد خطة حرب على طاولة أي واحد الآن للبدء بالمسير نحو سورية.

(124) في 21 نيسان 2003 انتقص الرئيس بوش من أهمية القلق حول أن تكون سورية هدفا وشيكا وقال : إنني واثق من أن الحكومة السورية قد سمعتنا وأنا أصدقهم حين يقولون أنهم يريدون التعامل معنا، ريتشارد و. ستيفنسن، بوش يقول الآن انه يصدق بان سورية تريد التعاون، نيويورك تايمز 21 نيسان 2003

(125) من مقابلة بشار مع محرر روبترز غريت لينباك، 19SyriaLive.net تشرين الأول 2002

(126) استضافت سورية اجتماعا لمدة يومين لوزراء خارجية إيران وتركيا والسعودية والكويت والأردن في تشرين الثاني 2003 . سام غطاس، الدول الإقليمية تدعو العراق لتعاون الحدودي وتحذأميركا على

إعادة النظام، اسوشييتد برس 2 تشرين الثاني 2003

(127) فيونــــون لويـــب، القادة يشكون في أن سورية هي نقطة الدخول، واشنطن بوست 29 تشرين الأول 2003

(128) مجموعة الأزمات الدولية، سورية بقيادة بشار -1- ص 6

(129) شهادة مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى ويليام بيرنز أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ 30 تشرين الأول 2003

(130) قال مسؤولون أميركيون وسوريون للمؤلف أن السفير السوري مصطفى قد أخبر بان هنالك طلب من احـــل التنسيق العسكري الأميركي- السوري لضبط الحدود السورية – العراقية وسوف يسلم لنائب وزير الخارجية المعلم بعد بضعة أيام أثار مكتب وزير الدفاع ضجة ناجحة ضد الفكرة و لم يتم تسليم المقترح بشكل رسمي.

(131) روبـــن رايت وغلين كيـــلر، يسعى البعض لمعاقبة سورية على نقض عهودها بشان العراق، واشنطن بوست 20 نيسان 2004

(132) في حوار شخصي للمؤلف مع مسؤولين أميركيين

(133) كـــارلا آن روبـــر وغريغ جافي،أميركا تقدر جهود سورية لضبط الحدود مع العراق. صحيفة وول ستريت، 10 كانون الأول 2004

(134) المـــرجع السابق وتوماس ي. ريكس، تقولأميركا أن المتمردين يتلقون الدعم من حلفائهم في سورية. واشنطن بوست. 8 كانون الأول2004.

(135) شهادة بيرنز، 30 تشرين الأول 2003.

(136) رايت وكيسلر، البعض يسعى لمعاقبة سورية على عدم وفائها بالعهود بشأن العراق، خلال زيارة رئيس الـــوزراء العراقي إياد علاوي لدمشق في تموز 2004 بدا أن الحكومتين قد استقرتا على تحديد مقدار ودائـــع الـــنظام العراقي السابق في المصارف السورية والتي تقدر بثمانمئة مليون دولار أميركي ولكن المسؤولين السوريين نوهوا إلى أنهم لن يحرروا الودائع المصرفية إلى حين مغادرة قوات الاحتلال للعراق. السفير 27 تموز 2004، البعث 27 تموز 2004، مجموعة أكسفورد للأعمال 27 تموز 2004

www.oxfordbusinessgroup.com

(137) كلـــيفورد كرواس،أميركا ترحب بانصهار الجليد عن العلاقات مع سورية العملية، نيويورك تايمز، 2 كـــانون الثاني 2002. هناك تلميحات سابقة حول أن سورية كانت مستعدة وراغبة بمساعدة وكالة الاســـتخبارات المركزية وقد أوردها جيمس رايزن وتيم وينر، بقال أن وكالة الاستخبارات المركزية طلبت المساعدة من سوريه، نيويورك تايمز، 30 تشرين الأول 2001.

(138) سيمور هيرش، السوريون يراهنون، نيويوركر 79 رقم 20، 28 تموز 2003.

(139) شهادة دافيد ساترفيلد، نائب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى أمام لجنة العلاقات الدولية

في البيت الأبيض في 18 أيلول 2002، شهادة بيرنز، 30 تشرين الأول 2003.

(140) هــوش، السوريون يراهنون، بصفته مديراً مرموقاً في مجلس الأمن القومي لشؤون الشرق الأوسط كان المؤلــف مرافقاً لمساعد وزير الخارجية بيرنز في هذا الاجتماع.(**الواقع أن هذه السقطة ،تعني أن لا يُقدر المســؤولون الأميركــيون في البنتاغون أهمية سورية الاستراتيجية في حملة مكافحة الإرهاب لأسباب إيديولوجــية تأملية، هي التي تقف حائلا أمام تطوير العلاقات السورية –الأميركية "د. عماد فوزي شعيبي"**)

(141) في حــوار شــخص للمؤلف مع مسؤولين فرنسيين. لقد كان شيراك أيضاً مؤيداً قوياً لرئيس الوزراء اللبناني الحريري في جهوده لوضع لهج سياسة أكثر استقلالاً إلى حد ما.

(142) في مقــابلات مع المؤلف، كانون الثاني 2004، راجع أيضاً مجموعة الأزمات الدولية، سورية بقيادة بشــار(I)، ص6، تحدث باول عن مواصفات استراتيجية الإدارة الأميركية بإعادة استخدام المظالم القديمة مع سورية في حديثة إلى الصحافة وهو في طريقه إلى دمشق في زيارة 2 أيار 2003، لقد كتب الرئــيس للرئــيس الأسد سابقاً. إلهم يعرفون بأننا مهتمون وهم يعرفون الأشياء التي لا نوافق عليها صــراحة وهكذا سوف أكررهم جميعاً كما فعل كل المحاورين الذين ذهبوا إلى سورية. وهي جميعها ليست بالمجهولة وسوف نناقش كل منها بمفرده. سوف ناقش جميع الأشياء التي كانت موضع خلاف معهــم على مدى سنوات بدءاً من الإرهاب إلى أسلحة الدمار الشامل وصولاً إلى بعض أعمالهم في الأسابيع الستة أو السبعة في مرحلة الاستعداد للقتال في العراق ومن ثم أثناء القتال في العراق ودعمهم لبعض التنظيمات التي لها تواجد في لبنان وسورية. تسجيل موجز اللقاء في طريقه إلى دمشق- سورية، البيان الصحفي لوزير الخارجية، 2 أيار 2003.

(143) لويــس ميكسلر، القائدان السوري والتركي يلتقيان وسط القلق حول الأكراد في العراق، أسوشيتيد برس، 7 كانون الثاني 2004. ولقد استخدمت سورية تركيا أيضاً كوسيط لنقل الرسائل الشفهية إلى إســرائيل. خــدام: أرســلت ســورية رسائل شفهية إلى إسرائيل عن طريق تركيا لإحياء محادثات السلام.اسوشيتد برس، 18 شباط 2004.

خيارات وتوصيات للسياسة الأميركية

في سياق تعاقب الإدارات الأميركية ما بين الديمقراطيين والجمهوريين حددت الولايات المتحدة أجندة سياسية تواقة تجاه سورية. تتضمن الأهداف الأميركية حاليا للحيلولة دون تدخل سورية في الأهداف الأميركية في العراق ووضع حد لدعم سورية للجماعات الإرهابية الفلسطينية وحزب الله اللبناني واستعادة تعاونها ضد تنظيم القاعدة وإيقاف برامج أسلحة الدمار الشامل السورية وإنهاء الاحتلال السوري للبنان. كان الامتداد المنطقي لتأكيد إدارة بوش على تعزيز التحرر الاقتصادي والسياسي في الشرق الأوسط الكبير أن تشجع الولايات المتحدة الإصلاح في سورية دون إثارة عدم الاستقرار هناك للحد من أن تصبح سورية مصدرا للتطرف الإسلامي المقاتل. على الرغم من عدم متابعة محادثات السلام الإسرائيلية – السورية منذ عام 2000، تستمر الولايات المتحدة في إيجاد مصلحتها في تشجيع التفاوض على السلام بين إسرائيل وسورية، فاتفاقية كهذه من شأنها أن تكون ذات قيمة بحد ذاتها وكجزء أساسي من السلام العربي – الإسرائيلي الشامل.

على الرغم من أهمية هذه الأهداف فشلت إدارة بوش في تطوير سياسة حقيقية تجاه سورية إذا كنا نقصد بذلك سلسلة متكاملة من المواقف العامة والمبادرات الدبلوماسية والإجراءات الأخرى التي -ربما- كانت تتضمن الاستخدام الفعلي أو التهديد باستخدام القوة سواء بشكل علني وصريح أو سري. يتأصل هذا كله في استراتيجية حث سورية على تغيير تصرفاتها الإشكالية والتعاون من أجل تحقيق الأهداف الأميركية. يتوجب على الإدارة الأميركية حل خلافاتها الداخلية

بشـــان السياســـة تجاه سورية مما يجعلها في موقف غير فعال.. "لا في العير ولا في النفير".

خـــلال الفترة الأولى من الحكم وافقت الادراة الأميركية على قائمة محددة من الشـــكاوى حول عدم تعاون سورية بما يخص الأهداف الأميركية في العراق ودعم الإرهـــاب ومحاولة اقتناء أسلحة دمار شامل وقد كررت هذه الشكاوى جميعها في محـــاورات دبلوماسية غير مجدية على نطاق واسع مع دمشق. وعلى الرغم من أن الإدارة الأميركية استطاعت التنسيق فعليا مع فرنسا وأعضاء آخرين في مجلس الأمن لكسب التصويت لصالح القرار رقم 1559 في أيلول 2004،فقد حاذر فريق بوش في الجزء الأكبر من أية جهود جدية لتنسيق السياسة تجاه سورية مع الاتحاد الأوربي أو أي لاعب دولي هام.

يجـــب الـــنظر إلى افـــتقار إدارة بوش لسياسة جدية تجاه سورية من منظور تـــاريخي، فعـــلى مدى عقد تقريبا بدءاً من مؤتمر مدريد في عام 1991 ولغاية عام 2000 فكرت الإدارات الأميركية المتعاقبة الجمهورية والديمقراطية بمشاركة سورية بشـــكل رئيسي في سياق المسار السوري من عملية السلام العربية – الإسرائيلية. وفي هـــذه المقاربـــة كان لا بد من حل الخلافات الثنائية البارزة كجزء من تسوية ســـلام بين إسرائيل وسورية. كان من المفهوم عموما على سبيل المثال كجزء من هـــذه التسوية أن سورية لا تحتاج بل وستقطع روابطها مع الرافضين الفلسطينيين وتعمـــل على نزع السلاح من مقاتلي حزب الله في جنوب لبنان. وعلى نحو مماثل ســـيتم وضع برامج أسلحة الدمار الشامل في سورية في سياق أقل تهديدا وبشكل قابل للحل في النهاية. ولكن بالطبع معاهدة السلام التي عمل الوسطاء الأمريكيون جـــاهدين لتسهيلها بين إسرائيل وسورية لم تتم على الإطلاق. وعلاوة على ذلك، كمـــا نوهـــنا في عدة نقاط سابقة وفي غضون ستة أشهر من عام 2000 اختفت أســـس المقاربـــة الأميركية للمســـار السوري وأسس تدبر ماهية العلاقة الأميركية – السورية مع انهيار المسار السوري وانسحاب الإسرائيليين من جنوب لبنان ورحيل حافظ الأسد واندلاع انتفاضة الأقصى.

وكنتيجة لهذه الأحداث وصلت إدارة بوش إلى الحكم دون إطار تنفيذي موروث للسياسة تجاه سورية. ومع بداية الفترة الثانية للرئيس بوش كانت الولايات المتحدة ما زالت تفتقر إلى إطار للتعامل بشكل فعال مع سورية في ظل غياب المسار السوري عن عملية السلام. وكنتيجة لذلك كان لدى إدارة بوش فرصة نجاح ضئيلة لجعل سورية تعدل تصرفاتها الإشكالية أو لإيجاد علاقة بناءة مع نظام الأسد على الرغم من الرسائل الخطية والمكالمات الهاتفية لبشار من الرئيس بوش والاجتماعات الشخصية مع كولن باول خلال فترة كونه وزير خارجية بوش، وزيارات مسؤولين مرموقين آخرين في الإدارة الأميركية. إن هذا الفراغ السياسي ضارّ بالمصالح الأميركية ولا بد من تصحيحه إذا كانت الإدارة الأميركية تريد صياغة استراتيجية متماسكة للحرب على الإرهاب والمحافظة عليها لتحقيق اجندتها في الشرق الأوسط الكبير.

الأسس الاستراتيجية:

كيف يمكن أن تبدو السياسة الأميركية المثلى تجاه سورية؟.. يمكن للمرء منطقيا أن يحدد أربعة خيارات استراتيجية بديلة للسياسة الأميركية تجاه سورية وهي: زيادة العقوبات وأشكال الضغط الأخرى .. والسعي لتغيير النظام بشكل قسري في دمشق .. وإعادة البدء بالمسار السوري في عملية السلام في الشرق الأوسط .. والارتباط المشروط مع نظام الأسد خارج إطار عملية السلام.

لكل من هذه الاستراتيجيات مؤيدوها بين النخبة من المسؤولين عن السياسة الخارجية الأميركية، ولكل منها سجلها التاريخي في السياسة الأميركية سواء بإشارة خاصة إلى سورية أو لأية حالة أخرى.

زيادة الضغوط:

إلى ذلك المدى الذي تعكس به السياسة الأميركية الحالية تجاه سورية استراتيجية ضمنية، يبدو أن تلك الاستراتيجية هي محاولة تغيير للسلوك السوري من خلال زيادة الضغط على دمشق بفرض العقوبات الأحادية الاضافية واللغة الناقدة. هذا هو

بالتأكيد المنطق الذي بدأت به إدارة بوش بتنفيذه في أيار 2004[1]. وقد رغب بعض أعضاء الكونغرس بفرض مزيد من العقوبات على سورية[2]. وبهذا الخصوص، تتخذ الإدارة الأميركية خطوات تمهيدية لفرض عقوبات إضافية وفقا لقانون محاسبة سورية واستعادة سيادة لبنان؛ حيث سيتم إيقاف عمل الشركات الأميركية بشكل فعلي في القطاع المالي السوري حسب القانون الوطني، ويمكن أيضا اعتبار سحب السفير الأميركي من دمشق عقوبة فعلية كذلك.

بالنسبة للمؤيدين لهذه الإجراءات سيكون لفرض عقوبات إضافية قيمة رمزية للتعبير عن الاستياء الأميركي من سلوكيات سورية الإشكالية.و لسوء الحظ أن هنالك القليل في سجل التاريخ مما يدل على أن العقوبات الأحادية قد أسهمت يوما بشكل حقيقي في تعديل سلوكيات كتلك.[3]

إن لاستخدام الضغط على سورية من خلال فرض العقوبات الأحادية سجل طويل وهام بما يدلّ على أنه وسيلة غير مجدية في السياسة الأميركية. لقد اعتُبرت سورية دولة راعية للإرهاب منذ نشر قائمة الدول الراعية للإرهاب لأول مرة في عام 1979 وأصبحت عرضة بشكل تلقائي لفرض عدة عقوبات أحادية عليها بما في ذلك حظر بيع أو نقل المواد العسكرية والقيود المفروضة على نقل المواد ذات الاستخدام المزدوج ومنع المساعدات الأميركية للحكومات الواردة أسماؤها في القائمة والمعارضة الأميركية الإلزامية على مساندة المؤسسات المالية الدولية للدول المصنفة راعية للإرهاب.

يبدو أن مرور خمسة وعشرين عاما على هذه المقاربة لم تؤثر على السلوكيات السورية أو التقديرات الاستراتيجية والتكتيكية بشكل يكون مقبولا. ففي عام 1986 وتحت ضغوط من إدارة ريغان بعد قضية الهنداوي أُجبرت شركة النفط الأميركية التي طورت حقول النفط في سورية وهي (بيكتن انترناشيونال) على التجرد من ممتلكاتها في سورية ونقلها لشركة (شل) التي انشات الشركة الانجلو – هولندية كأكبر شركة نفط أجنبية تعمل في سورية.

قال أحد المدراء التنفيذيين في شركة شل أن تجريدأميركا للشركة لم يكن له

أي أثر سلبي على إنتاج النفط السوري أو الضغط على اقتصاد سورية وكل ما في الأمر أنها قد قدمت لشركة غير أمريكية فرصة عمر ثبت أنها تدر أرباحاً طائلة.

لمناقشـــة موضـــوع فرض عقوبات أحادية إضافية سواء وفقاً لقانون محاسبة ســـورية أو تبعاً لأي إجراء آخر سيكون في حد ذاته أكثر فعالية في المستقبل، على المرء أن يفسر لماذا لا يتم اعتبار سجل خمسة وعشرين عاماً من فشل هذه السياسة عـــامل تنبؤ بنتائج مماثلة للقيام بالسلوك نفسه. إن الظرف الوحيد الذي يمكن من خلالـــه للعقوبـــات أن تكون مجدية في تغيير السلوكيات السلبية لنظام مُشْكِل هو حينما يتم تطبيق عقوبات متعددة الأطراف[4]. ولكن في حالة سورية، فإن الدول الأوروبـــية والـــيابان وروسيا والصين واللاعبين الهامين في الاقتصاد العالمي ليسوا مســـتعدين للانضـــمام إلى الولايات المتحدة في فرض العقوبات على نظام الأسد بسبب الإرهاب أو أسلحة الدمار الشامل، وليس من الواضح إلى أي مدى سوف يســـتخدم هؤلاء الأطراف ضغوطاً على دمشق حول مسألة السيطرة السورية على لبنان.

وبهـــذا الخصوص نجد أن قرار الاتحاد الأوروبي استئناف المحادثات مع دمشق حول اتفاقية الشراكة وذلك مباشرة بعد صدور قرار إدارة بوش تنفيذ قانون محاسبة ســـورية يوحي بأن اللجوء إلى العقوبات الأحادية سوف يكون من شأنه فقط أن يقلـــل مـــن فـــرص تنسيق مواقف دول الاتحاد الأوروبي والأطراف الدولية الهامة الأخرى حول التوافق مع أهداف السياسة الأميركية تجاه سورية. وعند الإلحاح على ستيفن هادلي في جلسة تسجيل سؤال وجواب في تشرين الأول2004 الذي كان آنذاك نائب مستشار الأمن القومي نوه فقط إلى أن السياسات الأميركية والأوروبية تجاه سورية تفتقر إلى الكمال في التنسيق[5].

التغيير القسري للنظام:

في سياق الحرب العالمية على الإرهاب، انبثقت مقاربة أمريكية أخرى للتعامل مـــع الدول الإشكالية وهي السعي الفعلي أو بالتهديد لتغيير النظام بشكل قسري. فمـــنذ هجمـــات الحادي عشر من أيلول أصبح التغيير القسري للنظام من خلال

الفعـل العســكري الجزء الأهم في مقاربة إدارة بوش للحرب على الإرهاب. لقد استخدمت الولايات المتحدة القوة العسكرية لقلب الأنظمة الإشكالية في أفغانستان في عـام2001 وفي العـراق عـام2003. وقد ادعت الإدارة الأميركية مؤخراً أن التهديد بوجـود هدف تالٍ للتغيير القسري للنظام والذي نشأ من خلال العمل العســكري الأميركي لخلع صدام حسين في العراق دفع القائد الليبي معمر القذافي لاتخاذ قرار التخلي عن برامج أسلحة الدمار الشامل والتنكر للإرهاب[6].

وحـتى قـبل هجمـات الحادي عشر من أيلول اهتم المدافعون عن السياسة الخارجية من المحافظين الجدد بإمكانية السعي لفرض تغيير قسري للنظام في سورية. وفي عـام 1996 نشرت مجموعة من المحافظين الجدد الأمريكيين ومنهم دوغلاس فيـث وريتشارد بيرل[7] تقريراً يقدمون فيه توصيات لرئيس الوزراء القادم آنذاك بنـيامين نتنياهو فيما يتعلق بسياسة الأمن القومي الإسرائيلي وهي تضمن استخدام القـوة لتحقـيق أهداف إضعاف واحتواء بل و حتى صد سورية[8]. أعد مسودة الـتقرير محلـل السياسة الخارجية دافيد وورمسر الذي أوضح في أعماله اللاحقة خـياره المفضل في إقامة أنظمة سياسية استناداً إلى سلسلة النسب العائلية أو القبلية بدلاً من الأنظمة العلمانية القوية في كل من العراق وسورية[9].

شـغل فيث وبيرل مناصب ذات نفوذ في البنتاغون في فترة إدارة بوش الأولى وكـان وورمسر ضمن كادر وكيل وزير الخارجية جون بولتون وفي نهاية2004 كان مستشار نائب الرئيس ديك تشيني لشؤون الشرق الأوسط. وهكذا فليس من المدهـش أن يصـبح مكتب وزير الدفاع الطرف الأهم في الدفاع عن استراتيجية تغـيير النظام القسري تجاه دمشق يدعمهم في ذلك مكتب نائب الرئيس.في نيسان 2003 كـان نائـب وزير الدفاع بول وولفويتز أهم مسؤول في الإدارة الأميركية يقترح أن تقدم الولايات المتحدة على عمل عسكري ضد سورية مستشهداً بتقارير تؤكـد أن نظام الأسد كان يؤوي كبار القادة العراقيين وأسلحة دمار شامل بعد البدء بعملية تحرير العراق لتبرير تصريحاته وقال بأنه لابد من التغيير في سورية[10]. ساعد بيان وولفويتز في تهيئة الأرضية لتعليقات الوزير رامسفيلد في وقت لاحق من

ذلك الشهر. على الرغم من أن البيت الأبيض وبوش لم يختارا محاولة تغيير النظام في دمشق إلا أن أنصار ذلك من المحافظين الجدد داخل وخارج الإدارة الأميركية استمروا في النظر إلى سورية كهدف محتمل.

على الرغم من اتصاف تغيير النظام القسري من خلال العمل العسكري المباشر بجاذبية السماح للولايات المتحدة بالتحكم بالمبادرات تجاه دولة إشكالية، بوسائل سياسة ذات فعالية غير متكافئة، إلا أنه ليس بالخيار الكامل الأهداف. ففي بعض الحالات كما في أفغانستان بقيادة طالبان ربما يكون من غير الممكن تفادي استخدام القوة،وبالتالي يكون هناك ما يبرره على أساس استراتيجي وأخلاقي. ولكن من الواضح تماماً أن الإطاحة بنظام الأسد ليست هي الطريقة الوحيدة لتحقيق أهداف السياسة الأميركية تجاه سورية، **وفي الواقع فإن اهتمام بشار بإيجاد ترابط قوي يوحي بأنه بإمكانية الولايات المتحدة أن تحقق أهدافها بشكل أكثر كفاءة وفعالية من خلال الدبلوماسية الحذرة وبالحكمة أكثر من الغزو المسلح.**

وعلاوة على ذلك فإن الالتزامات المتواصلة في العراق تجعل من المشكوك فيه أن يكون لدى الولايات المتحدة خيار البدء بعملية تحرير سورية في أي وقت قريب. وعلى الرغم من مكانها كقوة عظمى فليس لدى الولايات المتحدة الذرائع الكافية سواء المادية أو السياسية لحل خلافاتها مع كل دولة مشكلة في كل أنحاء العالم بهذه الطريقة ضمن إطار زمني يكون منطقياً لإتمام الحرب على الإرهاب. لقد أصبحت القوات العسكرية الأميركية من الناحيتين اللوجستية والعملياتية تحت ضغط شديد ومتزايد بسبب المتطلبات المتواصلة في أفغانستان والعراق[11]. وليس البنتاغون بقادر حالياً على إرسال قوات كافية إلى الميدان لإكمال المهمات على كلا المسرحين وتلبية الالتزامات المتوجبة عليه في المناطق المتأزمة الأخرى مثل شبه الجزيرة الكورية[12]. إن الولايات المتحدة ببساطة لا تملك مصادر القوة العسكرية الكافية تحت تصرفها من أجل سلسلة واسعة من الحملات لقلب أنظمة الحكم المشاكسة عبر الشرق الأوسط[13]. ومع مرور الوقت أصبح هذا الوضع أكثر وضوحاً للمراقبين الإقليميين مما ألغى أية فائدة دبلوماسية أياً كانت يمكن أن

يتضمنها التهديد الضمني بحملات إضافية لتغيير الأنظمة بشكل قسري.

من المشكوك فيه سياسياً أن تتمكن الولايات المتحدة من المحافظة على الشرعية الدولية للحرب العالمية على الإرهاب في ظل غياب البدائل الاستراتيجية لتغيير الأنظمة بشكل قسري[14]. وفي أعقاب هجمات الحادي عشر من أيلول حظيت الولايات المتحدة على دعم المجتمع الدولي كافة لشن حملة عسكرية للإطاحة بنظام طالبان في أفغانستان، ومن أجل القيام بأعمال أخرى تضمن استبعاد أي تهديد آخر لهجمات تشنها القاعدة[15].و بتحويل التركيز إلى العراق حيث كان تبرير الحاجة الملحة لتغيير النظام بشكل قسري لا ترى فيه العديد من الأوساط أمراً محدداً وواضح المعالم فقدت الإدارة الأميركية برئاسة بوش قدراً هاماً من التأييد[16]. إن لجوء الولايات المتحدة إلى خيار تغيير النظام القسري في سورية حيث لا يتم الاهتمام بالخيارات الأخرى،على الها إما غير موجودة أو مستهلكة، فسوف يكون من شأن هذا بالتأكيد أن يقلل من الدعم الدولي للحرب على الإرهاب وخصوصاً أن خطر حدوث ضربة عكسية شعبية في العالمين العربي والإسلامي.

في حالة سورية على المرء أن يفكر ملياً أيضاً بالاحتمال القوي للمصاعب التي ستلي الصراع على نطاق يمكن مقارنته بما تواجهه القوات الأميركية وقوات التحالف في العراق. فالمجتمع السوري يتصف بتعقيد المجتمع العراقي مع وجود ميل مماثل للتقسيم على أساس عرقي أو طائفي.و توحي التجربة العراقية بأن أمام الحكومة الأميركية طريق طويلة قبل أن يعلن الأمريكيون عن ثقتهم بالقدرة على التوقع الصحيح للمصاعب المحتملة في محيط تحدٍ كهذا والتخطيط بفعالية لفرض الاستقرار في مرحلة ما بعد الحرب[17].

بالنظر إلى المشاكل المحتملة التي سترافق مع التغيير القسري للنظام في سورية من خلال العمل العسكري، يقترح البعض الاعتماد على عناصر المعارضة الخارجية لاكتساح نظام الأسد، حيث يستعد بعض المشرِّعين لسن ما يسمى قانون تحرير سورية ولبنان على نمط قانون تحرير العراق لتشجيع هذه الاستراتيجية. هنالك

بالتأكيد حركة معارضة سورية خارجية ولكنها مفككة وهشة؛ فهي تتألف من عناصر الإخوان المسلمين المنفيين والمناوئين العلمانيين لنظام الأسد في عدة أماكن أوروبية في لندن وباريس على الأغلب. وفي عام 2002 بدأ فريد غادري وهو ناشط سوري-أميركي بتأسيس حزب الإصلاح في سورية حيث قدّمه ليكون نواة معارضة خارجية مفعمة بالحياة ضد النظام السوري[(18)].

هنالك سجل تاريخي متواصل من الفشل بالنسبة للسياسة الأميركية حينما استرشدت باستراتيجية الاتكال على المعارضة الخارجية لإحداث تغييرات سياسية في الأنظمة الاستبدادية. إن ما فعله الكوبيون المنفيين في ميامي كان له أثر ضئيل في تحسين الأوضاع السياسية في كوبا أو في حياة الكوبيين العاديين. كما لم تُجدِ استراتيجية المنفيين نفعاً في مسألة تغيير النظام في العراق وكان المطلوب التدخل الأجنبي المباشر لتحقيق هذا الهدف. والأكثر من ذلك أنه منذ سقوط نظام صدام كانت مبالغة الائتلاف في الاتكال على عودة المنفيين إحدى العوامل المؤدية إلى خطر حدوث فشل استراتيجي للولايات المتحدة في العراق.

وعلى نحو مماثل يبدو أن حركة المعارضة السورية من المهجرين قاعدة غير ملائمة لتغيير المحيط السياسي داخل سورية. فليس هناك دليل أن هؤلاء المعارضين العلمانيين المنفيين لهم الكثير من الأتباع داخل سورية. كما يحاذر الناشطون من أهل البلد في مجال المجتمع المدني من الاشتراك مع المنفيين ويفضلون عدم جعل موقفهم داخل سورية موضع تساؤل. والاستثناء الوحيد عن ذلك هو حزب Yakiti الكردي الذي انضم إلى حزب الإصلاح في سورية. ولكن بالتمعن بالنتائج الإقليمية ومخاطرها التي يمكن أن تنجم عن الطموحات الكردية الانفصالية في محيط غير مستقر سياسياً يكون من الواجب على الولايات المتحدة توخي الحذر قبل أن تختار اللعب بالورقة الكردية في سورية. فمن شأن مقاربة كهذه على المدى القريب أن تعقد من العلاقات الأميركية مع اللاعبين الإقليميين المهمين مثل تركيا وإيران على الأقل مقابل مكاسب غير أكيدة. ومن شأن مقاربة كهذه على المدى البعيد أن تثير مخاطر تمزيق أوصال الدول متعددة الأعراق في صميم الشرق الأوسط، مما

يؤجج من نيران عدم الاستقرار الإقليمي.

وإضافة إلى ذلك.. حتى لو كانت المعارضة الخارجية قادرة على زعزعة استقرار نظام الأسد فإن تجربتي أفغانستان والعراق تؤكدان أن الانتقال السلس والهادئ لنظام سياسي جديد لن يكون الأمر السهل. **في الواقع أنه و بسبب العناد المتأصل في المجتمع السوري فإن أرجحية نتيجة سياسية متوقعة على المدى القريب لمثل هكذا سياسة هي الفوضى العارمة.** وأرجح بديلاً يمكن أن ينشأ عن هذه الفوضى هو دولة إسلامية وهذا بالكاد من الممكن أن يكون لصالح المصالح الأميركية.

وفي النهاية يقول بعض المحافظين الجدد إنه لابد من توسيع نطاق الحملة الحالية لإدارة بوش من أجل زيادة الضغط الدولي على سورية للانسحاب من لبنان بحيث تصبح حملة لإسقاط نظام الأسد. تنطبق على هذا السيناريو جميع التوضيحات التي تقدم دفعاً لأي سوء تفاهم حول الرغبة بتغيير النظام بشكل قسري سواء من خلال العمل العسكري المباشر أو النشاط المعارض الخارجي. **ووراء نقاط القلق هذه جميعها، هنالك خطر أن يساهم الانسحاب السوري المتهور من لبنان بعودة ظهور الصراع الطائفي هناك وخصوصاً في حال اندفعت الحكومة الجديدة في بيروت بسرعة إلى نزع السلاح من حزب الله تمشياً مع متطلبات القرار 1559 الذي يدعو إلى حل جميع الميليشيات اللبنانية ونزع السلاح منها.** وكبديل على ذلك أن يكون حزب الله في أي نظام سياسي جديد في بيروت يزعم أنه يمثل جميع عناصر المجتمع اللبناني.. **وهذا على أقل تقدير لن يكون كسباً واضحاً لصالح المصالح الأميركية.**

إعادة البدء بالمسار السوري:

من بين أولئك الميالين تجاه طرق بناءة أكثر في التعامل مع دمشق. ركز عدد من المحللين على أهمية إعادة البدء بالمسار السوري بشكل ذي معنى في عملية السلام في الشرق الأوسط. وفقاً للتجربة الطويلة من المفاوضات الإسرائيلية-السورية في التسعينيات، **يقول البعض أن تجديد المسار السوري هو الطريقة المثلى**

لواشنطن في تشجيع نظام الأسد على اتخاذ موقف يتصف بالتعاون والاسترضاء تجاه مخاوف أمريكا[19]. وقد اقترح آخرون أنه نظراً للأهمية المركزية المتعلقة بعودة مرتفعات الجولان إلى السيطرة السورية بالنسبة لحافظ وبشار الأسد فإن إعادة البدء بالمفاوضـــات تجـــاه تلك النهاية هي الطريقة الوحيدة التي تؤدي بطريقة فعالة إلى إشغال نظام الأسد[20].

إن جمـــيع هذه المناقشات غير ثابتة.و من المؤكد أن النشاط الأميركي المأمول فيما يتعلق بعملية السلام كان العامل الهام في أن يكسب التأييد السوري لائتلاف حـــرب الخليج الأولى. **فلقد كان المسار السوري خلال التسعينيات الإطار العام لهـــيكلة العلاقة الأميركية- السورية بشكل واسع**.و من الصعب أن نقول إن هذه العلاقة ما كانت في وضع أفضل في تلك السنوات مما هي عليها اليوم. فسوف يتيح استئناف المسار السوري للإدارة الأميركية إمكانية وضع الخلافات مع دمشق حول الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل ضمن إطار سياسي يمكن تدبره وسوف يكون من الأســـهل أيضـــاً على الولايات المتحدة وسورية التعاون حول مواضيع تقع خارج نطاق ميدان الصراع العربي- الإسرائيلي كالعراق مثلاً.

وعـــلاوة على ذلك.إذا أتى المسار السوري المجدد، أكله، فإن منافع ذلك لا يمكن إنكارها. إذ تشكل المعاهدة مع سورية أهمية خاصة بالنسبة لإسرائيل من أجل إكمال حلقة السلام حسب تعبير شيمون بيريز مع جيرانها العرب. و سوف يكون مـــن خاصـــية الســـلام مـــع سورية إلغاء التهديد الإرهابي لحزب الله على الأمن الإسرائيلي وإزالة قاعدة إيران الأمامية في لبنان.

إن وجـــود هذه المزايا جميعها يخدم المصالح الأميركية بشكل واضح من خلال عودة البدء بالمفاوضات بين إسرائيل وسورية. لقد نوهنا آنفاً إلى أن إدارة بوش قد أولـــت المســـار السوري اهتماماً ضئيلاً مقارنة بالقضية الفلسطينية. وهنا يجب أن يكون في منافع السلام الإسرائيلي- السوري للمصالح الإسرائيلية والأميركية تحريض لـــلإدارة الأميركـــية على التغلب عن إحجامها،الذي كان في الدورة الأولى للرئاسة الأميركية، عن دفع المسار السوري للاستئناف رغم أنه كان ممكناً. ومع ذلك تبقى

حقيقة أن الظروف السياسية في كل من سورية وإسرائيل تجعل من الصعب على كلا الطرفين العودة إلى طاولة المفاوضات في أي وقت قريب.

فعلى الجانب السوري يبدو من غير المحتمل أن يوافق بشار على استئناف المحادثات دون قدر ما من التأكيد على وديعة رابين وقد ذكرنا تحليل ذلك في الفصل السابق. بل ويبدو من غير الممكن أن يتوصل بشار إلى اتفاقية لا تلبي شروط والده الراحل من أجل تسوية مقبولة.

وعلى الجانب الإسرائيلي من غير المحتمل نهائياً أن يكون هنالك حكومة إسرائيلية ترغب بتلبية الشروط السورية لاستئناف محادثات السلام والتوصل إلى معاهدة في المدى القريب، إذا ما نظرنا إلى الوضع السياسي الحلي في إسرائيل والتوترات المتراكمة بين إسرائيل وسورية منذ عام 2000. وإذا بقي رئيس الوزراء شارون في منصبه حتى ولو كان ضمن ائتلاف مع حزب العمل، فإن فرصة أن تؤكد الحكومة الإسرائيلية على وديعة رابين كأساس لتجديد المفاوضات مع سورية تبدو فرصة ضئيلة حقاً.

لقد ألف مارتين إندايك سيناريوهاً يختار فيه شارون بعد تنفيذ مبادرة فصل القوات في غزة في عام 2005 استئناف المفاوضات مع سورية، وذلك فقط لتزييغ الضغط لكي يكرر في الضفة الغربية ما كان قد أنجزه في غزة[21]. في حين يبدو شارون قادراً تماماً على القيام بحسابات تكتيكية بهذا التعقيد إلا أنه لا يوجد أي دليل يشير إلى أنه سيكون راغباً تحت أي ظروف يمكن استيعابها لدفع الثمن الذي ستطلبه سورية مقابل اتفاقية السلام.إذ لم يُبد شارون أية رغبة أو اهتمام في المجادلات التي طرحها المسؤولون في الاستخبارات الإسرائيلية أو أصحاب المناصب العالية في قوات الدفاع الإسرائيلية الذين يفضلون اتباع هذا النهج.

الارتباط المشروط:

على ضوء الصعوبات التي تواجه إعادة البدء بالمسار السوري في ظل الظروف القائمة يبقى الخيار الاستراتيجي الأخير للتعامل مع سورية بالنسبة للولايات المتحدة هو الارتباط مع دمشق دون انتظار التقدم في عملية السلام. وهذا سيمثل شيئاً من

المفارقة التاريخية في السياسة الأميركية تجاه سورية حيث يكون على الولايات المتحدة تطوير إطار هيكلي للارتباط البناء مع دمشق بعيداً عن المسار السوري.

كيف ستبدو استراتيجية الارتباط المشروط؟ إنها من الناحية الجوهرية استراتيجية لتعديل سلوك الأنظمة الإشكالية من خلال أسلوب **الجزرة والعصا** المحكم. **وجوهر الارتباط المشروط هو مقابلة منافع التعاون مع الثمن المحتمل لعدم التعاون، وبتعبير آخر إخبار قادة هذه الدول الشريرة ما سيكون لهم في حال غيروا سلوكهم والتأكد من أنهم يفهمون ما سيحدث لهم إذا لم يفعلوا ذلك.**

على الرغم من أنه ما زال على الولايات المتحدة تجربة استراتيجية الارتباط المشروط مع سورية فقد سلكت واشنطن هذه الاستراتيجية بنجاح مع أنظمة أخرى:

بدأ **الارتباط المشروط** قبل هجمات الحادي عشر من أيلول مما ساعد في إخراج السودان من حلقة الأعمال الإرهابية والتوجه للتوصل إلى تسوية بشأن حربها الأهلية. إن نكوص البلاد إلى ما حل في دارفور لم يحجم كثيراً من أهمية هذه الإنجازات التي تهدف إلى مكافحة الإرهاب[22].

بدأ الارتباط المشروط مع الدعم البريطاني خلال فترة إدارة كلينتون واستمرت به إدارة بوش قبل هجمات الحادي عشر من أيلول، وكان مفتاح جعل ليبيا تلبي التزاماتها التي ترتبت من جراء قضية لوكربي- بان أمريكان 103 التي حددتها قرارات مجلس الأمن في هيئة الأمم المتحدة، مما أزال العقبة الرئيسة للمباحثات الأميركية- الليبية حول العلاقات الثنائية[23]. وفي كلتا هاتين الحالتين حددت الولايات المتحدة مقابلاً وهو رفع العقوبات المتعددة الأطراف مقابل إجراء تغيرات إيجابية محددة في السلوك السوداني والليبي المتعلق بالإرهاب.

لقد أسهم منطق **الارتباط المشروط** أيضاً في قرار ليبيا التخلي عن برامج أسلحة الدمار الشامل، ومن خلال الحوار الدبلوماسي مع طرابلس حول قضية لوكربي أوضح المندوبون الأمريكيون أنه لن يكون هنالك تحسناً جوهرياً في

العلاقـــات الثنائية بما في ذلك رفع العقوبات حتى يتم حسم القلق الأميركي بشأن برامج أسلحة الدمار الشامل الليبية[24].

لقـــد اســـتخدمت الولايـــات المتحدة مقاربة الجزرة والعصا الكلاسيكية مع طرابلس حول موضوعي لوكربي وأسلحة الدمار الشامل، وأوضحت أنه لن يكون هنالك أي تقدم محتمل حتى يتم حسم القلق الأميركية، وأن هنالك منافع ستؤول إلى ليبيا مقابل تعاونها.و سوف تواصل واشنطن هذه المقاربة برفضها إزالة اسم ليبيا من قائمـــة الدول الراعية للإرهاب حتى تنشئ طرابلس حواراً حول مكافحة الإرهاب مـــع الولايـــات المتحدة وتحسم بشكل مرضٍ المسائل المتعلقة بتورطها المزعوم في مؤامرة اغتيال ولي العهد السعودي الأمير عبد الله .

لسوء الحظ فإن إدارة بوش لم ترغب بأن تشمل هذه المقاربة الدول الأخرى الراعـــية للإرهاب. وفي الواقع فإن الإدارة الأميركية قد قررت بعد الحادي عشر من أيلـــول 2001 مباشرة كشأن من شؤون سياستها، أنها لن تقدم أية جزرة محتملة لحـــث دولة راعية للإرهاب على تغيير سلوكها المُشكِل[25]. لقد كان هذا الموقف الأساسي السمة المميزة لسياسات بوش تجاه إيران وكوريا الشمالية حول نشاطاتها الـــنووية. ولو لم يكن الارتباط الدبلوماسي الأميركي مع السودان وليبيا قد بدأ مع الســـودان وليبيا قبل هجمات الحادي عشر من أيلول، فليس من الواضح فيما إذا كانت الإدارة الأميركية سترغب بالبدء بهذا النوع من العمل الدبلوماسي مع أي من هاتين الدولتين.

هـــل كانـــت هذه الاستراتيجية ستجدي مع سورية بالطريقة التي جعلت الســـودان تـــتحرك باتجاه ايجابي حول موضوع الإرهاب وحث ليبيا على تلبية الـــتزاماتها الدولـــية في قضـــية (بان أمريكان 103) والتخلي عن أسلحة الدمار الشـــامل ؟.. أم أن ســـورية تُقارَن بشكل أكثر مع أفغانستان بزعامة طالبان أو العـــراق بقـــيادة صدام حسين ؟.. أي أنها نظام يتعذر إصلاحه وغير قادرة على تعديـــل سلوكها بصرف النظر عن الحوافز والعوائق المعروضة عليها ؟.. تكمن الإجابة على هذه الأسئلة في تقييم بشار الأسد كقائد وطني.

اعـــتمادا عـــلى التحليل الذي أوردناه في الفصول السابقة عن خلفيات بشار ونظرته إلى الإصلاح وتعامله مع قضايا السياسة المحلية والخارجية منذ توليه الرئاسة، **يبدو أن الرئيس السوري يمكن التعامل والمشاركة معه بالنسبة للغايات الأميركية. ففي الجانب الإيجابي من سجله أظهر بشار بعض الدوافع الإصلاحية، وهو ليس متعصباً للأيديولوجيات مثل الملا محمد عمر، وليس بالسفاح العنيف مثل صدام حســين** . لقد أوضح بشار بان سورية تحتاج إلى التحديث، ولكنه لا يملك الرؤية المتقنة بعناية من أجل الإصلاح ويفتقر إلى قدرات الفنيين لتطوير هذه الرؤية . وقد أوضـــح أيضا بأن مصالح سورية على المدى الطويل تكمن في إقامة علاقات أفضل مـــع الولايـــات المتحدة من ناحية بسبب حاجته للمساعدة والدعم الخارجي لدفع عملـــية الإصلاح داخل الوطن. وكثيراً ما عبّر بشار للزوار الأمريكيين والأجانب الآخـــرين عن رغبته بالحوار الموثوق والمصداقي مع الولايات المتحدة، وهذا ما لم يتوفر لـــه مع إدارة بوش. يتضمن تصور بشار لهذا النوع من الحوار أن يطرح كلا الجانبين الأمور المتنوعة التي تقلقهم للنقاش والتفاوض للتوصل إلى اتفاق استراتيجي بشأن كل الأمور المطروحة.. وحينما سُئل عن الأمور التي يمكن أن يطرحها، ذكر بشـــار ثلاثـــة بنود: **وهي إعادة مرتفعات الجولان وإقامة علاقة بناءة مع الهيئة السياســـية الـــتي ستنشـــأ في العراق بعد صدام وإقامة علاقة ثنائية نشيطة مع الولايـــات المتحدة لمساعدته في الحصول على الخبرة اللازمة والوسائل الأخرى اللازمة للتقدم بالإصلاح الداخلي في سورية.**

وفي الجانب السلبي من السجل، كانت دوافع بشار الإصلاحية مقيدة ما بين الحرس القديم الجبار والهيئات الأمنية والشبكات العائلية المستفيدة من الوضع الراهن والحاجـــة المـــلحة لأن يبدو وفيا لتركة والد . يمكن أن ينقسم بشار إلى بعثي حاد وذي لغـــة مـــنمقة ضـــدأميركا وأن يستمر في محاولاته لاتباع وتكييف المخطوط الاســـتراتيجي الـــذي تلقاه عن والده. ولكن هذا المخطوط يمنح الولايات المتحدة فرصة الارتباط مع بشار بالإضافة إلى فرض القيود على مرونته حيث أنه يقر برغبة ســـورية بإقامة علاقات أفضل مع الولايات المتحدة وإيجاد تقدم استراتيجي اعتمادا على تلبية الشروط المتأصلة في السياسة المحلية السورية.

إن مـــا يوحـــي بذلك كله به هو أن بشار يمكن أن يكون الشخص المناسب للارتباط الدبلوماسي إذا كان هذا الارتباط يؤمن لـــه خارطة الطريق الواضحة إلى هدفــه المأمول ويمنحه السلطة للتحرك في ذلك الاتجاه، ومن اجل الارتباط الناجح مـــع بشار لا يكفي التذمر حول سلوكيات سورية الإشكالية . بل بدلا من ذلك يتوجـــب على الولايات المتحدة أن تمنح بشار أهدافا واضحة ومحددة لعكس تلك الســـلوكيات. ولا بد من مساندة هذا الارتباط بمجموعة من وسائل السياسة التي ســـتفرض ثمنا على عدم الإذعان المتواصل للمتطلبات الأميركية، ولكن تقدم وعودا بمنافع ذات شأن في حال التعاون .. وبتعبير أخر "الجزرة والعصا".

ولكـــن هـــل مـــن الممكـــن الارتـــباط مع بشار خارج إطار تجديد المسار السوري؟.. مرة ثانية يبدو أن الجواب نعم بشكل مشروط.

فاعتمادا على تقييماته السلبية بشكل شديد لنوايا رئيس الوزراء شارون فيما يتعلق بسورية، عبر بشار بشكل متكرر عن تشاؤمه حول فرص استئناف المحادثات أو التوصل إلى اتفاقية طالما بقي شارون في الحكم.

وحيـــنما سُـــئل في بدايـــة عام 2004 فيما إذا كان من الممكن وضع قضية مـــرتفعات الجولان بين قوسين لتجنب ارتهان إمكانية تحسين الروابط الأميركـــية – الســـورية بعملـــية السلام التي يبدو من غير المحتمل أن تنشط على المدى القريب، أجاب بشار بصيغة الإيجاب.

وفـــيما يـــتعلق بعودة الجولان قال بشار : إننا لا نحتاج لإعادة أرضنا غدا أو الأســـبوع القـــادم فالسوريون يعرفون أنها ستعود لنا في النهاية. إن كل ما يحتاجه بشار من واشنطن في عملية السلام هو القدرة على العمل في الجوانب الأخرى من الصفقة الاستراتيجية الأميركـــية – السورية، وحسب تعبيره هو: بعض الكلمات .. بعض اللغة المنمقة.

تأليف الاتفاقية :

مـــن مصـــلحة الولايات المتحدة جداً أن تستكشف هذا النوع من الاتفاق الاستراتيجي مع سورية المتأصل في منطق **الارتباط المشروط**. وللقيام بذلك تحتاج

الولايات المتحدة إلى فرز أولوياتها من بين أهداف السياسة المتنوعة تجاه سورية. بالنظر إلى الالتزام الأميركي المتواصل لفرض الاستقرار في العراق بعد الحرب وتصدُّر الحرب العالمية على الإرهاب السياسة الخارجية الأميركية في فترة ما بعد الحادي عشر من أيلول، **فإن انتزاع التعاون السوري مع الأهداف الأميركية في العراق وإخراج سورية من حلقة الإرهاب يجب أن يكون في قمة الأولويات.** ينبغي على صناع السياسة الأمريكيين ربط محاول إنهاء تورط سورية بالإرهاب مع مبادرات تعزيز قدرة بشار وأفراد نظامه ذوي الفكر الإصلاحي على تنفيذ الإصلاحات الداخلية.

وبالنسبة للأهداف السياسة الأميركية الأخرى، فإما أنها أقل إلحاحا في المحيط الحالي أو أنها اقل إمكانية للتحقيق الفوري بأسلوب يدعم نطاقا واسعاً من الأهداف الأميركية في المنطقة . فحل مشكلة أسلحة الدمار الشامل على سبيل المثال مرتبط بشكل حتمي بتحقيق السلام بين إسرائيل وسورية. وليس من المرجح أيضا أن يتم حل مشكلة موقف سورية في لبنان من خلال التفاوض بين مراكز القوى المختلفة في لبنان وسورية بوساطة أكيدة تقريبا من أطراف إقليمية ودولية، فالحل الكامل سيتم انجازه فقط مع مرور الوقت. **ويحتاج تقييد السيطرة السورية في لبنان أيضا إلى التنفيذ بحذر لتفادي عودة نشوء صراع طائفي وأعمال عنف.** لقد أشارت مستشارة الأمن القومي لرئيس الوزراء الإسرائيلي شارون، غيورا إيلاند مؤخرا إلى القلق الإسرائيلي القديم من أن الانسحاب السوري المتهور من لبنان سوف يشكل تهديدا على الأمن الإسرائيلي[26].

العراق :

على الولايات المتحدة والحكومة العراقية الجديدة في العراق أن يستفيدا من التنسيق بعيد المنال مع سورية حول مسائل الأمن الحدودي. **فعلى المدى الطويل سيكون للإقرار السوري بالنظام السياسي لما بعد صدام إضفاءً لشرعية كبيرة بين العراقيين وفي المنطقة.** ولكسب تعاون سوري أكثر مع الأهداف الأميركية هذه فلا بد من منح سورية كل ما يؤمن لها مصالحها المشروعة في عراق ما بعد صدام

إذا ثبت أن دمشق قد ساعدت الولايات المتحدة وشركاءها الدوليين والإقليميين في معالجة المشاكل الأمنية والسياسية هناك.

لكي يكون هذا الجذب في حدود فعاليته القصوى، يجب أن يتضمن مكونات اقتصادية واستراتيجية . يمكن أن يكون الجَزَرُ المُستخدم في المجال الاقتصادي لحث أكبر قدر ممكن من التعاون السوري، ملائما بحيث يتضمن تسهيل المبادلات التجارية السورية – العراقية **ومشاركة سورية في إعادة إعمار العراق.**

أما في المجال الاستراتيجي فيجب أن تشير واشنطن إلى الانفتاح في الحوار مع دمشق حول مصالح سورية الدبلوماسية والسياسية في العراق، ويمكن البدء بحوار كهذا تحت عنوان **مجموعة الاتصالات الإقليمية من اجل العراق** بحيث تتضمن الدول المجاورة للعراق وربما الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن ولكن يمكن جعلها آنذاك قناة ثنائية الأطراف. ويمكن اعتبار المؤتمر متعدد الأطراف الذي عقد حول مستقبل العراق في شرم الشيخ في تشرين الثاني 2004 نظريا نقطة البدء لإقامة إطار عمل بمجموعة الاتصالات من اجل العراق ولكن لا تتضح كيفية المواظبة التي ستتابع بها إدارة بوش في هذا الاجتماع. **والبديل عن ذلك أن بإمكان الولايات المتحدة ببساطة أن تبدأ حوارا ثنائيا حول العراق مع دمشق.**

مما لا ريب فيه أن وزارة الخارجية في إدارة بوش كانت ميالة نسبيا نحو نوع ما من الحوار مع دمشق فيما يتعلق بالعراق، ولكن الفكرة لاقت مقاومة من العناصر المتشددة، ويبقى أن يتلقى السوريون إشارة واضحة من الإدارة الأميركية حول ما يمكن أن يتوقعوه مقابل تقديم تعاون أكثر مع الأهداف الأميركية هناك.

وسوف يروق لنظام الأسد إمكانية إقامة حوار استراتيجي ابتدائي مع الولايات المتحدة. لقد نوهنا آنفا أن نظام الأسد يشعر بخوف مزمن وقديم من تهميش النظام. فبعد حرب الخليج في عام 1991 كان المنتدى الأهم لسورية لاعتبار مصالحها الإقليمية من قبل الولايات المتحدة هو المسار السوري في عملية السلام في الشرق الأوسط. وعقب الإطاحة بصدام كانت الجزرة الملائمة لتحسين سلوك سورية هي إبداء الولايات المتحدة رغبتها في البدء بالمحادثات مع بشار حول

المصالح الإقليمية لسورية بتركيز مبدئي على العراق. وسوف يتيح ذلك لبشار أن يوضح للأطراف القوية الأخرى في المنطقة ضمن أشياء أخرى أن خدمة المصالح السورية تتم على النحو الأمثل من خلال التعاون مع الولايات المتحدة وليس بمقاومة الأهداف الأميركية .

ومع تحسن السلوك السوري بمرور الوقت يمكن توسيع الحوار الاستراتيجي الأميركي – السوري ليشمل مواضيع أخرى ذات اهتمام مشترك وتعزيز الدينامية الايجابية.

لإتمام استراتيجية الارتباط المشروط، لابد بالطبع أن يكون هنالك عصا وجزرة .. وفي حالة سورية ربما يحتاج تعريف العصا أن يتجاوز الإمساك عن تقديم الجزرة المحتملة لتطويق النتائج السلبية. وإذا لم ترغب سورية بزيادة تعاونها مع الأهداف الأميركية في العراق والمحافظة عليه فإن أنسب نتيجة سلبية تفرضها الولايات المتحدة هي بالتصريح العلني عن نيتها إرسال قوات عسكرية أمريكية إلى الأراضي السورية في مسعى لتتبع كوادر المتمردين والإعلان عن كل مرة يتم فيها ذلك.

الإرهاب:

في سياق الحرب العالمية على الإرهاب ربما يكون إخراج سورية من دائرة الأعمال الإرهابية أهم هدف في السياسة الأميركية على المدى القريب إلى المتوسط تجاه سورية. أن مكانة سورية حاليا كدولة راعية للإرهاب هي العقبة الأكبر التي تواجه تحسين العلاقات الأميركية – السورية.

على ضوء هذه الاعتبارات يجب أن تتبنى الولايات المتحدة مقاربة جديدة في تدبر تصنيف سورية كدولة راعية للإرهاب. لقد جعلت الولايات المتحدة إزالة اسم سورية من لائحة الدول الراعية للإرهاب في التسعينيات الشرط اللازم لمعاهدة السلام مع إسرائيل التي لم تأت مطلقا .**ولكن يجب الآن في ظل الظروف الحالية ربط إزالة اسم سورية من اللائحة مع تغيير علاقات سورية مع الإرهابيين.** يتوجب على الولايات المتحدة أن تشير بشكل محدد إلى أنها ستكون مستعدة لإزالة

اســـم ســـورية مـــن قائمـــة الدول الراعية للإرهاب بشرط أن يطرد نظام الأسد الإرهابيين من أراضيه ويجدد تعاونه في مكافحة الإرهاب مع الولايات المتحدة ضد تنظيم القاعدة، وان يمتد ذلك التعاون ليشمل إلغاء روابط سورية بالإرهابيين. ربما يفـــترض العديد من القراء أن مثل هذا يمثل السياسة الأميركية الحالية وهنالك بعض الدبلوماســـيين الأمريكيين سيقترحون ذلك أيضا . ولكن حقيقة الأمر أن الولايات المـــتحدة لم تقدم هذا العرض يوما على نظام الأسد. فخلال إدارة كلينتون كانت السياسة الأميركية ترى في الواقع انه ستتم إزالة اسم سورية من قائمة الدول الراعية للإرهاب فقط ضمن سياق التوصل إلى اتفاقية سلام مع إسرائيل. ومنذ تولي إدارة بـــوش الحكـــم رفضـــت منح سورية هذا النوع من خارطة الطريق للخروج من القائمة.

مرة ثانية .. لا بد أن تصاحب العصا الجزرة. يتوجب على الولايات المتحدة أن تشـــير بخصوص موضوع الإرهاب إلى أن قواعد اللعبة القديمة من وجهة نظرها الـــتي تحكـــم روابط سورية بالجماعات الإرهابية والعملاء شبه العسكريين لم تعد تنطبق عليها الآن. وهذا يعني أولا أنه ليس بإمكان سورية أن تعتمد على واشنطن لكـــبح الردود الإسرائيلية على الاستفزازات الإرهابية بالطريقة ذاتها التي كانت في الماضـــي. في حـــين لا ترغـــب الولايات المتحدة برؤية تصعيد الصراع على طول الحـــدود الشمالية لإسرائيل أو إعادة الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، ربما يكون موقفها الأكثر تسامحا تجاه الضربات الإسرائيلية الانتقامية ليس فقط على الأهداف الســـورية في لبنان بل على أهداف داخل سورية أيضا. فعدم صدور أي رد دولي عـــلى الضـــربات الجوية الإسرائيلية داخل سورية في تشرين الثاني 2003 يشكل ســـابقة يمكـــن للولايـــات المتحدة الاعتماد عليها في تحديد تمثيلها الدبلوماسي في دمشق.

مـــع تحديـــد الولايات المتحدة وتعريفها لمقاربة جديدة في التعامل مع كون سورية دولة راعية للإرهاب، يجب أن يتم ربط تطلع سورية لإزالة اسمها من القائمة مـــع مبادرات تعزيز قدرة بشار على تنفيذ إصلاحات داخلية هامة بشكل واضح. يجـــب التوضـــيح لدمشـــق بـــان إزالة اسمها من القائمة يتيح لها تلقي المساعدات

الاقتصـــادية الأميركية لأول مرة منذ عقود وزيادة المساعدات من المؤسسات المالية الدولـــية بشـــكل كـــبير جدا. رغم أن إزالة اسم سورية من القائمة كدولة راعية للإرهاب سوف يقدَم كتعويض لدمشق مقابل خروجها الفعلي من دائرة الأعمال الإرهابـــية . فـــإن الفرص الناجمة عن ذلك لتشجيع الإصلاح الداخلي بقدر كبير ســـوف يجعل المقترح على النحو التالي: **الكسب مقابل الكسب بالنسبة للسياسة الأميركية.** وعلى واشنطن أيضا تنسيق تأمين الإعانات والمساعدات مع الجهود التي يبذلها الاتحاد الأوربي لتعزيز الإصلاح الاقتصادي والسياسي في ظل اتفاقية الشراكة مع سورية لزيادة المكاسب المحتملة إلى أقصى حد. وهنا يقول المسؤولون في الاتحاد الأوروبي ومســـؤولون من الحكومات الأوربية المختلفة إنهم سوف يرحبون بمقاربة كهذه.

أن ربط إزالة اسم سورية من قائمة الدول الراعية للإرهاب مع تعزيز موقف بشار لتنفيذ تغييرات داخلية شاملة سوف يضفي مزيداً من المظهر الاستراتيجي على فكـــرة تعزيز الإصلاح في دول الشرق الأوسط كجزء من الحرب على الإرهاب. لقد عرّفت إدارة بوش الارتقاء بالتحول السياسي والاقتصادي الجوهري في الشرق الأوســـط عـــلى أنه هدف استراتيجي حيوي في الحرب على الإرهاب، ولكنها لم تحدد استراتيجية على مستوى رفيع من أجل تحقيق هذا الهدف.

إن الافـــتقار إلى وجـــود اســـتراتيجية لتعزيز الإصلاح الداخلي يصح على الخصوص فيما يتعلق بدول مثل إيران وسورية اللتين توترت علاقاتهما مع الولايات المتحدة[27].

لقـــد اقترحـــت الإدارة الأميركـــية مبادرتين وهما مبادرة الشراكة مع الشرق الأوســـط ومبادرة التجارة مع الشرق الأوسط بهدف تشجيع التحول داخل /وبين الـــدول الإقليمـــية[28]. ولكن لا تنطبق أي منهما بشكل جوهري على دولة مثل ســـورية.. فمـــبادرة الشراكة هي أساسا تجميع لبرامج قائمة أصلا في مجال تعزيز الديمقراطـــية والإصلاح الاجتماعي ولا يمكن إنفاق مواردها المالية في دولة إشكالية مـــثل سورية.. [29] . أما المبادرة التجارية فالمقصود بها كليا بشكل تقريبي الدول التي يربطها شكل ما من التعاون الاستراتيجي أو على الأقل علاقة ثنائية ايجابية أما

الدول الراعية للإرهاب مثل سورية وإيران فقد تم استثناؤها عمدا[30].

لتقديم مزيد من الدعم لجهود الإصلاح السورية ينبغي على الولايات المتحدة أن تعـدِّل مـن الأوجه الأخرى في سياستها الحالية لتقوي قبضة بشار ضد أولئك الذيـن يقـاومون التغـيير الايجابي داخل سورية. إذ يتضح من التاريخ أن رفض الارتـباط مـع الـنظام السوري أو ممثلي المجتمع المدني من خلال تأمين المساعدة الرسمية، لم يكن مجديا لهدف تشجيع قدر أكبر من الانفتاح والإصلاح الاقتصادي والتحرر السياسي.

إن استراتيجية ربط الأنظمة الاستبدادية في المراحل الأولى من الإصلاح وممثلي المجـتمع المدني، كان لـه سجل مؤثر من النجاح وخصوصا في الكتلة السوفييتية السـابقة وأمريكا اللاتينية، وينبغي أن يكون هذا النموذج الذي تحتذي به السياسة الأميركية تجاه سورية بقيادة بشار الأسد.

يجـب أن تعـدل الولايات المتحدة من البنود الحالية لمبادراتها الناشئة لتعزيز الإصـلاح الاقتصـادي والسياسـي في الشرق الأوسط الكبير لإتاحة فرصة أكبر للارتباط مع النظام والمجتمع المدني في سورية.

هنالك تغيران محددان بالترتيب:

- الأول – يجـب **أن تـوقف الولايات المتحدة عن إعاقة طلب سورية للبدء بعمليـة الوصول إلى منظمة التجارة العالمية.** فمقارنة بتنفيذ اتفاقية الشراكة مـع الاتحاد الأوربي تتضمن عملية الوصول إلى منظمة التجارة العالمية إمكانية مساعدة بشار على التغلب على الأقل على بعض العوائق المتأصلة التي تبطئ أو تحول دون إجراء الإصلاح الاقتصادي في سورية.
- الـثاني – يجب أن تسمح الولايات المتحدة بوصول الموارد المالية إلى المنظمات غير الحكومية في سورية حتى قبل أن ينجح الارتباط الدبلوماسي ربما في جعل سورية تخرج من دائرة الإرهاب . فحركة المنظمات غير الحكومية في سورية ربمـا تكـون القناة الأكثر عونا في تعزيز الإصلاح الاجتماعي والسياسي في سورية وهي تستحق التأييد الأمريكي.

مـــرة ثانية .. لا بد من تطبيق منطق الجزرة والعصا.إذ حينما تخطو الولايات المـــتحدة قُدما في دعمها للمنظمات غير الحكومية في سورية، فإن جهداً يصدر عن النظام في دمشق لتقييد نشاطات هذه الجماعات يجب أن يكون مناسبة للاحتجاج الدبلوماســـي الـــرسمي[31] بل وربما الانتقاد العلني وفقا للموقف الذي اتخذته إدارة بوش فيما يتعلق باحتجاز مصر للناشط سعد الدين إبراهيم في مجال المجتمع المدني في عام 2001 – 2002

إكمال حلقة السلام :

ســـبق وأن ذكرنا بأن هنالك قضايا تقلق الولايات المتحدة من المرجح أن يتم حـــلها فقط في سياق تسوية السلام الإسرائيلية – السورية كسعي سورية لامتلاك أســـلحة الدمـــار الشامل والاحتلال السوري المستمر للبنان[32]. وإذا قدّرنا بأن استئناف محادثات السلام الإسرائيلية – السورية ليس أمرا مرجحا في المدى القريب فمـــاذا يتوجب على الولايات المتحدة فعله لتدبر تلك القضايا في غضون ذلك؟... يبقى اعتبار كهذا مقيدا بالموقف الأميركي المعلن تجاه اتفاقية السلام الإسرائيلية – السورية.

نوهـــنا آنفا أن بشار يعتقد انه بحاجة لغطاء لغوي منمق من الولايات المتحدة فيما يتعلق بالمسار السوري، لكي يتحرك قُدما ويتعامل مع واشنطن حول القضايا الأخـــرى. كمـــا أنه من مصلحةأميركا تحرّي اتفاقاً استراتيجياً شاملاً مع سورية بالتركـــيز عـــلى العراق والإرهاب وتعزيز الإصلاح الداخلي،و من مصلحةأميركا أيضـــا أن تقدم هذا الغطاء اللغوي المنمق الذي يتوافق مع دور واشنطن التقليدي كراع لعملية السلام وأنها تقف إلى جانب المصالح الأمنية الإسرائيلية.

هـــنالك وســـيلتان ممكنـــتان لتزويد بشار بالغطاء اللازم للتحرك قُدما حول القضـــايا الأخـــرى في ظـــل غياب تقدم جدي بشأن عودة مرتفعات الجولان إلى السيطرة السورية.

الأولى: أن بإمكان الولايات المتحدة أن تشير بشكل ثنائي إلى دمشق على أنها تـــتفهم المتطلـــبات السورية لتحقيق السلام مع إسرائيل وأنها لا تتحفظ في العمل

للتوصــل إلى اتفاق يلبي هذه المتطلبات طالما تؤخذ المتطلبات الإسرائيلية من اجل هذه التسوية بعين الاعتبار .

والبــديل عــن ذلك أن بإمكان الولايات المتحدة الإقرار بمبادرة السلام التي طرحــتها الجامعة العربية في عام 2002، بشكل أكبر مما فعلت حتى الآن، في حين تشــير إلى أن الحدود النهائية بين إسرائيل وجيرانها العرب تبقى في النهاية خاضعة للتفاوض بين جميع الأطراف[33].

إن موقفا كهذا من شانه، ضمن أشياء أخرى، أن ينقل لدمشق بأن الولايات المتحدة تتفهم ضرورة التوصل إلى اتفاقية إسرائيلية – سورية تعود من خلالها معظم مــرتفعات الجــولان إلى السيطرة السورية، وهذا لا يلائم سورية والدول العربية الأخرى من الناحية الدبلوماسية... وكلتا المقاربتين ليستا مانعتين بشكل متبادل.

هــل ســتؤمن إحــدى هاتين المقاربتين أو كلتاهما الغطاء الكافي لبشار للرد بشكل بنّاء على الاستراتيجية الأميركية للارتباط المشروط؟.. تبدو فرص ذلك جيدة نسبيا.

ذكــرنا في الفصــل الســابق أن قيمة روابط سورية مع الجماعات الإرهابية المعادية لإسرائيل قد انخفضت بطريقة يبدو أن بشار يقدّرها جيدا . وفي سياق ذلك يكون في تبني الولايات المتحدة لأحد أو كلا الموقفين المذكورين أعلاه إشارة هامة لبشــار في أنّ تخلي سورية عن اللعب بورقة الإرهاب لن يكون فيه مساومة على فرصــه في التوصل إلى اتفاقية سلام مقبولة قادمة . **بل إن موقفا أمريكيا كهذا في الواقع سوف يتيح لبشار أن يجادل ضمن نظامه وبشكل علني في أن التعاون مع واشنطن ضد الإرهاب سوف يجعل سورية تدنو أكثر من تحقيق هدفها لاستعادة الجولان.**

وبمقابل هذا التفاهم مع الولايات المتحدة يجب أن يُطلب من بشار الإقرار ولو على الأقل بشكل شخصي أنه وكجزء من تسوية إسرائيلية – سورية شاملة لا بد أن تــتم مناقشة المسائل المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل والوجود السوري في لبنان بشكل محدد وحاسم.

هذه هي عناصر الاتفاق الاستراتيجي الأميركي – السوري الشامل الراسخة في التقييم الوقائعي للحقائق السياسية القائمة في سورية.

وبـــالعمل باتجاه اتفاق كهذا يمكن للولايات المتحدة أن تحسن من وضعها في العـــراق وتجني مكاسب يمكن تقديرها وإدراكها من الحرب على الإرهاب وتسريع خطا الإصلاح الداخلي في سورية. ومن خلال هذه العملية يمكن لواشنطن أيضا أن ترســـي أســـاس السلام الإسرائيلي – السوري النهائي وأن تضع شروطا إسنادية للـــتعامل مع برامج أسلحة الدمار الشامل في سورية وإعادة العلاقات مع لبنان إلى وضعها الطبيعي بالتدريج.

في وقت يواجه فيه بشار الموقف الأمريكي، ثمة تحد هائل في الشرق الاوسط، وســـيكون من المخيب للآمال حقا ألا تتمكن الأمة الأميركية من جمع المال الكافي لمتابعة سياساتها التي هي في صالح الولايات المتحدة بشكل جلي.

مصادر الفصل الخامس

(1) أعلن الرئيس بوش تنفيذ عقوبات قانون محاسبة سورية واستعادة السيادة اللبنانية في 11 أيار 2004. بالإضافة إلى الحظر الإلزامي على صادرات المواد ذات الاستخدام المزدوج إلى سورية، اختار الرئيس أيضا فرض حظر على جميع الصادرات الأميركية باستثناء الغذاء والدواء وحظر على جميع الرحلات الجوية بين سورية والولايات المتحدة وتجميد بعض الممتلكات السورية في الولايات المتحدة. المهم في الأمر أن بوش اختار عدم تطبيق بعض تطبيق بعض الخيارات الأقسى من مجموعة العقوبات التي اقترحها القانون مثل الحظر النهائي على سفر أعضاء السلك الدبلوماسي السوريين في الولايات المتحدة ومنع استثمارات الشركات الأميركية في سورية أو خفض مستوى التمثيل الدبلوماسي الأميركي – السوري. راجع إعلان الرئيس أمام الكونغرس على موقع الانترنت:

www.whitehouse.gov/news/releases/2004/05/20040511-8.html

كريستوفر ماركيز، بوش يفرض عقوبات على سورية مستشهدا بالإرهاب، نيويورك تايمز، 12 أيار 2004

(2) روبن رايت وغلين كيسلر، البعض يسعى لمعاقبة سورية على عدم وفائها بالعهود حول العراق، واشنطن بوست 30 نيسان 2004

(3) **هذا فعلا صحيح وخصوصا مع دولة كسورية تعتبر الانصياع للضغوط سلسلة لن تنتهي وتعتبر أن عليها مقاومة تلك الضغوط كجزء لا يتجزأ من سياسة البحث عن الهوية (المدقق).**

(4) ريتشارد هاس وميغان أوسيليفان، محرران، العسل والخل: الحوافز والعقوبات والسياسة الخارجية، بروكنغر، ميغان أوسيليفان، التحليل المحدث، العقوبات العنيفة، بروكنغر2003. إن العقوبات الأحادية في العالم الحديث تحث فقط الدولة المستهدفة على تنويع شركائها التجاريين. تقييم أوسيليفان ص306 للفائدة الإجمالية من هذا النوع من العقوبات: رغم أن الأهداف المعلنة كانت غالباً تدعو الدولة المستهدفة للكف عن بعض الأفعال المعينة إلا أن نظام العقوبات الصارمة والشاملة التي يتم استخدامها عادة والوسائل التي ترافقها أو في بعض الأحيان الافتقار إلى وسائل مصاحبة للعقوبات كان بلاك الاحتواء بشكل أفضل. إذا لم تترافق مع الحث الإيجابي فإن تأثير العقوبات الأحادية مهما كانت صارمة سرعان ما تتشتت. يوضح أوسيليفان في الصفحة295 أنه نادراً ما يتم تكوين نظام العقوبات لتحقيق نتائج استراتيجية محددة بل عوضاً عن ذلك عندما يتم تبني أهداف جديدة تجاه نظام أو بلد ما فإن بساطة يتم إضافة عقوبات إضافية على القيود المفروضة. في حال تم قطع جميع الاتصالات المناسبة فإن واضعي القانون لا يحجمون عن مضاعفة العقوبات ضد بلد ما مرتين أو ثلاثة أي فرض إجراءات وافرة عليه.

(5) تحدث هادلي في مؤتمر مؤسسي واينبرغ لمعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى في لاند سداون في 15 تشرين الأول2004. راجع نص خطابه والأفكار الرئيسية فيه على موقع الانترنت:
www.washingtonistitute.org/media/speakerslhadley10154.htm

(6) راجـــع تعليقات الرئيس بوش في المؤتمر الصحفي في 19 كانون الأول2003 حيث أعلن تعهد ليبيا تجريد برامج أسلحة الدمار الشامل:
www.whitehouse.gov/news/releases/2003/12/20031219-9.html

(7) **في لقـــاء لـــه مع صحيفة الشرق الأوسط في شهر تموز تراجع بيرل عن موقفه السابق وأعلن أن ليس من مصلحة الولايات المتحدة تغيير النظام العلماني واستبداله بنظام إسلامي يميل إلى التشدد مع الإخوان المسلمين، وذلك بخلاف بعض التصريحات اللامبالية من بعض مسؤولي وزارة الخارجية الأميركية مما يعكس تناقضاً واختلافاً حول هذا الموضوع، والمهم هنا أن المحافظين الجدد وهم رأس الحربة في عملية تغيير الأنظمة بالقوة وإلغاء مبدأ السيادة للدول وفقاً لمنظومتهم الفلسفية قد بدأوا يتراجعون عن مواقفهم التي ظهرت بمثابة سذاجة سياسية بامتياز(د. عماد فوزي شعيبي)**

(8) معهـــد الدراسات الاستراتيجية والسياسية المتقدمة، بداية خالية من العوائق: استراتيجية جديدة لأمن العالم، تقرير مجموعة الدراسات عن الاستراتيجية الإسرائيلية نحو عام2000. القدس،1996.

(9) حيم لوب، رؤية مستشار تشيني الجديد عن سورية، أسيا تايمز، 22 تشرين الأول2003.

(10) المرجع السابق.

(11) ميشيل أوهانلون، لماذا يشعر الأميركيون أنهم في حالة أمان أكثر مع بوش، فاينشال تايمز، 8 تشرين الثاني2004.

(12) بعد الغزو الأميركي للعراق دعت مقترحات البنتاغون لتخفيض عدد القوات الأميركية المتمركزة في أوروبـــا وكوريـــا الجنوبية لمواجهة العبء العسكري المتزايد في الشرق الأوسط. توم شانكر،أميركا تـــنافس تشـــكيل الجنود العالمي والبنتاغون يقدر الاستخدام الأفضل للقوات المتوترة بشكل متزايد، نيويورك تايمز، 23 تموز2003، توم شاكر، بعد الحرب: خطة عسكرية، الجيش يحقق في سبل إعادة تنظيم قواته، نيويورك تايمز، 6 آب2003، روبرت بيرنز، محزم من أجل الجنود، البنتاغون يريد إعادة نشـــر القـــوات الأميركية من كوريا الجنوبية إلى العراق، اسوشيتيد برس، 17 أيار2004، ميشيل ر.غوردون، خطة البنتاغون لتخفيض عدد الجنود في ألمانيا، نيويورك تايمز، 4 حزيران 2004، وقد لجأ الجـــيش أيضاً إلى الاستدعاء الإلزامي للجنود المتقاعدين بناء على برنامج استعداد الاحتياطي الفردي لملء الفجوة في الحاجة إلى القوة البشرية في العراق وأفغانستان، جوش وايت، الجيش يستدعي الجنود من أجل الحرب في العراق وأفغانستان، واشنطن بوست، 30 حزيران2004.

(13) وزير الدفاع دونالد رامسفيلد في مذكرة رسمية أصدرها لمستشاري البنتاغون ونشرت في صحيفةأميركا الـــيوم بتاريخ 22 تشرين الأول2003 وقد دعا فيها لمناقشة المقاربة العسكرية للإدارة الأميركية من

أجل الحرب على الإرهاب وذكر النتائج المختلطة للسياسة الحالية.

(14) تقرير لجنة مجلس الأمن في الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب، تشرين الثاني 2003 www.un.org/docs/sc/committees/1373 .

(15) بعد هجمات الحادي عشر من أيلول مباشرة تخلى جميع أعضاء مجلس الأمن في هيئة الأمم المتحدة عن المعتاد وتبنوا بالإجماع القرار رقم 1368 لإحضار الجناة إلى العدالة ومحاربة جميع أشكال الإرهاب، نشرة صحيفة، مجلس الأمن 7143، اجتماع مجلس الأمن رقم 4370 في 12 أيلول 2001. وتبنت الجمعية العمومية قراراً مماثلاً دون تصويت، نشرة صحيفة، الجمعية العمومية 65، 9903، الجمعية العمومية، 12 أيلول 2001. وقد تبني مجلس الأمن بالإجماع قراراً قوياً آخر بعد شهر دعا فيه جميع الدول للتعاون في الحرب على الإرهاب وحول لجنة مكافحة الإرهاب في الأمم المتحدة لتنسيق الجهود على الدولية بهذا الشأن، S/RES/1377، 12 تشرين الثاني 2001. وقد أوضح الناتو تضامنه مع الولايات المتحدة عندما حث على الفقرة الخامسة من معاهدة واشنطن يوم أيلول 2001 التي تحرض وللمرة الأولى في تاريخ الناتو على رد فعل جماعي ضد أي تهديد يواجه إحدى الدول إحدى الدول الأعضاء www.nato.int/terrorsm/five.htm وأصدرت لجنة ستة+2 وهي الدول المجاورة لأفغانستان بالإضافة إلى روسيا والولايات المتحدة بياناً رسمياً مشتركاً تدعو فيه أفغانستان للتعاون ضد القاعدة وأن توافق على إدارة أفغانية ذات قاعدة واسعة ومتعددة الأعراق ومتوازنة ومختارة بحرية وتمثل طموحاتهم وتكون في حالة سلم مع جوارها، راجع، بتسي بيسيك، لجنة الستة+2 تسابق لخلق حكومة جديدة، الحاجة الملحة للقوات المتواجدة بالقرب من كابول، واشنطن تايمز، 13 تشرين الثاني 2001.

(16) تبعاً لقيادة الأميركية الوسطى انضمت أكثر من سبعين أمة إلى عملية التحرير المتأنية في أفغانستان وكان الائتلاف المؤلف من إحدى وعشرين دولة مشتركة يقدم أكثر من نصف القوات المنتشرة هناك. ذكر البيت الأبيض حوالي خمسين بلداً مشاركاً ف ائتلاف عملية تحرير العراق ولكن كان هنالك إحدى وثلاثين دولة فقط راغبة في التصريح العلني عن دعمها قبل بداية الحرب. وكان ضمن الائتلاف المؤلف من 300000 جندياً هنالك دولتين فقط التزمتا بإرسال قوات بعدد معقول وهما بريطانيا التي أرسلت 45000 واستراليا التي أرسلت 2000 وكان هنالك بعض الدول التي أسهمت بمشاركات رمزية. جوناثان وايزمان، على الأغلب ستكون الحرب جهداً أميركياً، واشنطن بوست، 19 آذار 2003، باميلا هيس، وزارة الدفاع: ثلاثة عشر دولة تنضم إلى الائتلاف راغبة، الصحافة الدولية المتحدة، 20 آذار 2003، ويليام ج. كول، ائتلاف العراق أضعف من تحالف عام 1991، اسوشييتد برس أون لاين 19 آذار 2003.

(17) لتحليل الصعوبات التي تواجه تغيير النظام الناجح، راجع، مينكسين بي وسارة كاسبر، دروس من الماضي: السجل الأميركي في بناء الأمم، بوليسي بريف 24، واشنطن: هبة كارينجي للسلام الدولي، أيار 2003، جيمس دوبنز، دور أميركا في بناء الأمم: من ألمانيا إلى العراق، سانتا مونيكا، كاليفورنيا:

مؤسسة راند 2003.

(18) يصف حزب الإصلاح في سورية نفسه بأنه حزب معارضة مقرهأميركا نشأ نتيجة لأحداث 11 أيلول، تحكمه فئة من السوريين الأميركيين والسوريين الأوروبيين العلمانيين الملتزمين بالسلام والسوريين المواطنين الذين قرروا رؤية سورية الجديدة تولد من جديد وتتبنى إصلاحات دمقراطية واقتصادية حقيقية.راجع موقع الحزب على الانترنت:

www.reformsyria.org

(19) هذه هي المقاربة التي نصح بها ستيفن سيمون وجوناثان ستيفنسن، الطريق إلى دمشق، الشؤون الخارجية 83 رقم 3، أيار- حزيران 2004.

(20) شهادة السفير ريتشارد مورفي أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، 30 تشرين الأول 2003.

(21) مارتين إنديك، تحقيق السلام العربي- الإسرائيلي، الطريق قدماً: سياسة الشرق الأوسط في الفترة الثانية لإدارة بوش، تحرير فلاينت ليفريت، بروكنغز 2005.

(22) راندولف مارتين، الحرب المثالية للسودان، الشؤون الخارجية 81، رقم2، آذار- نيسان 2002، ميشيل م. فيليبس، دبلوماسيو بوش يكسبون في السودان، البيت الأبيض يستهدف الإرهاب دون استخدام الجيش، صحيفة وول ستريت، 22 تشرين الأول 2003، مارك لاسي، من دولة شريرة إلى دولة منبوذة، نيويورك تايمز، 16 أيار 2004.

(23) فلاينت ليفريت، لماذا تخلت ليبيا عن القنبلة، نيويورك تايمز، 23 كانون الثاني 2004، مارتين إنديك، The Iraq War Did Not Force Gandalf's Hand، فاينتشال تايمز، 9 آذار 2004.

(24) ستيفن فيدلر ومارك هوباند و رولا خلف، العودة إلى القطيع: كيف تم حث القذافي للتخلي عن أهدافه النووية، فاينتشال تايمز، 27 كانون الثاني 2004.

(25) سوني افرون و دوغلاس فرانتز، القذافي يفي بوعوده بالتخلي عن المواد النووية، لوس انجلوس تايمز 28 كانون الثاني 2004 . صرح دبلوماسي أميركي بهذا الموقف في إشارة مرجعية إلى سورية في مقابلة له في أيار 2003 مع مجموعة الأزمات الدولية قائلا : لن ندفع لهم كي يلغوا ما كان يتوجب عليهم ألا يفعلوه في المقام الأول .. فهم لا يستحقون جائزة على هذا .. نريد خطوات استراتيجية يتعذر إلغاؤها، مجموعة الأزمات الدولية، سورية بقيادة بشار (I) تحديات السياسة الخارجية، مجموعة الأزمات الدولية، تقرير الشرق الأوسط 23، 11 شباط 2004 : 3

(26) نائلة عساف، تقرير إسرائيلي يحدد الوجود السوري في لبنان : الجدل بان الانسحاب السوري سوف يعزز من قوة حزب الله . ديلي ستار 2 كانون الأول 2004

(27) الخطابات الإذاعية للرئيس بوش بعد الحادي عشر من أيلول في 15 و 29 أيلول 2001، وخطابات دولة الاتحاد في 29 كانون الثاني 2002 و 28 كانون الثاني 2003، وخطاب الهبة الوطنية للشعب

في 6 تشـــرين الـــثاني 2003 . يمكن الاطلاع على الخطابات على موقع الانترنت حسب التواريخ المذكورة:

www.whitehouse.gov/news

(28) أعلـــن وزيـــر الخارجية الأميركي كولن باول مبادرة الشراكة مع الشرق الأوسط في خطابه في 12 كـــانون الأول 2002 وقـــد كرر الرئيس بوش تأكيده على هذه المبادرة واقترح مبادرة التجارة مع الشرق الأوسط في خطابه في جامعة ساوث كارولينا في 9 أيار 2003

(29) راجع أهداف مشروع مبادرة الشراكة وتمويلها على موقع الانترنت :

http://mepi.stste.gov

أنفقت الإدارة الأميركية 98 مليون دولار أميركي على برامج مبادرة الشراكة في السنة المالية 2002 و 2003 وخصصـــت 150 مليون دولار للسنة المالية 2004. تعادل مخصصات عام 2004 ثمانية وخمســـين ســـنتا لكل رجل وامرأة وطفل في العالم العربي. للاطلاع على هذه الحسابات وتفاصيل أخرى حول مبادرة الشراكة راجع المقالتين لتمارة كوفمان ويتس، الديمقراطية العربية والتكافؤ الضدي الأميركي، ويكلي ستاندرد 23 شباط 2004، الوعد بالتحرر العربي، بوليسي ريفيو 125، حزيران / تموز 2004. راجع قائمة البلدان المرغوب بها في المبادرة على موقع الانترنت:

http://mepi.stste.gov/c10128.htm

لم يُذكـــر نقص البرامج للدول الشرق أوسطية ذات العلاقات المشكلة مع الولايات المتحدة ظاهريا في أي مكـــان مـــن بروتوكولات المبادرة وإنما أُشير إلى ذلك بشكل حاذق في المزايا التفاعلية على موقع المـــبادرة عـــلى الانترنت. إذا مرّرت الماوس على بلدان الشرق الأوسط على الخارطة التي لها علاقات ايجابية مع الولايات المتحدة فسوف يظهر لك فقاعة توضح البرامج التي ترعاها المبادرة، أما إذا وضعت المؤشـــر عـــلى سورية وليبيا وإيران فلن يظهر لك شيء .. فهذه البلدان تُعتبر غير تفاعلية وفقا لمعايير المبادرة.

(30) للاطلاع على مزيد من التفاصيل حول المبادرة التجارية راجع موقع الانترنت:

www.ustr.gov/new/fta/middleeast.htm

كان المندوب التجاري الأميركي روبرت زوليك فصيحا حول " التجارة الحرة روح المشرق " الفكرة الهاجعـــة الآن، في خطابه في المنتدى الاقتصادي العالمي في الأردن في 23 حزيران 2003 يُطري أمجاد سورية وجيرانها العرب في عصرهم الذهبي الغابر وتجاهل سورية في العصر الحديث في ملاحظاته.

(31) لنـــنظر هـــنا إلى مخاطـــر استخدام مؤسسات المجتمع المدني(مع تقديرنا لبعض الدوافع النقية لدى بعضـــهم) كمادة ضغط سياسي وكارتباط مباشر أو غير مباشر بالاستراتيجية الأميركية لتطويق مبدأ الاستقلال الوطني أو السيادة الذي ساد الاعتقاد به بعد الحرب العالمية الثانية، ويراد الانتهاء منه تحت عناوين متعددة منها مبدأ التدخل الإنســاني وضرورة توحيد العالم بهوية الدستور الأميركي

كما يقول المحافظون الجدد(د. عماد فوزي شعيبي).

(32) الأخير لم يحدث بسبب تسرع الإدارة الأميركية لتنفيذ القرار 1559 بشقه المتعلق بسورية، وهو ما يجعل استراتيجية فلاينت غير مقبولة في البيت الأبيض بكليتها (المدقق)

(33) يجب أن تنوه الولايات المتحدة في هذا السياق إلى أن الحل العادل والمقبول لقضية اللاجئين الذي ورد وصفه في إعلان قمة بيروت 2002 يجب ألا يكون تهديدا للصفة اليهودية الاسرائيل.

التواريخ الدقيقة للأحداث وترتيبها وفقا لتسلسلها الزمني في رئاسة بشار الأسد

حزيران 2000 – كانون الأول 2004

عام 2000

- ✓ 10 حزيران – وفاة حافظ الأسد نتيجة قصور في القلب عن عمر بلغ التاسعة والستين . يصبح نائب الرئيس عبد الحليم خدام رئيسا بالنيابة . القيادة القطرية لحزب البعث ترقي بشار إلى رتبة فريق وتعينه قائدا عاما للقوات المسلحة وترشحه لمنصب الرئيس. يصوت مجلس الشعب بالإجماع لصالح تعديل المادة 82 من الدستور السوري لتخفيض السن المطلوب للرئيس من أربعين سنة إلى أربعة وثلاثين سنة وهو عمر بشار.
- ✓ 13 حزيران – رفعت الأسد الأخ المنفي والمتحدي السابق لحافظ الأسد يصف صعود بشار إلى الحكم بأنه سكين في ظهر الأمة السورية ويقول عن نفسه لاحقا بأنه مؤهل أكثر من بشار لحمل اللواء (الجزيرة 2000/6/12؛ زيسر، هل بشار الأسد يحكم سوريا ؟)
- ✓ 14 حزيران – وزيرة الخارجية الأميركية تلتقي مع بشار في دمشق وتؤكد انه تواق لتجديد الجهود من اجل السلام. (نيويورك تايمز 2000/6/14)
- ✓ 17 حزيران – المؤتمر العام التاسع لحزب البعث يختار بشار أمينا عاما للحزب ويعينه رئيسا. يتم انتخاب لجنة مركزية جديدة مؤلفة من تسعين عضوا ومجلس قيادة قومية مؤلفا من احد عشر عضوا. (اسوشييتد برس 17/6/

2000؛ وكالة الصحافة الفرنسية 2000/6/20)

- ✓ 26 حزيـــران – تم السماح بتشغيل المصارف الأجنبية في خمسة مناطق تجارة حرة في عدرا وحلب ودمشق واللاذقية وطرطوس. (الثورة 200/6/26)
- ✓ 27 حزيران – مجلس الشعب ينتخب بشار بالإجماع رئيسا للجمهورية.
- ✓ 3 تمـــوز- رئيس الوزراء مصطفى ميرو يعلن خطة طوارئ للتخفيف من أزمة البطالة في سوريا. (وكالة الصحافة الفرنسية 2000/7/4)
- ✓ 7 تموز – تلغي سوريا حظرا على استيراد السيارات الخاصة دام ثلاثين عاما. (وكالة الصحافة الفرنسية 2000/7/8)
- ✓ 10 تمـــوز – يتم انتخاب بشار رئيسا في استفتاء وطني ويفوز بنسبة 97.29 بالمئة من الأصوات. (اسوشييتد برس 2000/7/11)
- ✓ 17 تمـــوز- في خطـــاب توليـــته، يدعو بشار للإصلاح الاقتصادي الجدي وتحديـــدا مضـــاعفة دور القطـــاع الخاص ويؤيد أيضا التحديث والإصلاح الإداري ويـــرفض الديمقراطـــية الغربـــية على أنها النموذج المناسب للتطوير السياسي في سوريا ويتعهد بالتزامه باسترداد سلمي لمرتفعات الجولان المحتلة.
- ✓ 22 تمـــوز – يســـن بشار مرسوما بإنشاء أقسام لتكنولوجيا الانترنت في الجامعـــات الحكومية السورية الأربعة . (وكالة الصحافة الفرنسية 7/22/ 200)
- ✓ 26 تمـــوز – ينشـــر ريـــاض الترك وهو السكرتير الأول للحزب الشيوعي الســـوري مقالـــة في الصحافة العربية يعلن فيها بان سوريا لا يمكن أن تبقى مملكـــة الصمت وينتقد الخلافة الوراثية لبشار وينادي بالديمقراطية في سوريا. (القدس العربي 2000/7/2)
- ✓ 27 تمـــوز – يتم إطلاق سراح ثلاثين عضوا من جماعة الإخوان المسلمين من السجن . (اسوشييتد برس 2000/7/27)
- ✓ 27 تمـــوز – يـــتم تعيين علي عبد الكريم مديرا جديدا لوكالة الأنباء العربية الســـورية ويـــتم تعـــيين محررين جدد، محمود سلامه لصحيفة الثورة الرسمية

وخلـف محمد الجراف لصحيفة تشرين. (وكالة الصحافة الفرنسية 7/27/ 2000)

- ✓ 5 آب – في اجتماع لـه مع قيادات الجبهة الوطنية التقدمية الحاكمة ينظر بشار في مقترحات تحديث وتطوير الحزب بما في ذلك تغيير القانون السياسي لـلحزب والتخفيف من القيود المفروضة على الصحافة وإعادة تقييم قانون الطوارئ. (الشرق الأوسط 2000/8/5)
- ✓ 8 آب – تمنح سوريا الترخيص لثلاثة مصارف أجنبية وهي Societe Generale Libano-Europeenne de Banque, FransaBank, Banque Europeenne pour le Moyen-Orient للعمل في مناطق التجارة الحرة الخاصة. (وكالة الصحافة الفرنسية 2000/8/8)
- ✓ 26 آب – يرفع بشار رواتب العاملين المدنيين بنسبة 25% وهي أول زيادة من هذا النوع منذ ست سنوات. (اسوشييتد برس 2000/8/26)
- ✓ 27 أيلـول – يصدر المفكرون السوريون بيان التسعة والتسعون في صحيفة الحياة العربية التي تصدر في لندن مطالبين فيه بإنهاء حالة الطوارئ والعفو عن السجناء السياسيين وحكم القانون وحرية التعبير عن الرأي والصحافة وبجاد جو أكثر تحررا للحياة العامة والانفتاح في المشاركة السياسية.
- ✓ 28 أيلول – اندلاع انتفاضة الأقصى بعد زيارة آرييل شارون لجبل الهيكل / الحرم الشريف.
- ✓ 1 تشـرين الأول – في خرق للعادة تنشر صحيفة الثورة انتقادا لاذعا للفساد المتفشـي ومحاباة الأقارب في التوظيف في مكاتب الحكومة مما يعيب بشكل مباشر سياسات الحكومات السابقة. يكتب عارف دليلة وهو العميد السابق لكلية الاقتصاد في جامعة دمشق بان التطور الاجتماعي والاقتصادي قد تجمد طيلة عشرين عاما. (وكالة الصحافة الفرنسية 2000/10/2)
- ✓ 3 تشـرين الأول- يعقـد بشار أول مؤتمر صحفي لـه مع وسائل الإعلام الدوليـة حـول نـتائج زيارته الرسمية لمصر، وبجانبه الرئيس المصري حسني

مبارك. (القدس العربي 2000/10/4)

- ✓ 18 تشرين الأول – يلتقي بشار مع وزيرة الخارجية الأميركية مادلين البرايت في الرياض ويصد اقتراحها لمبادرة سلام سورية-إسرائيلية جديدة على أساس أن سوريا لن تتفاوض أثناء الانتفاضة الفلسطينية. (ميدايست ميرور 12/22/ 2000)
- ✓ 22 تشرين الأول – في القمة العربية في القاهرة يوجه بشار توبيخا شديد اللهجة للجيش الإسرائيلي على محاولته سحق الانتفاضة بقوة السلاح ويدعو لإيجاد نهاية سلمية للصراع. (نيويورك تايمز 2000/10/22)
- ✓ تشرين الثاني – يبدأ العراق بضخ النفط عبر أنبوب نفط كركوك إلى المحطة النفطية السورية في بانياس وقد ذكر أن الضخ كان بمعدل 150.000 برميل في اليوم في انتهاك لعقوبات الأمم المتحدة المفروضة على نظام صدام حسين. وكانت هذه المرة الأولى التي يتم فيها استخدام هذا الخط منذ أن تم إغلاقه في عام 1982. (أويل ديلي 2000/11/22)
- ✓ 15 تشرين الثاني – في الذكرى الثلاثين للثورة التي أوصلت والده إلى السلطة يوقع بشار قرار عفو يطلق فيه سراح ما يقارب 600 سجين سوري ولبناني من أصل عدد يقدر بـ 1500 سجين سياسي. وقد شمل العفو إدانات جرمية وسياسية محددة تم ارتكابها قبل تاريخ 16 تشرين الثاني 2000 وقد تضمن العفو تخفيض مدة الحكم بالسجن بالنسبة للجرائم الاقتصادية. يقدم بشار مشروع القانون إلى مجلس الشعب لإقراره خارقا بذلك التقليد الذي كان يتبعه حافظ حيث كان يصدر المراسيم دون استشارة مجلس الشعب. وقد كان هذا القرار أول إقرار علني بان هنالك مساجين سياسيين يحتجزهم النظام. (اسوشييتد برس 2000/11/16؛ زيسر، ربيع زائف في دمشق)
- ✓ 19 تشرين الثاني – يصدر بشار مرسوما ينص على تحويل سجن المزة إلى مستشفى. (اسوشييتد برس 2000/11/21)
- ✓ 29 تشرين الثاني – يمنح حزب البعث الحاكم حقوق النشر للأحزاب

الأخـــرى في الجبهة الوطنية التقدمية ويسمح لهم بتنسيب الأفراد. (الصحافة الدولية المتحدة 2000/11/29، الحياة 2000/12/1)

- ✓ 1 كانون الأول – توقيع ميزانية الدولة المقدمة لمجلس الشعب السوري في 30 تشرين الأول لتنفيذها قبل بداية السنة المالية لأول مرة على مدى عقد كامل. كـــان مقدار الميزانية 7.7 بليون دولار أميركي وهي تزيد بنسبة 10% عن ميزانية السنة السابقة. (Arabicnews.com2000/9/26؛ تشرين 12/1/ 2000)
- ✓ 2 كانون الأول – يوافق حزب البعث على إنشاء بنوك خاصة وافتتاح سوق بورصة للسندات المالية. (سانا 2000/12/2)
- ✓ 5 كـــانون الأول – تعلـــن القيادة الوطنية لحزب البعث عن إلغاء تعيين قادة الحـــزب بحيـــث يتم منذ الآن فصاعدا انتخاب قادة الحزب من قبل أعضاء الحزب ويمكن أن تكون القيادة عرضة لحجب الثقة. وقد تم تحديد أول موعد للتصويت في 20 كانون الثاني 2001. (الحياة 2000/12/5)
- ✓ 11 كانون الأول – السلطات السورية تسلم السلطات اللبنانية ست وأربعين ســـجينا لبنانـــيا وفلسطينيا بتهمة التحريض السياسي. وبعد عدة أيام ينشر المدعـــي العام اللبناني اللواء عدنان عضّوم قائمة بأسماء ثلاث وتسعين سجينا لبنانيا ما زالوا في السجون السورية بتهم جرمية وأعلن إغلاق ملف اللبنانيين الموجودين في السجون السورية برغم احتجاجات عائلاتهم وجماعات حقوق الإنسان في لبنان. (اسوشييتد برس 2000/12/11؛ وكالة الصحافة الفرنسية 2000/12/15)
- ✓ 15 كـــانون الأول – ســـوريا توقع مذكرة تفاهم رسمية بقيمة بليون دولار أميركي مع لبنان ومصر لتمديد خط أنابيب غاز طبيعي تحت البحر من مدينة العـــريش في سيناء إلى مدينة طرابلس في شمالي لبنان ومن طرابلس يمتد برا إلى سوريا والأردن وتركيا وأوربا. (اسوشييتد برس 2000/12/15)
- ✓ 17 كـــانون الأول – لجان الدفاع عن حقوق الإنسان في سوريا بقيادة أكثم

نعيـــة تصـــدر نداء علنيا للعفو عن السجناء السياسيين الباقين في السجون السـورية وإلغـاء المحـاكم السـرية والسماح للمنفيين بالعودة إلى الوطن. (نيويورك تايمز 2000/12/17)

- ✓ 23 كـانون الأول – ســوريا تعين سفيرا جديدا لها في الأردن فتملأ بذلك الفــراغ الذي بقي شاغرا منذ أن استدعت سوريا سفيرها في عام 1993 إثر الخــلاف على مسودة اتفاق السلام بين إسرائيل والأردن. (اسوشييتد برس 2000/12/24)
- ✓ 25 كانون الأول – مصارف التوفير السورية تصبح أول من يصدر بطاقات اعتماد في البلاد. (وكالة الصحافة الفرنسية 2000/12/25)

عام 2001

- ✓ 1 كـانون الـثاني – يتزوج بشار من أسماء الأخرس عمرها خمس وعشرون عاما وهي ابنة أخصائي قلبية ممارس في لندن ضمن احتفال سري في ليلة رأس السنة الجديدة في دمشق.
- ✓ 4 كـانون الثاني – صحيفة صوت الشعب التابعة لجناح بكداش من الحزب الشـيوعي السـوري في الجبهة الوطنية التقدمية تصبح أول صحيفة لا تخضع لمراقـبة النظام وهي تنشر في سوريا منذ عام 1963. (اسوشييتد برس 1/5/ 2001)
- ✓ 7 كانون الثاني – ينشر بيان الألف حيث يوقع عليه ألف مفكر وتتصف هذه الوثـيقة الجديـدة بأنها أكثر راديكالية من بيان التسعة والتسعون ويتم إنشاء لجـان إحياء المجتمع المدني كهيئة تنسيقية للمنتديات السياسية الجديدة في كل أنحاء البلاد ولتسهيل إيجاد الحلول للمشاكل في سوريا. (الوثائق الصادرة عن الهيئات التأسيـسية، لجان المجتمع المدني في سوريا، دمشق، بدون تاريخ)
- ✓ 16 كـانون الثاني – تعلن سوريا أن لديها احتياطي كبير جدا من الماس وان هذه المناجم اكبر من التي اكتشافها في عام 1983 وتدعو الشركات الخاصة لتقديم عروضها لتطوير هذه المناجم . (ميدل ايست ايكونوميك دايجست 26

/2001/1)

- ✓ 18 كـانون الثاني – مؤسسة الاتصالات السورية تمنح عقود تشغيل والبناء والـتحويل لشـركة سيرياتل وهي شركة فرعية تابعة لشركة الهواتف النقالة المصرية اوراسكوم وتمنح شركة انفستكوم اللبنانية عقد بناء شبكة تغطي 90 بالمـئة مـن مساحة البلاد وتقديم الخدمات لـ 1.7 مليون مشترك. (ميدل ايست ايكونوميك دايجست 2001/2/2)
- ✓ 19 كـانون الثاني – يعلن محمد صوان تشكيل التجمع من اجل الديمقراطية والوحدة وهو منتدى ديمقراطي دائم لمعالجة قضايا مثل الفساد والترعة الوطنية والترعة القومية. (السفير 2001/1/19)
- ✓ 20 كانون الثاني – تعدل سوريا قوانين سعر الصرف بحيث تسمح للمصرف الـتجاري السـوري بتنفيذ صفقات محدودة في مجال الصرف الأجنبي بسعر السـوق الحـرة للدولار وذلك لأول مرة في غضون أربعين سنة. تعتبر هذه الخطـوة هامـة جدا كخطوة أولى تجاه الوصول إلى سعر صرف موحد مما يسهل الصفقات الأجنبية. (ميدل ايست ايكونوميك دايجست 2001/2/2)
- ✓ 25 كـانون الثاني - رياض سيف العضو المستقل في مجلس الشعب يعلن عن نيته تشكيل حزب سياسي يسميه حزب السلام الاجتماعي. (الحياة 1/26/ 2001)
- ✓ 29 كانون الثاني – وزير الإعلام السوري عدنان عمران يعلق على صالونات النقاشـات الإصلاحية التي انبثقت منذ تولي بشار الحكم ويقول : إننا نحترم آراء الآخـرين طالمـا أنهـم يحترمون الدستور وطالما أن تأسيسهم يتم وفقا لشعورهم بالمسؤولية والتزامهم تجاه البلد والوحدة.. وكل ما يتخطى القانون فهـو ممـنوع. ويـزعم أن الناشـطين في مجال المجتمع المدني تدفع لهم غالبا الحكومـات الأجنبية. وحول حالة الطوارئ يقول عمران : الأحكام العرفية موجـودة ولكنها مجمدة ولا يتم تطبيقها. (وكالة الصحافة الفرنسية 1/29/ 2001)

- ✓ 30 كانون الثاني – مهاجمون مجهولون يتهجمون على الكاتب ومنظم المنتدى الاجتماعي المدني نبيل سليمان في اللاذقية ويقول العديد من المراقبين أن هذه الحادثة الأولى من نوعها في هجوم مضاد بإشراف الدولة على الناشطين في مجال المجتمع المدني. (جورج، سوريا ص 48)
- ✓ 31 كانون الثاني – سوريا والعراق توقعان اتفاقية إقامة منطقة تجارة حرة بينهما على أن تصبح قيد التنفيذ في 1 نيسان 2001. (وكالة الصحافة الفرنسية 2001/1/31)
- ✓ 6 شباط – تقرر قيادة حزب البعث السماح بإنشاء جامعات خاصة. (سانا 2001/2/6) وتم الترخيص لأربع جامعات في مجموعة من المراسيم في عام 2003 وهي : جامعة الفنون والعلوم الخاصة في حلب وجامعة القلمون الخاصة في دير عطية وجامعة المأمون للعلوم والتكنولوجيا في القامشلي وجامعة الاتحاد الخاصة في الرقة. (تقرير سورية - تشرين الأول 2003)
- ✓ 8 شباط – في أول مقابلة شاملة له مع الصحافة يقول بشار للشرق الأوسط أن انفتاح الحكومة السورية على الأحزاب السياسية الجديدة أمر ممكن ولكنه رفض تحديد جدول زمني لذلك. وأعلن انه راغب بمتابعة المفاوضات مع إسرائيل ولكنه قال بأنه لا بد أن يكون هنالك ضمانات مسبقة بان سوريا ستعود إلى حدود 1967 عند التوصل إلى اتفاقية سلام. واتهم بشار الإصلاحيين الذين تحدثوا للصحافة الأجنبية بأنهم جماعة من النخبة التي أخطأت عندما اعتبرت نفسها تمثل الغالبية. (الشرق الأوسط 2/8/ 2001)
- ✓ 15 شباط – الحزب الاشتراكي العربي في الجبهة الوطنية التقدمية ينشر صحيفته الثانية غير الرسمية في سوريا بعنوان الوحدوي. (وكالة الصحافة الفرنسية 2001/2/15)
- ✓ 17 شباط – حزب البعث يشرح بأنه قد أرسل أعضاء القيادة القطرية إلى كل أنحاء البلاد لتوضيح الوضع السياسي للجنود والمواطنين السوريين. احد

هـــؤلاء المســـؤولين البعثيين يشرح بان المقصود من هذه المبادرة تفعيل دور الحـــزب وتوضيح انجازات الجبهة الوطنية التقدمية لمجابهة اللهجة السلبية التي نشأت في صالونات الإصلاحيين. (الشرق الأوسط 2001/2/17)

- ✓ 17 شـــباط – الهيئات الأمنية السورية تبدأ بمطالبة هذه الصالونات بالحصول عـــلى ترخيص قبل فتح أبوابها للنقاشات الخاصة. يكون ترخيص كل صالون مشـــروطا بتسجيل اسم المالك وموقع المنتدى بالإضافة إلى إعلام السلطات بأسماء المشاركين ونص المحاضرات التي سيتم إلقاؤها قبل خمسة عشر يوما من بدء أي اجتماع بجدول. (الصحافة الدولية المتحدة 2001/2/17، الحياة 20 2001/2/)
- ✓ 21 شـــباط – يقـــول مسؤول في حزب البعث أن الناشطين في مجال المجتمع المـــدني في سوريا قد اساؤوا فهم خطاب الرئيس الأسد عند توليه المنصب في تموز الماضي وأنهم قد تخطوا الخطوط الحمراء والثوابت العربية والقومية. كان مـــن الممكـــن أن يلعبوا دورا هاما لو أنهم لم يعبثوا بالقضايا الجوهرية وهي مناقشـــة الدور الريادي للبعث. وقد أكد نائب الرئيس عبد الحليم خدام هذا الانـــتقاد قائلا أن منتديات النقاش قد تجاوزت الخطوط الحمراء التي تمثل امن المجـــتمع واستقراره. (الحياة 2001/2/21؛ وكالة الصحافة الفرنسية 2/22/ 2001)
- ✓ 21 شـــباط – يـــتحدى رياض سيف صراحة الحظر المفروض على منتديات الـــنقاش السياســـي غير المرخصة ويعقد اجتماعا في منزله. (وكالة الصحافة الفرنسية 2001/2/22)
- ✓ 26 شـــباط – رسام الكاريكاتير السوري على فرزات المشهور على مستوى العـــالم العـــربي ينشر أول عدد من مجلة الدومري وهي مجلة تحمل السخرية والرســـوم الكاريكاتيرية والتعليقات الاجتماعية وهي أول مجلة خاصة الملكية ومستقلة ولا تنتمي إلى أي حزب سياسي وتنشر في سوريا منذ عام 1963. (اسوشييتد برس 2001/2/26)

- ✓ 27 شباط – يصدر بشار قانونا جديدا حول حقوق النشر يحمي المؤلفين من انتحال آرائهم أو كلماقم ومن التحريف والتشويه أو أي خرق آخر. (سانا 2001/2/27)
- ✓ 14 آذار – الرئيس المصري حسني مبارك والملك الأردني عبد الله يصلان إلى دمشق لإجراء محادثات والاحتفال بتوسيع شبكة الكهرباء المشتركة إلى سوريا على أن يتم وصل الشبكة إلى تركيا ولبنان في المستقبل. (اسوشييتد برس 2001/3/14)
- ✓ 21 آذار – يقر مجلس الشعب قانونا جديدا حول سرية العمليات المصرفية في خطوة تهدف إلى تجديد إنشاء المصارف الخاصة في سوريا. (الصحافة الدولية المتحدة 2001/3/19)
- ✓ 27 آذار – في القمة العربية في عمان – الأردن يوبخ الأسد المجتمع الإسرائيلي على انه أكثر عنصرية من النازية نفسها ويتهم عامة الاسرائليين بتدمير عملية السلام ويدعو إلى السلام على أساس الموافقة التامة لمطالب الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين المتعلقة بأراضيهم. (القناة الأولى في التلفزيون الأردني 2001/3/27)
- ✓ 29 آذار – مجلس الشعب السوري يقر تشغيل المصارف الخاصة في سوريا ويسمح للمستثمرين الأجانب مقارنة بالسوريين بامتلاك 51% من أسهم أي مصرف خاص. (اسوشييتد برس 2001/3/29)
- ✓ نيسان – سوريا والاتحاد الأوربي يوقعان اتفاقية National Indicative Programmme لدعم التطوير الاقتصادي وتعزيز المؤسسات والتحديث الصناعي والتحرر التجاري. وهذا البرنامج الذي يموله الاتحاد الأوربي سوف يتقدم على عدة مراحل للمشاريع المستهدفة بقيادة خبراء من الاتحاد الأوربي الذين سيركزون على مناطق محددة التي بحاجة للإصلاح مما يقود بالتالي إلى تحقيق هدف الاندماج في منطقة التجارة الحرة الأوربية – المتوسطية. (تقرير سورية - كانون الأول 2002)

- ✓ 10 نيسان – لجان الدفاع عن حقوق الإنسان في سوريا المحظورة رسميا ولكن يتم التساهل معها تصدر تقريرها السنوي في دمشق تقدر فيه عدد السجناء السياسيين الباقين خلف القضبان في السجون السورية بثمانمئة سجين. (وكالة الصحافة الفرنسية 2001/4/10)
- ✓ 11 نيسان – وزير الدفاع مصطفى طلاس يقول لقناة أبو ظبي الفضائية أن لديه الدليل الذي يثبت أن المفكرين الذين وقعوا بيان الألف هم عملاء للاستخبارات الأميركية. ويؤكد طلاس أن غياب أي ذكر للصراع العربي – الإسرائيلي في هذه المناشدة يثبت أن العدو قد دفع لهؤلاء الموقعين. (القدس العربي 2001/4/12)
- ✓ 15 نيسان – بعد هجوم حزب الله على دبابة إسرائيلية في مزارع شبعا المتنازع عليها فقتل جنديا واحدا، تضرب الطائرات الحربية الإسرائيلية محطة الرادار السورية في وسط لبنان فقتلت جنديين سوريين وجرحت خمسة. (اسوشييتد برس 2001/4/15؛ وكالة الصحافة الفرنسية 2001/4/16)
- ✓ أيار – يصدر بشار مرسوما يزيد فيه رواتب موظفي الدولة المدنيين والعسكريين بنسبة 20% وزيادة للمتعاقدين بنسبة 15%. (تقرير سورية – تشرين الثاني 2002)
- ✓ 3 أيار – من المنفى في لبنان تصدر جماعة الإخوان المسلمين مسودة ميثاق الشرف الوطني للعمل السياسي تطالب فيه إقامة دولة ديمقراطية وحوار وطني ورفض العنف السياسي. (الحياة 2001/5/4)
- ✓ 5 أيار – إطلاق سراح نزار نيوف الصحفي والأمين العام للجان الدفاع عن الحريات الديمقراطية وحقوق الإنسان في سوريا بعد أن قضى في السجن تسع سنوات من أصل مدة حكمه وهي عشر سنوات بسبب عضويته في منظمة خارجة عن القانون ونشر معلومات زائفة . اضرب نيوف مباشرة عن الطعام احتجاجا على احتجازه في منزله وفرض حظر على سفره إلى خارج البلاد للعلاج الطبي. (وكالة الصحافة الفرنسية 2001/5/7)

- ✓ 6 أيـــار – الـــبابا يوحـــنا بولس الثاني يزور دمشق ويصبح أول حبر يدخل مســـجدا. ويلتقي بمفتي سوريا الأول احمد كفتارو لمناقشة التفاهم المسيحي-المسلم. ألقى الأسد خطابا بحضور البابا ويسخر من اليهود واصفا إياهم بأنهم أعداء المسيحيين والمسلمين ويحملهم مسؤولية خيانة وتعذيب المسيح عيسى. لقي الخطاب شجبا واسعا من وسائل الإعلام الأجنبية. (اسوشييتد برس 5/6 /2001؛ سانا 2001/5/5؛ نيويورك تايمز 2001/5/7)
- ✓ 8 أيار – يطرد محمود سلامه من منصبه كرئيس تحرير صحيفة الثورة . (ميد إيست ميرور 2001/5/30)
- ✓ 11 أيار – يوقع لبنان اتفاقية شراء الغاز من سوريا على أن يتم نقله بواسطة خط أنابيب يتم إنشاؤه بين البلدين. وهذا الأنبوب الذي سيكلف 13 مليون دولار أميركـــي سيتم وصله مع شبكة أنابيب الغاز التي تصل سوريا بالأردن ومصـــر وقـــد تم إكمالها في 14 آذار على أن يتم توسيع الشبكة لتصل إلى تركيا. (وكالة الصحافة الفرنسية 2001/5/12)
- ✓ 13 أيار – جناح الفيصل من الحزب الشيوعي السوري وهو احد الأحزاب التأسيسية في الجبهة الوطنية التقدمية ينشر صحيفة النور وهي رابع صحيفة لا يقرها النظام في سوريا. (وكالة الصحافة الفرنسية 2001/5/13)
- ✓ 14 حزيـــران – تـــبدأ القوات السورية أول انسحاب هام لها من لبنان منذ اســـتلام بشار السلطة حيث يسلم حوالى 6000 جندي مواقعهم إلى الجيش اللبناني في القسم الأكبر من بيروت ويعود اغلب الجنود السوريين إلى الوطن ويـــتم إعـــادة انتشـــار مـــن تبقى منهم في سهل البقاع وقد تبقى بعد هذا الانسحاب ما يقارب 20.000 جندي سوري يحتلون لبنان. (نيويورك تايمز 2001/6/20؛ كريستيان سينس مونيتور 2001/6/21)
- ✓ 24 حزيـــران – صدور أول عدد من الاقتصادية وهي ثاني صحيفة مستقلة وأول صحيفة اقتصادية في سوريا. (وكالة الصحافة الفرنسية 2001/6/23)
- ✓ 9 آب – بعـــد إعلانه الإضراب عن الطعام احتجاجا على التهم الموجهة إليه

مــن الهيــئات الأمنية، يتحدث مأمون الحمصي وهو عضو مستقل في مجلس الشــعب ضــد الأحكام العرفية وغياب حرية التعبير السياسي والاحتكارات الاقتصــادية من جانب أصحاب النفوذ في النظام وأولادهم. وبعد يومين يتم اعــتقاله وســجنه بــتهم تحدي أوامر الدولة واهانة الحكومة والترهب من الضرائب. (وكالة الصحافة الفرنسية 2001/8/9)

- ✓ 2 أيلول – رياض الترك زعيم الحزب الشيوعي الذي سجن سابقا سبعة عشر عامــا في ظل حكم حافظ الأسد يعتقل بعد انتقاده اللاذع لسياسات حافظ في نــدوة عامــة في دمشــق. قال الترك إن الركود السياسي والاقتصادي والاجــتماعي في ســوريا ما هو إلا نتيجة للنهج الذي وضعه الأسد الأب . (اسوشييتد برس 2001/9/2)
- ✓ 11 أيلول – اختطاف الإرهابيين لأربع طائرات في الولايات المتحدة وتحطم ثلاثة منها في برجي التجارة العالميين والبنتاغون فقتلوا ما يقارب ثلاثة آلاف شــخص. يدعو الأسد في لمساعدة عالمية مشتركة من اجل اجتثاث الإرهاب وحماية حقوق الإنسان . يتصدر صحيفة البعث يوم 12 أيلول عنوان: الثلاثاء الأســود في الولايــات المــتحدة، سوريا تدين الهجمات المدمرة . (وكالة الصحافة الفرنسية 2001/9/12؛ نيويورك تايمز 2001/9/13)
- ✓ 23 أيلول – يصدر بشار مرسوما يعيد التأكيد فيه على حقوق النشر ضمن إطــار القــانون ويحظر المقالات التي تنشر معلومات تسيء إلى وحدة الأمة وأمــنها . يجــرم المرسوم نشر المعلومات الزائفة أو المفبركة بفرض غرامات جســيمة أو السجن أو كليهما على كل من ينتهك ذلك. (اسوشييتد برس 2001/9/23؛ هيومان رايتس ووتش؛ التقرير العالمي 2002 : سوريا)
- ✓ تشرين الأول – يتم تأسيس حزب الإصلاح في سوريا وهو يضم مجموعة من الســوريين الأمريكــيين والسوريين الأوربيين والمواطنين السوريين العلمانيين الملتزمين بالسلام بزعامة رجل الأعمال الذي يعمل في واشنطن فريد غادري. يدعــو الحزب الولايات المتحدة لممارسة الضغط على النظام السوري الحالي

لإنشاء سوريا الجديدة التي تتقبل الإصلاحات الديمقراطية والاقتصادية الحقيقية. (http://reformsyria.org)

- ✓ 8 تشرين الأول – يتم انتخاب سوريا بالإجماع لدورة سنتين كعضو غير دائم في مجلس الأمن في هيئة الأمم المتحدة. جاءت تسمية سوريا للمقعد الآسيوي في المجلس بتأييد من 160 دولة ودون معارضة من جانب الولايات المتحدة وكانت إسرائيل الدولة الوحيدة التي عبرت عن عدم موافقتها. وصفت صحيفة البعث انتخاب سوريا بالانتصار. تبدأ مدة سوريا في كانون الثاني 2002 وتتسلم رئاسة مجلس الأمن في حزيران 2002 وآب 2003. (اسوشييتد برس 2001/10/8، 2001/10/9)
- ✓ 11 تشرين الأول – رداً على سؤال حول الرد الأميركي على دول غير متعاونة بشكل يرضي الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب مثل سوريا قال نائب وزير الخارجية ريتشارد ارميتاج: قد تكون النتائج وفقا لما يراه الائتلاف وهي سوف تتسلسل بدءا من فرض العزلة إلى البحث في العقوبات المالية وصولا إلى العمل العسكري ربما. ألقى الرئيس بوش بيانا استرضائيا في وقت لاحق من ذلك اليوم: لقد تحدث السوريون عن الكيفية التي يمكنهم من خلالها تقديم المساعدة في الحرب على الإرهاب ونحن نأخذ ذلك على محمل الجد وسوف نمنحهم الفرصة للقيام بذلك. كان بيان ارميتاج مدعاة لاحتجاج وزير الخارجية السوري مما استدعى طلب التوضيح من السفير الأميركي في دمشق تد كاتوف. (ديلي تلغراف 2001/10/13)
- ✓ 29 تشرين الأول – في طليعة اجتماع منظمة التجارة العالمية في قطر ما بين 9-13 تشرين الثاني تعلن سوريا عن نواياها بالتقدم الرسمي لقبولها في المنظمة. وأكدت المنظمة تسلمها الطلب في 13 تشرين الثاني. (اسوشييتد برس 2001/10/29، 2001/11/13)
- ✓ 25 تشرين الثاني – يصدر بشار عفوه الثاني الشامل فيطلق سراح ما لا يقل عن 122 سجينا سياسيا ومنهم إسلاميين بشكل رئيسي. (وكالة الصحافة

الفرنسية 2001/11/25)

- ✓ 30 تشـــرين الثاني – تقر سوريا ميزانية الحكومة لعام 2002 والتي تصل إلى 7.66 بلـــيون دولار أميركي بزيادة قدرها 10% عن ميزانية عام 2001. (2001/11/30SyriaLive.net)
- ✓ 6 كانون الأول – أسماء زوجة بشار تضع مولودهما الأول حافظ. (اسوشييتد برس 2001/12/6)
- ✓ 8 كانون الأول – يوقع بشار على تنفيذ خطة مكافحة البطالة التي ستنوع في بنـــية القطاعـــات الاقتصادية والخدمية وتستوعب القادمين الجدد إلى سوق الوظـــائف ويقـــول رئيس الوزراء مصطفى ميرو أن هذه الخطة التي تستغرق خمس سنوات سوف تكلف واحد بليون دولار أميركي وتوجد 440.000 وظيفة. (تقرير سورية – كانون الأول 2001)
- ✓ 13 كـــانون الأول – يعلن عن قرب إغلاق سجن تدمر سيء السمعة ويبدو انـــه لم يتم التنفيذ لغاية نهاية 2004. (أنباء الخليج 2001/12/13؛ زيسر، ربيع زائف)
- ✓ 13 كـــانون الأول – في الـــتعديل الوزاري الأول لبشار يكون هنالك ثمانية عشـــر وزيرا جديدا من أصل ثلاث وثلاثين وزيرا وقد تناقص عدد الوزراء البعثـــيين إلى تســـع عشر من أصل ست وعشرين وكان هنالك وزراء جدد للـــوزارات الهامـــة وهي المالية والاقتصاد والنقل والسياحة والزراعة. ويبقى مصطفى ميرو رئيسا للوزراء. (اسوشييتد برس 2001/12/13؛ الحياة 14/ 2001/12)

عام 2002

- ✓ 22 كـــانون الـــثاني – يتسلم حسن تركماني منصب رئيس أركان القوات المســـلحة من علي أصلان الذي تقاعد من الخدمة عند سن الثانية والسبعين. (التلفزيون العربي السوري 2002/1/22)

✓ 30 كانون الثاني – مجلس الوزراء يوافق على مسودة مرسوم استثناء المحطات الإذاعية التي تبث فقط البرامج الموسيقية والإعلانات التجارية من القيود المفروضة على الإذاعات الخاصة على أن يتم تنفيذ القانون الجديد في 21 آب 2002 ولكن لم يتم البدء ببث أول إذاعة خاصة وهي المدينة ف م لغاية شباط 2005. (البعث 2002/1/30؛ سانا 2002/8/21؛ الشرق الأوسط 2005/2/2)

✓ 1 شباط – وزير الخارجية فاروق الشرع يرفض العرض الإسرائيلي لاستئناف مفاوضات السلام دون شروط لان ذلك يعني عدم تطبيق مبادئ السلام والعودة إلى خانة الصفر. (السفير 2002/2/1)

✓ 12 شباط – صحيفة أردنية تذكر أن وزير الدفاع مصطفى طلاس قدم استقالته للأسد وسوف يتقاعد في تموز 2002 عن عمر السبعين. (الدستور 2002/2/12)

✓ 17 شباط ولي العهد السعودي الأمير عبد الله يخبر توماس فريدمان من صحيفة نيويورك تايمز عن اقتراح الأرض مقابل السلام الذي ينوي طرحه في القمة العربية في بيروت في آذار مما أثار الكثير من المناقشات والتخمينات في وسائل الإعلام . (نيويورك تايمز 2002/2/17)

✓ 3 آذار – الأسد يزور بيروت لمناقشة القمة العربية القادمة مع الرئيس اللبناني إميل لحود. وهذه الزيارة هي الأولى لقائد سوري إلى لبنان منذ أن سافر حافظ الأسد إلى بلدة شتورا على الحدود اللبنانية في عام 1975. لم يزر الأسد الأب بيروت يوما. (تلفزيون تيلي ليبان 2002/3/3)

✓ 6 آذار بعد لقائه مع ولي العهد السعودي الأمير عبد الله في السعودية عبر بشار عن رضاه مع بعض التحفظات على اقتراح الأرض مقابل السلام الذي سيقدمه الأمير السعودي في القمة العربية في بيروت . (اسوشييتد برس 3/6/ 2002)

✓ 27- 28 آذار – في بيروت تنضم سوريا إلى موافقة القمة العربية بالإجماع

على مبادرة ولي العهد السعودي الأمير عبد الله من اجل سلام عادل وشامل مع إسرائيل. وفي خطابه أمام القمة يدعو الأسد إلى تشكيل لجنة من ممثلي الدول العربية المعنية بعملية السلام بحيث يشرحون المبادرة للأمم المتحدة والاتحاد الأوربي. ويدعو أيضا الدول العربية لقطع علاقاتها مع إسرائيل والاستمرار في دعم الانتفاضة ماديا ومعنويا. (تلفزيون تيلي ليبان 3/27/ 2002؛ واشنطن بوست 2001/3/29)

- ✓ 3 نيسان – سوريا تعلن عن ثاني انسحاب هام لقواتها من لبنان. ينسحب عدد غير محدد من وسط لبنان باتجاه سهل البقاع ومن ثم يعودون إلى سوريا. (اسوشييتد برس 2002/4/3)
- ✓ 16 نيسان – وزير الخارجية الأميركي كولن باول في رحلة له إلى الشرق الأوسط يتوقف بشكل غير مُدرج في برنامج الرحلة في دمشق ضمن مسار خط الرحلة ويلتقي سرا مع الأسد. تبعت هذه الزيارة سلسلة من الهجمات عبر الحدود من لبنان على إسرائيل التي شنها حزب الله والميليشيات الفلسطينية وقد أمطر حزب الله المواقع الإسرائيلية في منطقة مزارع شبعا بوابل من القنابل في العاشر من نيسان. يرفض الأسد اقتراح شارون حول قمة عربية – إسرائيلية جديدة حينما أثار باول هذا الموضوع في دمشق. (نيويورك تايمز 2002/4/16؛ اسوشييتد برس 2002/4/16؛ كريستيان سينس مونيتور 2002/4/17)
- ✓ 20 نيسان – رئيس الوزراء مصطفى ميرو يفصل علي عبد الكريم من عمله كمدير لسانا ويحل محله غازي الذيب. يشغل عبد الكريم وظيفة استشارية في وزارة الإعلام. يعين فايز صايغ مديرا لهيئة الإذاعة والتلفزيون. (وكالة الصحافة الفرنسية 2002/4/22)
- ✓ 21 – 23 نيسان – السيدة الأولى أسماء الأسد تستضيف مؤتمرا مدته ثلاثة أيام حول دور المرأة في التطوير الاقتصادي. نظمت المؤتمر لجنة سيدات الأعمال الصناعيات في غرفة صناعة دمشق وحضره ما يزيد عن 250 سيدة

أعمال مما لا يقل عن أربعة عشر دولة عربية. (4/2 MidEastWeb.com/2002؛ 2002/4/23Arabicnews.com)

- ✓ 28 نيسان – يصدر الأسد مرسوم تشكيل وزارة جديدة لشؤون المغتربين لتفعيل دور المغتربين السوريين والجاليات في دعم علاقتهم بين وطنهم الأم والبلدان التي يقيمون فيها. (سانا 2002/4/28)
- ✓ 15 أيار – بناء على مرسوم رئاسي يتم تمديد مدة خدمة مصطفى طلاس سنتين إضافيتين بعد سن تقاعده في السبعين. (وكالة الصحافة الفرنسية 15/ 2002/5)
- ✓ 24 أيار – في إشارة إلى التعاون المتنامي بين قيادتي سوريا والعراق يصدر وزير الإعلام السوري حظرا على طباعة ونشر وتوزيع صحف المعارضة العراقية في سوريا. (الحياة 2002/5/24)
- ✓ حزيران – وزير الاقتصاد يعلن خطة بقيمة 200 مليون دولار أميركي لتحديث الخدمات والمساعدة على تطوير المصرف التجاري السوري. (تقرير سورية – تشرين الثاني 2002)
- ✓ 2 حزيران – تبدأ المحطة الفضائية السورية ببث نشرة أنباء يومية باللغة العبرية مدتها خمسة عشر دقيقة بهدف كشف الحقيقة للإسرائيليين. (وكالة الصحافة الفرنسية 2002/6/2)
- ✓ 3 – 4 حزيران – خافير سولانا المسؤول عن السياسة الخارجية في الاتحاد الأوربي يلتقي مع الأسد في دمشق ويقول له أن الوقت قد حان لمبادرة ذات طبيعة سياسية . (وكالة الصحافة الفرنسية 2002/6/3) وفي اليوم التالي يلتقي مساعد وزير الخارجية الأميركي وليام بيرنز مع الأسد ويقول أن سوريا سوف تدعم الجهود على أساس قرارات مجلس الأمن في الأمم المتحدة المتعلقة بالصراع الإسرائيلي-العربي على مبدأ الأرض مقابل السلام. كان تلقي الأسد فاترا لاقتراح بيرنز عقد مؤتمر سلام جديد. (وكالة الصحافة الفرنسية 2002/6/4)

- ✓ 22 حزيــران – نشر أول عدد من المجلة الأسبوعية الثالثة المستقلة في سوريا والتي تصف نفسها بأنها تهتم بالشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية والعامة وهي بعنوان ابيض واسود وكانت قد منحت الترخيص بالنشر في 28 نيسان ويملكهـــا محمد بلال تركماني ابن حسن تركماني الذي أصبح وزيرا للدفاع في عام 2004. (وكالة الصحافة الفرنسية 2002/7/22)
- ✓ 22 حزيران – لجنة أهالي المختفين أو المعتقلين اللبنانيين في سوريا تقوم بزيارة عامـــة إلى سوريا وتلتقي وزير الداخلية السوري علي حمود في دمشق وتقدم لـــــه قائمـــة بأسماء 176 لبنانيا يعتقد أن السلطات السورية قد اعتقلتهم أو أخفتهم، يقول الوزير انه بحاجة لثلاثة أشهر قبل أن يتمكن من إصدار جواب وعندما حاولت المجموعة زيارة دمشق ثانية في 2 تشرين الثاني لتلقي الجواب الموعـــود، أعيدت قافلتهم عند الحدود السورية إلى لبنان وقيل لهم أن يتابعوا الموضـــوع مـــع الســـلطات اللبنانية. (هيومان رايتس ووتش، التقرير العالمي 2003 : سوريا)
- ✓ 23- 25 آب – جماعـــة الإخوان المسلمين السورية ترأس مؤتمرا مع أحزاب المعارضة السورية الأخرى من المنفيين للتوصل إلى وضع نسخة نهائية للاتفاق الوطـــني لتحديد ماهية برنامج سياسي تعاوني بعيدا عن العنف. (ميد ايست ميرور 2002/8/30)
- ✓ 8 تشـــرين الأول – تستضـــيف دمشق مؤتمر التأييد للعرب لمدة يومين وهو يضم المنظمات المحلية والأجنبية التي تنادي برفع الحظر المفروض على العراق. عـــلى الـــرغم من أن المؤتمر كان يضم 800 شخصية من العديد من الدول العربـــية فـــان المؤتمر لم يتضمن تمثيلا رسميا للحكومة السورية. (إذاعة مونت كارلو 2002/10/8)
- ✓ 8 تشـــرين الأول تجيز وزارة الاقتصاد شراء وصرف العملة الأجنبية لغايات غـــير اقتصادية بسعر الصرف الذي يحدده المصرف التجاري السوري. وبهذا يتاح للسوريين حيازة ما يصل مقداره إلى 20.000 دولار أميركي من العملة

الأجنبية لهدف العلاج الطبي في الخارج أو كنفقات سفر لأداء مناسك الحج إلى مكة. (وكالة أنباء الشرق الأوسط 2002/10/8)

- ✓ 9 تشرين الأول – ترقية غازي كنعان رئيس المخابرات السورية في لبنان منذ عام 1982 إلى منصب رئيس مديرية الأمن السياسي في دمشق. ويحل محله رستم غزاله الذي كان سابقا مدير المخابرات السورية في بيروت. (وكالة الصحافة الفرنسية 2002/10/9)
- ✓ 22 تشرين الأول – يقول الأسد لمساعد وزير الخارجية الأميركي ويليام بيرنز أن الولايات المتحدة لا تبدو قادرة على تفهم الأحداث في الشرق الأوسط وهذا أمر خطر . (تقرير سورية – تشرين الثاني 2002)
- ✓ 22 تشرين الأول – يصدر بشار مرسوما يزيد فيه الأجور والرواتب في القطاع الخاص بنسبة 20%. (اسوشيتد برس 2002/10/22)
- ✓ 23 تشرين الأول – هيئة مراسلون بلا حدود التي تدافع عن حرية الصحافة ومقرها فرنسا تصدر لأول مرة تصنيفا لمراتب البلدان فتكون مرتبة سوريا 126 من أصل 139 دولة شملها المسح. (تقرير سورية – تشرين الثاني 2002)
- ✓ تشرين الثاني – تتخلى روسيا عن خططها لبيع سوريا صواريخ ارض – جو SA8المتطورة . يقول رئيس الوزراء الإسرائيلي ارييل شارون لحكومته أن هذه الصفقة قد انهارت بسبب الضغوط التي مارسها على الروس خلال زيارته الأخيرة لموسكو. وقد حاولت الولايات المتحدة أن تؤثر على الروس لإلغاء الصفقة. (تقرير سورية – تشرين الثاني 2002)
- ✓ تشرين الثاني – المصرف التجاري السوري يعلن عن افتتاح ستة فروع جديدة له في البلاد. (تقرير سورية – تشرين الثاني 2002)
- ✓ 8 تشرين الثاني – سوريا تصوت بالموافقة على قرار مجلس الأمن رقم 1441 الذي يطالب العراق بالتخلي عن أسلحة الدمار الشامل والسماح بعودة مفتشي الأمم المتحدة عن الأسلحة. يشرح المسؤولون السوريون أن هذا

القـــرار من شانه أن يحول الهجوم العسكري على العراق . (تقرير سورية – تشرين الثاني 2002؛ وكالة الصحافة الفرنسية 2002/11/17)

- ✓ 16 تشرين الثاني – صدور عفو رئاسي نتيجة لمساع إنسانية لإطلاق سراح ريــاض الترك الذي حكم بثلاثين سنة سجن في حزيران 2002 لمحاولته تغيير الدستور. (اسوشييتد برس 2002/11/16)
- ✓ كانون الأول – يقر مجلس الشعب السوري ميزانية الحكومة لعام 2003 التي تصـــل إلى 9.13 بليون دولار أميركي أي بزيادة قدرها 18 بالمئة عن ميزانية عام 2002 . (الحياة 2002/12/2؛ تقرير سورية - كانون الأول 2002)
- ✓ 15 كانون الأول – بعد مظاهرة 10 كانون الأول غير المرخص لها أمام مبنى البرلمان يتم اعتقال عضوين بارزين من لجنة الحزب السياسي الكردي Yakti كـــان المتظاهرون يطالبون بالاجتماع مع وزير الداخلية لمناقشة تحسين وضع الأكراد السوريين. (اسوشييتد برس 2002/12/19)
- ✓ 16 – 18 كـــانون الأول – يقـــوم بشار باول زياة رسمية من نوعها لقائد سوري إلى المملكة المتحدة. (اسوشييتد برس 2002/12/17؛ تقرير سورية – كانون الأول 2002، كانون الثاني 2003)
- ✓ 23 كانون الأول – هيئة الأمن العسكرية السورية تعتقل إبراهيم حميدي وهو صحفي بارز ورئيس مكتب دمشق لصحيفة الحياة اليومية التي تصدر بالعربية في لـــندن بـــتهم نشر معلومات زائفة فقد كتب حميدي قصة عن تحضيرات ســـوريا لاستقبال اللاجئين العراقيين في حال بدأت الولايات المتحدة الحرب عـــلى نظام صدام حسين وقد تم إطلاق سراح حميدي في النهاية يوم 25 أيار 2003. (الحـــياة 2002/12/20؛ اسوشييتد برس 2002/12/27؛ تقرير سورية - كانون الثاني 2003)
- ✓ 24 كانون الأول – رئيس الوزراء الإسرائيلي يعلن في خطاب متلفز لـــه أن لديه الدليل بان العراق قد نقل أسلحة الدمار الشامل إلى سوريا. سوريا تدعو هـــذه الـــتهم بأنها مضحكة. (جيروزالم بوست 2002/12/25، 12/26/

(2002

عام 2003

- ✓ كانون الثاني – وزير الاقتصاد غسان الرفاعي يعلن رسميا أن الناتج الإجمالي المحلي لسوريا قد ازداد بنسبة 3.35% كمعدل سنوي لعام 2002 . (تقرير سورية – كانون الثاني 2003)
- ✓ كانون الثاني – صدور أول عدد من مجلة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات السورية The Numeric بعد الترخيص لها في 20 تموز 2002. (تقرير سورية – كانون الثاني 2003)
- ✓ 8 كانون الثاني – يلتقي وفد أميركي من معهد بيكر للسياسة العامة ويضم السفير الأميركي السابق في سوريا ادوارد دجيرجيان والسيناتور الأميركي آرلين سبيكتر مع وفد سوري في دمشق لإجراء مناقشات غير رسمية عن الروابط الأميركية – السورية والحرب على الإرهاب والسلام في الشرق الأوسط. كان الاجتماع الأول بينهما قد تم في أيار 2002 في جامعة رايس في هيوستن، تكساس . (اسوشييتد برس 2003/1/8)
- ✓ 15 كانون الثاني – حزب البعث يضع شروطا جديدة للانتخابات البرلمانية المعدة في 2 آذار يتوجب على كل مرشح الآن أن يكون عضوا عاملا في حزب البعث لما لا يقل عن عشر سنوات وان يكون قد لعب دورا هاما في الحزب لمدة خمس سنوات وان يكون حائزا على شهادة جامعية ما لم يكن عاملا أو فلاحا وفي هذه الحالة يجب أن يكون حاصلا على شهادة الثانوية العامة كحد أدنى . وفقا للقانون الانتخابي والدستوري السوري يشكل الفلاحون نصف إجمالي عدد أعضاء مجلس الشعب بصرف النظر عن انتمائهم الحزبي. (2003/1/18 ArabicNews.com)
- ✓ 26 كانون الثاني – تبدأ الحملة الانتخابية للمرشحين على عضوية مجلس الشعب حيث هنالك ما يزيد عن 10.000 مرشح يتنافسون على 250 مقعدا في انتخابات مجلس الشعب السوري المجدولة في 2 آذار. كان آخر

انـتخاب بـرلماني في عـام 1998. وكما هي الحال في الانتخابات السابقة فهنالك 167 مرشحا في القائمة المشتركة التي تقدمها الجبهة الوطنية التقدمية واغلبهم أعضاء في حزب البعث . جميع المرشحين 167 الذين قدمتهم الجبهة فازوا في انتخابات عام 1998 ومنهم 135 بعثيين. (ArabicNews.com 2003/2/28)

- ✓ 28 كـانون الثاني – يصدر الأسد مرسوما قانونا جديدا لتنظيم عمل مناطق التجارة الحرة ضمن البلاد ويفتح باب الاستثمار في جميع المجالات والنشاطات الخدمية والصناعية والتجارية. (تقرير سورية – شباط 2003)
- ✓ 1 شـباط – افتتاح مؤتمر في دمشق مدته ثلاثة أيام حول تعليم المرأة برعاية السـيدة الأولى أسماء الأسد. حضرت المؤتمر السيدة الأولى لست دول عربية بهـدف مساعدة النساء العربيات على توسيع افقهن. (اسوشييتد برس 2/1/ 2003)
- ✓ 4 شباط – يصدر الأسد مرسوما لإنشاء شركة الغاز السورية التي يفترض أن تضـبط جميع أوجه صناعة الغاز الطبيعي في سوريا من شركة النفط السورية الـتي تملكها الدولة والتي سيتم إلحاقها بوزارة النفط والموارد المعدنية. (تقرير سورية – شباط 2003)
- ✓ 19 – 25 شباط – خلال الانسحاب الهام الثالث للقوات السورية من لبنان ينخفض عدد القوات المحتلة من 20.000 إلى حوالى 16.000 . (اسوشييتد برس 2002/2/20)
- ✓ 1 آذار – تلتقي الدول العربية في شرم الشيخ في مصر فتحول اللقاء إلى قمة عربية تملؤها الكراهية وأسباب الخلاف والشقاق . ترفض القمة اقتراح الطلب من صدام حسين التخلي عن السلطة والمساومة بدلا من المقاومة في قرار يدعو لـبذل الجهـود الدبلوماسية لتجنب الحرب. تقترح سوريا قرارا لم يتم تبنيه يدعو الدول العربية التي يوجد فيها قواعد عسكرية أمريكية لعدم السماح لها باستخدامها في الهجوم على العراق. (وكالة الصحافة الفرنسية 2003/3/1)

- ✓ 2 – 3 آذار – بـــدء الانتخابات البرلمانية الأولى في سوريا منذ أن تولى بشار الحكـــم حيث تفوز الجبهة الوطنية التقدمية على 167 مقعدا من أصل 250 ويحصـــل المستقلون على باقي المقاعد. كان ثلثا هؤلاء المنتخبين من الأعضاء الجدد في البرلمان. (تقرير سورية – آذار 2003)
- ✓ 4 آذار – تنضـــم ســـوريا ومصر إلى اللجنة العربية التي كانت تضم مبدئيا البحرين ولبنان وتونس والأمين العام للجامعة العربية . ودور هذه اللجنة التي تعـــززت قوتها في القمة العربية في شرم الشيخ في الأول من آذار هو إيصال قـــرارات الجامعة العربية التي تدعم الحل الدبلوماسي لأزمة العراق إلى العراق والى الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن في الأمم المتحدة. (وكالة أنباء الشرق الأوسط 2003/3/4)
- ✓ 19 آذار – يبدأ الائتلاف الذي تتزعمه الولايات المتحدة بعملية تحرير العراق وفي غضـــون أيـــام تضرب القوات الأميركية خط أنابيب النفط كركوك – بانـــياس حسبما ذكر فقطعت تدفق ما يقدر بـــ 150.000 – 200.000 برمـــيل نفـــط في اليوم إلى سوريا من العراق . (الرأي العام الكويتية 4/2/ 2003؛ استخبارات النفط الأسبوعية 2004/10/18)
- ✓ 27 آذار – المفتي الأول في سوريا يدعو علنا العالم العربي إلى استخدام جميع الوســـائل الممكـــنة لإحباط العدوان بما في ذلك العمليات الاستشهادية ضد الغـــزاة المحـــاربين الأمريكـــين والبريطانيين والصهاينة في العراق . (وكالة الصحافة الفرنسية 2003/3/27)
- ✓ 27 آذار – في مقابلـــة لـــــه مع صحيفة السفير يهجو بشار الأسد الحرب الأميركية على العراق قائلا أن الأمريكيين قد أزالوا أقنعتهم وقال أنهم يريدون النفط وإعادة رسم خارطة المنطقة بما يتوافق مع المصالح الإسرائيلية وحذر من أنهـــم رغم قدرتهم على هزيمة العراق إلا أنأميركا وبريطانيا لن تكونا قادرتين على ضبط العراق كله . (السفير 2003/3/27)
- ✓ 28 آذار – وزيـــر الدفـــاع الأميركي دونالد رامسفيلد يقول علنا أن لديه

معلومـــات حول أن سوريا تؤمن المساعدة العسكرية إلى العراق بما في ذلك مـــناظير الرؤية الليلية. ويقول رامسفيلد انه في حال استمرار المساعدات فان الولايـــات المتحدة سوف تعتبر أن سوريا تقوم بأعمال عدوانية. وقد وصفت الناطقة الرسمية باسم وزارة الخارجية السورية بثينة شعبان هذه الاتمامات بألها غير مسؤولة ولا أساس لها على الإطلاق . (اسوشييتد برس 2003/3/29)

- ✓ 30 آذار – وزير الخارجية فاروق الشرع يقول أمام مجلس الشعب السوري بـــان ســـوريا لها مصلحة قومية في طرد الغزاة من العراق. وفي وقت متزامن يقـــول وزيـــر الخارجية الأميركي كولن باول أن سوريا تواجه خيارا حاسما وتتحمل مسؤولية خيارها ونتائجه . (وكالة الصحافة الفرنسية 2003/3/31 ؛ واشنطن بوست 2003/4/2)
- ✓ نيســـان – تشـــكيل مجلـــس النقد والاعتماد برئاسة حاكم مصرف سوريا المركـــزي. احـــد أول الأعمال التي قام بها المجلس هو إعادة إنشاء المصارف الخاصـــة في ســـوريا بعد أربعين عاما من احتكار الدولة للخدمات المصرفية. وتمـــت الموافقة مباشرة على طلبات ثلاثة اتحادات مصرفية. (تقرير سورية – أيار 2003، كانون الثاني 2004)
- ✓ نيســـان – تعلن وزارة التربية والتعليم عن نيتها استبدال اللون الخاكي بألوان جديـــدة وهـــي اللون الوردي والأزرق والرمادي كزي رسمي بدءا من العام الدراسي القادم. وتقول وزارة التربية والتعليم ألها ستلغي التدريب العسكري من المناهج التعليمية في البلاد وربما تحذف بعض أجزاء التعاليم البعثية وبعض المتطلبات الدينية. (ميدل ايست انترناشيونال2003/5/16)
- ✓ 13 نيســـان – وزيـــر الدفـــاع الأميركي دونالد رامسفيلد يوجه اتهاما بان حـــافلات محملة بالمقاتلين السوريين تدخل العراق وبحوزتها مئات الآلاف من الدولارات ووريقات تعرض المكافآت مقابل قتل الجنود الأمريكيين . يطالب الرئـــيس بـــوش سوريا بالتعاون ويقول أن هنالك أسلحة كيماوية في سوريا ولكـــنه لا يـــتهم سوريا بشكل مباشر باقتناء الأسلحة الكيماوية العراقية .

(نيويورك تايمز 2003/4/14)

- ✓ 21 نيسان – بعد اتهام الولايات المتحدة لسوريا بتسهيل سفر المقاتلين الأجانب إلى العراق يعلن وزير الخارجية فاروق الشرع أن الحدود قد أغلقت تماما، ويمتدح الرئيس بوش هذه الخطوة. (اسوشييتد برس 2003/4/21)
- ✓ 23 نيسان – حوالى مئة وعشرين عضوا من جماعات المعارضة السورية داخل البلاد ومن المنفيين ينشرون عريضة في الصحيفة المعارضة أخبار الشرق يطالبون فيها بالإصلاح الديمقراطي لدرء غزو الولايات المتحدة، وتقول العريضة أن الولايات المتحدة لم تجرؤ يوما على احتلال بلد يوجد فيه الحد الأدنى من التوافق بين الحكام والمحكومين .. وتوضح الحرب على العراق عجز الحزب الواحد وجهاز الأمن عن الدفاع عن الاستقلال الوطني والسيادة والكرامة .. والشعب الذي يعيش تحت نير القمع لا يمكن أن يحمي بلده أو يدافع عنه . (أخبار الشرق 2003/4/23)
- ✓ 30 نيسان – تنشر وزارة الخارجية الأميركية خارطة طريق تعتمد على الأداء بإقامة دولتين دائمتين كحل للصراع الإسرائيلي – الفلسطيني برعاية اللجنة الرباعية، الولايات المتحدة والأمم المتحدة والاتحاد الأوربي وروسيا. وقد ذكرت تسوية سلام سورية – إسرائيلية ولكن خارطة الطريق لم تكن تؤمن الخطوات الراسخة تجاه التوصل إلى اتفاق نهائي بشان هذا المسار. في مقابلة مع صحيفة الأنباء الكويتية يتذمر الأسد قائلا : إننا لا نعرف ما هي علاقة سوريا ولبنان بمراحل خارطة الطريق المطروحة . (نيويورك تايمز 2003/5/1؛ الأنباء 2003/5/26)
- ✓ أيار – تنشر الحكومة السورية المسودة النهائية لبرنامج الإصلاح الذي يحدد علامات الاهتداء والأهداف للسنوات الخمس القادمة بهدف تحقيق النمو الاقتصادي بنسبة 6% في نهاية هذه الفترة. تمت الموافقة على المسودة النهائية بعد سنة من نشر الحكومة للمسودة الأولى عن برنامجها في الصحافة ودعت إلى مناقشات صريحة ومساهمات الخبراء المحليين والأجانب في مجال الاقتصاد .

(تقرير سورية – حزيران 2003)

- ✓ أيـــار – مـــنح تراخيص التشغيل لجامعتين خاصتين وأربع صحف خاصة . (ميدل ايست انترناشيونال 2003/5/16)
- ✓ أيـــار – يجتمع المجلس القضائي الأعلى لأول مرة منذ عقود وهو أعلى سلطة قضائية في البلاد ويقول الرئيس الأسد للمجلس انه يجب أن يكون قادرا على العمل بطريقة مستقلة . (تقرير سورية – كانون الثاني 2004)
- ✓ أيـــار – يخفـــض مجلس النقد والاعتماد من نسبة الفائدة لأول مرة منذ عام 1981 فانخفضـــت نسبة الإيداع واحد بالمئة ونسبة الاعتماد واحد ونصف بالمئة. (تقرير سورية – كانون الثاني 2004)
- ✓ 3 أيـــار – وزير الخارجية الأميركي كولن باول يلتقي الأسد في دمشق وبعد ذلـــك يقول باول أن الحرب الأميركية مع سوريا ليست أمرا مطروحا وانه قد حصـــل عـــلى وعـــد ســـوري بـــإغلاق مكاتب الجهاد الإسلامي وحماس الفلسطينيتين في دمشق. (انترناشيونال هيرالد تريبيون 2003/5/3)
- ✓ 17 أيـــار – تُرسل للأسد عريضة وقع عليها 287 مفكرا ومهنيا سوريا من بيـــنهم ناشطين بعثيين سوريين يطالبون فيها بفتح حوار وطني شامل وتعهد الإصلاحات الوطنية الشاملة وتطالب العريضة بالعفو عن السجناء السياسيين وإلغـــاء الأحكـــام العرفية والحد من سلطة أجهزة الأمن وتحضير البلاد لمجابهة الخطط الأميركية المعدة للمنطقة. (أخبار الشرق 2003/6/1)
- ✓ 25 أيـــار – مـــنح الترخيص بالعمل لثلاثة مصارف خاصة وكانت قد تمت الموافقة على طلباتهم قبل شهر من ذلك . (اسوشييتد برس 2003/5/25)
- ✓ حزيـــران – وزارة الصـــناعة السورية توقع مذكرة تفاهم رسمية مع مجموعة الوهـــاب المصـــرية لإنشاء أول مصنع لتجميع المركبات في سوريا . سوف يصنّع المصنع 600 حافلة صغيرة سعة ثلاثين راكبا في السنة . (تقرير سورية – حزيران 2003)
- ✓ 15 حزيران – يتعهد حزب البعث بالتنحي عن الادراة اليومية لشؤون البلاد

ويصـــدر بيانا عاما يدعو فيه الرفاق والهيئات الحزبية للبعد التام عن الأعمال التنفيذية اليومية . (تقرير سورية – كانون الثاني 2004)

- ✓ 18 حزيــران – القوات الأميركية في شمالي العراق تخترق الحدود السورية في هجوم على قافلة مشكوك لها خرجت من العراق فقتلت وجرحت العشرات . وجُــرح خمســة من حرس الحدود السوريين وتم اعتقالهم لعشرة أيام قبل إطـلاق سراحهم. كان هنالك شك بان القافلة تنقل هاربين عراقيين واتضح أنها تتألف من مجموعة من مهربي الوقود. (نيويوركر 2003/7/28)
- ✓ تموز – برنامج التطوير التابع للأمم المتحدة يصدر تقريره السنوي عن تطوير حقوق الإنسان للتطوير العالمي الاقتصادي والاجتماعي ويأتي تصنيف سوريا في المرتـبة 110 مـن أصل 175 دولة منخفضة بذلك من المرتبة 97 لعام 2001 . (تقرير سورية – تموز 2003)
- ✓ 8 تمـوز – إلغـاء الحظـر الذي كان مفروضا على تنفيذ تعاملات بالعملة الأجنبية والذي كان يؤدي إلى أحكام طويلة بالسجن على منتهكيه وقد كان هذا الحظر مفروضا منذ عام 1986 . (تقرير سورية – تموز 2003)
- ✓ 20 تمـوز - وزارة النفط السورية تعلن أن شركة فيريتاس للنفط الأميركية قد فـازت بعقـد استكشاف النفط على ساحل البحر الأبيض المتوسط لسوريا فهزمـت بذلك منافسيها البريطانيين والكنديين والنرويجيين . (سانا 20/7/ 2003)
- ✓ أيلـول – بثينة شعبان من وزارة الخارجية السورية تعلن إنشاء مكتب جديد ضمن الوزارة مهمته نقل رسائل سوريا للتواصل مع العالم . تم توظيف واحد وسـبعين مـستقدما من أصل 1300 وعلى أن يتم تعيين خمسين في وزارات الحكومة المختلفة . (ميد ايست ميرور 2003/9/16)
- ✓ أيلـول – مصرف الاستثمار الأوربي يوقع تعهدا بتامين أربعين مليون دولار أميركي لتمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة في سوريا من خلال وحدة إدارة الـتمويل الـتي تهدف إلى الاستثمار على المدى الطويل . (تقرير سورية –

كانون الثاني 2004)

- ✓ 9 أيلول – يصدر بشار مرسوما لإنشاء وكالة مكافحة غسيل الأموال بحيث تقام على الإطار التنظيمي الأولي للمصارف الخاصة في البلاد . (تقرير سورية – تشرين الأول 2003)
- ✓ 20 أيلــول – الوزارة الجديدة تؤدي القسم ويعين محمد ناجي العطري محل مصــطفى ميرو رئيسا للوزراء بعد استقالة ميرو. تُلغى المناصب الأربعة لنائب رئــيس الوزراء ويُخفض العدد الإجمالي للوزراء من خمس وثلاثين إلى ثلاثين وهنالك من بينهم سبعة عشر وزيرا جديدا . (تقرير سورية – تشرين الأول 2003)
- ✓ 26 أيلــول – السلطة المؤقتة للائتلاف في العراق تعلن أن 123 مقاتلا أجنبيا من أصل 248 الذين تم أسرهم في العراق هم من السوريين . (نيويورك تايمز 2003/9/27)
- ✓ تشــرين الأول – تُنتخــب ســوريا رئيسا للجنة الشرق الأوسط في منظمة السياحة العالمية . (تقرير سورية – كانون الثاني 2004)
- ✓ تشرين الأول – في إشارة عن نية تجريد النظام ببطء لاحتكار الدولة الصناعي يعلن وزير الصناعة أن الدولة سوف تفتتح مجال الشراكات العامة – الخاصة لأربعــة قطاعــات صــناعية لا يكون للدولة فيها نصيب. (تقرير سورية – كانون الثاني 2004)
- ✓ تشــرين الأول – تستضــيف سوريا وفدا من العراقيين السنة الذين يعتبرون أنفسهم المجلس الرئيسي للمشايخ العراقية والعشائر العربية . وفي بداية تشرين الــثاني تستضيف سوريا الحزب القومي العربي المدعو حركة الوحدة الوطنية للإصــلاح. ادعت كلتا المجموعتين رفضها للحكومة المعينة المؤقتة ولاحتلال العــراق مــن قبل سلطات الائتلاف. (نشرة استخبارات الشرق الأوسط – تشرين الثاني 2003)
- ✓ 5 تشــرين الأول – تشن إسرائيل أول ضربة جوية في داخل سوريا منذ عام

حرب 1973 حيث تضرب بالقنابل معسكر عين الصاحب خارج دمشق دون حدوث إصابات . ادعت إسرائيل أن الموقع هو معسكر للجهاد الإسلامي وقد أنكرت سوريا أن يكون قيد الاستخدام وفي ردها على ذلك سعت سوريا للتوصل إلى قرار للأمم المتحدة يدين الفعل الإسرائيلي. (اسوشييتد برس 2003/10/6)

- ✓ 23 – 25 تشرين الأول – دمشق تستضيف معرض الأعمال المشرقية – الأوربية حيث التقى ما يزيد عن 200 رجل أعمال أوربي مع نظرائهم من لبنان وسورية والأردن لمناقشة المشاريع المشتركة المحتملة في مجال السياحة والنسيج وتكنولوجيا المعلومات والأغذية والمشروبات وقطاعات الإنشاء . (تقرير سورية – تشرين الأول 2003)
- ✓ تشرين الثاني – في دلالة على الجو القمعي المتزايد في سورية للصحافة تصنف هيئة مراسلون بلا حدود سورية في المرتبة 155 من أصل 166 دولة في الملحق السنوي الثاني حيث انخفضت مرتبتها من المرتبة 126 من أصل 139 دولة شملها الملحق السابق . (تقرير سورية – تشرين الثاني 2003)
- ✓ تشرين الثاني – يستأنف خط قطار الركاب ما بين حلب والموصل في شمالي العراق عمله لأول مرة منذ اندلاع حرب العراق في آذار . (تقرير سورية – كانون الثاني 2004)
- ✓ تشرين الثاني – إقرار قانون جديد لضريبة الدخل يخفض نسبة الضريبة بالنسبة للأفراد والشركات . (تقرير سورية – كانون الثاني 2004)
- ✓ تشرين الثاني – في صدام بقي سرا لغاية عام 2004 يصد رئيس الوزراء الإسرائيلي اريل شارون اقتراح المبعوث الأميركي حول تجديد مفاوضات السلام مع سورية. (اسوشييتد برس 2004/9/14)
- ✓ 1 – 2 تشرين الثاني – يلتقي وزراء خارجية ست دول مجاورة للعراق إضافة إلى مصر في دمشق لمناقشة الصراع المستمر. تدعي الوفود تأييدها للمجلس المؤقت الحاكم في تنفيذ المسؤوليات الانتقالية لحين تشكيل حكومة

عراقـية منتخبة ذات تمثيل كامل، وتدين الهجمات على المدنيين وعلى قوات الأمـم المـتحدة والمـنظمات الإنسانية. لم يحدد البيان الرسمي موقفه حول الهجمـات عـلى قوات الائتلاف. ترفض سوريا دعوة وزير خارجية المجلس هوشـيار زيـباري قائلة أن هذا قد يتضمن الاعتراف بالمجلس. وتحت ضغط الـتهديد بمقاطعـة الاجتماع من قبل البلدان المتحالفة مع الولايات المتحدة تسـمح سـوريا للكويت بإرسال الدعوة ولكن زيباري يرفض الحضور لان الدعـوة تمـت في اللحظة الأخيرة. (اسوشييتد برس 2003/11/2؛ وكالة الصحافة الفرنسية 2003/11/3)

- ✓ 11 تشرين الثاني – إقرار قانون محاسبة سوريا واستعادة السيادة اللبنانية لعام 2003بتصـويت سـاحق لصـالح القرار بمعدل 89 – 4 في مجلس الشيوخ الأمريكي. (واشنطن تايمز 2003/11/12)
- ✓ 12 – 18 تشـرين الثاني – الائتلاف الديمقراطي السوري وهو مجموعة من الأحـزاب السياسية المحظورة والمطرودة من سوريا بقيادة حزب الإصلاح في سوريا يعقد مؤتمره الأول في اجتماع مغلق في واشنطن بهدف تعزيز المعارضة الديمقراطية للنظام السوري القائم. (www.reformsyria.org)
- ✓ 14 – 16 تشرين الثاني – رئيس الوزراء الهندي اتال بيهاري فاجبايي يزور دمشـق وهـو أول رئيس وزراء هندي يزور دمشق منذ عام 1988. تعهد الـبلدان في الإقدام على خطوة متحدة ضد الإرهاب في ظل القانون الدولي ودعوا الأمم المتحدة للقيام بدور اكبر في العراق . (اسوشييتد برس 11/16/ 2003)
- ✓ 15 تشـرين الثاني – تنفيذ قانون الضرائب الجديد في سوريا .. ضمن 126 بندا في القانون الجديد هنالك فقرات تحارب التهرب من الضرائب، وتخفيض لنسـبة ضريبة الدخل المشترك وهنالك فقرات تفصيلية توضح غموض بعض فقرات نظام الضرائب . (تقرير سورية – كانون الأول 2003)
- ✓ 20 تشـرين الـثاني – إقرار قانون محاسبة سوريا في مجلس النواب الأميركي

بمعدل أصوات 408 – 8. (اسوشييتد برس 2003/11/20)

- ✓ 1 كانون الأول – في مقابلة مع صحيفة نيويورك تايمز يدعو الأسد لاستئناف مفاوضات السلام مع إسرائيل، وزير الخارجية الإسرائيلي سيلفان شالوم يقول في رده على ذلك أن المحادثات لا تكفي ويطالب سوريا أولا بوقف دعمها للميليشيات الفلسطينية ولحزب الله. (نيويورك تايمز 2003/12/1؛ اسوشييتد برس 2003/12/2)
- ✓ 3 كانون الأول – مجلس النقد والاعتماد يقر خفضا ثانيا لنسبة الفائدة بعد ثمانية أشهر فقط من صدور التخفيض الأول وذلك منذ عام 1981. وقد أدت هذه التخفيضات الطائشة وغير الحكيمة إلى زيادة السحوبات مما جعل المجلس يرفع النسبة مرة ثانية لوقف هذا التسارع في السحوبات. (تقرير سورية – شباط 2001، آذار 2004)
- ✓ 8 كانون الأول – رئيس الوزراء ناجي العطري يعلن عن اندماج وشيك لأهم صحيفتين سوريتين حيث سيتم دمج مؤسسة تشرين للطباعة والنشر مع مؤسسة الوحدة كما أن تشرين والثورة ستصبحان صحيفة واحدة . وقد تمت موافقة مجلس الوزراء على الشركة الجديدة في 30 تشرين الثاني 2004 ولكنها ما زالت بانتظار الموافقة الرئاسية مع بداية عام 2005 وسوف تتم تسمية الشركة الجديدة مجمع الوحدة للصحافة والطباعة والنشر. (تقرير سورية – كانون الأول 2003؛ اسوشييتد برس 2004/11/30)
- ✓ 10 كانون الأول – ممثلو الاتحاد الأوربي يكملون مفاوضاتهم مع نظرائهم السوريين في دمشق حيث يتوصلون إلى اتفاقية مزاملة أوربية – متوسطية بين الاتحاد الأوربي وسوريا وكانت العملية قد بدأت بإعلان برشلونة لعام 1995 حيث بدأت المفاوضات بين اثنتي عشرة بلدا متوسطيا والاتحاد الأوربي لإقامة منطقة تجارة حرة أوربية – متوسطية مع حلول عام 2010. وعند الإعلان عن إكمال المفاوضات أعلنت سوريا والاتحاد الأوربي أن الاتفاقية سوف تُوقع في بداية عام 2004 لحين إقرار البرلمانات الوطنية لكل من الاتحاد

الأوربي وســوريا لها.. وتأجل التوقيع بسبب التعديل الذي ألحت عليه عدة دول مــن الاتحــاد الأوربي بزعامة المملكة المتحدة لجعل فقرة أسلحة الدمار الشــامل أمــرا حصريا. (وكالة الصحافة الفرنسية 2003/12/10؛ تقرير سورية – نيسان 2004)

- ✓ 12 كــانون الأول – توقيع الرئيس بوش على قانون محاسبة سوريا لتنفيذه. (نيويورك تايمز 2003/12/14)

عام 2004

- ✓ كــانون الــثاني – دريد درغام يحل محل طارق سراج كمدير عام للمصرف التجاري السوري وهو ثالث شخص يشغل المنصب نفسه في غضون اقل من سنتين. (تقرير سورية – كانون الثاني 2004)
- ✓ كانون الثاني – مجلس الشعب السوري يقر ميزانية الحكومة لعام 2004 التي تصــل إلى 9.77 بلــيون دولار أميركي بميزانية قدرها 7% عن ميزانية عام 2003. ولأول مــرة يــرد في أرقام الميزانية خط عجز وذلك في حركة تجاه مزيد من الشفافية. (تقرير سورية – كانون الثاني 2004، شباط 2004)
- ✓ 6 – 8 كــانون الــثاني – يقــوم الأسد باول زيارة لقائد سوري إلى تركيا مفتــتحا بذلــك عهدا جديدا من التعاون . يتم توقيع اتفاقيات حول توسيع التجارة والسفر بين البلدين وتبدأ المناقشات للتوصل إلى اتفاقية تجارة حرة بين الدولتين. (البعث 2004/1/8؛ تقرير سورية – كانون الثاني 2004)
- ✓ 12 كــانون الثاني – الرئيس الإسرائيلي موشيه كاتساف يدعو بشار لزيارة القدس لمناقشة المفاوضات من اجل سلام نهائي وترفض سوريا الدعوة كحيلة لتجنب المفاوضات الجدية. (هاآرتز 2004/1/13)
- ✓ 13 كــانون الثاني – بدء عمل اتحاد المقاولين السوريين الشباب وهي منظمة غــير ربحــية يدعمها أسماء الأسد ومركز الأعمال الأوربي السوري . (تقرير سورية – شباط 2004)

- 15 – 19 كـــانون الثاني – الائتلاف الديمقراطي السوري يعقد ثاني مؤتمر لـــه يضم أحزابه المؤسسة في بروكسل، بلجيكا. يهدف الاجتماع المغلق إلى توســـيع عضوية الائتلاف ودفع نظام الأسد لإجراء إصلاحات مؤسساتية. (www.reformsyria.org)
- 19 كـــانون الثاني – في مقابلة لــــه مع صحيفة الشرق الأوسط يقول الأسد أن الولايـــات المتحدة لم تقدم دليلا عن متسلل واحد من سوريا إلى العراق وقـــد قـــال بأنه من المستحيل بالنسبة لــــه أن يؤكد عدم إمكانية تسلل أي شـــخص عـــبر الحدود وقارن الحالة بالحدود الأميركية مع المكسيك. (الشرق الأوسط 2004/1/19)
- 25 كانون الثاني – توقع كل من سوريا ولبنان والأردن ومصر اتفاقية تنفيذ المرحلة الثانية من المشروع المؤلف من ثلاثة مراحل لتمديد أنابيب الغاز العربي الـــتي ستصل البلدان الأربعة معا. وفي المرحلة الثالثة التي من المتوقع أن تبدأ في عـــام 2005 سيتم فيها وصل أنابيب الغاز من الأردن إلى لبنان وبانياس في سوريا. (تقرير سورية – كانون الثاني 2004)
- شباط – اللواء أديب قاسم يحل محل اللواء احمد علي كرئيس لستة عشر ألفا مـــن قـــوات الجيش السوري الأقوياء المعدة للاستخدام في حالة الطوارئ في لبنان. (تقرير سورية – شباط 2004)
- شـــباط – توســـيع الجبهة الوطنية التقدمية لتشمل حزبا تأسيسيا تاسعا وهو الاتحـــاد الديمقراطي العربي الذي يرأسه غسان احمد عثمان. (تقرير سورية – شباط 2004)
- 5 شباط – على مدى أيام يطلق النظام سراح 120 سجينا سياسيا وبشكل أساســـي من أحزاب إسلامية والجناح العراقي لحزب البعث. (البوابة 2/5/ 2004)
- 9 شـــباط – الملـــك الأردني عبدالله ينضم إلى الأسد في وضع حجر الأساس لســـد الوحدة على نهر اليرموك الذي يشكل حدا بين البلدين. سوف يحصل

الأردن عـــلى المـــياه من اجل الري وتستفيد سوريا من الكهرباء التي يولّدها السـد . تم التخطــيط للسد أساسا في عام 1953 وتم وضع الصيغة النهائية حوله في عام 1986 ولكن تأجل تنفيذ المشروع حسبما قيل لنقص التمويل ولأسباب سياسية. (تقرير سورية – شباط 2004)

- ✓ 11 شـباط – بداية الفصل الدراسي الافتتاحي في معهد الإدارة الوطني وهو مدرسـة علـيا مـدة الدراسة فيها سنتين في مجال التدريب الإداري المتطور لموظفـي القطـاع العام . تم تصميم المعهد على نمط مدرسة الإدارة الوطنية الفرنسـية، ويـوجـد ضمن كـــادر المدرسين العديد من الخبراء والأكاديميين الفرنسيين. (تقرير سورية – شباط 2004)
- ✓ 15 شباط يصدر الأسد مرسوما يلغي فيه محاكم الأمن الاقتصادي المتواجدة مـنذ عام 1977. كانت هذه المحاكم الخارجة عن النطاق القضائي تستخدم لـتجريد المـستهمين بجرائم اقتصادية من الحصانة المؤسساتية التي يتمتعون بها. (تقرير سورية – شباط 2004)
- ✓ 16 شـباط – في نهاية لقاء اللجنة الاقتصادية السورية – الإيرانية المشتركة أعلن الطرفان أن شركة إيران خودرو وهي اكبر شركة لصناعة السيارات في إيـران سوف تفتتح مصنعا ينتج 5000 سيارة في السنة في ضواحي دمشق بشـراكة سـورية. يـبدأ إنشاء المصنع في 27 تشرين الأول وهو أول غزو لسـوريا في عـالم صناعة السيارات. (تقرير سورية – آذار 2004، تشرين الثاني 2004)
- ✓ 17 شباط – يؤدي عماد مصطفى اليمين كسفير سوريا الجديد في الولايات المتحدة. (اسوشييتد برس 2004/2/17)
- ✓ آذار – مجلـس الـنقد والاعـتماد يرخص للمصارف الخاصة بيع العملة في السوق وهو حق كان مقتصرا بشكل منفرد على المصرف التجاري السوري. (تقرير سورية – شباط 2004)
- ✓ 8 آذار – يحـتج ناشطون في مجال حقوق الإنسان خارج البرلمان السوري في

الذكرى السنوية الحادية والأربعين لوصول حزب البث إلى السلطة ويطالبون بإصـــلاحات سياسية ومدنية ورفع حالة الطوارئ. يتم اعتقال ثمانية وتسعين شخصا من بينهم عشرات المحتجين والصحفيين والعابرين ويُطلق سراحهم في وقـــت لاحـــق مـــن ذلك اليوم. تصدر وزارة الخارجية الأميركية احتجاجا دبلوماســـيا قويـــا عندما يتم اعتقال احد دبلوماسييها عدة ساعات من قبل قـــوات الأمـــن كونه كان يراقب التظاهرة. (اسوشييتد برس 2004/3/8؛ وكالة الصحافة الفرنسية 2004/3/10)

- ✓ 12 آذار – انـــدلاع أعمـــال شغب في مدينة القامشلي شمالي سورية حيث تهـــيمن علـــيها أغلبـــية كردية وكانت شرارة البدء المشاحنة التي جرت بين المشجعين المتنافسين من الأكراد والعرب في ملعب رياضي محلي. وسرعان ما ثار الأكراد في كل أنحاء البلاد في حالة من العنف والاحتجاج وقد قُتل على الأقل خمس وعشرون شخصا وجُرح العديد وسيق المئات إلى السجن قبل أن تـــتمكن قـــوات الأمن من قمع الشغب. وبعد شهر من أعمال الشغب هذه يُذكـــر أن وزير الدفاع مصطفى طلاس قد اخبر الأحزاب الكردية الهامة في ســـوريا بـــان 30.000 كـــرديا وذرياتهم ممن حرموا من صفة المواطنة في الستينيات سوف يستردون هذه الصفة .. ويُقدر عدد الذين يعتبرون بلا دولة بمـــئة ألـــف شـــخص. (نيويورك تايمز 2004/3/25؛ تقرير سورية – آذار 2004).

- ✓ 14 آذار – في مقابلـــة لـــه مع صحيفة الحياة يقول الرئيس الأسد انه ملتزم بالإصـــلاح ولكـــن الطريق طويل .. ويُقر بأنه " سيأتي يوم لا أكون أنا فيه رئيسا " . (الحياة 2004/3/14)

- ✓ 25 – 26 آذار – ينتهي اجتماع وزراء خارجية الاتحاد الأوربي في بروكسل بفشل التوصل إلى حل لرفض سوريا الفقرات المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل في اتفاقـــية الشراكة الأوربية – المتوسطية وقد تأجل توقيع الاتفاقية إلى اجل غير محدد تبعا لذلك. (تقرير سورية – نيسان 2004).

- ✓ نيسان – تعلن وزارة النفط والموارد المعدنية السورية أن مجموعة من الشركات الكندية والبريطانية والأميركية قد فازت بعقد قيمته 800 مليون دولار أميركي لتطوير حقول الغاز حول تدمر متغلبين بذلك على منافسيهم من فرنسا واليابان.(تقرير سورية – نيسان 2004).
- ✓ 5 نيسان – يقدم وزير النفط السوري إبراهيم حداد بتحديث تقديرات إنتاج سوريا للنفط في المستقبل ويقول أن الخبراء يتنبؤون بان البلاد ستنتج 300.000 برميل نفط يوميا على مدى ما لا يقل عن عشرين عاما بعد عام 2012 وهو التاريخ الذي تحدد لنضوب الموارد في التقدير السابق. (إيلاف 5 /2004/4).
- ✓ 22 نيسان – اعتقال اكثم نعيسة رئيس لجان الدفاع عن الحريات الديمقراطية وحقوق الإنسان في سوريا واتهامه بنشر معلومات زائفة تشوه صورة البلاد. أطلق سراحه بعد أربعة أشهر حسبما ذكر لأسباب إنسانية. (تقرير سورية – نيسان 2004؛ أنباء حزب الإصلاح في سوريا 2004/8/16)
- ✓ 25 نيسان – يحل غازي الديب محل عدنان محمود مديرا عاما لوكالة سانا. (سانا 2004/4/25)
- ✓ 27 نيسان – هجوم غامض مسلح على مبنى كانت تشغله سابقا الأمم المتحدة في منطقة المزة من دمشق. ذكرت سانا لاحقا أن الحادثة هي هجوم أعدت له جماعة أصولية صغيرة يتزعمها سوري من محافظة القنيطرة. ويقول التقرير أيضا أن زعيم المجموعة هو مهرب أسلحة ارتكب جرائم مالية في بلدته خان الشيخ وانه قد قاتل إلى جانب المتمردين الإسلاميين في العراق. قُتل في الهجوم مهاجمان وشرطي وامرأة عابرة. (سانا 2004/5/15).
- ✓ 11 أيار – يصدر الرئيس بوش أمرا تنفيذ لتنفيذ الفقرات المختارة من قانون محاسبة سوريا. ابرز بند في القانون انه يمنع تصدير جميع المواد تقريبا إلى سوريا ويفرض حظرا على الرحلات الجوية ما بين الولايات المتحدة وسوريا ويجمد ممتلكات السوريين الذين تربطهم صلات بالإرهاب وأسلحة الدمار

الشـــامل أو احـــتلال لبـــنان ويأمر القانون الموسسات المالية الأميركية بوقف تعامـــلها مع المصرف التجاري السوري. يعلن رئيس الوزراء ناجي العطري مباشرة أن هذه العقوبات غير عادلة وغير مبررة ولن يكون لها أي تأثير على سوريا. (نيويورك تايمز 2004/5/1؛ الرأي العام الكويتية 2004/5/12).

- ✓ 11 أيار – يصدر الرئيس الأسد مرسوما بزيادة رواتب المدنيين بنسبة 20% وهـــي ثالـــث زيادة من هذا النوع منذ توليه السلطة. (تقرير سورية – أيار 2004).
- ✓ 12 أيـــار – يـــتقاعد وزيـــر الدفاع مصطفى طلاس يوم عيد ميلاده الثالث والســـبعين بعد أن أمضى اثنتين وثلاثين سنة في منصبه . ويخلفه رئيس أركان الجـــيش حســـن تركماني وعمره تسع وستون عاما ويتولى منصب تركماني اللواء علي حبيب. (وكالة الصحافة الفرنسية 2004/5/13).
- ✓ 13 أيار – يعقد الأسد مؤتمرا صحفيا نادرا مع مراسلين أمريكيين في دمشق ويقلل من شان العقوبات الأميركـــية الجديدة ويؤكد على التزام سوريا بالحوار . (اسوشييتد برس 2004/5/13).
- ✓ 27 أيار – رئيس الوزراء ناجي العطري ورئيس هيئة تخطيط الدولة عبد الله الـــدردري يعلنان أن سوريا قد أتمت توسيع قطاعها العام وسوف تركز على إعادة التنظيم والاندماج بالإضافة إلى دعم القطاع الخاص. (تقرير سورية – حزيران 2004).
- ✓ حزيـــران – تعلـــن الجبهة الوطنية التقدمية أن أحزابها الثمانية التأسيسية قد عدلـــت الدســـتور الذي قاد الائتلاف الحاكم على مدى اثنين وثلاثين عاما وقدمـــت التغييرات للرئيس الأسد لإقرارها. واهم ما في الأمر أن الجبهة قد استبدلت عبارة " لا سلام ولا مفاوضات مع الدولة الصهيونية " بالدعوة إلى إجـــراء المفاوضـــات استنادا إلى القرارات الدولية وفقا لصيغة الأرض مقابل السلام ومباحثات مدريد. (الشرق الأوسط 2004/6/15؛ تقرير سورية – تموز 2004).

- ✓ 3 حزيران – الاستخبارات العسكرية السورية تخبر قادة الأكراد أن جميع نشاطات الأحزاب الكردية غير المرخص لها محظورة من الآن فصاعدا. (اسوشييتد برس 2004/6/3).
- ✓ 13 حزيران – سوريا توقع اتفاقية تجارة حرة مع دول مجلس التعاون الخليجي. (وكالة أنباء الشرق الأوسط 2003/6/13).
- ✓ 17 حزيران – مسؤول حكومي سوري يعلن تعيين وإعادة تعيين ما لا يقل عن عشرة سفراء في دول هامة. يُعتبر العديد من هؤلاء السفراء الجدد من أنصار المبدأ التخصصي الذي ينادي به بشار . (الحياة 2004/6/17).
- ✓ 20 حزيران – بدء بث إذاعة صوت سوريا الحر وهي محطة شعبية مؤيدة للديمقراطية تابعة لحزب الإصلاح في سوريا يصل بثها إلى اغلب أنحاء العالم العربي . (www.radiofreesyria.org).
- ✓ 21 حزيران – عشرات المحتجين يتجمعون في ساحة عرنوس في دمشق للاعتصام تجاوبا مع نداء إحدى عشرة جماعة مؤيدة للديمقراطية وحقوق الإنسان في علامة على انه يوم السجين السياسي السوري. تقوم شرطة مكافحة الشغب بإلغاء الاحتجاج دون اعتقال احد. (اسوشييتد برس 6/21/ 2004).
- ✓ 21 – 24 حزيران – يبدأ الرئيس الأسد أول زيارة لرئيس دولة سورية للصين منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلد ينفي عام 1956.وفي تعليق له للصحافة الصينية يمتدح الأسد مسار التطور الذي سلكته الصين ويؤكد على العلاقات الوثيقة بين البلدين ويعبر عن أمله بوجود مزيد من التنسيق بينهما في المستقبل . كان بمرافقة الوفد السوري خمس وسبعون رجل أعمال سوري وتم توقيع اتفاقيات تعاون في عدد من المجالات. أثار الأسد الجدل عندما غادر قبل اثني عشر ساعة من موعد مغادرته المعد حيث ألغى زيارة خاطفة لشنغهاي .. رغم ادعاء المسؤولين السوريين وجود أسباب شخصية لهذه الزيارة المقتضبة إلا انه ربما كان الأسد يتفادى احتمال لقاء نائب رئيس

الــوزراء الإســرائيلي ايهود اولمرت الذي كان حينها في شنغهاي في مؤتمر للأعمال. (وكالة الصحافة الفرنسية 2004/6/20؛ تلفزيون تشو مينغ واي 2004/6/22؛ تقرير سورية – تموز 2004).

- ✓ تمــوز – نشوب أزمة دبلوماسية بين الأردن وسوريا حول المشاكل الحاصلة عــلى طــول المــنطقة الحدودية المتنازع عليها بعد أن اعتقلت قوات الأمن الأردنية عددا من مهربي الأسلحة وهم ينقلون الأسلحة من الجانب السوري واحــتجاز سوريا لخمس شاحنات أردنية واعتقال سائقيها الأردنيين مدعية بأنهم ينقلون بضائع إسرائيلية بوثائق مزورة . دون الاعتقاد باشتراك الحكومة الســورية في هذه الجريمة اتهمت الأردن عناصر الأمن السوري بتسهيل تسلل خلية مزعومة من أفراد القاعدة بهدف تفجير وزارة الاستخبارات الأردنية في شــهر آذار قبل أن تتمكن قوات الأمن الأردنية من إحباط هذه المؤامرة. وفي الأشــهر التالــية بدأت الأردن بإعطاء الصدارة لموضوع الحدود المتاخمة غير المحــددة مطالــبة سوريا بإعادة 125 كيلومترا من الأراضي التي احتلتها منذ السبعينيات. (الشرق الأوسط 2004/7/7؛ الحياة 2004/7/8؛ سانا 7/29 /2004؛ ديلي ستار 2004/10/1)
- ✓ تموز – في حركة ملفتة جدا ولكن غير معلَنة تؤمر وسائل الإعلام التي تديرها الدولــة بالــتوقف عن الإشارة إلى أي من أعضاء حزب البعث بلقب الرفيق واســتخدام لقــي الســيد بــدلا من ذلك . طبقت هذه التوجيهات سانا وتشــرين والثــورة أما صحيفة البعث اليومية الناطقة باسم الحزب فقد استمرت باستخدام اللقب القديم. (الحياة 2004/7/7)
- ✓ تمــوز – وزارة التعليم العالي السورية وبالتنسيق مع برنامج التطوير في الأمم المــتحدة في دمشــق ومنظمة التربية والعلم والثقافة التابعة للأمم المتحدة تبدأ شبكة البحث والتعليم العالي وهو مشروع وصل الجامعات السورية بواسطة شــبكة أساســية داخلية وعن طريق الانترنت ووصل هذه الشبكات بهيئات البحث العالمية. (تقرير سورية – تموز 2004)

- ✓ 4 – 5 تمــوز – الأســد يزور إيران ويرافقه نائب الرئيس عبد الحليم خدام ووزيــر الخارجية فاروق الشرع. وهذه هي الزيارة الرسمية الثالثة للرئيس إلى إيران والزيارة الأولى منذ تولي الحكومة العراقية الوليدة السلطة برئاسة رئيس الوزراء المؤقت إياد علاوي. (البوابة 2004/7/4؛ سانا 2004/7/5).
- ✓ 15 حزيــران – الحكومة السورية تمنح أول ترخيص تشغيل لمصرف إسلامي في ســوريا وهــو مصرف قطر- سوريا الإسلامي وهو مشروع مشترك بين الكــتلة الصناعية السورية ومجموعة دعبول ومصرف قطر الإسلامي الدولي . (البيان 2004/7/15)
- ✓ 15 تمــوز – يصدر الرئيس الأسد عفوا جزئيا يشمل المساجين الذين يقضون أحكامــا بالســجن لجرائم اقتصادية وثانوية بمناسبة الذكرى السنوية الرابعة لتولــيه الحكم. تم إطلاق سراح ثانية وعشرين سجينا سياسيا إسلاميا ومنهم معــتقلين لمدة طويلة مع بعض الأكراد الذين اعتقلوا في أحداث الشغب التي وقعت في آذار 2004. (ArabicNews.com 2004/7/21).
- ✓ 26 تمــوز – رئيس الوزراء العراقي المؤقت إياد علاوي يزور دمشق ويجري مباحــثات بــنّاءة ومثمرة مع الأسد. هيمنت مواضيع الأمن الحدودي على الــنقاش وعــبرت سوريا عن رغبتها بحل قضية الودائع المالية للنظام العراقي السابق في البنوك السورية ولكنها ألمحت إلى أنها لن تحرر هذه الودائع إلا عند مغــادرة قــوات الاحتلال العراق. يطالب المسؤولون العراقيون بما يقدر بــ 800 ملــيون دولار أميركي ولكن المسؤولين السوريون ورجال الأعمال في القطــاع الخاص يقدمون ادعاءا مضادا بقيامهم بتنفيذ أعمال مع العراق قبل قلــب نظــام صــدام حسين. تم توقيع العديد من اتفاقيات التعاون والنقل والــتجارة وتم الاتفــاق على مقايضة النفط العراقي الخام بالمنتجات النفطية الســورية. أعلــن وزير الخارجية فاروق الشرع في مؤتمر صحفي مع وسائل الإعــلام العربية أن الحكومة العراقية تتمتع بوجه شرعي تضفيه الأمم المتحدة وان ســوريا سوف تمنحها الفرصة. (السفير 2004/7/27؛ البعث 7/27/

2004؛ مجموعة أكسفورد للأعمال 2004/7/27)

- ✓ 28 تموز – الاتحاد الأوربي وسوريا يعلنان مفاجأة التوصل إلى تسوية حول لغة العبارة المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل في اتفاقية شراكة سوريا مع الاتحاد الأوربي ومن الواضح أن هذا ينهي حالة من التوقف التام بدا فيها التقدم مستحيلا ودامت سبعة أشهر. وادعى كلا الطرفين النصر الدبلوماسي في هذا. لن يتم تنفيذ الاتفاقية إلا بعد أن يتم توقيع النص النهائي من جانب كلا الطرفين. (ديلي ستار 2004/7/28)
- ✓ آب – تذكر منظمة حقوق الإنسان في سوريا في تقريرها انه قد تم إطلاق سراح 251 سجينا سياسيا خلال فترة أسبوعين والعديد من هؤلاء هم أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين. وتم إطلاق سراح معتقلين منذ مدة طويلة ومنهم عماد شيحة من منظمة الشيوعيين العرب المحظورة الذي بقي محتجزا خلف القضبان منذ عام 1975 . (وكالة الصحافة الفرنسية 2004/8/4)
- ✓ 13 آب – الفريق موشيه يعلون رئيس أركان الجيش الإسرائيلي يقول في مقابلة له أن إسرائيل تستطيع التخلي بأمان عن مرتفعات الجولان دون المساومة على أمنها . (نيويورك تايمز 2004/8/14)
- ✓ 19 آب – سوريا تؤكد موافقتها على اتفاقية الأمم المتحدة ضد التعذيب. (منظمة العفو الدولية 2004/9/23)
- ✓ 27 آب – لأول مرة تطبع الصحيفتين السوريتين تشرين والبعث أنباء تختلف من حيث المضمون عن التقارير التي تصدرها وكالة الأنباء الرسمية سانا فقد أوردت رواية الصحيفتين معلومات إضافية وزيادة في النص عما أوردته سانا. (الرأي العام الكويتية 2004/8/27)
- ✓ 28 آب – بعد دعوة الأسد لكبار القادة اللبنانيين إلى دمشق لمناقشة الانتخابات الرئاسية المعدّة في تشرين الثاني 2004 يلتقي مجلس الوزراء اللبناني ويوافق على تعديل الدستور لمنح الرئيس اللبناني إميل لحود فرصة تمديد فترة ولايته ثلاث سنوات أخرى . (الصحافة الدولية المتحدة 2004/8/28؛

فايننشال تايمز 2004/8/30)

- ✓ أيلــول – تحســن طفيف يطرأ على تصنيف سوريا في تقرير التطور البشري التابع للأمم المتحدة الذي يصدر سنويا مع بقاء اغلب المؤشرات على ما هي علــيه كانــت مرتبة سوريا 106 من أصل 177 دولة وقد كانت في المرتبة 110 في العام السابق. (تقرير سورية – آب 2004، أيلول 2004)
- ✓ أيلول – المكتب المركزي للإحصاء يجري إحصاء على مستوى الدولة مما يبين أن عدد السكان في سوريا قد وصل إلى 17.79 مليون نسمة. تباطأت نسبة الــنمو السكاني للعقد الماضي إلى 2.58 بالمئة حيث انخفضت من نسبة 3.3 بالمئة فيما بين 1981 – 1994 (تقرير سورية – كانون الأول 2004)
- ✓ 1 أيلــول – يمــوت احمــد كفتارو الذي كان المفتي الأول لسوريا منذ عام 1964 عن عمر التاسعة والثمانين. اشترك حوالى 50.000 شخص في تشييع موكب جنازته. (سانا 2004/9/2)
- ✓ 1 أيلــول – بعد التفجير الانتحاري الذي أودى بحياة ست عشر شخصا في مديــنة نيحــيف في بيرشيبا، إسرائيل تهدد سوريا بالانتقام لسماحها لحماس المنظمة التي ادعت مسؤوليتها عن الهجوم بالعمل في دمشق. (نيويورك تايمز 1 2004/9/)
- ✓ 2 أيلول – مجلس الأمن في هيئة الأمم المتحدة بقيادة الولايات المتحدة وفرنسا يقــرار 1559 الــذي يطالب بإجراء انتخابات حرة وعادلة في لبنان وانسحاب جميع القوات الأجنبية المتبقية فيه ويطالب بمهلة ثلاثين يوما لمراجعة الــتقدم الحاصل نحو تحقيق هاتين الغايتين. لم يذكر القرار اسم سوريا بشكل مباشر. (اسوشييتد برس 2004/9/2)
- ✓ 4 أيلول – يُذكر أن قيادة حماس قد غادرت دمشق تحت ضغوط من سورية . (الشرق الأوسط 2004/9/4)
- ✓ 11 أيلــول – مساعد وزير الخارجية الأميركي ويليام بيرنز يلتقي الأسد في دمشــق لمناقشــة الــتدخل السوري في الانتخابات اللبنانية وجانب تحديد

مفاوضات السلام مع إسرائيل ودور سوريا في حراسة الحدود العراقية. انضم للوفد مسؤولون أمريكيون عسكريون وامنيون والتقوا مع نظرائهم السوريين لمناقشة إمكانية تعاون أوسع وأفضل. (وكالة الصحافة الفرنسية 11/9/ 2004؛ اسوشييتد برس 2004/9/12)

- ✓ 13 أيلول – تقديم إجراء في مجلس النواب الأميركي لدعم قوات المعارضة السياسية السورية لتامين الحرية والديمقراطية لشعب سوريا ولإنهاء الاحتلال السوري للبنان. (قرار مجلس الشيوخ المتزامن رقم 363، 2004/9/13)
- ✓ 13 أيلول – الدول العربية الستة في مجلس التعاون الخليجي تنضم إلى الأردن في دعمها للقرار 1559 ويطالبون سوريا باحترام قرار الأمم المتحدة والإذعان للفقرات التي تنص على الانسحاب من لبنان. (اسوشييتد برس 13/ 2004/9)
- ✓ 20 أيلول – رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني روحي فتوح يزور رئيس البرلمان السوري محمود الأبرش في دمشق . ميز الاجتماع أن هذه أول زيارة لوفد مسؤول من السلطة الفلسطينية إلى سوريا منذ عام 1996. أورد تقرير جيروسالم بوست يوم 17 تشرين الأول قول المسؤول الفلسطيني: إننا اقرب من أي وقت مضى لاستعادة العلاقات الطبيعية مع سوريا. وعبر المسؤول عن رغبة دمشق باستضافة مسؤولين فلسطينيين وزيادة الاتصالات بين ياسر عرفات والأسد. (سانا 2004/9/20؛ تقرير سورية – تشرين الأول 2004؛ جيروزالم بوست 2004/10/17)
- ✓ 21 أيلول – سوريا تبدأ إعادة انتشار واسعة في لبنان وهذه خامس إعادة انتشار هامة للقوات السورية في لبنان منذ تولي بشار الحكم. رحل ما يقارب 3000 جندي من لبنان على مدى بضعة أيام وبقي ما يقارب 15000 جندي يتوضعون بشكل رئيسي في شرقي سهل البقاع. (اسوشييتد برس 28 2004/9/)
- ✓ 25 أيلول – تعلن العراق أنها ستكون الدولة الخامسة التي تنضم مشروع

أنابيب الغاز العربي. يبدأ خط الأنابيب في مصر وهو الآن ينقل الغاز إلى الأردن من المفترض أن يبدأ إنشاء الفرع الممتد إلى سوريا ولبنان من الشبكة في عام 2005 وسوف يتم انضمام العراق إلى نظام الشبكة في تاريخ لاحق. وفي النهاية ستتم توسعة الشبكة لتصل إلى تركيا وأوربا. (اسوشييتد برس 25 /2004/9)

- ✓ 26 أيلول – يُذكر أن رفعت الأسد شقيق حافظ والذي كان يوما نائب الرئيس والمتحدي على الحكم في سوريا يعود من منفاه إلى سوريا[1]. (أخبار الشرق 2004/9/26)
- ✓ 26 أيلول – مقتل مسؤول في منظمة حماس الفلسطينية المقاتلة في انفجار سيارة في مقر إقامته في دمشق. يأتي هذا الاغتيال بعد تحذيرات إسرائيلية متكررة من المسؤولين الإسرائيليين من أنهم سوف يستهدفون الإرهابيين الفلسطينيين أينما كانوا يقيمون. (نيويورك تايمز 2004/9/27)
- ✓ تشرين الأول – تبدأ سوريا المحادثات مع اتحاد التجارة الحرة الأوربي وهو اكبر تجمع أوربي يضم أقطارا من خارج الاتحاد الأوربي . من المتوقع أن تؤدي المفاوضات إلى توقيع اتفاقية تجارة حرة بين اتحاد التجارة الحرة الأوربي وسوريا. (تقرير سورية – تشرين الأول 2004)
- ✓ تشرين الأول - حيث أن قانون محاسبة سوريا يحظر التعامل المالي مع المصرف التجاري السوري فقد قطع الاتحاد الغربي اتصالاته مع البنك في سوريا. يوسع الاتحاد الغربي شبكة تعاملاته مع عدة مصارف خاصة أنشئت حديثا في سوريا، في حين كان التعامل سابقا يقتصر فقط على المصارف الحكومية. (تقرير سورية – تشرين الأول 2004)
- ✓ تشرين الأول – المصرف العربي في عمان يحصل على الموافقة في أن يصبح البنك الخامس الخاص المرخص لـه في سوريا. وهذا البنك الذي يحظى بحضور إقليمي واسع كان لـه فرع سابقا في سوريا ولكنه تأمم في بادية

(1) الخبر المختلق يعكس التشويش الذي يصيب الباحثين عرباً وأجانب جراء تداول مثل هذه الأخبار غير الموثقة.

الستينيات. (تقرير سورية –تشرين الأول 2004)

- ✓ 1 تشرين الأول – الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان يصدر تقريره حول قرار مجلس الأمن 1559 التابع للأمم المتحدة. ويذكر عنان الجيش السوري على انه القوة الأجنبية الضخمة الوحيدة المنتشرة في لبنان. ويذكر التقرير أيضا اعتراف سوريا بوجود مسؤولين من الاستخبارات العسكرية بدون زي رسمي في لبنان ويقر بالمناقشات السورية واللبنانية حول أن مزيدا من انسحاب القوات السورية يعتمد على الوضع الأمني في لبنان والمنطقة من خلال لجنة عسكرية مشتركة تنشا وفقا لاتفاق الطائف. ويختم عنان بقوله انه لا يستطيع أن يؤكد يقينا بان المتطلبات الواردة في القرار رقم 1559 قد تحققت.
- ✓ 4 تشرين الأول – الأسد يجري تعديلا على مجلس الوزراء فيسمي مدير الأمن السابق في لبنان غازي كنعان وزيرا جديدا للداخلية ومهدي دخل الله الإصلاحي البعثي ورئيس تحرير صحيفة البعث الناطقة باسم الحزب وزيرا جديدا للداخلية. ويحتفظ ناجي العطري بمنصبه. (السفير 2004/10/5)
- ✓ 9 تشرين الأول – يدلي الأسد بخطاب جريء يبثه التلفزيون السوري بمناسبة افتتاح مؤتمر المغتربين السوريين ويتهم الأمم المتحدة باتباع المعايير المزدوجة على إقرار القرار 1559 بزعامة الولايات المتحدة وفرنسا ويقول أن الأحداث الأخيرة تهدد بعودة لبنان إلى ما حدث في الثمانينات ويدعو القرار تدخلا فاضحا في شؤون لبنان.. وينكر الأسد الهيمنة السورية في لبنان ويقول أن سوريا في قلب البركان ولكنه يؤكد على التزام أمته بسلام عادل استنادا إلى قرارات الأمم المتحدة ومبدأ الأرض مقابل السلام. (التلفزيون السوري 10/9/2004)
- ✓ 11 تشرين الأول – تذكر الصحيفة المعارضة أخبار الشرق أن الأسد قد وعد وزير الداخلية الذي عُين مؤخرا غازي كنعان انه سوف يسمح له بتوحيد هيئات الأمن والاستخبارات تحت إمرته. وفي وقت لاحق من ذلك الشهر

ذكـــرت المصـــادر نفسها أن إعادة هيكلة المخابرات السورية تتم شيئا فشيئا وقالـــت أن اســـتئناف وزارة الداخلية لضبط فعال لقسم الأمن السياسي هو الخطوة الأولى نحو ذلك. وأشارت المصادر أيضا إلى أن توحيد الهيئات الأمنية تحـــت قـــيادة وزارة الداخلية ما هو إلا مطلب ضمني طرحه الاتحاد الأوربي مقـــابل توقيع اتفاقية الشراكة الأوربية – السورية. (أخبار الشرق 10/11/ 2004، 2004/10/18؛ إيلاف 2004/10/23)

- ✓ 12 تشـــرين الأول – تعلن مصادر دبلوماسية عراقية انه لا مجال للبحث في استئناف الروابط الدبلوماسية مع دمشق إلا إلى ما بعد انتخابات كانون الثاني 2005 لأسباب سياسية وإجرائية. وحيث أن العراق هو الذي قطع العلاقات مـــع سوريا في عام 1979 فمن الضروري للحكومة العراقية أن تلتمس من ســـوريا استئناف العلاقات الطبيعية وهي عملية تحتاج إلى عدة أشهر حسبما ذكرت المصادر. (الحياة 2004/10/12)
- ✓ 13 تشـــرين الأول – صحيفة الثورة التي تديرها الدولة تنشر افتتاحية تشجع الصـــحفيين على التحرر من التقيد بتقليد الريبورتاجات غير النقدية . يكتب المؤلف اسعد عبود : انقلوا الأنباء بجرأة وشفافية .. تخلوا عن الأسلوب المعتاد .. فالرئيس بشار الأسد يخطط لفتح الأبواب لكم. (الثورة 2004/10/13)
- ✓ 13 تشرين الأول – ائتلاف الجبهة الوطنية التقدمية الحاكم الذي يتألف الآن مـــن تســـعة أحزاب بزعامة حزب البعث يعدل الدستور لأول مرة منذ عام 1972. ومـــن ضـــمن تعديـــلات أخرى تم استبدال عبارة " لا سلام ولا مفاوضات مع الدولة الصهيونية " بعبارة " سلام يعتمد على الشرعية الدولية وقـــرارات الأمـــم المـــتحدة وعودة اللاجئين وإقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس" (أخبار الشرق 2004/10/13؛ الحياة 2004/10/14)
- ✓ 14 تشرين الأول – انعقاد اجتماع لمدة يومين بين لجان أمنية سورية وأردنية دون التوصل إلى قرار نهائي حول الخلاف الحدودي القديم بينهما. يتفق كلا الطـــرفين أن المصاعب الديمغرافية تجعل صياغة الحل في غضون أيام أمرا صعبا

ولكـــن قالوا بأنهم سيبقوا ملتزمين باحترام حقوق ومصالح العائلات السورية والأردنية المبعثرة والمقيمة على طول الحدود الرسمية . يتفق الطرفان أن حدود 1923 التي وضعتها فرنسا وبريطانيا سوف تتأكد بالكامل مما سيجبر سوريا على إعادة 125 كيلومترا مربعا من الأراضي والأردن 2.5 كم . وفي تشرين الثاني بدا أن اللجنة المشتركة قد توصلت إلى اتفاق نهائي لرسم الحدود بشكل نهـــائي. ومقابل ضم سوريا للأراضي الأردنية التي يقطنها مزارعون سوريون سوف تقايض سوريا ذلك بمساحة معادلة من الأراضي غير المأهولة في منطقة مجاورة. (السفير 2004/10/14؛ الدستور 2004/10/15؛ سانا 11/23/ 2004؛ العرب اليوم 2004/10/24)

- ✓ 19 تشـــرين الأول – يستهل الاتحاد الأوربي وسوريا نص اتفاقية الشراكة مما يجعل سوريا آخر بلد متوسطي منذ بدء عملية برشلونة في عام 1995 لإنهاء اتفاقـــية إنشاء منطقة تجارة حرة أوربية – متوسطية مع حلول عام 2010. ويبقى أن يتم توقيع الاتفاقية بشكل رسمي من قبل الطرفين وان يقرها أعضاء برلمان كل دولة في الاتحاد الأوربي قبل أن تصبح قانونا . هنالك فقرة خاصة ســـوف تتـــيح تنفيذ الاتفاقية حالما يتم توقيعها رسميا ويُتوقع حدوث هذا في كانون الثاني 2005. رحبت صحيفة البعث وهي الناطق الرسمي باسم الحزب بالاتفاقـــية: " بتوقيع اتفاقية الشراكة مع أوربا تؤكد سوريا على دور الاتحاد الأوربي في تســـوية مشـــاكل التطور في المنطقة وما يتعلق بالسياسة المرتبطة بالصراع الإسرائيلي – العربي . (وكالة الصحافة الفرنسية 2004/10/19؛ تقرير سورية – تشرين الثاني 2004)
- ✓ 20 تشـــرين الأول – مجلـــس الأمن في هيئة الأمم المتحدة يقر بالإجماع بيانا رئاســـيا يؤكد ثانية على القرار 1559 الذي يدعو سوريا إلى الانسحاب من لبـــنان ويطالـــب كلا البلدين بتقديم تقارير نصف سنوية عن إذعانهما لهذا الطلـــب. ومثـــلما كان الأمر في القرار 1559 فلم يذكر هذا البيان سوريا بالاسم. (ديلي ستار 2004/10/20)

- ✓ 24 تشرين الأول – يفتح المسؤولون السوريون سجلا لتتبع المواطنين المحرومين من السكن في مدينة القنيطرة منذ حرب 1967 كتحضير لإعادة تأهيل المدينة بالسكان وإعادة إعمارها. يقول المسؤولون أن هذا المشروع علامة على عدم وجود أية نية لديهم باللجوء إلى الوسائل العسكرية لاسترداد مرتفعات الجولان المحتلة . (هآرتز 2004/10/24)
- ✓ 27 تشرين الأول - وكيل وزارة الخارجية الأميركية جون بولتون أعلى مبعوث أميركي لضبط الأسلحة يسمي سوريا وإيران وكوريا الشمالية دول ذات اهتمام بانتشار الأسلحة وكان يتحدث في اليابان وهو في رحلة لمشاهدة تدريبات متعددة الجنسيات كجزء من مبادرة امن انتشار الأسلحة، ويقول بولتون أن الشركاء في المبادرة يجب أن يكونوا مستعدين للتدقيق في الشحنات التي تذهب إلى أو من هذه الدول أو الجماعات الإرهابية . (اسوشييتد برس 2004/10/27)
- ✓ تشرين الثاني – افتتاح قطاع اقتصادي آخر تحكمه الدولة من اجل التحرر التدريجي حيث أصبحت شركة UFAاللبنانية للتامين على الحياة أول شركة تامين خاصة مرخصة تعمل في سوريا في فترة أربعين عاما. رغم أن هنالك العديد من شركات التامين الأجنبية الخاصة تعمل في سوريا دون ترخيص أو تنظيم لعملها فقد كانت شركة التامين السورية التي تملكها الدولة الشركة الوحيدة الشرعية سابقا. (تقرير سورية- 2004/11/1)
- ✓ تشرين الثاني – يعلن مدير مناطق التجارة الحرة في سوريا عن خطط لإقامة ثلاثة عشرة سوق حرة معفاة من الرسوم في مواقع الحدود السورية. وكانت الحكومة قد منحت رخصة التشغيل لستة مستثمرين سوريين أفراد وشركة تركية – سورية. قبل هذا القرار كانت جميع الأسواق الحرة المعفاة من الضريبة في سوريا تعمل تحت إشراف شركة RAMAK التي يملكها ابن خال بشار رامي مخلوف. (تقرير سورية 2004/11/1)
- ✓ 4 تشرين الثاني – يأمر بشار بصرف مكافأة قدرها 50 بالمئة من أصل راتب

شـــهر واحـــد للموظفين المدنيين احتفالا بعيد الفطر الذي يوافق نهاية شهر رمضان الكريم . (اسوشييتد برس 2004/11/4)

- ✓ 8 تشرين الثاني – وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري يقول أن سوريا قد وافقـــت عـــلى إعـــادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة مع العراق. ويقول أن سوريا سوت الخلافات بما يوافق المطالب العراقية حول تنسيق الجهود لتحقيق الأمن الحدودي. (تلفزيون الشرقية، العراق 2004/11/8)
- ✓ 20 تشـــرين الـــثاني – يُـــرقى اصف شوكت إلى نائب مدير الاستخبارات العســـكرية الســـورية ويُذكـــر أن شـــوكت ســـوف يشغل منصب مدير الاســـتخبارات العســـكرية حســـن الخليل عند تقاعد الثاني في عام 2005. (أخبار الشرق 2004/11/20)
- ✓ 30 تشرين الثاني – يغادر العراق متجها إلى دمشق وفد يدعي انه يمثل سبعين حـــزبا عراقيا وينادون بمقاطعة الانتخابات العراقية المعدة في 30 كانون الثاني وكانـــت دمشق المحطة الأولى لهم في رحلتهم إلى الدول العربية. يهدف الوفد إلى جمع التأييد الدولي لموقفه ويضم الوفد مثنّى حارث الداري من هيئة علماء المســـلمين والناطق الرسمي باسم مقتضى الصدر في بغداد. (الحياة 11/30/ 2004)
- ✓ 30 تشـــرين الـــثاني – يـــتجمع أنصار الحكومة اللبنانية وسوريا في بيروت احتجاجا على قرار الأمم المتحدة رقم 1559. نظم التجمع الفرع اللبناني من حـــزب البعث السوري بدعم من الحكومة اللبنانية وحزب الله لعكس صورة أن الوجود السوري في لبنان أمر مرفوض من الشعب اللبناني. هدف المنظمون للـــتجمع إلى حشد مليون من أصل 3.5 مليون من شعب لبنان في الشوارع ولكـــن التقديرات تشير إلى أن عشرات الألوف فقط انضمت إلى التظاهرة. (فاينتشال تايمز 2004/12/1)
- ✓ كانون الأول – يتم إصدار أرقام مسودة ميزانية سوريا لعام 2005 وهي تبين زيـــادة قدرها 2.2 بالمئة عن ميزانية عام 2004 وتصل إلى 9.2 بليون دولار

أمريكي. (تقرير سورية 2004/12/1)

- ✓ كانون الأول – تسوي سوريا ديونها من عهد الاتحاد السوفييتي مع سلوفاكيا وجمهورية التشيك (وقد كانتا متحدتان كبلد واحد في عهد الكتلة السوفييتية) سوف تدفع سوريا دفعة واحدة قدرها 150 مليون دولار أي ما يقارب 9 بالمئة من أصل دينها الذي يصل إلى 1.6 بليون دولار مقابل الإعفاء مما يتبقى من الدين. (تقرير سورية 2004/12/1)
- ✓ 1 كانون الأول – ترفض إسرائيل العرض الأخير من سوريا لاستئناف مفاوضات السلام الذي أعلن عنه مبعوث الأمم المتحدة لشؤون الشرق الأوسط تيرج رويد لارسن . يقول وزير الخارجية الإسرائيلي سيلفان شالوم للصحافة أن إسرائيل لن تقيم أية اتصالات مع السوريين إلا حينما تتوقف سوريا عن دعمها لحماس وحزب الله. (وكالة الصحافة الفرنسية 12/1/ 2004)
- ✓ 2 كانون الأول – تسرب تقرير للحكومة الإسرائيلية من رئيسة مجلس الأمن القومي غيورا ايلاند لرئيس الوزراء الإسرائيلي اريل شارون حيث يقول أن الانسحاب السوري من لبنان لا يخدم المصالح الإسرائيلية حيث تحذر ايلاند من أن هذا الانسحاب يمكن أن يقود إلى تأجيج الوضع في الجولان المحتل. (ديلي ستار 2004/12/2)
- ✓ 5 كانون الأول – تجمع عشرات الألوف عند مقر إقامة وليد جمبلاط وهو ابرز عضو درزي في البرلمان اللبناني لبيان تأييدهم لموقفه المعارض ودعوته الثابتة للانسحاب السوري من لبنان. وكان جمبلاط قد عارض تمديد فترة حكم الرئيس إميل لحود في أيلول وألقى اللوم على سوريا لفرض إرادتها على الحكومة اللبنانية . (ديلي ستار 2004/12/6)
- ✓ 7 كانون الأول – الحكومة السورية تطلق سراح 112 سجينا سياسيا وهذا هو أول إطلاق سراح من نوعه في فترة ثلاث سنوات. يرحب هيثم المالح من الجمعية السورية لحقوق الإنسان بهذه الخطوة ولكنه يدعو الحكومة لإطلاق

ســـراح 320 معـــتقلا سياسيا مازالوا في السجون. (اسوشييتد برس 12/8/ 2004)

- ✓ 8 كانون الأول – يتم اكتشاف مستقبل إشارات عالمية في مصنع للقنابل في معقـــل ســـابق لمـــتمردين عراقيين في الفلوجه ويقال أن الجهاز موجه بحيث يســـتقبل الشـــارات مـــن غربي سوريا . يقول مسؤولون أمريكيون أن هذا الاكتشـــاف يشير إلى الدور الهام الذي يقوم به البعثيون العراقيون المتواجدون في ســـوريا في توجـــيه أعمال التمرد أكثر مما كان يُفترض سابقا. (واشنطن بوست 2004/12/8)
- ✓ 10 كـــانون الأول – يقـــول مسؤول في القيادة الأميركية الوسطى لتلفزيون العربية أن سوريا قد تعهدت بالقيام بعمل هام من حيث إقامة الحواجز وتبادل المعلومـــات الاســـتخباراتية لأحكام السيطرة على طول الحدود السورية – العراقـــية . ولكـــن سوريا لم تكن متعاونة بما يكفي لاجتثاث أولئك الذين يسهلون أعمال التمرد في العراق ممن يقيمون في سوريا. (تلفزيون العربية 10 /2004/12)
- ✓ 14 كانون الأول – سوريا تتهم إسرائيل بتفجير السيارة التي استهدفت عضو حمـــاس المقيم في دمشق. لم يصب الشخص المستهدف المقصود بأذى ولكن عابر سبيل أصيب بجروح. (هآرتز 2004/12/14)
- ✓ 17 كـــانون الأول – وفاة جميل الأسد شقيق حافظ الأسد الأصغر عن عمر الحادية والسبعين في احد مشافي باريس. وقد كان في السنوات الأخيرة يتزعم لجـــنة الأمن القومي في البرلمان السوري ولكنه لم يلعب دورا سياسيا بارزا. (لوس أنجلس تايمز 2004/12/17)
- ✓ 18 كـــانون الأول – لأول مـــرة منذ احتلال البلاد في عام 1976 تسحب ســـوريا فـــرق المخابرات من مواقعها في لبنان. وعلى الرغم من عدم تحديد عددها إلا أن المفرزات الأمنية أزيلت من مطار بيروت الدولي ومن الضواحي الجنوبية لبيروت والساحل الشمالي لمدينة البيترون. (النهار 2004/12/19)

- ✓ 22 كـــانون الأول – ســـوريا وتركيا توقعان اتفاقية تجارة حرة خلال زيارة رئـــيس الـــوزراء التركي ريسيب طيب اردوغان الأولى لدمشق استنادا إلى العلاقات الودية الطيبة بين البلدين التي بدأت بزيارة بشار التاريخية لتركيا في كانون الثاني 2004. (تقرير سورية 2005/1/1)
- ✓ 23 كـــانون الأول – يقـــول السفير العراقي في سوريا للصحافة أن رئيس الوزراء العراقي المؤقت إياد علاوي قد اخبر الحكومة السورية أن صور زعيم مجموعة المتمردين جياش محمد واقفا مع مسؤول سوري قد وُجدت في معقل سابق للمتمردين في الفلوجة. (كريستيان سينس مونيتور 2004/12/23)
- ✓ 24 كانون الأول – يوافق المسؤولون الإسرائيليون والسوريون على السماح للقاطنين الدروز في الجولان المحتل ببيع محاصيلهم من التفاح في سوريا. يقول وزير الخارجية الإسرائيلي سيلفان شالوم أن الاتفاقية تأتي في سياق إجراءات بناء الثقة المشتركة بين الجانبين. (جيروزالم بوست 2004/12/24)
- ✓ 29 كـــانون الأول – في طلـــيعة الزيارة المقررة في 2 كانون الثاني لمسؤولين أمريكـــيين إلى دمشق يُذكر أن الحكومة السورية تعيد للحكومة العراقية 3.5 ملـــيون دولار أميركـــي وهذا المبلغ هو دفعة من الودائع الموجودة في البنوك السورية للنظام العراقي السابق بقيادة صدام حسين. (الحياة 2004/12/29)
- ✓ 30 كـــانون الأول – تصدر محكمة امن الدولة حكمها على اثنين وعشرين سوريا متهمين بالتآمر لتنفيذ هجمات منطقة المزة في دمشق. حكم على اثنين مـــنهم بـــالإعدام واثـــنين بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة وحكم الباقون بالســـجن ما بين سنة وعشرين سنة يقول احد المحكومين بالإعدام وهو احمد شـــلش حســـن في شرح الدوافع : كنت أحاول أن أرد على العدوان الذي يتعرض لـــه المسلمون من الدول المعادية كإسرائيل والولايات المتحدة والبلدان الأخرى الكافرة . (وكالة الصحافة الفرنسية 2004/12/30)

الملحق الثاني

بيان التسعة والتسعين

نُشر في 27 أيلول 2000 – صحيفة الحياة

كــان بيان التسعة والتسعين أول مظهر علني معترف به على نطاق واسع عن حــركة المجتمع المدني الناشئة في سوريا بعد وفاة حافظ الأسد في حزيران 2000. نشــر البــيان في أيلول من ذلك العام أي بعد شهرين فقط من تولي بشار الأسد الرئاســة . الموقعــون عليه هم من المفكرين البارزين والفنانين والمحترفين في شتى المجــالات. يحــث بيان التسعة والتسعون بحماس متقد على الإصلاحات الإدارية والاقتصــادية والقانونية التي تأخرت كثيرا عن موعدها. ومع أن البيان يؤكد رغم معارضة الآخرين أن الإصلاحات السياسية أمر متمم وضروري لإحياء الأمة إلا انه لا ينــتقد بشكل مباشر بشار أو قيادة حزب البعث للحكومة . كان بيان التسعة والتســعون علامة بارزة عن ازدهار ربيع دمشق وهي الفترة التي خفت فيها القيود المفروضة على حرية التعبير والانتقاد.

تشكل الديمقراطية وحقوق الإنسان اللغة الإنسانية العامة التي تجمع الشعوب وتوحــد آمــالهم لغــد أفضل. وحتى لو كانت بعض البلدان الهامة تستخدم هذه الــنواحي لــتعزيز سياســاتها ومصالحها فليس بالضرورة أن ينتج عن التفاعل بين الشــعوب الهيمنة والأوامر السياسية الجازمة. لقد سُمح لشعبنا في الماضي وسوف يُســمح لهــم في المستقبل أن يتأثروا بالآخرين وان يضيفوا من ذلك إلى إسهاماتهم الشخصية ليتطور بذلك تميزهم دون الانغلاق على الذات .

تدخــل ســوريا الــيوم القرن الحادي والعشرين بحاجة ملحة لان يجمع كل مواطنيها قواتهم لمواجهة التحديات التي يطرحها السلام والتحديث والانفتاح على

العالم الخارجي. ولهذا السبب فشعبنا مدعو أكثر من أي وقت مضى للمشاركة في إنشاء سوريا الحاضر والمستقبل.

ومـــن هـــذه الحاجة الموضوعية ومن القلق على الوحدة الوطنية واعتقادا بان مستقبل بلدنا لا يمكن أن تبنيه ذريته كونهم مواطنين في نظام جمهوري حيث يتمتع كـــل فرد بحق حرية الرأي والتعبير .. فإننا الموقعون أدناه ندعو الحكومة للموافقة على المطالب التالية :

- ✓ إنهاء حالة الطوارئ والأحكام العرفية المطبقة فعليا في سوريا منذ عام 1963.
- ✓ العفو عن جميع المساجين السياسيين وسجناء الضمير وأولئك الملاحقين بسبب أفكارهم السياسية والسماح بعودة المرحّلين والمواطنين المنفيين.
- ✓ إقامـــة دولـــة القـــانون ومنح الحريات العامة والاعتراف بالتعددية السياسية والفكرية وحرية التجمعات والصحافة والتعبير.
- ✓ تحريـــر الحياة العامة من قوانين التقييد والإكراه والأشكال المتنوعة من الرقابة المفروضة عليها بحيث يُسمح للمواطنين بالتعبير عن اهتماماتهم المختلفة ضمن إطـــار التـــناغم الاجتماعي والمنافسة السلمية والتكوين المؤسساتي الذي يتيح للجميع فرصة المشاركة في تطوير البلاد ورفاهيتها. ما من إصلاح سواء أكان اقتصـــاديا أو إداريا أو قانونيا سوف يحقق الهدوء والاستقرار في البلاد ما لم يترافق بشكل كامل مع الإصلاح السياسي المرجو الذي يمكنه وحده أن يقود مجتمعنا إلى بر الأمان.

الموقعــون:

1- عبد الهادي عباس - محامي وكاتب
2- عبد المعين ملوحي – عضو في أكاديمية اللغة العربية
3- انطون المقدسي – كاتب ومفكر
4- برهان غليون – كاتب ومفكر
5- صادق جلال العظم – كاتب ومفكر
6- ميشيل كيلو – كاتب
7- طيب تيزيني – كاتب ومفكر
8- عبد الرحمن منيف – روائي
9 – ادونيس – شاعر
10 – برهان بخاري – باحث
11- حنا عبود – كاتب
12 – عمر اميرلاي – مصور سينمائي
13 – خالد تاجا – ممثل
14 – بسام كوسا – ممثل
15 – نائلة الأطرش – منتجة مسرحية
16 – عبدالله حنا – باحث ومؤرخ
17 – سمير سويفان – اقتصادي
18 – فيصل دراج – باحث
19 – حيدر حيدر – روائي
20 – نزيه أبو عفش – شاعر
21 – حسن م. يوسف – روائي وصحفي
22 – أسامة محمد – مصور سينمائي
23 – نبيل سليمان – روائي وناقد
24 – عبد الرزاق عيد – باحث وناقد
25 – جاد الكريم جباعي – كاتب وباحث
26 – عبد اللطيف عبد الحميد – مصور سينمائي
27 – سمير ذكرى – مصور سينمائي
28 – احمد معلا – فنان
29 – فارس الحلو – ممثل
30 – إحسان عباس – باحث
31 – حنان قصاب حسن – أستاذة جامعية
32 – ممدوح عزام – روائي
33 – عادل محمود – شاعر
34 – حازم العظمة – طبيب وأستاذ جامعي
35 – برهان زريق – محامي
36 – محمد رعدون – محامي

37 – ياسر صاري – محامي

38 – يوسف سلمان – مترجم

39 – هند ميداني – مصورة سينمائية

40 – منذر مصري – شاعر وفنان

41 – احمد معيطة – أستاذ جامعي

42 – وفيق صليبين – أستاذ جامعي

43 – مجاب الإمام – أستاذ جامعي

44 – منذر حلوم – أستاذ جامعي

45 – مالك سليمان – أستاذ جامعي

46 – سراب جمال الاتاسي – باحثة

47 – توفيق هارون – محامي

48 – عصام سليمان – طبيب

49 – جوزيف لحام – محامي

50 – عطيه مسوح – باحث

51 – رضوان قضماني – أستاذ جامعي

52 – نزار صابور – فنان

53 – صهيب طليمات – أستاذ جامعي

54 – حسن سامي يوسف – كاتب ومصور سينمائي

55 – واحة الراهب – ممثلة ومصورة سينمائية

56 – حميد مرعي – مستشار اقتصادي

57 – رفعت السيوفي – مهندس

58 – موفق نيربيه – كاتب

59 – سهيل شعبات – أستاذ جامعي

60 – جمال شحيد – أستاذ جامعي

61 – عمر كوتش – كاتب

62 – ريموند بطرس – مصور سينمائي

63 – انطوانيت عازرية – مصورة سينمائية

64 – نجيب نصير – ناقد وكاتب

65 – مي سكاف – ممثلة

66 – نضال الدبس – مصور سينمائي

67 – فرح جوخدار – مهندسة معمار

68 – أكرم قطريب – شاعر

69 – لقمان ديركي – شاعر

70 – حكمت شطة – مهندس معمار

71 – محمد نجاتي طيارة – باحث

72 – نجم الدين السمان – روائي

73 – علي الصالح – اقتصادي وباحث

74 – صباح الحلاق – باحثة

75 – نوال اليازجي – باحثة

76 – محمد قارصلي مصور سينمائي

77 – سوسن زقزق – باحثة

78 – شوقي بغدادي – شاعر

79 – بشار زرقان – موسيقي

80 – فايز سراح – صحفي

81 – محمد الفهد – صحفي وشاعر
82 – محمد بري لعواني – مخرج مسرحي
83 – نجاة عامودي – تربوية
84 – عادل زكار - طبيب وشاعر
85 – مصطفى خودر – شاعر
86 – محمد سيد رصاص – كاتب
87 – قاسم عزاوي – شاعر
88 – محمد حمدان – كاتب
89 – نبيل اليافي – باحث
90 – تميم منعم – محامي
91 – إبراهيم حكيم – محامي
92 – أنور البني – محامي
93 – خليل معتوق – محامي
94 – علي الجندي – شاعر
95 – علي كنعان – شاعر
96 – محمد كمال الخطيب – باحث
97 – ممدوح عدوان – شاعر
98 – محمد ملص – مصور سينمائي
99 – محمد علي الاتاسي – صحفي

الوثيقة الأساسية لبيان الألف

نشرت في الصحافة العربية في 9 كانون الثاني 2001

مأخوذ عن الوثائق الصادرة عن الهيئات التأسيسية للجان المجتمع المدني في سوريا، دمشق

كان بيان الألف متابعة لبيان التسعة والتسعون ولكن الوصف الإصلاحي فيه كـــان موضـــع جدل ساخن من قبل الناشطين في مجال المجتمع المدني الذين وضعوا مسودة البيان. تسربت الوثيقة إلى الصحافة اللبنانية قبل أن يوقع على النص النهائي جمـــيع الناشطين المدنيين المقصودين . كررت الوثيقة الدعوة إلى الإصلاحات التي وردت في بـــيان التســـعة والتسعون ولكن صياغتها تمت بألفاظ أكثر تغطرسا فقد تخطـــى بـــيان الألف المطالب المتنوعة حينما دعا إلى استبدال حكم الحزب الواحد بالديمقراطـــيات المتعددة. كان نشر البيان الفتيل الذي جعل النظام يتخذ إجراءات صارمة ضد الناشطين في مجال المجتمع المدني فيما دُعي بشتاء دمشق.

تحـــتاج دمشـــق الـــيوم أكثر من أي وقت مضى إلى تفكير مترو موضوعي لاســـتقاء الدروس من العقود الماضية وصياغة المستقبل.. بعد تدهور أحوال البلاد الاجتماعـــية والسياسية والاقتصادية والثقافية وردا على تحديات العولمة والاندماج الاقتصادي وتحديات الصراع العربي – الإسرائيلي الذي يتوجب على شعبنا وامتنا مواجهته وصد مخاطره .

انطلاقـــا مـــن الإيمان الصادق ببلدنا وشعبنا وقدرته الخلّاقة ونشاطه وحيويته وبـــتوق شـــديد للـــتفاعل بايجابية مع جميع مبادرات الإصلاح .. نؤكد أن الأمر الأساســـي اليوم هو إقامة حوار شامل بين جميع المواطنين وطبقات المجتمع والقوى السياسية والمفكرين والمنتجين والأشخاص المبدعين لكي نشجع على تطوير المجتمع المـــدني وهـــو المجتمع الذي يعتمد على الحرية الفردية وحقوق الإنسان والمواطنية

وإقامة دولة العدالة والحق .. دولة تكون للشعب كله دون محاباة أو استثناء حيث يمكن للجميع أن يفخر بها. يحتاج بلدنا اليوم إلى جهود جميع مواطنيه لإحياء المجتمع المدني الذي كان ضعفه ومحاولات إضعافه على مدى العقود الأخيرة قد حرمه من التطور وعملية البناء لقدرات الأمة الوطنية الحاسمة التي لم تتمكن من المشاركة فيه بفعالية وايجابية.

أن الغمـــوض الذي يلف معنى المجتمع المدني والناتج عن التجارب الديمقراطية المتعددة في التاريخ القديم والحديث لا يطلل وجوده في بلدنا ولا تقدمه المترنح نحو مجتمع حديث أنتج ثقافة نابضة بالحياة والنشاط وصحافة حرة وجمعيات وأحزاب سياسية واتحادات تجارية وشرعية دستورية وتحول هادئ للسلطة. كان هذا كله من شانه أن جعل سوريا اقل البلدان العربية تخلفا إن لم تكن أكثرها تقدما.

لقـــد عـــزز هذا المسار التلاحم الوطني في مجتمعنا إلى حين الوصول المفاجئ لذلـــك الانقطـــاع المعتمد على الشرعية الثورية بدلا من الشرعية الدستورية. لقد تضـــمن تهميش المجتمع المدني عدم الاكتراث بالدولة والفرد ومكانته وموقعه ولون الدولـــة بصباغ الحزب الواحد واللون الواحد والرأي الواحد.. فتضمن هذا بالتالي خلـــق دولـــة لجزء واحد من المجتمع وهو جزء لا يقر بخصوصيته وإنما يخدع نفسه حيـــنما يظـــن انه يمثل الشعب بقيادته للدولة والمجتمع. لقد تضاءلت المواطنية إلى مفهـــوم ضيق من حيث التبعية لحزب واحد ولولاء شخصي. يعتبر هذا الجزء من المجـــتمع بقـــية السكان على أنهم مجرد قطيع. لقد أصبحت ثروة الأمة ومؤسساتها ومـــوارد الـــبلاد وما يتبع للمؤسسات والمجتمع المدني كأطيان إقطاعية تُوزع على الأتـــباع والموالـــين. لقد حل الإحسان والمحسوبية محل القانون والمنح والمحاباة محل الحقـــوق والمصـــالح الشخصـــية محل المصلحة العامة. لقد انتُهكت قدسية المجتمع وسُلبت ثرواته واغتُصب قدره الذي أصبح محكوما بيد أولئك الذي أصبحوا رموزا للقمـــع.. فأصبح كل مواطن موضع شك هذا إذا لم يُعتبر مذنب فعلا ليتم القبض عليه ساعة يشاؤون.يعامل النظام الشعب ليس فقط ككومة من المهملات خاضعة لإرادته بل ولكن كقاصر غير مؤهل قانونيا وغير صالح لشيء وعلى انه مشتبه به.

لقــد تمادت الحكومة لدرجة اتهام أشخاص بالخيانة العظمى حينما يبادرون في أدنى حــد للتعبير عن رأيهم أو المطالبة بحقوقهم. لا بد أن نذكر أن تهميش المجتمع المدني قــاد إلى تهميش الدولة نفسها .. حيث العلاقة العضوية الضمنية القائمة بينهما فلا تقوم لأحدهما قائمة دون الآخر . يشكل المجتمع المدني جوهر الدولة الحديثة حيث أن كــلمة الدولــة هي التعبير السياسي للمجتمع المدني. وهما معا يشكلان النظام الديمقراطي للحكومة.

أن مجتمعــنا بــثوراته الوطنية ضد الاستعمار وحركاته السياسية ضد القمع السياسي والذي كشف عن الروح الوطنية والقومية، تواق للتحرر والتقدم .. وقد كـــان صبورا وقدم العديد من الشهداء والتضحيات من اجل الحرية والعدالة.. ما زال قــادرا على إعادة بناء الحياة الاجتماعية والسياسية واقتصاده وثقافته بما يتوافق مــع متطلــبات الحداثة والتطور. انه ما زال قادرا على الانضمام إلى مسيرة التقدم العلمي والتكنولوجي وبإمكانه التغلب على العلاقات والبنى التي أدت إلى الاستبداد والطغيان وارتبطت بشكل حميم بالامبريالية والتجزئة والانقسامات الوطنية.

أصبحت نتائج الانقلابات ضد الديمقراطية السياسية باسم الاشتراكية واضحة الآن.. فمع انهيار النموذج السوفييت وامتداده الشرق – أوربي وفي العالم الثالث، اتضــحت اســتحالة إقامة الاشتراكية أو إنشاء ديمقراطية اجتماعية دون ديمقراطية سياســية. أوضحت التجربة السوفييتية أيضا هشاشة الدولة التي لا تستقي شرعيتها مــن المجتمع المدني، والسلطة التي لا تكسب شرعيتها من الشعب. يتضح تماما عدم جــدوى الــنظر إلى الشــعب على انه مجرد تابع خاضع للإرادة الثورية، وإنكار الاخــتلافات الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمع والمصالح المتنوعة لكل جزء مكون له. أكدت التجربة السوفييتية على نتائج إنكار حكم القانون كتعبير شرعي للــنظام الشعبي ولجوهر الدولة نفسها بالإضافة إلى التعبير عن كل ما هو شائع بين جمــيع المواطنين والجماعات الاجتماعية فهو الشيء التاريخي الجامع لجميع المصالح والجماعات المختلفة التي يجب أن تكون أساس الوحدة الوطنية الحقيقية.

أن هذا المكون المشترك الجامع هو الذي يخلق المؤسسات والقوانين التي تتوافق

مـــع تطور المجتمع الذي يتأثر نفسه بخطى التطور العالمي. لذلك يتم تعديل الدستور عـــادة أو تغييره أو تحسينه وفقا لحاجات ذلك التطور. أن مفهوم المجتمع المدني في العـــالم الذي ننتمي إليه جغرافيا على الأقل والذي انتعش في السبعينيات مثل وما زال يمـــثل واقع وحقيقة الوجود الاجتماعي الذي يُعرّف على انه تحول البشرية من الطبيعة إلى المجتمع أي الإنشاء البشري والسياسة المدنية - باستخدام التعبير التاريخي العـــربي في العصور الوسطى لابن خلدون .ومن هذا المفهوم نشا خط من المفاهيم الـــتي تقـــود إلى المواثيق الاجتماعية مقابل الحقوق المقدسة التي يدعيها الديكتاتور والملـــوك والأباطـــرة. وتطور هذا الميثاق الاجتماعي ليس سوى النظير السياسي لانتصار العقل الذي وضع الكائن البشري في قلب المعرفة البشرية. أدت المجتمعات الحديثة والتفكير الحديث إلى ظهور الدولة المدنية الحديثة التي تضمن حرية الاعتقاد والممارســـات الدينية والتفكير غير المقيد وكل هذا ضمن إطار الإقرار العملي بحرية يعرّفها القانون وتكون مشروطة بالمسؤولية وتتوجها المبادرات الخلّاقة وحب المعرفة وروح العمل مع ومن اجل الجماعة.

مـــن اجل جميع هذه الأسباب هنالك حاجة عظيمة اليوم لإحياء المؤسسات الاجتماعـــية والمجتمعـــية المتحررة من هيمنة السلطة التنفيذية وجهاز الأمن الذين يغتصـــبون طاقاتهـــا. ويجب أن تتحرر هذه المؤسسات من الأشكال التقليدية من الروابط الاجتماعية والعلاقات والأطر الهيكلية كالقبلية والطائفية لكي تعيد إنشاء السياســـة في مجتمع حر أولا وواع ويمتلك النشاط البناء لتحقيق التوازن الحاسم ما بـــين المجتمع والدولة وتنسيق نشاطاتهما لتحقيق التحرر والمساواة والعدالة.. وبهذا تـــتعزز الوحـــدة الوطنية والكرامة وسيادة الدولة.. ويصبح حكم القانون الحَكم الأخير للجميع.

فقـــط في المجتمع المدني يمكن تنفيذ الحوار الوطني الشامل الذي يتصف بحرية التعبير والكلام واحترام شتى الآراء لتشجيع اكبر قدر من المشاركة لتحقيق الفائدة للجمـــيع. مـــا من جماعة سياسية لها الحق في أن تقرر بنفسها ولوحدها أين تكمن المصالح الوطنية للبلد وما هي الوسائل التي لا بد من اتباعها لتحقيق تلك المصالح ..

فكل الجماعات بما في ذلك السلطة الحالية الحاكمة يجب أن تطرح آراءها وأفكارها وبرامجها للشعب كافة من اجل المناقشة والحوار .. ولا يمكن أن يكون الحوار ممكنا دون حرية الرأي والتعبير ومنح الحرية للأحزاب السياسية والاتحادات التجارية والصحافة الحرة والمنظمات الاجتماعية الحرة وتشريع قانوني يمثل الشعب بشكل حقيقي وفعلي.

ما من إصلاح ممكن دون حوار وطني شامل لان الحوار دوما من شانه أن يقدم حقائق جديدة تكون ذات صلة بكل شيء. . ومنطق الحوار يلغي احتكار الحقيقة والوطنية أو أي احتكار آخر. وهذه هي الطريقة التي ندعو لها إلى تبني مبدأ الحوار والنقد البناء والتطور السلمي لحل الخلافات من خلال التسوية والتفاهم. وهذا احد أهم مواصفات ومزايا المجتمع المدني.

تتضح حيوية ونشاط المجتمع المدني بشكل مذهل في إقامة المنظمات الطوعية المستقلة وغير الحكومية اعتمادا على الخيار الديمقراطي الذي يكون هدفه إقامة العدالة وحكم القانون الذي يوكد بالتالي الحقوق المدنية ويحمي الحريات العامة. وهذا ما يجعلنا نعتقد أننا بالدفاع عن المجتمع المدني فإننا ندافع عن الدولة والسلطة التي تمسك بالقوة في هذا البلد.

لكي تنجح إجراءات الإصلاحات الاقتصادية ومكافحة الفساد لا بد أن تستمر وتترافق مع مجموعة شاملة من الإصلاحات السياسية والمؤسساتية.. وإلا فان هذه الإصلاحات لن تحقق أهدافها .. ولذلك يجب أن تتطور عملية الإصلاح الاقتصادي ومكافحة الفساد لتصبح آلية قانونية دائمة تحث على مشاركة جميع العامة وتشجع على المراقبة المتواصلة لمؤسسات الدولة بالإضافة إلى القطاع الخاص.

ولا بد أن يتم هذا كله في جو من الشفافية التي تمنح كل جماعات المجتمع وقواه وأحزابه السياسية فرصة المشاركة الفعالة في عملية التخطيط والتحضير والتنفيذ والتصحيح. وسوف يمكّنهم هذا من تحديد الأخطاء والتبديد والفساد بشكل فوري كما انه يمكّن النظام القضائي والهيئات المشرفة من حساب الأوغاد. ومجرد الإجراءات الجزئية والانتقائية لن تقود يوما إلى الإصلاح.

إن فلسفتنا وممارستنا تعتبر أن :

- ✓ الكائن البشري هدف بذاته.
- ✓ الحرية والكرامة والرفاهية والسعادة هي هدف التطور والتقدم.
- ✓ الوحـــدة الوطنـــية والمصـــلحة العامـــة هي المعيار والمحك لجميع السياسات والممارسات.
- ✓ جمـــيع المواطـــنين متساوون أمام القانون حيث أن عدم المساواة تخلق جماعة تتمتع بالامتيازات وجماعة محرومة من جميع الحقوق وبذلك نبذر بذور التمييز والتفكك وتخفيض العلاقات الاجتماعية إلى مستويات سياسية دنيا.

إن أسس فلسفتنا وممارستنا هي :

- ✓ الممارســـة الصحيحة للسياسة استنادا إلى المصلحة الوطنية والقومية والإنسانية وليس وفقا للمصالح الخاصة.
- ✓ تُعزى الانجازات الوطنية إلى الشعب وليس إلى الأفراد.
- ✓ يـــتم تعـــريف الجماعات الاجتماعية والأحزاب السياسية من حيث الكينونة الوطنية الاجتماعية الكاملة.
- ✓ الشعب هو مصدر كل القوى.

فـــنحن لذلـــك نعتقد أن الإصلاح السياسي هو الطريقة الضرورية والوحيدة للخروج من الحالة الراهنة من الركود والتدهور والطريقة الوحيدة لتخليص الإدارة العامة من سباتها المزمن. ونعتقد علاوة على ذلك أن ما سيلي يجب أن يُنفذ بشكل عاجل حيث انه يشكل المقدمة للإصلاح السياسي:

1 - إلغـــاء حالة الطوارئ المنفذة فعليا حاليا وإلغاء قوانين الأحكام العرفية ومحاكم الطوارئ وكل الإجراءات المماثلة لذلك على الفور ومعالجة كل ما نجم عنها مـــن مظالم على مر السنوات . ولا بد من إطلاق سراح السجناء السياسيين وتصحيح أوضاع أولئك المحرومين من حقوقهم المدنية والعملية وفقا لأحكام صدرت عن محاكم خاصة. ويجب السماح بعودة المنفيين إلى الوطن.

2 - يجب السماح بالحريات السياسية وخصوصا حرية الرأي والتعبير. يجب أن تشرف على الحياة السياسية والمدنية تشريعات ديمقراطية بنشاطات للأحزاب السياسية والجمعيات والمنظمات غير الحكومية وخصوصا الاتحادات التجارية التي عندما تحولت إلى مؤسسات تابعة للدولة فقدت جزئيا أو كليا الأسباب الجوهرية لإقامتها.

3 - إعادة صياغة قانون المنشورات والتأكيد على حرية الصحافة التي ألغيت بسبب حالة الطوارئ.

4 - تفعيل قانون الانتخابات الديمقراطية لتنظيم الانتخابات على جميع المستويات بطريقة تضمن لجميع شرائح المجتمع التمثيل فيها بشكل عادل ويجب أن تخضع العملية الانتخابية لإشراف هيئة قضائية مستقلة فيكون مجلس الشعب الذي يُنتخب بهذه الطريقة الممثل الشرعي الحقيقي كمؤسسة إشرافية ويمثل بحق إرادة الشعب ويكون المرجع السلطوي الأعلى للجميع ورمزا لعضوية الشعب في البلاد ومشاركته الايجابية في تقرير القانون الذي يجب أن يحكم. لا يمكن التعبير عن إجمالية الدولة بشكل أكثر وضوحا من المؤسسة التشريعية واستقلالية واستقامة الهيئات القضائية.

5 - تنطبق استقلالية واستقامة السلطات القضائية والقوانين المطبقة بشكل متساوٍ على الحاكم والمحكوم.

6 - التأكيد على منح جميع المواطنين حقوقهم الاقتصادية الكاملة الوارد معظمها في الدستور .واهم هذه الحقوق التي يضمنها الدستور :

أ – الحصة العادلة من الدخل والثروة الوطنية

ب – التوظيف المناسب والحياة الكريمة

ت – حماية حق الجيل القادم من حصته العادلة من ثروات البلاد والعيش في محيط نظيف.. فان التطور الاقتصادي والاجتماعي يفقد معناه إذا لم يهدف إلى إلغاء الظلم وإضفاء صفة الإنسانية على ظروف العمل والحياة ومواجهة البطالة والفقر.

7 - الإصــرار عــلى أن تمثل الأحزاب المنتمية إلى الجبهة الوطنية التقدمية معظم القوى النابضة بالحياة في المجتمع السوري وان تملا بذاتها الفراغ القائم اليوم في السياســة الســورية وان الــبلاد لا تحتاج إلى أكثر من إنعاش الجبهة الوطنية التقدمــية فهــذا لا يخــدم سوى الإبقاء على مزيد من الركود الاجتماعي والاقتصــادي والشلل السياسي. أن الأمر اللازم الذي لا بد منه هو مراجعة العلاقــة القائمة بين الجبهة الوطنية التقدمية والحكومة وإعادة النظر في مفهوم الحــزب القــائد للمجــتمع والدولة، والنظر بتمعن إلى المفهوم الذي يستثني الشعب من الحياة السياسية.

8 - إلغاء التمييز القانوني ضد المرأة.

انطلاقــا من الرغبة في المشاركة البناءة في عملية تطوير وإصلاح المجتمع ندعو لإقامــة لجــان لإحــياء المجتمع المدني في جميع قطاعات الحياة السورية كاستمرار وتطويــر لمفهــوم أصدقاء المجتمع المدني. ومن منطلق إحساسنا بالمسؤولية الوطنية والاستقلال نأمل من هذه اللجان أن تقوم بدورها في التغلب على السلبية وإضعاف المعــنويات وتمكين سوريا من الانطلاق من حالة الركود التي تضاعف من تراجعنا عــن خطــا الــتطور الــدولي. ومن خلال هذه اللجان نأمل أن نخطو نحو مجتمع ديمقــراطي حر ومستقل يسهم في وضع أسس النهضة التي ستضمن مستقبلا أفضل للأمة العربية.

الملحق الثالث

قرار مجلس الأمن رقم 1559 التابع لهيئة الأمم المتحدة

مأخوذ عن الاجتماع رقم 5028 لمجلس الأمن في 2 أيلول 2004

إن مجلس الأمن

بالعودة إلى جميع قراراته السابقة عن لبنان وعلى وجه الخصوص القرارات 425 / 1978 و 426 / 19 آذار 1978 و 520 / 17 أيلول 1982 و 1553 / 29 تموز 2004، بالإضافة إلى بيانات رئيسه حول الوضع في لبنان وعلى الخصوص بيان 18 حزيران 2000،

يكرر دعمه الشديد لوحدة أراضيه وسيادته واستقلاله السياسي ضمن الحدود المعترف بها دوليا،

وتنويها إلى تصميم لبنان للتأكيد على انسحاب جميع القوات غير اللبنانية من لبنان،

والقلق العميق من تواجد الميليشيات المسلحة في لبنان مما يمنع الحكومة اللبنانية من ممارسة سيادتها الكاملة على الأراضي اللبنانية،

وإعادة التأكيد على أهمية توسيع سيطرة الحكومة اللبنانية على جميع الأراضي اللبنانية،

والانتباه إلى الانتخابات الرئاسية القادمة والأهمية الضمنية لإجراء انتخابات حرة وعادلة وفقا لقواعد الدستور اللبناني المورث دون تدخل أو تأثير أجنبي..

1- يكرر التأكيد على دعوته للاحترام المطلق لسيادة لبنان ووحدة أراضيه ووحدتـــه واستقلاله السياسي تحت قيادة السلطة اللبنانية الحصرية على كل أنحاء لبنان.

2- يدعو جميع القوات الأجنبية المتبقية للانسحاب من لبنان.

3- يدعو إلى تفكيك ونزع سلاح جميع الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية.

4- يدعم توسيع سيطرة الحكومة اللبنانية على جميع الأراضي اللبنانية.

5- يعلن دعمه لإجراء عملية انتخابية عادلة في الانتخابات الرئاسية اللبنانية القادمـــة وان تُـــنفذ وفقا لقواعد الدستور المورث دون تدخل أو تأثير أجنبي.

6- يدعـــو جميع الأطراف المعنية للتعاون الكامل والعاجل مع مجلس الأمن لتنفـــيذ هذا القرار وكل القرارات المتعلقة به بشكل كامل فيما يتعلق برد وحدة أراضي لبنان وسيادته الكاملة واستقلاله السياسي.

7- يطالـــب الأمين العام بتقديم تقرير لمجلس الأمن في غضون ثلاثين يوما يـــبين تنفـــيذ الأطراف المعنية لهذا القرار ويقرر بقاءه على دراية تامة بنقاط الخلاف.

وقائع مؤتمر حول هذا الكتاب[1]

السيد إنديك: صباح الخير، أيها السيدات والسادة. أهلاً وسهلاً بكم إلى موجز السياسي الخاص الذي يقدمه مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط في معهد بروكينغز.

قبل أن أبدأ، أتمنى منكم إغلاق أجهزة الموبايل.

كما قد تدركون، بأن مجموعة من القوات السورية المتبقية في لبنان قد انسحبت بالأمس، وسيتم غداً احتفال رسمي بمغادرة تلك القوات بين الحكومة اللبنانية والممثلين المتبقين للقوات السورية في لبنان.

أستطيع القول حازماً بأن هذا الأمر لم يكن في ذهن الرئيس حافظ الأسد عندما سلّم السلطة إلى ولده الثاني، بشار الأسد، منذ أكثر من أربع سنوات. لقد كان ذلك امتحاناً صعباً بالنسبة للقائد السوري الشاب، لهؤلاء الذي حاولوا التعامل معه أيضاً، من مصلحين محليين إلى رجال دولة ودبلوماسيين. لقد أحبط الكثيرين من الفجوة الموجودة بين توقعات الرئيس الشاب، طبيب العيون المتعلم بالغرب وبين الأداء، الأمر الذي يبدو أحياناً بأداء بريطاني لشاب ينتمي إلى حزب البعث السوري القديم العهد.

ماذا يحدث بالضبط في دمشق؟ هذا هو السؤال الذي لأجله طلبنا من فلينت ليفريت أن يأتي إلى مركز سابان للإجابة عليه، وقد قام بذلك في هذا الكتاب، الذي صدر فقط في هذا الأسبوع. عنوان الكتاب هو "وراثة سورية، اختبار بشار بأزمة متفجرة"، الكتاب متوفر في مكتبتكم اليوم، بما في ذلك المكاتب الموجودة خارج البلاد.

(1) ا النص أضفناه للكتاب نظراً لأهميته للإيضاح ما لم يتم التركيز عليه في سياق الكتاب.

لقــد طلبــنا من فلينت كتابة هذا الكتاب من أجل إجراء بحث مستفيض، وبشــكل خــاص، للاستفادة من صناع السياسة ذوي الخبرة من أجل القيام بهذه المهمــة. يمــتلك فلينت عقوداً من الخبرة في الحكومة الأميركية كمحلل وبعد ذلك كمحلل أعلى في وكالة الاستخبارات المركزية، وبعد ذلك مخطط سياسي في وزارة الخارجية، وأخيراً كمدير أعلى لشؤون الشرق الأدنى في مجلس الأمن القومي خلال فترة إدارة الرئيس بوش الأولى.

لقــد أظهر معرفة وخبرة كبيرتين عندما قبل التحدث للوصول لكيفية تعامل بشار الأسد وحزب البعث الحاكم مع إرث حافظ الأسد.

وهــو ســيتحدث اليوم أولاً حول الكتاب واستنتاجاته الخاصة، وبعد ذلك نتشــرف في استضافة اثنين من كبار الصحفيين، سي هيرش وجيمس بينيت، لفتح النقاش.

ربمــا يكون سي هيرش معروفاً لكم جميعاً على أنه واحد من أهم الصحفيين الأمريكــيين المهمــين إن لم يكن الأهم. وقد بدأت شهرته بالذيوع عام 1969، ويــتذكره العديد منكم، على أنه الرجل الذي كتب أول تحقيق حول مذبحة ماي لاي في جنوب فيتنام. منذ ذلك الحين كان لــه الأسبقية الصحفية من خلال كتابة عــدداً مــن المواضيع الهامة نتيجة لعمله الصحفي المتميز إضافة إلى نشر عدداً من الكتــب. لقــد عمــل لصــحيفة نيويورك تايمز لبعض الوقت في فترة السبعينات والثمانينات. وهو الآن صحفي لمجلة نيويوركر، وهو أول من نشر قصة سجن أبو غريب وكيفية تعامل الجنود الأمريكيين في السجن وفي ذلك الحين قام بنشر كتابه الأخير بعنوان "سلسلة الأوامر، الطريق من 11/9 (الحادي عشر من أيلول) إلى أبو غريب".

جــيمس بينيــت: هو حالياً كاتب لمجلة صنداي التابعة للنيويورك تايمز. وقد عمــل بتميز كبير في منصب رئيس مكتب القدس للنيويورك تايمز من 2001 لغاية 2004، وهو مراقب متمرس لما يجري في الشرق الأوسط.

لذا، فإنه من دواعي سروري أن أطلب من فلينت إعطاءنا نبذة عن الكتاب،

"وراثة سورية". يجب أن أقول بأنني متحيز لهذا العمل وأظن أن قراءته هي أمر ممتع. أنا فخور جداً بتمكننا من دعوتك للمجيء، فلينت، إلى مركز سابان لتقديم عملك. تفضل بالحديث.

السيد ليفريت: شكراً لكم، شكراً لك مارتن، ودعوني أشكر بنفسي سي هيرش وجيمس ينيت لحضورهما اليوم مؤتمر إطلاق هذا الكتاب.

أريد أيضاً أن أشكر لدقيقة شخصين آخرين. في البداية، أود أن أشكر مارتن. إنه في الحقيقة أول شخص أعطاني فكرة كتابة هذا الكتاب، وأكثر من ذلك، أعطاني المصادر المادية والمؤسساتية للبدء في هذا العمل في الوقت الذي كنت أقوم فيه باتخاذ بعض القرارات الشخصية الصعبة للغاية تتعلق بترك الخدمة الحكومية. وسأكون على الدوام ممتناً لمارتن في ذلك.

إذا كان مارتن هو الشخص الذي لم أكن لأستطيع البدء بالعمل بدونه، فإنني أريد أيضاً أن أشكر الشخص الذي بدونه لما استطعت إنهاء العمل، ألا وهو زوجتي، هيلاري. يجب عليك حقاً أن تعيش شخص مع شخص تحبه أثناء قيامك بكتابة كتاب.

ومن دواعي سروري أن يكون لي فرصة إهداء كتاب "وراثة سورية" إلى هيلاري.

أستطيع القول بأنني عندما بدأت بكتابة الكتاب منذ سنتين تقريباً، كان لدي القدرة لأتنبأ بأن شهر نيسان 2005 سيكون الوقت المثالي لطرح الكتاب حول سورية، وأنتم تعرفون، بأن الكتاب كان جاهزاً منذ أربعة أشهر وقد أخبرت معهد بروكينغز بالتريث لأن الوقت لم يكن مناسباً.

قد لا يكون الأمر دقيقاً بالكامل، وأنا لست من الذين يفتخرون بالحظ للوصول إلى نتائج إيجابية. ولكن مهما كان الأمر فقد صدر الكتاب الآن، وأعتقد بأنها حقاً لحظة حاسمة بالنسبة لسورية. إنها لحظة حاسمة بما يتعلق بالتحديات الإستراتيجية التي تواجهها سورية. وهي لحظة حاسمة أيضاً، كما أعتقد، بما يتعلق بالسياسة الأميركية تجاه سورية. أود التحدث حول كل من هاتين النقطتين لبعض الوقت.

في البداية، يبدو لي بأنها لحظة حاسمة من لحظات التحدي الاستراتيجي التي تواجه سورية. وبعد كل المقابلات والمحادثات التي أجريتها، كنت أتساءل دائماً هل بشار الأسد هو الرجل المسؤول في سورية. وعادة ما كنت أجيب بنعم. وغالباً ما كان يلي ذلك نوعاً من التحدي، "حسناً، هل هو الرجل المسؤول بنفس الدرجة التي كان يتمتع بها والده؟ وعادة ما كنت أجيب على هذا السؤال قائلاً، حسناً، بالطبع لا، ولماذا عند هذه المرحلة من انطلاقته كقائد وطني تتوقعون منه أن يتمتع بنفس الصلاحيات التي كان يتمتع بها والده على مدى خمس عشرة سنة تقريباً من توليه سدة الرئاسة؟"

إذا ما نظرتم إلى فترة رئاسة حافظ الأسد، فستجدون بأنه لم يصبح الزعيم الأوحد لسورية و لم يتم التعامل معه على أنه رجلٌ سياسيٌ من الناحية الإقليمية إلا بعد عقد تقريباً على الأقل من توليه الرئاسة وذلك بعد أن مرّ بسلسلة من التحديات. لقد قام بتأسيس النفوذ السوري في لبنان، دافع عن سلطته ضد إسرائيل والولايات المتحدة، أنهى التحدي الذي واجه حكمه من المتشددين السنّة ووضع حداً للتحدي الذي واجه منصبه من قبل شقيقه. وبعد كل ذلك فقط أصبح حافظ الأسد، أسد دمشق، ولكن ليس قبل ذلك.

بالنسبة لبشار، وبعد أقل من خمس سنوات من توليه السلطة، فإنني لا أعتقد بأنه مرّ في مثل تلك التحديات. أعتقد بأنه يمر بإحداها الآن. إن كيفية التعامل مع تلك المشكلة، حسب رأيي، سوف يحدد الكثير بما يتعلق بمستقبله كقائد وطني وبما يتعلق بمستقبل السياسة السورية ووضع سورية الإقليمي. لهذا السبب أقول بأنها لحظة حاسمة مرتبطة بموقف سورية الاستراتيجي.

وأنا أعتقد أيضاً بأنها لحظة حاسمة لبداية السياسة الأميركية تجاه سورية. منذ تركي العمل في الحكومة منذ عامين، كنت دائم الانتقاد لإدارة بوش بسبب عدم اهتمامها بالسياسة السورية خلال الفترة الرئاسية الأولى. وكالإدارات السابقة، كانت لإدارة بوش قائمة طويلة من الاتهامات ضد سورية — دعم الإرهاب، السعي لامتلاك أسلحة دمار شامل، السيطرة على لبنان، ولنقل أيضاً عدم التعاون مع

أهـــداف الولايات المتحدة في العراق، كل هذه الأمور هي ضمن القائمة الأميركية ضد سورية. لقد كان لدينا قائمة طويلة من الاتهامات، ولكن لم يكن لدينا سياسة، وإذا كـــان السياســـة تعـــني المجموعـــة المتكاملة من الأوضاع العامة، المبادرات الدبلوماسية، فإن كافة الإجراءات الأخرى ارتبطت مع إستراتيجية تهدف إلى تغيير السلوك السوري لاعتقادنا بأنه يسبب مشكلات.

الآن، عـــلى الرغم من اعتقادي بأن الإدارة تسير ببطء تجاه سياسة ما، ولكن هذه السياسة بشكل رئيسي هي سياسة تهدف إلى تغيير النظام، ولكن أعتقد أكثر وأكثر، بأن الأشخاص الموجودين في الإدارة يسيرون في ذلك الاتجاه.

أعتقد بأن الإدارة قد قبلت تقيين السياسات السورية، من خلال إجبار سورية عـــلى الخروج من لبنان، بحيث لن يكون هذا النظام لن يكون قادراً على استعادة توازنه بعد العاصفة وسوف يبدأ بالضعف.

الأمـــر الـــذي لفـــت نظري – منذ أسبوعين، ظهرت على شاشة NPR في بـــرنامج يبث على الهواء مباشرة، وفي الحقيقة أود أن أشجعكم على متابعته فاللقاء موجود على موقع مركز سابان على شبكة الانترنت. قبل نهاية المقابلة تلك وعندما كنت أتحدث، قاموا بإظهار ليز ديبل المسؤولة في وزارة الخارجية.

إن لـــيز هي موظفة ذات خبرة، وقد عملت معها عندما كنت في الحكومة. لقـــد عملـــت في مجال الدبلوماسية العامة وخدمت في دمشق. وهي تعرف حتماً الـــنقاط التي نتحدث عنها حول سياسة الولايات المتحدة تجاه سورية. الأمر الذي يلفـــت النظر في ذلك هو أنه، وبعد أن ذكرت تلك القائمة الطويلة من الاتهامات ضـــد السلوك السوري، سألها تيري غروس، "حسناً، هل أنتم عازمون على تغيير السلـــوك الســـوري، أم أنكم تريدون تغيّر النظام السوري؟" في تلك الأثناء كان هـــنالك عدة ثواني من المشاكل في البث المباشر. حيث قام غروس بإعادة السؤال مرتين أو ثلاثة، بدون أن تعطي ليز إجابة.

ومـــنذ ســـتة أشهر، إذا ما طرحت سؤالاً على موظفي وزارة الخارجية، هل تـــريدون تغيير السلوك السوري أم النظام السوري، سيجيبونك بدون تردد بأنهم

يـــريدون تغـــيير السلوك السوري. في الوقت الحالي فإن موظفي وزارة الخارجية، ليســـوا مـــتأكدين فيما إذا كنا نريد تغيير السلوك السوري. أعتقد بأننا نسير تجاه سياســـة تغـــيير موقف النظام السوري. ولهذا السبب، أعتقد بأنها لحظة حاسمة بما يتعلق بسياسة الولايات المتحدة تجاه سورية.

لذلك وعند هذه اللحظة الحاسمة، قمت بإصدار كتاب "وراثة سورية"، بأمل أن يســـاهم في مناقشة السياسة. يمتلك هذا الكتاب – من وجهة نظري – هدفين: في البداية، أردت تقديم وصف تحليلي عملي لبشار الأسد كقائد وطني. الأمر الذي أعتقد بأنه ضروري للغاية.

إذا مـــا ألقيتم نظرة على الكتب الهامة التي كُتبت عن سورية في العشرين سنة الماضية، فإنها ستشمل حتماً السير الذاتية السياسية الخاصة بحافظ الأسد التي كتبها موشي ماعوز وباتريك سيل، ولكن كلا هذين الكتابين صدرا منذ أكثر من خمس عشرة سنة.

كـــان هنالك بعض الكتابات الهامة حول المفاوضات السورية – الإسرائيلية تمت من قبل إيتمار رابينوفيتش، دينيس روس وآخرين. وقد كتب العالم الإسرائيلي إيال زيسر كتاباً جيداً حول العقد الأخير من حكم حافظ الأسد. ولكن لا يوجد شيءٌ حول السياسات السورية وصنع السياسة في ظل بشار. لهذا السبب، اعتقدت بـــأن الوقت قد حان لمحاولة ملء الفراغ، وأعتقد بأن كتاب "وراثة سورية" يقوم بذلك.

الهـــدف الـــثاني للكـــتاب، هي إعطاء صورة تحليلية عملية مطورة وبيان ما تتضـــمنه السياسة الأميركية. كما قد تستنتجون، فإنني لا أؤمن كثيراً بالطريقة التي اعتمدتها إدارة بوش للتعامل مع سورية وتحقيق أهداف السياسة الأميركية تجاهها. إذ أنني أعتقد بأن هنالك طريقة أذكى للتعامل مع تلك الأمور.

لقـــد قلـــت بـــأنني أعتقد أن هنالك حاجة ملحة لتقييم تحليلي أكثر صلابة للسياســـات السورية وصنع السياسة في ظل بشار. إحدى الأمور الذي جذبتني في هـــذه الـــلحظة الحاسمة هي أن هناك بالحقيقة قدراً كبيراً من عدم الحتمية التحليلية

وحتى التشويش بما يتعلق بسورية، مع التركيز على قيادة بشار.

في هـذا الكتاب، أقوم بتحديد ما أعتقد بأنه ثلاثة عوامل هامة تحكم نقاشنا حـول سورية. الأولى هي وصف بشار بالمصلح النظري. كما تعلمون، فإنه قائد شـاب مطّلع على الإنترنت ومتعلم بالغرب يدرك مشاكل سورية العديدة ويرغب في تحسـين الأوضاع والوصول لعلاقة أفضل مع الولايات المتحدة والغرب بشكل عام، ولكنه مقيد بما يطلق عليه الحرس القديم.

الناحـية الثانية التي أشير إليها هي "بشار الابن الوفي". في هذه النقطة، أقدم بشـار على أنه حقاً قوة الاستمرار في النظام، وليس التغيير. وقد نظر إليه على أنه يتـبنى النظام الذي أوجده والده. ويعتبر ذلك بصورة كبيرة جزءاً من المشكلة في سورية، وليس جزءاً من الحل.

والناحية الثالثة هي أن بشار كمبتدئ، أو في عبارة أكثر فظاظة "الأبله"، كما وصـفنه إحدى المجلات. بمقابلة تحت عنوان "الأبله الشرير الذي يدير سورية". في هـذه الصورة، تم تقديم بشار على أنه الشخص العديم الخبرة بشكل كبير، المحضّر بشكل ضعيف، الآخر من يعلم...إلخ، ليتمكن من تحمّل مسؤولياته كقائد وطني.

في حقـيقة الأمـر، أعتقد بأن صورة بشار يجب أن تكون صورة أكثر دقة وتنوعاً. من وجهة نظري، يمتلك بشار دوافع إصلاح حقيقية. إنه يريد بأن تكون الأمور أفضل وبشكل مختلف. ولكن أريد أن أبين بأن دوافعه الإصلاحية هي دوافع ضعيفة. وهو لا يمتلك نظرة متكاملة من اجل تحويل سورية.

يـتحدث الناس عن ثقافته الغربية، ولكن دعونا نلقي نظرة حول ذلك الأمر. لقـد كانت عبارة عن سنة ونيف في لندن والتي نطلق عليها في الولايات المتحدة عليها برنامج إقامة في طب العيون.

الآن، إذا كـان لأي مـنكم أصـدقاء التحقوا بكلية الطب وبعدها خضعوا لـبرنامج التعليم الطبي ما بعد التخرج، فإنكم تعلمون بان طالب السنة الأولى ليس لديه حياته الخاصة. أنتم تعلمون، بأنهم بعد العمل ينامون قدر ما يستطيعون، وهذه هـي حياتهم. لقد أخبرني بشار نفسه، عندما سألته عن خبرته في لندن، أنت تعلم،

"بـأنني كنـت أعرف جيداً الطريق إلى المستشفى حيث اعمل والشقة التي أسكن فيها". إنه يقول، "أنا مازلت لا أعرف لندن جيداً".

نعم، كان لديه بعض الخبرة في الغرب في مجال تكنوقراطي بحت، ولكن دعونا أن لا نسـتطرد في ذلك. لم يكن يدرس للحصول على الدكتوراه في LSE. على الرغم من أن لديه دوافع إصلاحية، فإنه لم يكن لديه من جانبه، رؤية دقيقة وكاملة حـول التحويل في بلده. لقد واجه في الحقيقة قيوداً تتمثل فيما يطلق عليه بالحرس القديم، ولكن أعتقد هنا، أيضاً، أن هنالك أحياناً أمور تتعلق بالعمل نفسه.

عـندما تمكّنت من مقابلته من أجل هذا الكتاب، فقد كانت هذه النقطة من الـنقاط الأساسية التي أردت طرحها عليه، ولكن اعتقدت، بضرورة تسهيل ذلك، بحيث أنتظر قليلاً قبل طرح موضوع الحرس القديم.

ولكـن بـالواقع، خـلال الربع ساعة الأولى من تواجدي معه، قام بطرح الموضـوع، وقلت، "حسناً، السيد الرئيس. لقد طرحت موضوعاً هاماً جداً. ماذا تريد من الأشخاص في الولايات المتحدة، في الغرب أن تفهم حول علاقتك بالحرس القديم"؟ لقد ذكر عدة أمور، ولكن النقطة الأكثر أهمية بالنسبة لي هي عندما قال، يجب أن يعلم الجميع بأن الحرس القديم هو ليس مجرد شخص أو شخصين يشغلان مناصـب قـيادية في أعـلى هـرم السلطة. إن الحرس القديم يعني حرفياً آلاف البيروقراطيين العاديين والمتحجرين – حسب ما جاء على لسانه حرفياً- الموجودين في الـنظام وفي مواقعهـم على مدى السين والعقود وغير الراغبين بعمل أي شيء بشكل مختلف.

إن الحـرس القديم أيضاً القطاع الخاص الذي هو قطاع خاص حقاً والموجود في وضـع غير صحي في بيئة بيروقراطية متجذرة. لقد قال، الآن، انظر إلى الأمر، هذا هو الحرس القديم، وهو عقبة حقيقية في وجه التغيير.

لذلـك فهـو مقيّد، إن تلك القيود ليست فقط شخصين أو ثلاثة أشخاص موجودين في أعلى هرم السلطة. إن الأمر أوسع من ذلك.

يحـاول بشار إيجاد الطرق، حسب وجهة نظري، للعمل حول الحرس القديم،

ســواء كان ذلك الشخصين أو الثلاثة في السلطة أو هؤلاء البيروقراطيين المنتشرين بشــكل كــبير. وقــد وثّقــت في هذا الكتاب كيفية ضبطه لشبكته البديلة من التكنوقراطيين - الأشخاص الحاصلين على درجات علمية غربية متقدمة في مجالات تــتعلق بالاقتصاد، علوم الكومبيوتر، التجارة، والأشخاص الذين يمتلكون خبرة في القطاع الخاص خارج سورية أو مع مؤسسات دولية مثل البنك الدولي. وهو يقوم مــن وقت لآخر بتأسيس شبكة من هؤلاء الأشخاص وتعيينهم في مناصب الصف الثاني من نظام السوري. ونادراً ما يرتقي واحداً منهم ليصل إلى المستوى الوزاري. وأعتقد بأنه يحاول تأسيس هذه الشبكة.

الجزء الأخر من تلك الشبكة – وبما يرتبط مع تأكيد على أن بشار لديه حقاً دوافــع إصــلاحية – هــي زوجته، أسماء. إنني لا أقول ذلك فقط بسبب وجود زوجتي هنا، إنني أعتقد أن زوجة المرء تحدد كثيراً مساره.

إن المرأة التي أختار بشار الزواج بها، واختارها رغم اعتراضات والدته، التي لا تعتــبر بعيدة عن وضعه الثقافي، ابنة طبيب سوري مهاجر، طبيب قلب عالمي من الصــف الأول والــذي يقــوم بعمله في المملكة المتحدة. لقد وُلدت، ترعرعت وتعلمــت بالكامل في بريطانيا، حاصلة على إجازة في علوم الكومبيوتر من جامعة لندن، وخضعت لدورات تدريبية في الاستثمارات البنكية في JP Morgan، عملت في بنك ألماني، وقُبلت لدراسة برنامج MBA في كلية هارفارد التجارية عندما تقدم بشار للزواج منها.

وقــد تتساءلون حول قرارها بالتوقف عن الدراسة في كلية هارفارد التجارية لقبول عرض الزواج. (ضحك..)

الســيد ليفريت: لكنني مهتم أكثر بقرار بشار، الشخص الذي اختاره ليكون بجانــبه يومياً هو الشخص الذي سيكشف لــه المعايير والممارسات العالمية الكاملة في الاقتصاد العالمي للقرن الحادي والعشرين. لقد شدتني هذه العبارة حوله كثيراً.

لذلك فهو يحاول تطوير تلك الشبكة البديلة من التكنوقراطيين، ولكن أعتقد بأنه ما يزال يعاني من بعض حالات العجز الكبيرة. إنه لا يمتلك حوله مجموعة من

التكنوقراطيين ذوي الخبرة العميقة الذي يحتاجها من أجل البدء بمبادرات إصلاح حدية، بشكل خاص تلك المرتبطة بالاقتصاد. هو يعترف بنفسه بذلك، وقد صرّح بذلك أثناء حديثه، قائلاً بأنه عندما حاول القيام بعدة إصلاحات، إصلاح البنكية، إدخال البنوك الخاصة، على سبيل المثال، فإن العملية مضت بشكل بطيء بدون الحاجة لذلك البطء ولقد كانت نتائجها قليلة بسبب عدم امتلاكه الخبرة الذي يحتاجها للقيام بالعمل بصورة منهجية. لذلك فإن ما قام به يعتبر عملاً خاصاً على الرغم من عدم ملاءمته أو كفايته.

لذلك فإنني أعتقد بأن بشار هو قائد وطني، أنتم تعلمون بأن الصورة التي يجب أن تكون أكثر شمولية مما تسمح به النقاط التي تتناولها في نقاشنا. دوافع الإصلاح، التي هي ضعيفة، والتي تمتلك نظرة متكاملة، محاولة تطوير الشبكة البديلة من الاستشاريين والخبراء حوله، ولكن ما يزال يفتقد إلى القدرة التكنوقراطية التي يحتاجها لتحريك الأمور إلى الأمام بالصورة التي أعتقد بأنه يريدها.

إنه مقيّد بالحرس القديم. أعتقد بشكل كبير بأنه غير راغب في مواجهة الحرس القديم. إذ قد يفضل بشكل أساسي العمل من حولهم. وأعتقد بأنه يعرف أيضاً بأن الأمور البيولوجية هي في صالحه. سوف يبلغ هذا السنة عامه الأربعين. كما تعلمون، أعتقد بأنه إذا لم تجر الأحداث السياسية السورية بشكل غير طبيعي، فإن فترة رئاسته ستكون غير محددة. أنا لا أعتقد بأن عليه القلق حول خسارة الانتخابات على المدى القريب.

إنني أعتقد بأن الطريقة التي يرى فيها الإصلاح تتجلى على مدى فترة طويلة جداً من الزمن، عقد أو أكثر. ولكن السؤال الحقيقي هو، على ضوء التحديات الإستراتيجية التي يواجهها، هل لديه حقاً عامل الوقت؟ يعود بنا هذا السؤال إلى نقطة اللحظة الحاسمة.

إنني أعتقد بأن الإدارة تدخل في نطاق تكون فيه مخاطر ما هو قادم مرتفعة جداً. إن خطر النتائج القادمة هي حتماً مرتفعة بالارتباط مع ما يجري في لبنان، ولكن سوف اجعل الآخرين يتحدثون حول هذا الأمر اليوم، ويمكننا العودة إليه

أثناء طرحكم للأسئلة التي ترغبون بها.

ولكنني أعتقد بأن ذلك مرتبط بما قد يحدث في سورية. لقد قلت بأن الإدارة تتجه نحو النظام. أنا لا أعتقد بأننا سنقوم بغزو سورية، فلا تسيئون فهمي. إنني لا أعتقد بأننا نمضي نحو ذلك الهدف. ولكن أعتقد بأن الإدارة تؤمن بإمكانية تغيير النظام مقابل القليل من الجهد. كما قلت، بأن فكرة إخراج سورية من لبنان، ستجعل نظام الأسد غير قادر على استعادة توازنه نتيجة لذلك.

أنا حقاً لا أعتقد بأن هذه هي الحالة. أعتقد بأن هذا النظام هو أكثر مرونة من ذلك.

وأنا أتبنى فعلاً بشكل جاد السيناريو الذي يؤدي إلى أنه حق بعد مضي أربع أشهر، خمسة أشهر، ستة أشهر، فإن بشار الأسد ما يزال قادراً على ضبط السياسة الخارجية اللبنانية بما يتعلق بأمور تهم سورية. إنني أعتقد أنه بإمكان بشار أن يبدو شخصاً أقوى محلياً وإقليمياً. من ناحية أخرى، إذا ما نظر إليه كشخص بدد مصدر استراتيجي هام بالنسبة لسورية، فإن ذلك سينعكس عليه في العائلة.

حتى إذا كنا قادرين على إسقاط نظام الأسد مقابل القليل من الجهد، فإنه ليس من الواضح حقاً لي ما هي مصالح الولايات المتحدة من ذلك. أنتم تعلمون، ما هي عواقب ذلك في مجتمع معقد كالمجتمع السوري؟ وأود أن أبين بأن المجتمع السوري هو مجتمعاً معقداً على الأقل كما المجتمع اللبناني أو العراقي. ما قد يتبع إسقاط نظام الأسد سيكون حتماً الفوضى، وما قد ينجم عن تلك الفوضى قد يكون، حسب وجهة نظري، حركة إسلامية شرسة. وأنا لست متأكداً ما هي المصلحة الأميركية من ذلك السيناريو.

أعتقد بأن هنالك طريقة أفضل لتحقيق أهداف السياسة الأميركية تجاه سورية، وهذا يتم من خلال إستراتيجية ما وصفته على أنه التعهد المشروط. إنها ليست علوماً تتعلق بالصواريخ. إنها مبدأ العصا والجزرة. في الحقبة السابقة، درجنا على تسميتها بالدبلوماسية.(ضحك)

السيد ليفريت: حسب معرفتي بهذه الإدارة فإنها تعتبر الدبلوماسية عملاً يواجه

الكـــثير مـــن التحديات. و لم يحاولوا بكل تأكيد – حسب وجهة نظري – القيام بعمل دبلوماسي إستراتيجي جذري مع سورية.

أعـــتقد بأنـــه بإمكاننا تحقيق تقدماً حقيقاً تجاه أهدافنا مع سورية من خلال سياســـة العصـــا والجـــزرة. أعتقد بأن بشار يريد الوصول لتفاهم إستراتيجي مع الولايات المتحدة.

وأعـــتقد بأنـــه يدرك بأن ذلك هو أمر هام يرتبط بمساعيه الخاصة في إصلاح ســـورية. وأعتقد بأنه شخص متفتح حقاً، بحيث نقوم بمناقشة أمور ترتبط بالمسائل الأكثر أهمية بالنسبة لنا. ولكنه يريد معرفة ما سيحصل عليه مقابل ذلك.

لقد قال لي بوضوح تام حول هذا الموضوع، بأن سورية دولة، وليست جمعية خيريـــة. إذا كان يجب علينا تقديم شيئاً ما، فإنني يجب أن أعرف ما سوف نحصل علـــيه مقـــابل ذلـــك. وهذا ما لم يستطيع طرحه على الإدارة. نحن نقدم طلبات لســـورية، وأنـــا أعتقد، بشكل أو بآخر، بأن هذه الطلبات هي مبررة ومضمونة. ولكنـــنا لا نوضـــح ما تتضمنه من أجل تعاون سورية معنا. بالتالي، فإننا لا نحقق تقدماً كبيراً.

أنـــا أعتقد بأننا في حالة كنا مستعدين بالدخول في محادثات إستراتيجية جادة مـــع بشـــار وتطبيق سياسة العصا والجزرة، فإننا سوف نكون قادرين على تحقيق أهداف سياستنا بصورة تفوق ما نحن عليه الآن.

لذلك، فإنني أشرح ذلك في الكتاب، وإذا لم تشتروا الكتاب، يمكنكم قراءته مـــن مكتبة بروكينغز. إنني أشجع كل شخص لقراءة الكتاب وشكراً على حضور الجميع.

(تصفيق)

السيد إنديك: شكراً لك فلينت.

لقد كان لسي هيرش فرصة التحدث مع بشار الأسد أيضاً.

الســـيد هـــيرش: نعم، لدي مشكلة حول ذلك. في حقيقة الأمر كنت أراه

بشـــكل صحيح في ذلك الوقت، في الوقت الحرج أوائل شباط. إنني ما أزال أعمل على المشكلة التي واجهتها، ويجب عليّ القيام بذلك – كما تعلمون بأنني صحفي محترف، ولكن يوجد لذي بعض الأشياء التي بإمكاني قولها بدون الخوض بكثير من التفاصيل.

بـــادئ ذي بدء، وجدت – بقراءة هذا الكتاب "الذهاب إلى سورية"، قرأت الطـــبعة الأولى مـــنه، ومن خلاله- وحتماً- يمكنكم فهم سبب تواجده في البيت الأبيض (ضحك).

السيد هيرش: إنها نظرة متوازنة ومعقولة بالكامل لما يجب القيام به... ما قاله فلينـــت في نهايـــة حديثه، على أنه راغب في التعامل وراغب بأن يلعب دوراً. إنني دائماً راغباً بقول ذلك – لا يمكنني إخباركم كم كان رجلاً رائعاً. إنه رجل متفتح للغايـــة، ودود، وهـــو شخص ماكر- وأعتقد بأن ذلك حقيقياً. وسيخبركم أي صـــحفي بذلـــك في حالة حلّ ضيفاً عليه، إذ يجب عليك التقليل من العاطفة التي تشعر بها تجاه شخص ما لا لأنه شخص دافئ. هنالك بعض المفارقات الرائعة حول كل ذلك، لنعود إلى الموضوع، فقد كنت دائم الإعجاب بالديمقراطية في لبنان قبل ولادة بشـــار، أنتم تعرفون، فقد تم ذلك - في الخمسينات، وبعضكم بعلم وبعض المسؤولين على إطلاع مباشر على كل ما جرى في ذلك الحين. هنالك عدداً كبيراً جداً من الأحداث التي وقعت. لذا فنحن لسنا أبرياء في كل ما جرى.

ســنعود الآن إلى بعض الأسئلة التي شدتني بما يتعلق بما يجري حالياً، ما يجري الآن عنوانه الحريري. نحن لا نعلم في حقيقة الأمر من قتل الحريري. لدي صديق في الحكومـــة. هنالك بعض الأشخاص الذين أحبوا التحدث معي، لا أعرف السبب، ربما لكي يجعلوني أتعذب. ولكن، قال لي صديق، "لا يهم". لماذا أنت مهتم بحقيقة عدم وجود دليل نظري حول من قتله؟" وليس هنالك دليل. أنا لست معجباً بتقرير الأمـــم المـــتحدة على الإطلاق، تقرير فيتز – هوف. أعني، إذا ما عدتم إلى التقرير ستجدون أنه وبنفس التقرير ذكرت كوسوفو، لقد ذكر فيتزجيرالد إحدى النقاط أيضاً- التي بإمكانكم أن تجدوها بين سطور التقرير. إن التقرير لم يقدم أي شيء.

ومـــوت الحريـــري كان تماماً كرونالد ريغان، أجمل بكثير في موته من حياته. أنتم تعـــلمون، بـــأن الحريـــري كان عبارة عن كمية ضخمة من المال تضخ لشيراك ولأشـــخاص آخرين، كان ممثلاً للسعوديين، وليس بسبب امتلاكه لبعض الأفكار ولـــيس لأنه لاعباً سياسياً في عملية إعادة أعمار لبنان. ولكن مشيئة الله قضت بأن يحصل بموته على ما لم يحصل عليه في حياته.

إن مـــوت الحريري، كما قال لي شخص في الحكومة، الذي قال، هرش هل أنت قلق حول هذا الأمر؟ لا يهم ما هي الحقيقة. إنها – سورية من قامت بذلك. هـــذا مـــا يقولـــه الجميع لي وهذا ما يريد العالم الاعتقاد به بأن سورية من قامت بذلـــك، سواء كان بشار- المسألة الكبيرة هي هل بشار من قام بذلك، هل كان يعلم بهذا الأمر، أو هل تمت من قبل الغزالي وهل هنالك بعض الأشخاص العاملين في المخابـــرات يعملـــون من وراء ظهره في لبنان. إنني لا أعتقد بأن هذا هو المهم. أعتقد بأن السؤال الحقيقي هو أننا يجب أن لا نندفع وراء الحكم على تلك الأمور، وبأنه يجب علينا عدم التسرع بالحكم على أي شخص لنحاكمه كفاسد، باستثناء الأمم المتحدة.

لذلك فإنه- بالنسبة لي سؤالٌ مفتوحٌ. إنني أعتقد أن موت الحريري هو أفضل عمـــل تم لصالح العلاقات الفرنسية – الأميركية. أنتم تعلمون، بأنكم لا تستطيعون الإغفـــال مـــن كافة النقاشات السياسية الخارجية، حقيقة ما يقوله تيب أونيل بأن كافـــة السياسات محلية. إنكم لا تستطيعون مناقشة موضوع الصداقة، بغض النظر عـــن أساســـها، بـــين الحريري وشيراك، وحقد شيراك الآن تجاه بشار، إن شيراك غاضـــب جـــداً في الحقيقة. إنه يعتقد بأن بشار أو الحكومة السورية، سواء كان هـــنالك دلـــيل أم لم يكن، هم المسؤولين مباشرة عن صديقه القديم، المتبرع القديم لــــه، النقطة الثانية هي، على أي حال، والتي ذكرها فلينت في كتابه مرات قليلة وهي غاية في الأهمية.

لقـــد أورد فلينت فكرة أن الحريري كان لديه حياة أخرى. وأعتقد بأن ذلك قد لون سياستنا.

بإيجاز كبير، أنا لا أعتقد بأن هنالك الكثير قد أعطي في سياستنا. إنني أعتقد بدون استغراب، بأن هنالك أشخاصاً عديدين في السياسة الأمريكية –كما قيل لي- يعتبرون بأن بشار كصدام حسين، وهم أشخاص أساسيين في هذا البيت الأبيض. إنه ببساطة الشخص ليس من وجهة النظر الشخصية وإنما الاعتبارية الذي يجب أن يغـــادر منصبه. هل سيحدث ذلك؟ هنالك عدة أمور لم تتم دراستها بدقة. نحن في حقـــيقة الأمر في موقف مدهش حالياً يشهد وضع خطة للعبة- وهي خطة البيت الأبـــيض الأولـــية ترمي إلى إعادة صياغة الشرق الأوسط، والتي أعتقد بأنها مسألة حقيقـــية، كمـــا كانـــت في السابق – وقد ازدادت إمكانية حدوثها بعد موت الحريـــري. ولكن من الواضح أن خطة اللعبة الأساسية تتضمن بشكل رئيسي كلاً من سورية وإيران.

يـــبدو الأمـــر مثيراً أثناء نقله على الهواء مباشرة. بغض النظر عن ما يقولونه لكـــم، بغض النظر عن مدى إيجابية ما يريدون حبكه بخصوص العملية الانتخابية، ومـــع كل ذلك فإننا في ورطة حقيقية في العراق. والمسألة الحقيقية وإحدى النقاط الكبرى بالنسبة لنا هي عدم القدرة على ضبط ما يجري في العراق حتى الآن بدون ضبط إيران – حسب وجهة نظرهم- لذلك فهل نحن متجهون مباشرة نحو إيران؟ ما الذي نقوم به؟

أعتقد بأن سورية حتماً هي في المكان الثاني أو في المنطقة الخلفية من المحرقة بما يتعلق بغرائز السيطرة لدى الحكومة. أعتقد بأنه يجب عليهم معرفة ماذا نفعل بخصوص إيران. طالما ليس هنالك أماناً حقيقياً في العراق، فإنني أعتقد بأنهم يرون الترابط المباشر. جميعكم يعلم ما قاله عبد الله على الملأ في الأردن، وما يقوله السعوديون وحتماً سيقوله المصريين بأن الجميع لا يريد انتشار الإيرانيين –الثورة الإيرانية- في جنوب العراق. لا يريد أي فرد في هذه الحكومة ذلك. لذلك هنالك الكثير من الأمور المرتبطة بهذه المسألة.

هـــل سيصلون لنتيجة اختيار عزل سورية؟ الأمر المثير الذي يتحدثون به إلى الـــناس هو أنه فقط عند التخلص من سورية أو التخلص من هذا النظام يتم عزل

إيـــران أكثر. لقد جعلتم من سورية محاطة بالأعداء. هل يعتقدون بأن ذلك الوضع مستحيل؟ لا، أنا أعتقد بأنهم يظنون بأن النظام سوف يسقط من الداخل. وهذا ما أشـــعر به أثناء التحدث إلى الناس، بأن النظام سوف يتآكل من تلقاء نفسه. أنا لا أعرف مدى الصراحة التي سنقوم بها في هذا العمل.

إن التراجـــيديا مـــن كل ذلك تكمن -كما أورد فلينت- فيما يمكننا تحقيقه بشـــكل يفـــيد في الشرق الأوسط- حيث نستطيع تحقيق الكثير من خلال سياسة العصا والجزرة، إنني أعتقد ذلك حتى فيما يتعلق بحماس والجهاد الدعم لهما.

إنـــه شخص شرقي. إذا لم نتعامل معه وجهاً لوجه أو بشكل مباشر، فإننا لن نســـتطيع تحقيق الكثير. لقد قام بالعديد من الخطوات في الاتجاه الصحيح، ولكن لم تـــتم مكافآتـــه. ولا تنسوا، بأنه خلال كل هذه العملية التي بدأت بتاريخ الحادي عشـــر من أيلول، كانت سورية حليفاً كبيراً جداً، كما يستطيع رجال المخابرات المركزية إخباركم، ففي الأشهر الأولى منها، أي خلال الستة أشهر أو السنة الأولى مـــن حربنا ضد الإرهاب لأن سورية -تاريخياً- كالعراق، لا يستخدم فيها كثيراً مصـــطلح الجهادية، الأخوة الإسلامية، وقد وصلت ملفات حسب ما أعتقد إن لم تكن بالمئات فبآلاف لتقدم مساعدات جليلة عند بدء عملنا لمعرفة ما يجري في ذلك العالم، عالم الإرهاب.

ولكنـــنا قضـــينا على هذه العلاقة حتى أن بشار -كما سأخبركم، قد تجاهل الحماقـــات العديدة التي قام جهاز استخباراتنا أثناء التعامل مع مخابراتهم، وأنا أعني العديـــد مـــن الحماقـــات المخزية. لقد حافظ، وما زال راغباً بالمحافظة على تلك العلاقة. لم يحصل على أي شيء مقابل ذلك. ولقد قدم، يمكنني أن أخبركم مجدداً، معلومـــات محددة حافظت على أرواح الأمريكيين في السنة الأولى من الحرب على الإرهـــاب في أمكنة أخرى من العالم، بما في ذلك الغرب. لقد قدم إلينا معلومات غايـــة بالمصداقية والقيمة وقد تم التعامل معها بتلك الطريقة -إنني أعتقد بأنه كان هنالك انقساماً بين وكالات الاستخبارات وإدارته.

ولكـــن الحقـــيقة كئيبة للغاية لأن لدينا حكومة يديرها أشخاص لا يريد ون

الـــنظر إلى العـــالم الذي وصفه فلينت ليفريت –عالم الفارق، كما قال- والتوازن ومصـــطلح العصا والجزرة. هنالك هدف قصير الأمد هنا أعتقد بأنه ينافي المنطق، ينافي المشاعر وهو السياسة الأميركية.

السيد.......... :إن إحدى النقاط الهامة، وربما نصل إليها في النقاش، هي – في حين- أن بشار- كما أشرت، قد ساعد في الحرب على تنظيم القاعدة، ولكن، من ناحية أخرى، مكن من دعم العصيان الموجود في العراق وفي بعض الحالات تم ذلك بتوجيه من سورية.

الســـيد هـــيرش: مهلاً، هنالك الكثير من الأمور التي قيلت حول ذلك. في الـــتقرير الـــذي قمت بتحضيره مؤخراً، ذكرت عدداً كبيراً من الأشخاص الذين وصـــلوا لمناصب رسمية عليا في الحكومة، وغادرها مؤخراً، وقد أخبروني حول هذا الأمر – أموراً لم أكتبها بعد- تفيد بأن بشار كان في الغالب قوة كابحة.

نعـــم، هـــنالك العديد من البعثيين السابقين يعيشون في سورية، بدون شك. ولكـــنني سأخبرك الآن، بأنهم موجودين في كل أنحاء العالم. إنهم موجودين في كل الشرق الأوسط. هنالك العديد منهم في الأردن، الإمارات. كل تلك الدول تعاني من ذلك. لذلك أنت لست مخطئاً في ذلك، ولكنني أعارض الفكرة العامة التي تفيد بأنه حليف قوي للتمرد الحاصل. أعتقد بأن هنالك الكثير من القيود على ذلك. لا أعرف بماذا تعتقد. ماذا تعتقد جيم؟

(ضحك)

ما نزال بعيدين عن تلك النقطة.

الســـيد بينيت: أنا لست مؤهلاً للتحدث بشكل موسع عن سورية، بالدرجة الـــتي يتمـــتع بها هؤلاء السادة، لذلك فإنني أضع نفسي في وضع البادئ في طرح الأسئلة.

لقد قرأت كتاب فلينت، وأود تهنئته عليه، أود أن أهنئه على الكتاب بحد ذاته وعلى توقيت نشره، لأنها اللحظة التي عندها يثار لدى العديد منا الكثير من الأسئلة

حول سورية، لقد قدم العديد من الإجابات وكل ما يتعلق بالتعقيدات الموجودة في السياسات السورية، كيف ينظر العالم إلى دمشق، وعلاقتنا مع سورية المفقودة على حد كبير، إنني أفكر بذلك الآن أثناء نقاشنا حول هذه الدولة.

لقد فكرت ملياً بدور سورية في المنطقة، على وجه التحديد من منظور الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي، ومن هذا المنطلق سأحاول أن أطرح القليل من الأسئلة وأبدأ النقاش.

فلينت، بما يتعلق بالذي أشرت إليه الآن، أشرت إلى اختبار نجاح أو فشل الرئيس الأسد في إدارة الانسحاب من لبنان استناداً على قدرته على ضبط السياسة الخارجية اللبنانية. هل تستطيع التحدث بمزيد من التفصيل عن أسباب ذلك؟ أين يكمن خوفه أو قلقه الشديد من الانسحاب؟ وما هي الأدوات المتوفرة لديه لمنع ذلك الخوف بأن يصبح حقيقة؟

السيد ليفريت: أعتقد إذا ما نظرت للتاريخ، فإن التحدي الأكبر الذي واجه والد بشار بما يتعلق بالمصالح السورية في لبنان حدث في عام 1982، إذ وفي أعقاب الغزو الإسرائيلي للبنان، قامت إسرائيل، الولايات المتحدة والعديد من الحلفاء الأوروبيين بدعم تشكيل الحكومة اللبنانية التي حضرت لتوقيع اتفاقية سلام منفصلة مع اسرائيل - في الحقيقة، فقد تم توقيع تلك المعاهدة. وقد حصل بعد توقيعها بزوغ حزب الله على أنه القوة الأكثر اهمية وفعالية من الناحية العسكرية في لبنان، وقد قام حزب الله بحملات إرهابية ضد السفارة الأميركية في بيروت، ضد معسكرات المارينز، قتل السفير الفرنسي في لبنان. وعلى إثر ذلك انسحبت قوات الولايات المتحدة من لبنان.انسحبت إسرائيل بعد ذلك إلى ما أطلق عليه الحزام الأمني في جنوب لبنان. وتم إلغاء اتفاقية السلام الإسرائيلية — اللبنانية في عام 1948.

أعتقد بأن ذلك يعتبر أسوأ النتائج من المنظور السوري، التي قد تحصل بعد الانتخابات البرلمانية في لبنان، عند حدوثها، وعندما تصل المعارضة الحالية للحكم، وبسبب وجود بعض الأشخاص في المعارضة اللبنانية. إنني لا أعتقد ذلك ما قد

تمدد به كل أطياف المعارضة، ولكن هنالك أشخاص في لبنان سيقولون أشياءً مثل، حسناً، تعلمون بأن لبنان ليس لديه نزاع مع إسرائيل، يمكننا أن نصنع خط هدنة 1949 وهو الحدود بين إسرائيل ولبنان ونقوم بتوقيع معاهدة سلام معهم غداً.

أعتقد بأن أول ما يريد بشار إبقاءه بعيداً عن الحدوث هو ذلك السيناريو، وهو التأكد من عدم توقيع لبنان لمعاهدة سلام منفصلة مع إسرائيل. أعتقد بأنه سيمتلك تأثيراً يستطيع استخدامه من أجل منع ذلك من الحدوث. أعتقد بأن حزب الله نقطة التأثير الهامة. سيكون هنالك أيضاً لاعبون آخرون موالون لسورية وزمراً في الحياة السياسية اللبنانية. لذلك أعتقد بأن المصالح الأولى والأهم هي خروجه لحماية ذلك.

أعتقد بأن هنالك مجموعة من المصالح الاقتصادية التي سيكون راغباً بالحفاظ عليها، وأعتقد لدرجة ما بأن قوى السوق سوف تساعده للقيام بذلك. إن العديد من التقارير والتحليلات الأخيرة، تشير إلى العلاقة الاقتصادية السورية — اللبنانية هي علاقة من طرف واحد تهدف إلى تلبية المصالح السورية بالكامل. أعتقد بأن حقيقة هذا الأمر هي أكثر تعقيداً من ذلك. هنالك عدة طرق استفاد من خلالها أشخاص مهمون في لبنان من تلك العلاقة، ولا أعني أن ذلك تم بشكل كامل من خلال الفساد أو أنواع من العلاقات المحظورة.

إن سورية هي سوق التصدير الأكثر أهمية بالنسبة للبنان. وإذا ما أرادت لبنان تصدير منتجاتها إلى السوق العربية الأوسع، فإن ذلك يتم عبر الأراضي السورية. لذلك فإنني أعتقد بإنه سيكون هنالك طرقٌ يكون من خلالها بشار — كما قلت، قادراً على وضع قيود خارجية على النواحي الأكثر أهمية في السياسة اللبنانية وإبقاء النواحي الأكثر أهمية من العلاقة الاقتصادية مستمرة.

السيد ليفريت: هل تعتقد — أريد أن أسمع كل منكما في هذا السؤال، لقد تحدثت عن بعض الحلول التي تمتلكها الإدارة هنا، ولكنني مازلت غير متأكد من الآلية المحكمة التي يجب القيام بها. هل تعتقد بأنهم يفكرون جدياً في دفع الحكومة اللبنانية الجديدة باتجاه توقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل أو إغلاق الحدود، من الناحية

الاقتصادية، مع سورية من أجل إزالة النظام؟ كيف يمكنهم تحقق ذلك؟

السيد ليفريت: حسناً، إن المنطق السببي غير واضح لي، لسبب أنني لا أعتقد بأنها الطريقة الذكية التي نقوم بها بتحديد خطتنا السياسية. أعتقد بأنكم تستطيعون الإشارة إلى أن هنالك آليتين في طريقة تعامل هؤلاء الأشخاص في الإدارة الراغبين في الوصـــول لحل لنظام الأسد، الأمر الذي قد بدءوا بالعمل عليه. إحدى النقاط المطـــروحة هي أن سورية فقدت مركزها في لبنان، إذا، على سبيل المثال، توجب عـــلى مـــئات الألـــوف من العمال السوريين العاملين في لبنان العودة، فإن ذلك سيشكل ضغطاً على الاقتصاد السوري الذي يعاني أصلاً، سوف يزيد من السخط الشـــعبي، وقـــد نصل إلى ثورة شعبية. أعتقد بأن ذلك قد يكون الآلية السببية التي يتطلعون إليها.

أعـــتقد بـــأن الآلية السببية الأخرى التي قد يأخذوها بعين الاعتبار هي فكرة اعتـــبار بشـــار من قبل هؤلاء الذين من حوله في السلطة على أنه المبدد للمصالح الســـورية في لبنان، سوف يبدأ هؤلاء الأشخاص بالتساؤل إذا ما كان بشار حقاً رهانهم الأفضل، سيكون هنالك زمر في السلطة كل منها تنافس الأخرى، وعلى مرّ الوقـــت سيكون النظام غير قادر على الحفاظ على تماسكه. أنا لا أعتقد بأن كلا هذين الأمرين محتملين.

الســـيد هـــيرش: أنـــا مهـــتم فقط في نقطتين، إن كل ما حصل عليها من الأشخاص الذي يسافرون إلى دمشق ومن خلال تصوراتي الشخصية، والتي لا تفيد هنا، وهي أن بشار يمتلك شعبية. حسب ما يراه الكثير من الأشخاص؟

الســـيد هيرش: في سورية، في الشوارع، لدى الأشخاص. إنك لا ترى دليلاً قوياً– إنه لا يمتلك شعبية كبيرة بين الحرس القديم، لدى بعض الأشخاص الكبار في الســـن، الأثرياء الذين يمتلكون سيارات المرسيدس والبي إم دبليو. إنهم لا يعتبرونه ذلـــك الـــرجل القوي، على الأقل أعرف بعضاً من هؤلاء. بعضهم يتحدث حوله على أنه الشخص الذي فترة رئاسته ستكون قصيرة. ولكن بالنسبة للشارع فأنا لا أعرف مدى شعبيته.

أنا أيضاً أعتقد بأن هنالك نقاطاً أساسية عديدة تجعلنا نعتقد بأنه مطلوب منه جدياً التفاوض مع إسرائيل من أجل مرتفعات الجولان، مطلوب منه تجديد تلك المحادثات، وقد قال نفس الأمر الذي ذكرته في واشنطن. قبل أن أتحدث معه، قيل لي في واشنطن بأن البيت الأبيض كان نشطاً للغاية من اجل إخبار شارون- الأمر الذي يصعب القيام به، من اجل عدم المشاركة في هذه المحادثات. أنا لا أعرف إذا ما سمعتم ذلك. لذلك فقد جاء الضغط ضد المشاركة في المحادثات من واشنطن، سواءً أرادت إسرائيل ذلك أم لا. كان وجهة نظر واشنطن – بأن الوقت غير مناسب بسبب تزامنه مع غزو العراق أو الحرب على العراق. هل هذا صحيح؟ هذا فهمي للموضوع. وهذا فهمه أيضاً. لقد قال نفس الشيء أيضاً.

السيد ليفريت: إنها مسألة هامة جداً. أعتقد بأن وضع بشار بما يتعلق باستئناف مفاوضات السلام قد واجه تطورات أثناء فترة رئاسته، وأحاول أن أبين هذا التطور في الكتاب. ولكن أعتقد بأنك على حق. بشكل أساسي ابتداء من حرب العراق، أو بفترة قصيرة بعد ذلك، كان بشار يصرح بشكل ثابت، بشكل منتظم بأنه يريد استئناف مفاوضات السلام مع اسرائيل. وقد شكل ذلك نقاشاً حاداً في مؤسسة الأمن الوطني الإسرائيلي. وضابط الاستخبارات الأول في الدولة، ورئيس الأركان السابق لجيش الدفاع الإسرائيلي، فهم طرحوا بأن هذه المسألة هي مسألة جادة، وبأن بشاراً مستعد حقاً لتوقيع اتفاقية مع إسرائيل. أعتقد بأن الاتفاقية التي تتم تحت الظروف الصحيحة حسب منظور بشار، وحقيقة استعداده للوصول إلى اتفاق، وتوجب السعي وراء ذلك، كله سيصب في مصلحة إسرائيل في حالة وُقعت اتفاقية السلام.

من ناحية أخرى، هنالك أشخاص ضمن مؤسسة الأمن الوطني في إسرائيل غير متأكدين بأن بشار يرغب حقاً بالوصول إلى اتفاق. بشكل عام. هنالك أيضاً أشخاص يطرحون أيضاً بأنه وأثناء حقبة التسعينات لم يكن حافظ الأسد راغباً حقاً في الوصول إلى اتفاقية سلام، وبأن المسار السوري كان من وجهة النظر السورية عبارة عن لعبة.

إنني أعتقد بأن حافظ الأسد أراد الوصول لاتفاقية سلام في التسعينات. أعتقد بـأن بشار سوف، وتحت الظروف الصحيحة، يصل إلى اتفاقية سلام الآن. ولكن الأمر هو عبارة عن موضوع قابل للحوار لأنني أعتقد بأن شارون، يتطلع إلى ما قد يحصـل إليه، لا يريد مواجهة الجهات السياسية الداخلية للتفاوض حول السلام مع سورية بوقت يقوم به بمواجهة مشكلات محلية تتعلق بتطبيق خطة الفصل من قطاع غزة.

وأعـتقد بأنك على حق، لأن هنالك أشخاصاً جادين في الحكومة الإسرائيلية أيـدوا استئناف مفاوضات السلام مع سورية، ولقد أخبرتهم الإدارة بأن لا يقوموا بذلك الآن، وهذا دليل على أن شارون يريد ذلك.

السـيد هيرش: ولكن دعوني أقول، أراهن على أن السؤال الذي يريد مارتن طرحه هو ماذا عن حزب الله؟ ماذا عن دعم حزب الله؟ ماذا عن دعم حماس؟ ماذا عـن دعم الجهاد الإسلامي؟ هل هنالك الكثير ليتم، هل كان هنالك فرصة لجعل بشار حقيقة يقوم بشيء ما حول تلك المواضيع؟

لقـد قال لي، لماذا تطلب مني أن أقوم بأشياء عامة لا أستطيع القيام بها؟ أنت تعـرف مـا اقول؟ إنها الشرقية؟ لماذا كلا الطرفين يتحدثون، كما تعلم، بطريقة مسلية؟ بعبارة أخرى، نحن نريد منه القيام بشيء ما لا يستطيع القيام به، ويريد منا مـا لا نسـتطيع القيام به، أو بالصورة التي لا تستطيع الإدارة القيام بها على الأقل كما تعلمون.

ولكن هل تعتقدون بأن هنالك فرصة يمكننا الوصول إليها- وهي قبل قطاع غزة. لقد بدأت تلك المحادثات قبل سنتين تقريباً من الوصول إلى مفاوضات جدية حول قطاع غزة. وقد كان هنالك وقت أصبح بعده إيليوت أبرامز الرجل المسؤول وتم إخـبار الإسـرائيلين بعـدم الـتقدم للأمام. أنا لا أعلم إذا كان هذا فهمك للموضوع، مارتن. ولكن على أي حال-

السيد إنديك: دعونا نقول بعدم وجود تحمس في البيت الأبيض للمضي قدماً في هذا التحدي.

السيد هيرش: هل كان باستطاعتهم الوصول لاتفاق معه؟ هل بإمكانهم الوصول لتخفيض حالة الدعم؟ أنت تعلم، أن المسألة الكبيرة ستكون حزب الله في السنة القادمة.

السيد ليفريت: أعتقد بأننا جميعنا بعلم، إذا كانت اتفاقية السلام ستحدث بين إسرائيل وسورية، فأية اتفاقية ستتم. سيصل بشار إلى ما قد يصفه بالانسحاب الإسرائيلي من الجولان. إنه مستعد بشكل كامل للتحدث حول الترتيبات الأمنية، مناطق قوى معزولة منزوعة السلاح المحدودة، الإشراف من قبل طرف ثالث، وأمور أخرى كتلك، من أجل ضمان –حسب المنظور الإسرائيلي- بأن الجولان لن يتم عسكرته مجدداً.

أعتقد بأنه مستعد لتلبية الشروط الإسرائيلية حول تطبيع العلاقات، وأعتقد بأن بشار يتفهم بأنه، وكجزء من الاتفاقية فإن دعم مجموعات كحماس والجهاد الاسلامي يجب أن يتوقف. وأعتقد بأنه يتفهم أيضاً بأن عملية نزع سلاح حزب الله في لبنان ستكون جزءاً من الاتفاقية.

هل يستطيع أن يقوم بذلك بمجرد الإشارة بيديه؟

السيد ليفريت: لا أريد استعمال تعبير الإشارة بيديه، ولكن كجزء من التسوية النهائية التي تدخل فيها كل من سورية ولبنان في اتفاقية سلام مع إسرائيل، فإنني أعتقد بأنه سيكون من المفهوم بأن القوات المسلحة اللبنانية ستقوم بنزع سلاح حزب الله، على الأقل قبل انسحاب القوات السورية من لبنان، تملأ القوات السورية الفراغ التي يجب على القوات المسلحة اللبنانية أن تتركه في سبيل المضي إلى الجنوب والاهتمام بمسألة سلاح حزب الله.

السيد: هل أنت تحلم؟..

السيد: انظر، هنالك مشكلة كبيرة. أنت تعلم، بأن كل منا كان له فرصة التحدث مع الرئيس الأسد، وأعتقد بأننا وصلنا إلى نفس النتيجة، رجل لطيف، يتحدث بشكل جيد حول الإصلاح وعملية السلام مع إسرائيل، ولكن عندما تغادر الغرفة وتنظر لما جرى، يبدو لك عدم قدرته على متابعة الأمر.

بالنسبة لتجربتي معه، لقد فسر الأمر بشكل صريح للغاية، بنفس الطريقة التي قام بها معك وذلك بما يتعلق بشرح مشاكله وكان واضحاً جداً -حسب منظوره، ممتلكاً إستراتيجية ذكية نوعاً ما، بما يتعلق بالسلام مع إسرائيل والتعاون مع الولايات المتحدة بخصوص العراق، وادعائه، الغير المصرح به، بأننا تركناه وحيداً في لبنان.

ولكنه لم يتابع في تفاصيل السلام مع إسرائيل حيث أن مجرد القول لا يكفي، حسناً، كما تعلمون، لم يرد شارون ولا بوش. هنالك الكثير من الأمور يستطيع القيام بها في حالة كان جاداً بخصوص السلام. أعتقد بأنه كان جاداً، ولكن هنالك نقصاً في عملية المتابعة التفصيلية. إذا كان جاداً بخصوص إيقاف دعم المنظمات الإرهابية التي تدخل وتخرج للعراق من و إلى سورية، سيستطيع القيام بالمزيد حول ذلك.

لذلك فإنها ليست الحالة التي أشرت إليها في تحليلك حول قدراته الإصلاحية، المتعلقة بالقيود، فهي تنطبق أيضاً على سياسته الخارجية، وعندما تقول بأنه شاب ظريف يريد القيام بالعمل الصحيح ولكنه غير قادر على ذلك.

السيد ليفريت: حسناً، أعتقد بأن هنالك سؤالاً هاماً، تحديداً بما يتعلق بسياسته الخارجية. نعود إلى النقطة التي أوردتها حول كيف أنه، إذا ما كان سيعطي شيئاً ما، فإنه يريد أن يعرف ما هو المقابل.

سئل حول ما يقوم به بخصوص التمرد الحاصل بالعراق. انظر، أعتقد بأنه من الواضح بالحد الأدنى أن سورية لا تقوم بكل شيء تستطيعه من أجل كبح جماح تدفق الأسلحة، الأشخاص، المال...إلخ، من سورية لدعم المتمردين بالعراق.

حسناً، تقوم سورية دورياً ببعض الإجراءات التي تشير بأنها قد تقدم مساعدة. أنتم تعلمون، بأنها تؤثر على موقف بعض أشخاص النظام السابق الهامين. إنها تتعاون معنا حول بعض الأمور التي تتعلق بمشاكل التمويل. أنتم تعلمون، بأن هنالك عدداً من الأمور التي يقوم بها دورياً من أجل إظهار "بأنه يستطيع المساعدة". ولكنه ما يزال ينتظر ليعرف منا فيما إذا كان بإمكانه تقديم المساعدة في

نقطـــة من النقاط، إذا ما أعطيت –على سبيل المثال- هذه البطاقة التي لدي، فماذا ســـتقدم لي بالمقـــابل؟ إنما بشكل خاص أشكال من عدم التوافق الدبلوماسي لأنه ينـــتظر سمـــاع الإجابـــة قبل التزامه بالموضوع، ماذا تريد أن تحصل بالمقابل؟ وهو يـــتعامل مع الإدارة الأميركية التي قررت أساساً المبدأ ونقطة السياسة التي لن تجيب على سؤاله حول مقابل التعاون.

وبالـــتالي، فإنـــنا في موقف يشير إلى أنه سيكون مستعداً للتحرك في مجالات معينة، ولكن في المقابل ليس هنالك تحركٌ حقيقيٌ لأن السياق الدبلوماسي –حسب وجهة نظري- لم يحدد.

السيد إنديك: حسناً، دعونا ننتقل إلى الأسئلة. الرجاء التعريف عن أنفسكم وطرح الأسئلة. الرجاء انتظار الميكرفون. هل يوجد ميكرفون؟

السيد ليفريت: أوه، ارفع صوتك، تيد.

الســـيد..........: في البداية، دعوني أحيي السيد ليفريت على هذا الكتاب الرائع، وأرحب بالنقد البناء والأسئلة الإيجابية من المشتركين في المناظرة.

يبدو لي بوجود علاقة رمزية بين الرئيس بشار الأسد والحرس القديم، لا أدري إذا كنـــت توافقني على ذلك. ولكن بشكل أساسي، إضافة إلى حمله لأسم الأسد وكونه قد اختير لوراثة الرئاسة من والده، سواء كان ذلك مقبولاً أم لا، فإن بشار، كمـــا لاحظـــتم، تزوج من زوجة تتميز بصفاتها الشخصية، وكما نعلم جميعنا إنه الشـــخص الـــذي يمكنه الذهاب إلى العواصم الأوروبية حيث يتم استقباله بشكل جـــيد. يمكنه الذهاب لروما. يمكنه الذهاب إلى لندن، باريس، برلين ويتم استقباله بصـــورة لائقة في كل تلك العواصم، وحتى يمكنه تعلم بعض العلاقات العامة عند تواجده هناك.

ولكـــن حـــتى الآن يـــبدو بأن الإدارة تريد، كما أشار هيرش، تحميله جريمة الحريـــري والـــتعامل معه كما تعاملت مع عرفات. بما أنه لا يعرف عنه أنه شاب صعب، في الوقت الذي يكون فيه حاجة إلى الحفاظ على ذلك إذا كنتم قلقين بأن الولايـــات المتحدة تتجه نحو اتجاه ومعين والذي تستطيعون التكهن بمدى نجاحها،

السؤال هو: هل ستبدأ عناصر الحرس القديم بالنظر إلى بشار على أنه يستنفذ الفوائد التي لديه تجاههم وفي حالة لم يعد قادراً على ذلك —وإذا ما استطاعت الإدارة أن تجعل أوروبا تلتف حولها بما يتعلق بعزل بشار؟ أعني، بأن الرئيس التركي قد خرق الصفوف مؤخراً، ولكنه الرئيس الوحيد الذي فعلها على حد علمي. وعندها كيف سوف تجري الأمور داخلياً في سورية؟

السيد ليفريت: إنه سؤال جيد جداً. سوف أرد عليه. أريد أن أقول فقط بأنني لست متأكداً بقبولي الكامل لما تضمنه السؤال حيث أنني أعتقد بأن الوحدة الحالية بين الولايات المتحدة والحلفاء الأوروبيين الرئيسيين حول هذا الموضوع قد تنخفض بشكل كبير في الأسابيع القادمة. دعونا نفترض، كما تعلمون بأن القوات السورية ستغادر بالغد. دعونا نفترض بأننا في الأسابيع القليلة القادمة سنشهد الانتخابات البرلمانية اللبنانية. هل سيحتفظ حزب الله بسلاحه...إلخ. وأعتقد باحتمال عودة تباعد الولايات المتحدة وأوروبا. لذلك فأنا لست متأكداً بأن التواجد الحالي سيستمر لمدة طويلة.

ولكن، دعوني أجيب على صلب السؤال. إذا كان بشار يعتبر بأنه غير قادر على تحقيق موقف أفضل لسورية في أوروبا على الأقل، إن لم يكن بالنسبة للولايات المتحدة، هل سيعتبر أقل فائدة من وجهة نظر الحرس القديم؟ هذا ممكن، ولكن سيبقى هنالك تساؤلات حول هذه النقطة، مفترضين بأنهم سيبدؤون التساؤل حول قيمة بشار بالنسبة لهم، فيما يتعلق بتوجب حصولهم على بديل. من وجهة نظري بأنهم لا يملكون حقيقة البديل يقترحه بديلاً عن بشار.

إنني أعتقد حتماً بأن بإمكان أي من الأشخاص من الذين كانوا يشغلون مناصب عليا في عهد والد بشار التحرك ولعب ذلك الدور. إذا كنت تبحث عن الأشخاص من الجيل الجديد، فإنني أعتقد بأنه يجب عليك النظر ضمن عائلة الأسد. وتكون بذلك ما تزال ضمن نظام الأسد، ربما فقط أسد مختلف. وبهذا السياق، فإنني أعتقد بأن الاحتمالين هما على الأرجح، أولاً صهر بشار، زوج شقيقته، آصف شوكت، الذي يشغل الآن منصب رئيس الاستخبارات العسكرية.

الاحتمال الأخر الذي يشيرون إليه الناس هو شقيق بشار الأصغر، ماهر الأسد.

أعـــني، بأن الناس تتحدث حولهم كبدائل ممكنة لبشار، ولكنني لا أعلم عن وجود أي دليل لدينا يشير إلى رغبتهم بالقيام بذلك. في الماضي، كان هناك سابقة في هذا الخصوص، لقد تم تحدي حافظ الأسد، بشكل كبير من قبل شقيقه، رفعت. لقد تم تحديه بوقت كان يعاني فيه من ضعف شخصي حقيقي وذلك عندما تعرض حافظ الأسد لنوبة قلبية، لقد كان ممدداً في الفراش، وبهذه الأثناء قام شقيقه رفعت بتهديد موقعه.

أعتقد بأن بشار يتم تحديه حتماً الآن، ولكنه تحدٍ إستراتيجي، ولا أعتقد بأنه تحـــد شخصي. عليه فإننا نستطيع أن نحدد تلك النقاط على أنها احتمالات. إذا ما بـــدأ الحرس القديم بالبحث حوله عن بديل، فإنه قد يبحث ضمن العائلة نفسها. ولكنني لا أعتقد بأننا نملك أي دليل حالياً على أن إما ماهر أو آصف يميلان للقيام بمثل هذا العمل.

السيد إنديك: هناك في الوسط لو سمحتم.

السيد: اسمي تمام البرازي، وأنا صحفي عربي – سوري الجنسية، وقد كتبت عـــن سورية منذ الـــ 28 سنة الماضية. إن السؤال الأساسي الذي ارغب بطرحه علـــيكم، الســـيد ليفريت، إنهم في سورية لا يعتقدون، كما تعلمون، بأن تحويل الجمهوريـــة إلى ملكـــية يمكـــن أن يتم بدون موافقة السلطة. أعني، بأن النموذج الكـــوري الشـــمالي لا يمكن تكراره مجدداً، وهنالك الآن ليبيا، اليمن.... القائمة طويلة. بمكنكم عد كم دولة عربية تنتظر هذا النموذج.

إذا كنت الآن تبشرون بقيام ذلك، كما تعلمون فإن العلاقة المشروطة، الذي يطلق عليها الأكاديميين العرب مصطلح "جمهوملكي" أي الجمهورية/الملكية. وهذا كمـــا تعـــلمون يعطـــي الضـــوء الأخضر للدكتاتوريين والأنظمة السلطوية التي باســـتطاعتها حقـــاً تحويل الجمهورية إلى ملكية والحصول على مباركة الولايات المتحدة بحيث يكون هنالك علاقات خاصة معها.

الســـيد ليفريت: عندما طرحت ما يتعلق بإستراتيجية العلاقة الشرطية، فإنني

أحـــاول أن أوضـــح في فصل السياسة اعتقادي بأن هذا أيضاً الطريقة الأفضل من أجـــل محاولـــة تشجيع التحريرية والانفتاح الأكبر في سورية، لأنه بالنسبة لي، فإن العلاقة المشروطة قد يقد لها بعدين. قد تتضمن سياسة العصا والجزرة الإستراتيجية مـــع النظام. ولكن قد تستلزم أيضاً ارتباطاً مباشراً أكبر مع المجتمع السوري المدني بشكل يفوق ما نقوم به الآن.

وأعتقد بأنها إحدى الطرق التي في حالة إدخال بشار فيها فإنك تستطيع حقاً دفعه للسعي وراء الإصلاح الداخلي بصورة أسرع مما ستكون عليه في حالة غياب تلـــك العلاقـــة. أنـــا لا أعتقد بأن ذلك يعتبر، كما تعلمون، وصولاً لاتفاق مع دكـــتاتور والســـماح لـــه البقاء في منصبه كدكتاتور.أعتقد بأنها بصورة أساسية ارتـــباطاً تكون فيها مصالح الولايات المتحدة الإستراتيجية محققة أو مقبولة، ولكن بنفس الوقت يتم خلق آليات عمل تتجه بصورة أكبر نحو الإصلاح والتحرر داخل سورية. أنا لا أعتقد بأن ذلك يحتمل الافتراض.

السيد إنديك: لقد سمعنا سؤالاً من صحفي سوري. سوف نستمع لسؤال من جورج، الصحفي اللبناني.

السيد : أنا في الحقيقة فلسطيني.

السيد إنديك: فلسطيني. هل ما زلت راغباً بطرح سؤال؟

الســـيد: نعـــم. سؤالي هو، أنا أتساءل فيما كنت ستقدم لنا سيناريو القرار الســـوري بالانسحاب من لبنان؟ من اتخذ القرار —الرئيس، أم الحرس القديم؟ هل اتفقا حول هذه النقطة؟ ولكن، بالحقيقة، فإن سؤالي الأساسي هو: من الذي يقوم في الإدارة بدفع الحكومة الأميركية لهذه السياسة القصيرة النظر تجاه سورية؟ هل هم المحافظين الجدد؟ إنه مصطلح جميل يستخدمه الجميع.

السيد ليفريت: دعني أجيب عن السؤال الثاني أولاً، آلية عمل الإدارة. أعتقد بـــأن هنالك دفعاً من الداخل والخارج للإدارة. الدفع الداخلي يأتي من– إذا كنت تـــريد الإشارة إليهم بشكل عام على أنهم المحافظين الجدد، فهذا حسن. أنا لا أقاوم اللغـــة. أعتقد بأنك تتحدث عن المدنيين في مكتب وزير الدفاع، الأشخاص حول

نائب الرئيس، تشيني، الذين يؤمنون حقاً منذ بداية الفترة الرئاسية بأن التواجد السوري تم بشكل طوعي من قبل سورية، وبأن النفوذ السوري في لبنان هام جداً لنظام الأسد، وبأنك إذا أردت الضغط على هذا المسار، فإن ذلك سيعطيك أفضلية هامة على النظام السوري.

أنا أعرف من خلال التجربة الشخصية بأن الوزير رامسفيلد يعتقد بذلك بشكل كبير. إنه يعتقد بشكل أساسي بذلك منذ كان مبعوثاً للرئيس رونالد ريغان إلى الشرق الأوسط شاهداً على انهيار أول سياسة لإدارة الرئيس ريغان وانسحاب القوات الأميركية في لبنان. أنتم تعلمون، بالضبط لماذا لم يكن ذلك الدرس الذي تعلمه من تلك التجربة واضحاً جداً بالنسبة لي، ولكن كان درساً كبيراً تعلمه عندما كان مبعوث ريغان للشرق الأوسط.

لذلك فإنني أعتقد بأن هنالك مجموعة من الأشخاص في الإدارة الذي قاموا منذ البداية بالضغط على المسار اللبناني طريق للضغط على سورية. لقد طرحوا هذه الفكرة لوقت طويل، ولكنهم نجحوا بذلك حسب اعتقادي عن طريق الصدفة، أعتقد بأنه صدفة، حيث كانوا قادرين بشكل أساسي على التوافق مع المصدر الخارجي للضغط، وهذا نوع من أنواع المفارقات، على وجه التحديد عندما تنظر إلى مجموعة الأشخاص الموجودين في الإدارة، ضمن الإدارة الذين يطرحون هذا الأمر، فإنك تجد بأن دعمهم الأكبر من خارج الإدارة قد جاء من الرئيس الفرنسي شيراك.

لقد كان للرئيس شيراك علاقة وارتباطاً طويلاً ووثيقاً مع رئيس الوزراء الحريري، الكثير من الأشخاص في فرنسا سيقولون لك بأن الحريري كان الدعم المالي الكبير لعمل شيراك السياسي. وعندما بدأ بشار الأسد يقاوم بعضاً من مبادرات الحريري السياسية في لبنان بعد عودة الحريري لرئاسة الوزراء، وذلك في صيف عام 2004، فقد كان شيراك راغباً في توجيه السياسة الفرنسية بحيث تشكل ضغطاً علي سورية في لبنان. وقد كانت هذه العلاقة المتبادلة بين الإدارة والسياسة الفرنسية سبباً في إصدار قرار مجلس الأمن 1559 في صيف عام 2004.

الآن، لقد اعتقدت في الحقيقة بأن القرار 1559 كانت فكرة جيدة لأنه أعطانا بعض الأفضلية الحقيقية على سورية بما يتعلق بأمر تعتبره القيادة السورية أمراً هاماً. إن اعتراضي على الطريقة التي استخدمنا بها القرار 1559، بشكل خاص منذ اغتيال رئيس الوزراء الحريري، يكمن في أننا استخدمناه ليس كمصدر للوصول إلى أفضلية تهدف إلى تغيير طريقة العمل السورية بأمور تهم فعلاً المصالح الأميركية، مثل التمرد في العراق، كدعم المجموعات الإرهابية الفلسطينية التي تعادي إسرائيل، وإنما استخدمناه بشكل أساسي من أجل إخراج القوات السورية من لبنان، وقد أصبح نهاية مطاف سياستنا تجاه سورية. وأعتقد بأنه منهجٌ واضحٌ للغاية.

السيد إنديك: حسناً، هناك لو سمحتم.

السيد ليفريت: أوه، انسحاب القوات، أنا أسف. كل الدلائل تشير بأن الرئيس الأسد اتخذ القرار في هذا الخصوص.

السيد: دعوني أقول شيئاً واحداً فقط. في نفس الأسبوع، وعلى الرغم من التحذيرات التي تلقاها من الوزير باول، فقد أعلن بن علي نفسه رئيساً مدى الحياة في تونس. لم يبدو أننا تضايقنا من ذلك.

(ضحك)

السيد إنديك: الرجاء عرّف عن نفسك.

السيد شتاينبرغ: جيف شتاينبرغ من مجلة EIR. إن الحادثة الثانية التي أعتقد بأنها هامة تزامناً مع إطلاق كتابك هي الجدل الحاصل حول تعيين جون بولتون في مجلس الأمن. وإحدى الأمور التي أتذكرها هي الجدل الذي تم منذ حوالي عام ونصف بين المخابرات المركزية الأميركية وبولتون حول آليات تقييم المعلومات الاستخباراتية. هل نحن نواجه نفس المسألة حول سورية بشكل مشابه للعراق بما يتعلق بالمعلومات الاستخباراتية، وكيف يمكن أن تستخدم؟

السيد ليفريت: قد يكون الأمر كذلك. أمل بأن يتعلم الأشخاص من بعض الدروس التي أخذت من المعلومات الاستخباراتية لما قبل الحرب على العراق، ولكن، كما تعلمون، فإن الاعتماد على الدروس دائماً ما يحمل في طياته خطراً.

انظــر، حسب رأيي حول أسلحة الدمار الشامل السورية، وقد ذكرت ذلك في الكتاب –فإنني أشعر بالثقة- حتى في مرحلة ما بعد الحرب على العراق- أشعر بالــثقة بأن ما قلته يتوافق مع ما تطرحه الحكومة الأميركية حول قدرات سورية في الأسلحة الكيماوية وترسانتها من صواريخ سكود. أعتقد بأن لدينا معلومات متينة تماماً لإعطاء تلك البيانات حول صواريخ سكود والتسلح بأسلحة كيماوية.

أنــا لا أعتقد بأن الموضوع يتعلق بأسلحة نووي، ولا أعتقد بأن هنالك دليلاً كــبيراً يشير إلى قدرات كبيرة بالأسلحة البيولوجية. أعني، الناحية الضبابية بسبب الاســتخدام المــزدوج للتقنــيات البيولوجية وتلك المتعلقة بالأمور الدوائية. أنتم تعلمون، الكثير من الأفراد قد يكون لديهم قدرات أسلحة بيولوجية عدوانية، ولن نكون قادرين على الحكم المطلق بامتلاكهم لها. إنني أعتقد بأن امتلاك السوريين لها ممكن نظرياً، ولكن أنا لا أعرف بأن لدينا حقاً الدليل الذي يشير على ذلك.

إن العــاملين في المجــال النووي، لا يحاولون التحدث إلا فيما ندر عن سعي ســورية لامتلاك برنامج أسلحة نووية. بعد اكتشاف شبكة عبد القادر خان، كان هــنالك تخميناً كبيراً بأن سورية كانت زبوناً هذه الشبكة. لم أر أي دليل حقيقي حــول ذلك، وإنني سوف أنوه فقط بأن محمد البرادعي قال في السنة الماضية فقط بأنــه لا يوجد أي دليل من أي نوع يدل على نشاط نووي سوري سري، وبأن سورية تتعاون مع وكالة الطاقة الذرية بما يتعلق في هذا الخصوص.

السيد إنديك: (غير مسموع)

الســيد أود أن أشــكركم جزيل الشكر على ما قمتم به. لدي سؤال لكم. خلال لقاءاتك مع الرئيس بشار الأسد، هل أعطى تفسيراً عن سبب عدم الاندفاع تجــاه عملية الإصلاح السياسي الداخلية؟ أعني، بأن سورية حتى الآن تبقى من بين الــدول العربية القليلة التي لا تمتلك تعددية صحف. هل يراعي التجاوب المحدود، مثلاً مصر في أواخر السبعينات، بأحزاب قليلة وحرية صحافة قليلة؟ شكراً.

الســيد ليفريــت: حســناً، قلت بأن الرئيس الأسد لديه منهجاً تدريجياً نحو الإصــلاح. أنــتم تعلمون، بأنه يرى هذا على أنه عملية تتم على مدى الكثير من

السنوات، أعتقد بأنها قد تتجاوز العشر سنوات. وهو أيضاً يرى بأنها تتم بمراحل، أو على الأقل بمستويات مختلفة.

أعتقد بأنه يرى الإصلاح الاقتصادي يحتل الأولوية، وبأنه يجب عليك العمل على الاقتصاد أولاً. لقد وصف بعض الأشخاص ذلك على أنه النمط الصيني للإصلاح الاقتصادي. سواء أردت أن تطلق عليه النمط الصيني أم لا، فإنني أعتقد بأنه يؤمن بإعطاء الإصلاح الاقتصادي الأولوية للغاية.

أعتقد بأن الناحية الثانية من الإصلاح هي الإصلاح الاجتماعي، الذي حسب رأيه يعني بشكل كبير تخفيف الناحية الطائفية في المجتمع السوري وتطويرالمجتمع المدني في سورية، والذي يعني بشكل أساسي المنظمات، المؤسسات وأنواع أخرى التي يقوم من خلالها الأفراد بتحديد بطرق غير الطرق المرتبطة بالطائفة الدينية. هذا مايعنيه المجتمع المدني بشكل أساسي.

والإصلاح السياسي بالنسبة له هو الجزء الأخير من عملية الإصلاح، وهو واضح جداً عندما يقول لك بعدم التحرك في هذا المسار بشكل مبكر، وإلا، فإنك ستواجه نتائج شبيهة لما حصل في الجزائر عام 1992.

الآن، هل باستطاعته المضي بشكل أسرع نحو الإصلاح السياسي؟ نعم يستطيع.

أعتقد بأنه من الجدير أن نرى ما سيعلن عنه في مؤتمر حزب البعث القادم في حزيران من هذا العام. لقد حدد في خطابه أمام مجلس الشعب السوري بالخامس من آذار 2005 في سياق موضوع لبنان بأن هذا المؤتمر سيكون مناسبة للإعلان عن عمليات إصلاح هامة. يعتبر السياسيين في دمشق هذا الاجتماع حدثاً هاماً، حيث أنه سيكون هنالك بعض التغييرات في قانون الحزب، والتي تسمح بالأحزاب خارج الجبهة التقدمية الوطنية بالتشكل. أنا لا أعرف ما سيتم إعلانه، ولكن أعتقد بأنه أمر سنعرفه في حزيران.

السيد إنديك: لسوء الحظ، سوف ننهي هذه الجلسة. أعتذر لجميع من أراد طرح أسئلة. علينا إنهاء الجلسة الآن لتأخر الوقت.

لـــدي سؤال لأنمي به الجلسة –ماكلوغين- إسكيو، وهو، هل سيكون بشار رئيساً لسورية لعشر سنوات قادمة؟ وهل ستوقع سورية اتفاقية سلام مع إسرائيل؟

على أن بشار سيبقى رئيساً لسورية. أنا أقل يقيناً بما يتعلق باتفاقية السلام مع إسرائيل.

الســـيد إنديـــك: حســـناً، أود أن أشـــكر سي هيرش وجيمس بينيت على مشـــاركتهم في هذا الحوار، وبشكل خاص فلينت لكل ما قام به من عمل صعب من أجل إصدار الكتاب في هذا التوقيت.